م المصحح
د. صالح طه
د. أحمد العمري
د. صالح زيال

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا
فرع الأدب

المديح والفخر

بين

جرير والفرزدق والأخطل

رسالة مقدمة لنيل درجة

الماجستير

في

الأدب العربي

إعداد: ظافر عبد الله الشهري

إشراف الأستاذ الدكتور: نعمان محمد أمين طه

١٤٠٥ - ١٤٠٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

شكر وتقدير

"" ((*) شكـــر وتقديـــر (*)) ""

الحمد لله على ما أنعم به علّي من اتمام هذا العمل ، وأشكره على نعمــــه فبشكره تدوم النعم "" لئن شكرتم لأزيدنكم "" (ابراهيم : ٧) .

ثم أتوجه بالشكر الجزيل الى المسئولين فى جامعة الملك فيصـــــل بالمنطقة الشرقية وعلى رأسهم معالى الدكتور محمد سعيد القحطانـــي مدير الجامعة وسعادة الدكتــور خالد عبد الرحمن السيف وكيل الجامعة للشئون الاكاديمية "" سابقا "" .

كما أتوجه بالشكر الجزيل للمسئولين فى جامعة أم القرى وأخص معالـي مدير الجامعة الدكتور راشد الراجح وسعادة عميد كلية اللغة العربية الدكتــور عليان الحازمى ، وسعادة وكيل الكلية الدكتور صالح بدوى ، وسعـــادة رئيس قسم الدراسات العليا العربية الدكتور حسن باجوده .

كما أتقدم بخالص شكرى وتقديرى وعرفانى لأستاذى الكـريـم المشـرف على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور "" نعمان طه "" فقد كان خير معـــين لى بعد الله فبتوجيهاته استنرت وكان بحق المخلص الذى جعـــل لى الكثير من وقته وعلمه وفتح لى قلبه وبيته ، فأسأل الله أن يطيــــل فى عمره ويمتعه بالصحة .

وأخص بالشكر سعادة الدكتور عبد الرحمن العثيمـين عميـد مركـز البحث العلمى واحياء التراث بجامعة أم القرى فقد ساعدني فى الحصـول على بعض المخطوطات والكتب.

كما أشكر الأستاذين الكريمين عضوى المناقشة على تكرمهما بالموافقة على مناقشة هذا العمل ، وتزويدى بملاحظاتهما البناءه .

فللجميع من الله أجزل المثوبة ،ومني الاعتراف بالفضل لأهلـــــه وشكرهم عليه والله نسأل التوفيق والسداد . ،،،،

الباحـــــث

المقدّمة

" " المقدمـــة " "

+ + + + + + + + + + + + + + +

الحمد لله ، والشكر لله ، والثناء عليه . والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله صلاة طيبة مباركة وعلى آله وصحابته ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

وبعـــد :

فان من أهم مقومات الحضارة الانسانية لأى أمة من الأمم أن تعتمد على تراثها ، وأن تحافظ عليه وتداوم على تجديده بالدراسة والبحث تستقى منه مقومات فكرها لحاضرها ومستقبلها . وليس بخاف على ذوى البصر والبصيرة أن اللغة العربية وآدابها وعاء الاسلام وترجمان القرآن الكريم . ومن هنا كانت العناية بها وفهمها وتذوقها شعرا ونثرا من أهم الوسائل التى تصل المسلم بدينه وتعرفه على مقاصد كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم .

ولقد كانت للأمة العربية شخصيتها الأدبية التى ميزتها عن غيرها من أمم الأرض قاطبة فكان واجبا على أبنائها أن يحافظوا على مقومات هذه الشخصية لتبقى متميزة بفنها الأدبى من خلال اللغة العربية وآدابها ويكون نتاجها الفنى قديما وحديثا حلقة متواصلة الأطراف محكمة النظم ، لذا كانت عناية الباحثين - من أبناء أمتنا ومتذوقى آدابنا الأصيلة - بالأدب العربى شعرا ونثرا على مر العصور الأدبية .

وليس لقائل أن يقول : ان المجال قد ضاق بالدراسات

الأدبية الحديثة ،وأن أدبنا القديم ورواده قد أخذوا نصيبهم كاملا من الدراسة والبحث فما تزال هناك مخطوطات كثيرة فى شتى صنوف المعرفة العربية قابعة فى المكتبات العامة والخاصة لم تحقق حتى الآن ولا تزال هناك جوانب كثيرة لم تدرس ولم تأخذ نصيبها كاملا من عناية الباحثين والمهتمين بالتراث العربى .

ومن هذا المنطلق بدأت الفكرة تراودنى منذ البداية الى أن أحصر جهدى فى جانب من جوانب الأدب القديم . ولقد رأيت أن الأدب والشعر بخاصة لا يزال ميدان البحث فيه واسعا وعندئذ توجهت بفكرى الى قمة الشعر الأموى ورواده " جرير ،والفرزدق والأخطل " ،فأردت أن أدرس بشيء من التفصيل غرضين من أغراض شعرهم ،وهما " المديح والفخر " وكان من وراء هذا الاختيار عدة أسباب لعل منها :

أنه قد دار صراع بين النقاد القدامى حول الشعراء الثلاثة مما أدى الى تعدد الآراء النقدية (١) واصدار الأحكام الجزئية دون دراسة شعرهم دراسة مفصلة ،فحاولت أن أعيش فى دوحة أدبهم أتملى مافيه من جمال فنى يكشف عن جوانب مضيئة فى شعرنا العربى القديم ،وأن أحاول أن أملأ الفجوة التى تركوها بحكم أدبى نقدى قائم على التمحيص والدراسة المتأنية الشاملة .

وقد رأيت أن احياء الأدب القديم بالدراسة والبحث واجب

---

(١) انظر على سبيل المثال : العمدة لابن رشيق (١ : ٩٧) .

حتى تفرضه طبيعة الانتماء ، وحاجة المبدعين اليه ليكون مـــددا للمحدثين فى نتاجهم الفنى مما دفعنى الى اختيار هذا الموضوع .

وكذلك أيضا ماشتهر بين النقاد القدامى من اقذاع الشعـراء الثلاثة وماعرفوا به من فحش القول مما جعل النشء ينصرفون عـــن أدبهم وقد حجبت عنهم منابع الشعر الرائعة والتعبير الصادق ، لـذا أردت أن أدلى بدلوى فى محاولة لتقريب تلك الروائع من قلوبهـــم بهذا العمـل ، وقد ران على قلوب كثير من الباحثين المسلميـــن وطغمـة من المستشرقين أن شعر جرير والفرزدق والأخطل ماهـــو الا أوشاب تمتلئ بالأقذاع وبينها وبين ديننا الحنيف حجاب صفيق فكان من دوافع هذه الرسالة محاولة ازالة هذا الحجاب الواهـــى واظهار أدب الثلاثة فى صورته المشرقة التى تحوطها هالة من نـــور الاســـلام .

وقد دفعنى أيضا الى صنعى فى هذه الرسالة ماتواتـــرت عليه الآراء قديما ، والدراسات حديثا من أن فخر الفرزدق ، ومديـح الأخطل ونسيب ، وهجاء ورثاء جرير قد صار كل منها المثل الأعلى والاكليل الذى يعلو هامة صاحبه ، فكان لابد من التثبت من صحـة هذه الرؤى فى ضوء النقد الحديث .

أما منهجى فى هذه الدراسة فقد بدأت فيه بجمع مايمكـــن جمعـه من المصادر والمراجع القديمة والحديثة وبدأت أقرأ كـــل مايتعلق بالشعراء الثلاثة بالاضافة الى قراءة تاريخ العصر الأمـــوى وماحدث فيه من تقلبات سياسية واجتماعية ، وأدون كل فكرة تلوح لـى

يمكن الاستفادة منها . وقد حاولت أن يكون هذا المنهج استقرائيا تاريخيا لكل النصوص سواء فى دواوين الشعراء أم غيرها من المصادر وتحليل هذه النصوص متذوقا لما امتلأت به من روائع فى محاولة منى لتذوقها أدبيا جماليا يظهر مايكمن فيها من حقائق تتصل بالتاريخ الأدبى لتقويم المديح والفخر عند الشعراء الثلاثة .

وقد حاولت فى منهجى هذا دراسة الجزء لأصل الى الكل فكان منهجى يقوم على الانتقال من الفردى الى العام ومن الجزئى الى الكلى ،لايمانى أن الدراسة الفردية هى أصل كل بنيان أدبى (١) . ومن هنا استطعت أن استقرئ كل جزئيات المديح والفخر عند الشعراء حتى وصلت فى النهاية الى الموازنة الشاملة بينهم فى كافة الأغراض ،اذ أن نتاج الشاعر يكمل بعضه بعضا واقتطاع الأجزاء أشبه بمحاولة دراسة خصائص كائن حى من خلال فحص أجزاء متقطعة منه فهذه المحاولة بعيدة عن النهج السوى مالم تفض فى النهاية الى دراسة الكل .(٢)

وقد قسمت هذا البحث الى مقدمة وتمهيد وخمسة أبواب وخاتمة تشتمل على أهم النتائج وبعض الجداول الاحصائية عن غرض المديح ثم قائمة المصادر والمراجع والفهارس . وقد تحدثت فى التمهيد عن

---

(١) انظر مناهج الدراسة الأدبية فى الأدب العربى ـ شكرى فيصل : ٢٢١ ـ ٢٣٩ .

(٢) انظر جرير حياته وشعره د . نعمان طه : ٢١٧ ـ ٢١٨ .

المديح والفخر في اللغة ،وفرقت بينهما . كما تحدثت عنهمـــــا في العصر الجاهلي وصدر الاسلام .

أما الباب الأول : وهو الدوافع النفسية والاجتماعية التي أدت الى ظهور الغرضين عند الشعراء الثلاثة ،فقد جعلته في ثلاثـــة فصـــول قدمت بحديث عن المؤثرات النفسية والاجتماعية التي تؤثـــر في الفرد ،ومايمكن للبيئة أن تحدثه في شخصية الفرد من مؤثـــرات اجتماعية وغيرها . وجعلت هذا مدخلا لدراسة هذا الباب حيـــث تحدثت عن هذه الدوافع فأفردت لكل واحد من الثلاثة فصلا مستقلا .

وفي الباب الثاني : وهو دراسة تاريخية موضوعية لغرضـــــي المديح والفخر لدى الشعراء الثلاثة فقسمته الى ثلاثة فصول ،درست الغرضين من هذا المنطلق عند كل شاعر في فصـل خاص به . وقد حاولت بقدر الامكان أن أتتبع مراحل تطور هذين الغرضين عند كل شاعر مبينا موضوعات مديحهم وفخرهـــم ومافيهما من الصور الفنية .

أما الباب الثالث : وهو أثر الاسلام في نتاج الشعراء الثلاثة فقد جعلته في ثلاثة فصول يسبقها مدخل تحدثت فيه عن الحيـــاة الاسلامية وأثرها في الشعر الأموي .

أما الفصل الأول فقد حاولت أن أتبين فيه مدى تأثر الأخطل بالبيئة الاسلامية . وفي الفصلين الثاني والثالث تتبعت أثر الاســـلام في مديح وفخر كل من الفرزدق وجـــرير .

وفي الباب الرابع : وهو دراسة فنية لغرضي المديح والفخـــر

لدى الشعراء الثلاثة فقد قسمته أيضا الى ثلاثة فصول . درست في الفصل الأول الفن التعبيرى فى مديح وفخر الأخطل ،وخصصت الثاني والثالث بالفرزدق وجرير . وقد حاولت أن استقرىء كثيرا من النصوص الشعرية لبيان كثير من الملامح الفنية عندهم من خلال تحليل هذه النصوص وتذوقها تذوقا أدبيا جماليا .

أما فى الباب الخامس والأخير : وهو النقد الذى دار حول الشعراء الثلاثة فقد جعلته فى ثلاثة فصول .. عرضت فى الفصل الأول لأهم آراء النقاد القدامى فى الثلاثة ثم ناقشتها .. وفى الفصل الثاني تتبعت دراسات المحدثين حولهم وحاولت التركيز على هذه الدراسات المتخصصة التى تناولت كل شاعر على حدة . وفى الفصل الثالث عقدت موازنة بين الشعراء الثلاثة فى ضوء النقد الحديث حيث عمدت الى استجلاء أهم السمات الفنية والموضوعية فى جميع الأغراض عند كل شاعر فلم أقصر هذه الموازنة على المديح والفخر فحسب لأن منهجى الذى اختططته يلزمنى أن أخلص فى هذه الموازنة الى الكل بعد أن تتبعت جزئيات كثيرة فى الأبواب السابقة ،أفضت بى الى هذه الموازنة الكلية .

وبعد هذا ختمت البحث بأهم النتائج التى توصلت اليها وأردفتها ببعض الجداول الاحصائية فى المديح عند كل شاعر تبين عدد الممدوحين والقصائد والأبيات وأخيرا ذيلت صنعسى بقائمة المصادر والمراجع والفهارس .

ولا أدعى لنفسى الكمال فأنا طالب علم ومهما حاول الدارس

الالمام بجوانب موضوع من موضوعات أدبنا العربى ،فستظل هنـــاك جوانب أخـرى تحتـاج الى الدراسـة والبحث ،ولكننى حـــاولت بكل ماتوفـــر لى من جهد بشرى وماوقع تحت يدى وبصرى من مصادر ومراجع أن أتناول موضـــوعى هذا بدقة واستقصـــاء بقدر ماأسعفنى به الجهـد مستمدا من الله تعالى العون والقوة فعليه توكلـــــت واليـــه أنيب .

****

تمهيد

المديح والفخر

- في اللغة
- والعصر الجاهلي
- وعصر صدر الإسلام

* * تمهيـــد * *

* المديح والفخر في اللغة والعصر الجاهلي وعصر صـــدر الاسلام *

يحسن بنا أن نقوم بتعريف المديح والفخر حتى يكون لهذين الغرضين صورة واضحة في أذهاننا ثم نلمح بما كانا عليه في الجاهلية وصدر الاسلام .

فالمديح : نقيض الهجاء وهو حسن الثناء على الجميل الاختياري قصدا . (١)

ومادة هذه الكلمة تدور في المعاجم حول الاستلاء والشبع . ففي اللسان وغيره من كتب اللغة العربية (وامتدحت الأرض وتمدحت اتسعت ،وامدحّ بطنه لغة في اندحّ اذا اتسع ،وتمدحت خواصر الماشية أي اتسعت شبعا (٢)) .

فكأن الممدوح في رأيي يوصف بكل مايدل على الغنى والوفرة في المال أو الشجاعة ،ومن ثم السيادة التي تستحق الثناء ،ومن هنا أخذت الدلالة الفنية وهي المعروفة غرضا من أغراض الشعر .

ويرجح الدكتور " نعمان طه " أن المدح ربما كان من المتح

---

(١) أنظر : التعريفات ـ لعلي بن محمد الجرجاني ٢٠٧ .
ومعجم مصطلحات العربية في اللغة والأدب ٣٤٣ .

(٢) أنظر : الصحاح ،واللسان ،والقاموس المحيط ،وتاج العروس وأساس البلاغة ،والمعجم الوسيط (مادة مدح) .

الذى يدور حول استقاء الماء من البئر فمتح البئر أستقى منها الماء . (١)

وقد يكون في هذا أقرب دلالة على ما شاع بين العرب لغويا وفنيا من دلالات حسية للفظة المدح .

أما الفخر : فقد دار معناه فى معاجم اللغة حول دلالة حسية هى النخلة العظيمة الجذع الغليظة السعف ،أو الناقة العظيمة القليلة اللبن ،ومن هنا جاءت الدلالة المعنوية ،وهى مباهاة الفرد وتعاظمه على غيره بالمكارم والمناقب من حسب ونسب الى غير ذلك من السجايا النبيلة الحسية والمعنوية ،اما فى المتكلم نفسه أو فى آبائه وعشيرته أو فى قبيلته الكبرى التى ينتسب اليها . (٢)

والمدح والفخر ينبعان من منبع نفسى واحد ،وهناك خيط رفيع يكاد يفرق بين هذين الغرضين أو يكاد يكون وصلة بينهما :

فالافتخار هو المدح نفسه الا أن الشاعر يخص به ذاته وقومه ويتطاول على غيره بذلك . وكل ماحسن فى المديح حسن فى الافتخار ،وكل ماقبح فى أحدهما قبح فى الآخر .

ولقد تتبعت من عنى بالتفريق بين هذين الغرضين فوجدت

---

(١) جرير حياته وشعره د. نعمان طه ٢٢٠ - ٢٢١ الطبعة الثانية .

(٢) أنظر اللسان وغيره من معاجم اللغة (مادة فخر) ، والتعريفات ١٦٥ .

أن رأى " ابن رشيق " أدق الآراء وأكثرها موضوعية ، وهو ما ذهبت اليه هنا . [1] ووجدت أن ابن قتيبة لم يفرق بين هذين الغرضين بل جعل كلا منهما مديحا . [2] ويرى أبو هلال العسكرى أن الرثاء والفخر داخلان فى المديح أيضا وفرق بينهما من حيث الثناء على الميت باستخدام الماضى بينما المديح باستخدام الفعل فى الحاضر فقال :

(والفرق بينهما وبين المديح أن تقول كان كذا وكذا وتقول فى المديح هو كذا وأنت كذا ... [3]) .

ويحسن بنا قبل التعرض للكلام عن الغرضين فى العصر الجاهلى أن نتعرض لأقسام الشعر فى دراسات النقاد العرب القدامى والمحدثين . أما النقاد الغربيون [4] فلعلهم لم يهتموا الا بتقسيم الشعر الى تمثيلى وملحمى وغنائى . ولعلهم أعرضوا عن الافاضة فى تقسيم الشعر الغنائى وبيان موضوعاته كما فعل النقاد العرب فيما بعد حينما بدأ تسجيل ذلك أبو تمام المتوفى ٢٣١ هـ فى كتابه " الحماسة " فجعل أغراض الشعر عشرة [5] . أهمها وأولها وأخطرها فى نظره هو ماقدم به لهذه الأغراض وجعله عنوانا لمختاراته وأعنى به غرض الحماسة اذ أورد من بينها المديح ويقع سادسا . أما الفخر فلم ينص عليه ولعله فعل ذلك لأن

---

(١) أنظر العمدة - لابن رشيق - ٢/١٤٣ - ١٤٤ .
(٢) أنظر عيون الأخبار - لابن قتيبة - ١/٢٧٥ ومابعدها .
(٣) الصناعتين - لأبى هلال العسكرى - ١٣٧ .
(٤) ومن هؤلاء النقاد على سبيل المثال " أرسطو " فى كتابه (فن الشعر) تحقيق وترجمة الدكتور شكرى محمد عياد .
(٥) أنظر ديوان الحماسة ١/٣٦ (طبعة جامعة الأمام) .

الغرض الأول وهو الحماسة يتضمنه ويشتمل عليه .

أما قدامة بن جعفر ت ٣٣٧هـ فقد جعل أبواب الشعر ستة (١) أولها المديح والهجاء ،وبعد أن تكلم عن هذه الأبواب حاول ردها كلها الى هذين الغرضين وقد تابعه أبو هلال العسكرى ت ٣٩٥ هـ فقصر الشعر على أبواب خمسة (٢) جعل فى مقدمتها أيضا المديح والهجاء ثم أتبعها الوصف والتشبيب والمراثى وتطرق الى ابتداع النابغة الذبيانى للاعتذار فجعله سادس أغراض الشعر وان لم يطرقه كثير من الشعراء .

أما فى الأندلس فقد وسع ابن رشيق القيروانى ت ٤٥٦ هـ الدائرة فجعل موضوعات الشعر تسعة هى النسيب . المديح الافتخار . الرثاء . الاقتضاء . الاستنجاز . العتاب . الوعيد والانذار . الهجاء . الاعتذار . (٣) وهكذا جعل باب المديح تاليا للنسيب والافتخار ثالثا .

وفى العصر الحديث يطالعنا الدكتور " يحى الجبورى " بتقسيم لأغراض الشعر فيجعلها ستة هى : الغزل ،والحماسة، والرثاء ،والهجاء ،والوصف ،والحكمة . (٤) ضاربا صفحا عن المدح والفخر ولعله فعل ذلك اقتداء بأبى تمام الذى رأى ـ فيما نظن ـ

---

(١) أنظر نقد الشعر ٩١ .(مكتبة الكليات الأزهرية) .
(٢) أنظر ديوان المعانى ـ لأبى هلال العسكرى ١ / ٩١ .
(٣) أنظر العمدة ٢ / ١١٣ - ١٨٠ .(طبعة دار الجيل بيروت) .
(٤) أنظر الشعر الجاهلى خصائصه وفنونه د. يحى الجبورى ٢٧٩ - ٤١٧ .(موءسسة الرسالة ط "٤") .

أنهما يسريان سريانا واضحا فى أم أبواب مختاراته ألا وهو غرض " الحماسة " .

ويحاول الدكتور " شوقى ضيف " أن يزيد على الباحثين النقاد القدامى رأى " بروكلمان " المؤرخ الألمانى المشهور للأدب العربى وهو الربط بين الشعر والسحر (١) وجعل التقرب الى الآلهة فى العصور الأولى للانسانية هو مصدر ما انبثق عن الشعراء من شعر أو مانطلق عليه " تعويذات " يتقربون بها الى الآلهة حينا لترضى عنهم . وهذا هو المصدر الأول للمدح . أو يخيفون بها أعداءهم وهذا هو المصدر الأول للهجاء والفخر . ويحاول الدكتور شوقى ضيف الاحتجاج لرأى " بروكلمان " الذى يعتنقه ويأخذ به بقوله : (٢)

" ويظهر أنه كانت لاتزال فى نفوسهم بقية من هذه الصلة بين الشعر ودعاء الآلهة يدل على ذلك أكبر الدلالة ماجاء فى القرآن الكريم من كثرة الربط بين الشعر والسحر وتعاويذ الكهنة فقد كانوا يرمون الرسول فى بدء دعوته تارة بأنه شاعر وتارة ثانية بأنه كاهن وتارة ثالثة بأنه ساحر * وقالوا ان هذا الا سحر مبين (٣) * ثم يستشهد بعدة آيات أخرى .

أما هذا الذى أورده " بروكلمان " وشايعه عليه دكتور

---

(١) أنظر تاريخ الأدب العربى " بروكلمان " ١/ ٤٤ - ٥٠ .
(٢) العصر الجاهلى د . شوقى ضيف ١٩٦ . (دار المعارف) .
(٣) سورة الصافات / ١٥ .

شوقي ضيف من علاقة بين السحر والشعر وتعويذات الآلهة وأنها أصل للشعر فهو كلام مبهم غامض يعوزه الدليل المقنع الذى افتقدناه عند " بروكلمان " وشوقي ضيف وهذا مايراه الدكتور نعمان طه في كتابه (جرير حياته وشعره [1]) وأما الزعم بأن الشعر في الأصل تعويذات للآلهة كان يقدمها الشاعر فهو زعم أقرب الى لغة الأساطير التى تستهوى الخيال أكثر مما تقنع العقل والواقع الحسي للانسان هذا المخلوق الذى سرى في دمه منذ خلقه الله ميل الى التعبير عما في النفس تعبيرا ساذجا في أول عصور الانسانية الأولى ثم أخذ يتدرج ويتطور نحو الكمال حتى وصل الى ماوصل اليه - فهو مع أنشاه يشاركه في ذلك أنواع شتى من الطيور والحيوانات - يملأ أذنيها بلغة حلوة معسولة لعلها مقدمة للغريزة النوعية فهذا هو الغزل . ويملأ أذني الفتى من بني جلدته بلغة جميلة معسولة لكى ينال رفده فهذا هو المديح ،وهكذا القول في بقية أغراض الشعر الغنائي . وهو مانراه تفسيرا لهذه الأغراض تفسيرا نابعا من نفس الانسان وحاجته ازاء أفراد جنسه الذين يهفو قلبه اليهم ،ويحاول التقرب منهم لتحقيق غاية مادية حسية هي في أبسط صورها بإيجاز شديد شهوة البطن والفرج

أما الربط بين الشاعر والساحر في خيال الجاهليين وهو الربط الذى ورد في آيات من القرآن الكريم [2] . وحاول

---

(١) أنظر جرير حياته وشعره د . نعمان طه ٢١٣ - ٢٢٠ .

(٢) أنظر مادة (سحر) في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

الدكتور " شوقي ضيف " أن يتخذ منه دليلا على رأى " بروكلمان " في أصل الشعر ومنبعه فلا يجوز في رأينا أن يتخذ دليلا على ربط الشعر بالتعاويذ وانما هو دليل على أن قوة تأثير الشعر في النفوس لاتقل عن تأثير السحر فيها أى أن للشعر تأثيرا فنيا مثل تأثير السحر ولاعجب في ذلك فقد قال - صلى الله عليه وسلم - ان من البيان لسحرا (١) .. وبهذا اعتقد الجاهليون أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ساحر شاعر يسحر الناس بشعره أى بقوة بيانه . ومن هذا ينتقض الاستدلال بآيات الله الكريمة على مارتآه الدكتور شوقي ضيف وحاول به مشايعة " بروكلمان " ومن سار على دربه في محاولة رد الشعر في عصور الانسانية الأولى الى مايتصل بالانسانية الجاهلية وآلهتها وطقوسها ومعتقداتها (٢) .

وبعد هذه اللمحة السريعة لأقسام الشعر في كتابات النقاد نعرض للمديح والفخر في العصر الجاهلي . فحينما نستقرىء غرض المديح في العصر الجاهلي نجده ينصب على سادات القبائل حينما يجد الشاعر مطلبه ومبتغاه أو يريد الوصول الى كسب مادى يحظى فيه بكرم وفادة أو طيب اقامة .

وقد شرق الشعراء وغربوا قاصدين الملوك والأشراف يمدحونهم ويشيدون بمآثرهم ومواقفهم وانتصاراتهم البطولية في

---

(١) أنظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث حيث يورد الحديث في البخارى ومسلم وسنن الدارمى ، والترمذى وسنن أبى داود ، والموطأ وأحمد بن حنبل .

(٢) أنظر جرير حياته وشعره للدكتور نعمان طه : ٢١٣ ومابعدها . ٢١٣ ومابعدها .

الحروب وغيرها لينالوا بذلك الغنم الوفير الذى يؤمن لهم حياة كريمة .

ويظهر أن بعض الحكام كانوا يتخذون من الشعراء وسيلة للدعاية لهم وتأييد سياستهم كما فعل الغساسنة الذين كثر حولهم الشعراء يمجدونهم ويشيدون بفضلهم وقوتهم ويكسبونهم هالة من التعظيم فى نفوس الأمم المجاورة والمعاصرة لهم (١) .

ولاشك أن المدح قد نبع استجابة لما يطوى فى النفس البشرية من حب وولع بالاشارة بها وقد عبر عن هذا النابغة أروع تعبير حينما أشاد بالنعمان معتذرا (٢) .

كَفِعْلِكَ فِى قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَنَعْتَهُمْ   فَلَمْ تَرَهُمْ فِى شُكْرِ ذَلِكَ أَذْنَبُوا

وقد قالت العرب (اللّهى تفتح اللّها) (٣) ولقد كان غالب المدح فى العصر الجاهلى صادقا فى مضمونه اذ كان أغلب الشعراء آنذاك لا يمدحون الرجال الا بما يرون فيهم من الخصال الحميدة ويلمسون فيهم من شجاعة وكرم يؤيد هذا قول عمر بن الخطاب — رضى الله عنه – فى وصفه لزهير : انه لم يكن يمدح الرجل الا بما يكون للرجال .(٤) وفى هذا القول دلالة على المدح الصادق بالاعتقاد الصادق بتمتع الممدوح بالشجاعة أو كمال العقل أو العفة

---

(١) أنظر العصر الجاهلى د . شوقى ضيف ٢١١ - ٢١٢ .
(٢) ديوان النابغة الذبيانى ص ١٧ .
(٣) أنظر اللسان (لها) . وأساس البلاغة للزمخشرى مادة (لهو)
(٤) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ٩٥ .

أو السخاء وهى من أبرز صفات الرجال . وقد ظل الشعراء ينعتون ممدوحيهم بهذه الصفات من بداية عصور الشعر العربى وحتى الآن .

وقد تفنن الشعراء فى مديحهم فامتدحوا الانسان بوصف خلقته ومعرفته بالأمور وقياسها بمقياسها الصحيح ،ومدحوا بالحياء ،والسياسة ،والكفاية ،والعلم ،والحلم (١) .

ولقد كان الشاعر فى الجاهلية لسان القبيلة الناطق باسمها ويرى أن عليه واجبا فى مجتمعه القبلى تجاه سادات قومه وفرسانهم فأطلق لسانه بالثناء عليهم وامتد هذا الثناء الى غيرهم ممن يأتون احسانا وتكون لهم فضائل ومكرمات دون النظر الى القبائل التى ينتسبون اليها حتى أصبح المدح من الأبواب المستقلة فى الشعر الجاهلى يشيد بفضائل الجاهلية بعيدا الى حد " ما" عن التكسب والتزلف هدفه اظهار الحب والشكر والاعجاب بالممدوحين أيا كانوا . (٢)

ويعد زهير بن أبى سلمى ، والنابغة الذبيانى ،وأمية ابن أبى الصلت ، وبشر بن أبى خازم ،وحسان بن ثابت الأنصارى من أشهر المداحين فى الجاهلية (٣)

---

(١) المصدر السابق ٩٦ - ١١٣ .
(٢) أنظر تاريخ الأدب العربى - حنا الفاخورى ٦٠ - ٦١ .
والشعر فى الأدب العربى على ضوء التصور الاسلامى للدكتور شوقى عبد الحليم حماده ٩٧ . (مكتبة النهضة المصرية) .
(٣) أنظر أدب ماقبل الاسلام دراسة وصفية تحليلية - محمد عثمان على ١١٨ .

أما الفخر فى العصر الجاهلى فلم يكن أقل من المديح شأنا فهو أحد التيارات التى تسرى فى الحماسة (١) لأن العربى بطبعه شجاع مقدام يتطلع دائما الى الفضائل والمثل العليا ويتباهى بالخصال الحميدة ،والسجايا النفسية الطيبة ،ويفتخر بانتمائه القبلى ويزهو بأفعاله العظيمة فهو معتد بنفسه مفتخر بأصالته ومناقبه ومناقب قومه . لذا كان موضوع فخره مكارم الأخلاق وشرف النسب وبيض الفعال (٢) ولم يخرج فى محيط فخره عن ذاته وقبيلته ومايتصل بهذه الذات وهذه القبيلة من فروع وأفخاذ (٣) .

والعربى ذو نفس أبية يلذ له الحديث عن نفسه وخصاله وأفعاله وهو شجاع كريم صاحب مروءة ونجدة يتحلى بصفات كانت فى مجملها تشكل روابط متينة تربطه بمجتمعه كالحفاظ على العهد وحماية الجار واجارة المستغيث ولذلك كان مدار الفخر فى الجاهلية حول الحديث عن النفس وانتماء الشاعر الى القبيلة وتأكيد هذا الانتماء ،ومحاولة الارتفاع بمستوى الشاعر من خلال ارتفاعه بمستوى قبيلته والحديث عن طيب المنبت والأصل العريق للشاعر ،وكثرة المال ،والولد ،والعدد ،والعدة ،والانتصارات فى الغارات .

ومن العرف المؤكد أن الحديث عن النفس واطراءها والتباهى بخصالها وأفعالها يعد من باب الغرور ،وهو مذموم

---

(١) أنظر الشعر الجاهلى خصائصه وفنونه د . يحي الجبورى ٣٠٠-٣٠١ .

(٢) أنظر تاريخ الأدب العربى ـ حنا الفاخورى ـ ٦٠ - ٦١ .

(٣) أنظر أدب ماقبل الاسلام ـ محمد عثمان على ـ ١٠٨ - ١١٢ .

الا فى الشعر فانه مستساغ مقبول . وقد أشار ابن رشيق الى هذا بقوله : (ليس لأحد من الناس أن يطرى نفسه ويمدحها فى غير منافرة الا أن يكون شاعرا فان ذلك جائز له فى الشعر غير معيب عليه [١]) .

وأصدق الفخر فى الجاهلية مادار حول الفضائل النفسية والخصال الحميدة بعيدا عن الاغراق فى التباهى بالأمور المادية والتعالى بالأحساب والأنساب . وهى أمور كثر الفخر بها فى العصر الجاهلى وربما كانت محمودة حينذاك وهى عمدة الشاعر وعدته فى ذلك العصر ،اذ لم تكن هناك ضوابط للشعر تحد من الاغراق فى ذكر هذه الصفات والتعالى بها على الناس .

وهى أمور وضع لها الاسلام ضوابط ومقاييس أوقفت الشعراء عند حدودهم كما سنرى فيما بعد ـ ان شاء الله ـ .

وبصفة مجملة نقول : كان موضوع قصائد الفخر فى الجاهلية حول الشجاعة والبأس ومنع الجارات واجارة المولى ، واطعام الفقراء واكرام الضيف ،وبذل المال وايثار الآخرين [٢] ، واقتحام حومات الوغى بقوة وبسالة ،وبذل الروح رخيصة فى سبيل الحفاظ على وحدة القبيلة وشرفها وكرامتها وقد افتخروا كذلك بشرب الصهباء .

---

(١) العمدة ـ لابن رشيق ١/٢٥ .

(٢) أنظر الشعر الجاهلى خصائصه وفنونه د . يحى الجبورى ٣٠٢ .

وكثير من شعراء الجاهلية كانوا يجمعون بين الفروسية والشاعرية (١) فكان فخرهم ينطلق من أنفس قوية لا تهاب الموت ولعل من هؤلاء الشعراء الفرسان حاتما الطائى ، وعنترة العبسى ، وعمرا بن معديكرب ، وعمرا بن كلثوم ، والحارث بن حلزة وغيرهم . (٢)

أما المديح والفخر فى عصر صدر الاسلام فقد جاء الاسلام والانسانية ترسف فى قيود العبودية والظلم ، والعرب حينذاك يعيشون حياة جاهلية وثنية مادية . فكان عصر النبوة والخلفاء الراشدين قمة شامخة عبر بالعرب من على مشارف جزيرتهم الى العالم حاملين معهم أعظم هدية للبشرية جمعاء ليكونوا رسل هداية ورواد أسلوب متفرد جديد فى الحياة التى شعت منها مبادىء النهضة المباركة مضيئة لدروب الحضارة الانسانية فيما بعد ، ولازال العالم بأسره يتفيأ ظلالها حتى الآن وكانت هذه النهضة منطلقا لفكر راق وأدب متميز مصدره القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والنهج الراشدى . ومن الطبيعى أن يحدث القرآن الكريم تغييرا واضحا فى الفكر والأدب ، ويضع للثقافة الانسانية منهجا يرتاده من هداه الله للحق وسلمت روحه للايمان بعيدا عن جفوة الجاهلية وغلظتها ، واغراقها فى المبادىء التى لاتعرف سوى العرقية والحزبية والنفعية (٣) لينطلق الأدب من قاعدة صلبة ويسير

---

(١) أنظر الشعر فى الأدب العربى على ضوء التصور الاسلامى للدكتور / شوقى عبد الحليم حمادة ٩٩ .

(٢) أنظر أدب ماقبل الاسلام - محمد عثمان على - ١٠٨ - ١١٢ .

(٣) أنظر الأدب العربى فى الجاهلية والاسلام - عمر رضا كحالة ٨٩ (المطبعة التعاونية دمشق) .

فى عوالم فسيحة ترسم للمجتمع صورة واضحة للحياة والكون فى آفاق الدين الاسلامى .

وحينما نتحدث عن غرضى المديح والفخر فى عصر صدر الاسلام فانه لابد وأن يكون لهذه الحياة الجديدة أثرها الواضح العميق فى نفوس العرب بعامة وهم الذين أظلهم هذا الدين والشعراء منهم بصفة خاصة وهم الذين كان لهم شرف الصحبة للرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - ولخلفائه الراشدين . فقد تشربت نفوس هؤلاء بالايمان الصافى وأصبحت ألسنتهم مقيدة عن قول الفحش فكان واجبا على الشاعر المسلم أن يكون ملتزما منهج القرآن الكريم لايتعدى حدوده فى مديحه وفخره : فقد ولى عصر التمدح والفخر بالأحساب والأنساب ليحل محل ذلك التمدح والفخر بالدين الجديد ،والسبق اليه والتصديق برسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - والدعوة الى الله وبيان محاسن الاسلام ،واظهار عدالته الاجتماعية فبعد أن كان الشعر الجاهلى ظلا لحياة الصحراء بعكس جفوتها ،محصور الأغراض فى الوقوف على الأطلال ومناجاتها وبكاء الحبيبة الظاعنة ،ووصف الناقة والبعير ،والمها والجياد وفى مدح السادات والعظماء ورؤساء القبائل وفى الفخر بالنفس أو القبيلة والزهو بمعركة كان النصر فيها حليف الشاعر وقبيلته ،وفى تحريض القوم على الأخذ بالثأر (١) وغيرها من الأمور الدنيوية التى تحركها شهوات النفس وجذوة الجاهلية . أصبح هذا الشعر فى

---

(١) نظرات فى الشعر الاسلامى والأموى - ظافر القاسمى ٢٠ ومابعدها .(دار النفائس) .

ظل الحياة الجديدة وسيلة من وسائل الدعوة الى الله وتبصير الناس بدينهم الجديد الذى يكفل لهم الحرية والوحدة والمساواة، وهكذا تجنب الشعراء القيم الجاهلية القديمة واستمسكوا بقيم اسلامية جديدة فى ظل عدالة سماوية لاتفرق بين أبيض وأسود أو عربى وأعجمى الا بمقياس واحد هو تقوى الله عز وجل * ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم .... (١) *

ومن هنا أصبح للشعراء الذين تمكن الاسلام من نفوسهم منهج واضح فى الشعر بعامة والمديح والفخر بخاصة . فكان لشعراء المدينة خط متميز فى نهجهم الشعرى عن شعراء مكة الذين لما يتمكن الاسلام من نفوسهم بعد حتى تحولوا بعد فتح مكة ونهجوا نهج شعراء المدينة . وكان من بركات هذا الدين الحنيف أن تحوّل الفخر الذى كان بين الأوس والخزرج بسبب السيادة القبلية والمطالب المادية الى تفاخر اسلامى بينهم وبين قريش وحلفائها فى سبيل الدين الجديد (٢) . مما أدى الى توسيع أفق الشعر والسمو بغايته فى ظل الاسلام الذى وقف منه موقفا طبيعيا واضحا مؤيدا للشعر الذى ينسجم مع دعوته وأهدافه ناهيا عن أى قول يؤدى الى فحش واقذاع أو تعال بنسب أوحسب وأصبح المديح لله وللرسول وللأمة الاسلامية كما تحوّل الفخر من قبلى جاف الى اسلامى يسمو بالدين الحنيف والانتماء اليه والثأر

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣ .

(٢) الأدب العربى فى الجاهلية والاسلام ـ عمر رضا كحالة ٨٤ .

ومنهم الخلفاء الأربعة كانوا ينأون بجانبهم عن سماع المديح وحسبنا محاولة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - منع حسان من انشاد شعره فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وافحام حسان له (١) ولما يراه الصحابة والمسلمون من التطاول فى التفاخر من سمات الجاهلية .

وخلاصة القول : أن المديح قد اختط فى هذا العصر منحى دينيا بحتا اذ سجل الشعراء لرسولهم الكريم الصفات التى وصفه بها القرآن الكريم ومدحوا صحابته الأجلاء بالمعانى الاسلامية وقد جاء فى شعرهم ومضات الصدق الفنى نظرا لأنهم يصدرون فيه عن حب وايمان لصاحب الرسالة ولصحابته ،ولعامة المسلمين فلم يكن الغرض ماديا وانما كان احتسابا عند الله وذودا عن حياض الاسلام لايقصدون من ورائه التكسب ونيل الجوائز انما مشاركة فى الدعوة الى الدين الجديد والذود عنه باللسان والسيف معا . (٢)

ولكن الدكتور شوقى ضيف يرى أن السمات والخصائص الفنية للمديح فى العصر الاسلامى لم تتغير كثيرا عنها فى الجاهلية وأن حسانا وغيره يمدحون الرسول الكريم بالشجاعة والسعة فى الكرم والتصدى للمعتدين ،والوفاء بالعهود كأنما يمدحون ملكا من ملوك الأرض أو سيدا من ساداتها لم تكن له سمة النبوة ،وقد استشهد

---

(١) أنظر الأغانى ٤/١٤٣ - ١٤٤ .(مصور عن طبعة دار الكتب) .
(٢) أنظر الشعر الاسلامى فى صدر الاسلام - د . عبد الله الحامد ٢١٣ .

على رأيه هذا بلامية كعب بن زهير التى نظمها فى مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - حينما جاءه معتذرا ومسلما .. يقول الدكتور شوقى ضيف .[١] (لولا ماجاء فى القصيدة من قوله :

أنبئت أن رسول الله أوعدنى والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة الـ قرآن فيها مواعيظ وتفصيل
ان الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول[٢]

لما عرفنا أنها فى مديح الرسول صلى الله عليه وسلم - ولتبادر الينا أنها فى مديح سيد من سادات القبائل ..) .

والحقيقة أن حسان بن ثابت كان ينافح عن الدعوة الاسلامية بلغة يفهمها المشركون فقد ورد أنه كان يهجو قريشا ثلاثة نفر من الأنصار يجيبهم حسان بن ثابت ،وكعب بن مالك ،وعبد الله ابن رواحة فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام ويعيرانهم بالمثالب ،وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر وينسبهم اليه فكان فى ذلك الزمان أشد عليهم قول حسان وأهون شىء عليهم قول ابن رواحة فلما أسلموا وفقهوا الاسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة .[٣]

وأما مالحظه الدكتور شوقى ضيف على لامية كعب من السمات

---

(١) التطور والتجديد فى الشعر الأموى د . شوقى ضيف ١٦ - ١٧ .
(٢) أنظر هذه القصيدة فى جمهرة أشعار العرب ٦٣٢ - ٦٤١ .
(٣) الأغانى ١٦/ ٢٣٠ - ٢٣١ .

الجاهلية فان كعبا قالها حينما وفد على الرسول مسلما ومعتذرا ولم تتشرب نفسه روح الاسلام وقد هذّب الاسلام فيما بعد من شعره .

ومن هنا يمكننا القول بأن الاسلام قد حوّل المديح الى صورة جديدة فى أغلب سماته وخصائصه وأفكاره وموضوعاته . فقد كان شعر المديح قليلا الا أنه يمتاز بصدق اللهجة والابتعاد عن الكذب وهذا فى حد ذاته توجيه اسلامى رائع . وبالجملة فان الباحث المصنف لايستطيع أن يغمض عينيه عما ظهر به المديح فى هذا العصر وقد ارتدى ثوبا تظهر عليه مخايل الجدة اذ ارتسمت عليه ملامح تتلخص فى قلته وصدق معانيه ولهجته وابتعاده عن التكسب والتزلف . وظهرت فيه أفكار لم تكن موجودة قبل كالمديح بالتقوى والورع والسبق الى الاسلام ،والهجرة وصحبة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - والقرب منه ،والجهاد فى سبيل الله والشجاعة ،والكرم والجود وغير ذلك من السجايا النبيلة وقد اختص الشعراء رسولهم بفيض من نتاجهم لا يقصدون من ورائه الا المثوبة من الله وتعميق محبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم - ولخلفائه من بعده [١] ورضائهم التام بالدين الجديد الذى ارتضاه الله للبشرية جمعاء [٢] .

---

(١) أنظر الشعر الاسلامى فى صدر الاسلام - د . عبد الله الحامد ص ٢٢٢ .

(٢) لم أورد أمثلة على ماذكرت لأنها أكثر من أن تحصى هنا ولا يتسع المقام لذكرها فى هذا التمهيد الموجز . ولمن أراد ذلك الرجوع لها فى أبوابها فى كتب الأدب القديمة والحديثة .

أما الفخر فى عصر صدر الاسلام فقد تغيرت صورته وكان هـذا التغيير طبيعيا بعد أن صقل الاسلام مواهب الشعراء وأمدهـم بفيض غزير من القيم الروحية ، والمعانى السامية ، وإن كان شـعراء مكـة وغيرهم الذين لم يدخلوا فى الاسلام قد استمروا فى الرضـوخ لحمق الجاهلية وقد شاب بعض شعر حسان شوب من نزعة جاهليـة اقتضاها الوقوف أمام استعلاء قرشى جاهلى مما اضطر بعض شعـراء المسلمين الى أن يقابلوهم بمثل قولهم حتى يخضـدوا شوكتهم .
وبطبيعـة الحال فان الفخـر فى عصر صدر الاسلام قد تغيـرت صورته بالنسبة لشعراء المسلمين تدريجيا فى بداية الأمر (١) .
وبالنسبة لجميع الشعراء بعد أن دانت الجزيرة كلها للاسلام . وقد كان الشاعر يتجاوز حدود المعقول فى فخره ويغرق فى امتداح نفسه وقبيلته صنيع عمرو بن كلثوم الذى صور تغلب قبيلتـه تخر لهـا الجبابر ساجدين (٢) . وهكذا كان الفخر دائما يطل برأسه فـى الجاهلية فجاء الاسلام وقد أطاح برؤوس الشياطين وكل مايمت الـى فخـر الجاهلية بصـلة ورسم للشعراء عوالم كانت بداية لتحـوّل كبيـر فى أغراض الشعر العربى من حيث الموضوعات التى طرقهـا الشعراء لتستقيـم هذه الموضوعات مع القيـم الجديدة والأخـلاق العاليـة التى يدعو اليها الاسلام ، فالقرآن قد أمد الشعراء بمادة زاخرة من المعانى والصور الخيالية الابداعية استمدوها فسرت فـى

---

(١) كما هو الحال بالنسبة لعبد الله بن رواحة الذى أخذ يفتخـر بالاسلام ويعير قريشـا بالكفر من أول وهلة وهذا يدلنا علـى تأصل الاسلام وتعمقه فى نفسية المسلمين حينذاك .

(٢) فى معلقته المشهورة ـ أنظر شرح المعلقات السبع ـ للزوزنى ـ ١٩٤ ـ ٢٢٤ .

شعر ينطق بالحيوية والعفة والصدق ،واتخذ الفخر في هذا العصر منحى جديدا ينسجم مع ماتتطلبه الحياة الجديدة وما يدعو اليه الاسلام من مثل عليا وقيم رفيعة فأصبحت أمام الشاعر صور شتى يستمد منها مفاخره ويتعالى بها . وتمثلت هذه الروافد في القيم النبيلة التي يدعو اليها كالسبق الى الاسلام والهجرة النبوية المشرفة ،والجهاد في سبيل الله ومشاركة المسلمين في حومات الوغى وايواء الأنصار للرسول - صلى الله عليه وسلم - وللمهاجرين ،والعمل الصالح والتقوى الى غير ذلك من الأمور التي تتفق مع منهج الاسلام الخالد .

****

الباب الأول

الدّوافع النفسيّة والاجتماعيَّة التي أدت إلى ظهور الغرضين عند الشعراء الثلاثة .

وفيه مدخل وثلاثة فصول :

مدخل لدراسة هذه الدّوافع

الفصل الأول : الأخطل

الفصل الثاني : الفرزدق

الفصل الثالث : جرير

" " الباب الأول " "

÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷

مدخل
الى دراسة الدوافع النفسية والاجتماعية التى أدت الى ظهور الغرضين عند الشعراء الثلاثة

يؤكد علماء النفس أن شخصية الفرد تنمو وتتطور داخل الاطار الاجتماعى والثقافى ،والسياسى الذى يعيش فيه ،ويتفاعل معه فقد يولد الانسان مزودا بأنواع شتى من الاستعدادات الجسمية والعصبية ،والنفسية تظهرها وتبلورها المؤثرات المختلفة من بيئته المادية والاجتماعية والثقافية . (١)

والانسان كما يقال ابن بيئته فهى تؤثر فيه سلبا وايجابا وتنعكس مفاهيمها عليه فى سلوكه الانسانى ،تغذيه بأمجادها ومفاخرها ،ويروح ويغدو على ترابها ويستظل بسمائها (٢) .

لذا كان لزاما على الباحث حينما يدرس شخصية من الشخصيات من خلال فنها أن يدرسها من زوايا معينة من أهمها البيئة التى نشأت فيها هذه الشخصية ،وتغذت بمفاهيمها ،وقيمها وما اتصل بها من ظروف سياسية ،واجتماعية ،واقتصادية الى غير هذا . ولكى يكون البحث مصورا لأبعاد تلك الشخصية وانعكاسات تصرفاتها على الآخرين ومدى تفاعلها مع الأحداث والوقائع

---

(١) أنظر علم النفس أصوله وتطبيقاته التربوية د . مصطفى فهمى : ٣٩٥ ،والمدخل الى علم النفس ـ عبد الله عبد الحى موسى : ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٢) أنظر الأخطل شاعر بنى أمية د . سيد غازى : ١٧ .

التى تدور فى المجتمع المحيط بها فانه لابد من القاء الضوء ولو بصورة موجزة على النواحى السياسية والاجتماعية التى تكتنف صاحبها. ولاريب أن لتلك الأحداث عظيم الأثر فى نفسية الشعراء الثلاثة الذين يدور حولهم بحثنا هذا والذين عرفوا بشعراء العصر الأموى .

هذه البيئة السياسية والاجتماعية التى عاش فى كنفها هذا المثلث هى بيئة الأمويين الذين حملوا معهم ماضيا عريقا ومجدا مؤثلا منذ الجاهلية ظهر ذلك كله فى منافستهم الشديدة على تبوؤ الصدارة فى المسرح السياسى . (١)

ولذا فانه حينما بعث النبى - صلى الله عليه وسلم - هاديا ومبشرا لم يكن الأمويون من السابقين اليه ،لأنهم رأوا أنفسهم أحق بالملك والزعامة ظنا منهم أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يريد الحكم والسيادة على العرب . اذ لم يفهموا فى بادىء الأمر حقيقة هذه الدعوة فى سماحتها وعدلها أو أن العناد الجاهلى قد زاد رؤوسهم شموخا . ورأوا كذلك أنه لم يتبعه - صلى الله عليه وسلم - الا الضعفاء وقلة من الناس فلم

---

(١) كان بنو أمية فى الجاهلية أصحاب تجارة وأسفار ومن خلال هذه الأسفار والأموال ازدادوا معرفة بالقبائل فى أطراف الجزيرة العربية واكتسبوا شهرة وخبرة ودراية فى معاملة الناس . بالاضافة الى مكانتهم وشرفهم فى قريش ،فلما بعث النبى - صلى الله عليه وسلم - أنكروا أن يكون هذا فى بنى هاشم ورأوا أنهم أحق بذلك فلم يسلموا حتى عام الفتح .
أنظر الأخطل شاعر بنى أمية - للدكتور سيد غازى : ٤٨ .

يدخلوا في الاسلام الا بعد فتح مكة ، وقد أدرك - صلى الله عليه وسلم - بحكمته وبعد نظره مالهذا البيت من مكانة في نفوس العرب فأراد أن يعالج الموقف علاجا نفسيا اذ جعل دار زعيمهم أبي سفيان يوم فتح مكة دار أمان لمن دخلها في قوله المشهور(١) الا أن هذه النزعة الى السيطرة من قبل بني أمية وتشوقهم الى الحكم قد بدأت تطل برأسها منذ أن تولى سيدنا عثمان - رضي الله عنه - الخلافة بعد استشهاد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - اذ رأى بنو أمية أن بضاعتهم وهي الحكم قد ردت اليهم بعد أن حرموا من ذلك وتقدمهم غيرهم أيام النبي والراشدين (٢) وأنه صار لزاما عليهم الحفاظ عليها . وقد كان سكوتهم أولا في خلافة أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - حفاظا على وحدة الأمة وعدم الخروج على الجماعة ، ولأن شخصية عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قد حسمت الموقف عندما بايع أبا بكر بالخلافة ثم توالت الأحداث وظهرت هذه النزعة قوية عنيفة حينما قرر = علي = رضي الله عنه - عزل ولاة عثمان ومنهم معاوية الذي لم يمتثل لهذا الأمر وطالب بدم عثمان وشهر أسلحته في وجه = علي بن أبي طالب = كرم الله وجهه - على مدى خمس سنوات كانت الحرب سجالا بينهما ، وانتهت بفوز معاوية بالخلافة وتأسيس

---

(١) أنظر السيرة النبوية - القسم الثاني (جـ ٣ - جـ ٤) ٤٠٥ .

(٢) أنظر جرير حياته وشعره - د . نعمان طه : ٤٨ - ٤٩ .
ودراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية الى نهاية القرن الثالث الهجري للدكتور - بدوي طبانه : ٧٦ . (الانجلوالمصرية)

الدولة الأموية سنة (٤٠ هـ) نتيجة لحنكته السياسية وتمرسه في حكم الشام مدة طويلة ،وتخاذل أعوان " علي " وانقسامهم عليه الى طوائف .

ومن هنا بدأ معاوية وخلفاؤه من بعده يوطدون الدولة الأموية ويثبتون أركانها ،ويعملون جاهدين على وحدة الأمة واجتذاب الشعراء والاغداق عليهم للاشادة بسياستهم وسيرتهم في الدولة وعراقة نسبهم لعلمهم التام بأنهم أخذوا الخلافة عنوة ثم جعلوها وراثية فيهم ،وأن بعضا من فقهاء المسلمين لا يقرونهم على عملهم هذا (١) .

وقد يشفع لهم نجاحهم في اتساع رقعة الدولة الاسلامية بالفتوحات وحفاظهم على هذا التراث الضخم الذي خلفه لهم صفوة المجاهدين من الصحابة والتابعين وجموع المسلمين .

وقد أدرك الأمويون خطورة الشعر فأخذوا يسيطرون على العقلية الجماعية للناس بواسطة هؤلاء الشعراء الذين يعدون بمثابة وسائل الاعلام في عصرنا الحاضر .

وفي وسط هذه الأحداث الهامة في تاريخ الدولة الاسلامية كان الشعراء الثلاثة يعيشون جوانب الصراع المتلاحقة ويرون بأعينهم تبديدها المؤسف لصفوف المسلمين .

---

(١) كابن الزبير ،وابن عمر وغيرهما . وقد حيكت تهم كثيرة ضد معاوية - رضي الله عنه - ملئت بها كتب التاريخ ،وأغلب الظن أنها بعيدة عن الصحة ينبغي الاحتياط والتثبت قبل تقبلها . أنظر أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ د . ابراهيم شعوط : ٢٦٥ ٢٧٦ . (دار الشروق) .

ومن الطبيعى أن يكون لها آثارها النفسية والاجتماعية على شعراء العصر خاصة جريرا والفرزدق والأخطل . (1)

****

(١) وهم الذين يعدون ذؤابة الشعر الأموى .

الفَصلُ الأول

الأخطلُ

" " الفصل الأول " "

÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷

* * الأخطـــــل * *

لم يكن الأخطل [١] فى أول حياته شاعر مديح وفخر علـــى الرغم من أنه سليل شعراء فحول يعدون من رواد الشعر العربـــى فى الجاهلية والاسلام . [٢] وربما كان للعوامل النفسية والاجتماعيـة التى أحاطت به حينذاك أثرها الواضح فى حياته وفى ابتدائـــه الشعر هجاء اذ لم يكن فى نشأته الأولى من الأسباب والدوافـــع مايجعله يتجه الى المديح والفخر فانصرف الى الهجاء يروض به لسانه وينهش به من يعاديه ،وكان فى أول حياته وحيد أمه التى كانـــت تدلله وتلقبه دوبلا [٣] وتضفى عليه فيضا من حنانها وحبها حتـــى اذا توفيت أو طلقت من أبيه وجد نفسه فى يد امرأة غريبة لاترعاه ـ بمثل ذلك القلب الحنون لأمه [٤] فانقلب الحب والحنان فى حياتـــه الى ذل وحرمان مفتقدا شعور الأم ،ولهفتها ،ورأفتها ،ورأى أنــه أصبح منبوذا من الأسرة والقبيلة .

---

(١) أنظر ترجمة الأخطل فى الكتب التالية (ابن سلام : ١/٤٦١-٥٠٢ ،والشعر والشعراء : ١/٤٨٣-٤٩٦ ،والأغانى : ٨/ ٢٨٠-٣٢٠ ،ونوادر المخطوطات : ٢/٢٩٠، ٣١٧،وتاريـــخ الاسلام : ٣/٣٣٧-٣٣٩،ونهاية الأرب :٣/٧٦-٧٧،والمؤتلف : ٢١ ،والموشح :٢١١-٢٢٦،والاشتقاق : ٣٣٨،وخزانة الأدب : ١/٤٥٩،والأخطل شاعر بنى أمية والأخطل الكبير ،وغيرها مـن كتب الأدب والتراجم القديمة والحديثة) .

(٢) الأخطل الكبير د. قباوة : ٣٧ .

(٣) الدوبل : الحمار الصغير لايكبر أنظر الصحاح (دبل) .

(٤) الأغانى : ٨/٣٠١-٣٠٢ .

فزوجة أبيه تذيقه مرارة الحرمان وتفضل أبناءها عليه وأبوه ينتهره ويضربه لتعرضه لهجاء الناس (١) ،والقبيلة ترى أنه هجا شاعرها والمقدم فيها " كعب بن جعيل التغلبي (٢)" فلم يبق له حينئذ هدف يقصده بمديحه ولا مايعتز به فيفتخر . ومن هنا كان في أول حياته وقبل اتصاله بالأمويين منطويا على نفسه في أغلب الظن منقبضا عن الناس (٣) ،ولم يعرف اصطناعة المديح والفخر قبل هذا التاريخ . ولعل من المفيد جدا أن ندرس بشيء من التفصيل تلك الأحداث والملابسات التي هيأت للأخطل أن يصل الى قصر الخلافة ،والتي أثرت في نفسيته حتى قال عنه جرير حينما سأله ابنه عن أشعر الناس في الاسلام فأجابه بأن الفرزدق نبعة الشعر وأن الأخطل يجيد مديح الملوك . فكيف ارتقى هذا الشاعر من حالة النبذ والظلم ليصبح شاعر الملوك (٤) يجيد مديحهم ويفتخر بهم ويضع من قدر أعدائهم ؟.

لم تكن المعارك بين بني أمية والمناوئين لهم مقصورة على استخدام السلاح والنزال في حومة الوغى بل كان للشعر دور في هذه المعارك اذ أصبح سلاحا يستخدمه كل فريق فحميت ناره

---

(١) أنظر الأغاني : ٨/٢٨٠ - ٢٨١ .

(٢) كعب بن جعيل التغلبي ـ شاعر مغلق في أول الاسلام أقدم من الأخطل والقطامي وقد لحقا به وكانا معه ويعد شاعر معاوية وأهل الشام .
أنظر طبقات فحول الشعراء : ٢ / ٥٧٢ .

(٣) أنظر الأخطل في سيرته ونفسيته وشعره ـ ايليا حاوى : ١٩ .

(٤) طبقات فحول الشعراء : ١/٦٤ - ٦٥ .

بين كل من عبد الرحمن بن حسان (١) شاعر الأنصار وعبد الرحمن ابن أم الحكم(٢) شاعر الأمويين في مهاجاة متبادلة تجاوزها عبد الرحمن ابن حسان - كما تشير الروايات - الى التشبيب بابنة معاوية(٣) فأثار بذلك حفيظة يزيد ليطلب من كعب بن جعيل هجاء الأنصار والرد على شاعرهم ولكنه امتنع ودله على الأخطل الذى تصدى لهم بالهجاء - قبحه الله - قائلا : (٤)

ذهبت قريش بالسماحة والندى   واللؤم تحت عمائم الأنصار
فدعوا المكارم لستم من أهلها   وخذوا مساحيكم بنى النجار

وقد أثارت هذه القصيدة غضب الأنصار ونقمة الناس على الأخطل وبخاصة أن هذا الشاعر النصرانى قد تبجح بهذا الهجاء تحت حماية ابن الخليفة يسدده الى الأنصار ذوى المكانة المرموقة والتاريخ المشرق لدى جميع المسلمين . وعلى الرغم من قلة أبيات هذه القصيدة فانها فجرت الحقد الدفين فى نفسية هذا الشاعر وأضرابه من النصارى ليزرع الفرقة والتناحر فى صفوف المسلمين فى محاولة منه لتفتيت وحدتهم واثارة العصبية الجاهلية التى كاد أن يدفنها الاسلام ويقضى عليها بين القبائل ،وهى سابقة ماكان لشاعر مهما

---

(١) عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصارى شاعر ابن شاعر كان مقيما فى المدينة وتوفى فيها وفى تاريخ وفاته خلاف والراجح أنه توفى سنة ١٠٤هـ / أنظر سير أعلام النبلاء للذهبى : ٥/٦٤-٦٥ .
(٢) انظر ترجمة عبد الرحمن بن أم الحكم فى الأعلام : ٣/٣٥٥ .
(٣) ان صحت هذه الروايات .
(٤) طبقات فحول الشعراء : ١/٤٦٣ ،والأغانى : ١٥/١٠٩ - ١١٠ .

أوتى من قوة البيان وبذاءة اللسان أن يجرؤ على الولج فيها لمغبة مخاطرها ومايتمتع به الأنصار من فضل وكرم ،وقد استشاط النعمان بن بشير زعيم الأنصار غضبا فدخل على معاوية حاسرا عمامته قائلا له قولته المشهورة :

" أترى لؤما يامعاوية ؟ فقال معاوية : لا ،بل أرى كرما وخيرا . ماذاك ؟ قال : زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمائمنا قال : أوفعل ؟ قال : نعم . قال : ماحاجتك فيه ؟ قال : لسانه . قال : ذاك لك (١) " وكان هذا الخبر بمثابة الصاعقة على الأخطل فلجأ الى يزيد طالبا منه الحماية والنجدة فحماه ومنع عنه الحكم بطريقة أو بأخرى . (٢)

---

(١) طبقات فحول الشعراء : ٤٦٣/١ ،والأغانى : ١٠٨/١٥ .

(٢) قيل فى سبب طلب يزيد من كعب بن جعيل هجاء الأنصار كى ينتصر لعبد الرحمن بن الحكم وكان عبدالرحمن بن حسان قد هجاه وقيل انه ثار لما شبب ابن حسان بأخته أو عمته . وقيل ان معاوية هو الذى طلب من كعب هجاء الأنصار وأنه رفض ودله على الأخطل فتكون حيلة مدبرة من معاوية وابنه غير أن هذا يعيد اذ بقى الأخطل مكروها من معاوية ولم نظفر بقصيدة واحدة فى ديوانه يمدح بها معاوية اذا استثنينا بعض الأبيات المتفرقات حينما يمدح أحد أبنائه . ولعل عدول معاوية عن تنفيذ حكمه ضد الأخطل حاجة بنى أمية الى لسان هذا الشاعر فى هذه الحقبة من الزمن . أما كعب بن جعيل فيعد شريكا للأخطل فالدال على الشر كفاعله .

أنظر الأغانى : ١١٩/١٥ ،وأدب السياسة فى العصر الأموى أحمد الحوفى : ٢٥٦ .

والهجاء والهجاءون د . محمد محمد حسين : ٧٨ .

عندئذ أخذ يدبج المدائح لبنى أمية وولاتهم ينافح عن حكمهم ،ويظهر فضلهم للناس وأحقيتهم وأهليتهم للخلافة .

ولاشك فى أن هذا مايريده بنو أمية من الشعراء اذ أصبح الشعر السياسى أقوى ضروب الشعر صوتا فى عهدهم وسياسة يتبعونها لتثبيت ملكهم واكسابهم مزيدا من التعظيم والتمجيد (١) . وكان معاوية أسبق الخلفاء الى انتهاج هذه السياسة عندما أراد أخذ البيعة بولاية العهد لابنه يزيد اذ لم يجد بدا من اتخاذ الشعراء كسلاح لانجاح هذه الخطوة (٢) ،فأخذ يقربهم ،ويغدق عليهم مما جعلهم يتزاحمون على قصور بنى أمية وولاتهم حتى أصبح لهم فى كل مصر شعرا (٣) ،وكان الأخطل من الشعراء المقربين من بلاط الخلفاء على الرغم من أنه لم يكن شاعرا سياسيا يجيد غرضى المديح والفخر فى أول حياته . كما أنه لم يكن هو الساعى من تلقاء نفسه الى بنى أمية لأنه لم يكن يتصور وصوله فى يوم من الأيام الى قصور الخلفاء ،بل يرى ذلك بعيدا بالنسبة له . اذ هو المنبوذ من قبل أسرته وقبيلته نتيجة لتصرفه المشين معهم ،وهو لم يصل الى المكانة المرضية لدى قبيلته فضلا عن الخلفاء كما أن نصرانيته تقف حاجزا قويا لايمكنه من الوصول الى هدفه

---

(١) أنظر أدب السياسة فى العصر الأموى - د . أحمد الحوفى : ٢٥٧ .

(٢) المرجع السابق : ٢٥٧ .

(٣) المرجع السابق : ٢٥٨ .

بسهولة . (١)

ولذلك فان الفرصة قد واتته وعليه أن يحسن استغلالها عندما طلبه يزيد لهجاء الأنصار فلم يتردد ولم يطلب من يزيد سوى الحماية مما يترتب عليه بعد فعلته الشنيعة . ولا يهمه بعد ذلك أيا من الناس يهجو وأيا يسلط عليهم لسانه البذئ فهو طوع الأمير الذى أدخله التاريخ من أوسع أبوابه ،ولقد كانت هذه الحادثة من أقوى العوامل النفسية والاجتماعية لاتجاه الأخطل الى المديح والفخر(٢).

فمن شاعر هجاء مغمور فى ربوع تغلب النصرانية فى أرض الجزيرة الفراتية الى شاعر بلاط مدو صوته يظهر على المسرح السياسى وتذيع شهرته فى الآفاق فأخذ يجوبها قاصدا بنى أمية وولاتهم يمدحهم ويمجدهم ،ويفخر بقبيلته وبوقفتها معهم مستغلا بذلك تعاطف الخلفاء والولاة معه ليهجو أعداء قبيلته ويبين أنهم أعداء للخلافة كذلك ،ويفتخر بتغلب فى حضرة الخليفة أو الوالى كلما سنحت له الفرصة فلا تكاد توجد له قصيدة فى مدح خليفة أو وال الا ويعرض فيها بأعداء قبيلته وخاصة القيسيين ويفخر بتغلب وكأنه بذلك يذكر الخليفة بعظم ماقدمه له

---

(١) بقيت تغلب على نصرانيتها بعد فتح الجزيرة ،ولم يسلم من أبنائها الا عدد يسير فبقيت نصرانية الأخطل رادعا له فى كثير من الحالات عما يريد .
أنظر دائرة المعارف الاسلامية : ٥/٣٢٨ - ٣٢٩ .

(٢) أنظر هذه الحادثة مفصلة فى طبقات فحول الشعراء : ١/٤٦١- ٤٦٤ .

التغلبيون [١] . وهذه الظاهرة تدلنا دلالة واضحة على المعاناة النفسية التى كان يعانيها الشاعر لما حدث لقبيلته من محن وانتكاسات ووقوفها على الرغم من ذلك كله صامدة فى وجه الأعداء مؤيدة للخلافة ومن هنا استطاع الأخطل اجتياز الحدود الضيقة حدود الفردية والقبيلة ليجد مكانه بين وجهاء المجتمع لأنه يدرك تماما مكانته المهزوزة لدى الناس وضعف موقفه منذ تجرأ على هجاء الأنصار واغضاب المسلمين فلابد له من تدعيم هذه المكانة المهزوزة عله يظفر باحترام فريق من الناس وتقدير المجتمع فاتجه الى مديح الخلفاء والولاة مفاخرا بقبيلته تغلب ،وقد نال مبتغاه فأصبح سيدا ورجلا ملهما يتكفل بالديات واصلاح ذات البين ويتحمل الحمالات ليحقن الدماء [١] ،وأصبحت كلمته مسموعة لدى العامة والخاصة نتيجة لافساح الخلفاء والولاة له فى مجالسهم ،واتخاذهم شاعر بلاط وقد وطد العزم على أن ينأى عن الفقر الذى صلى به ردحا من الزمن وكان يفطن الى بعده عن رقة جرير وعدم استطاعته اللحاق به فى رقة غزله ولا يستطيع تقمص كبرياء الفرزدق والاّ صارت يداه صفرا من المال الذى هو عصب الحياة اذن فلن يجد طلبته من رفد مادىّ ومعنوىّ الاّ فى مديح الملوك ولا مانع من أن يفتخر بقبيلته ضمنا فى هذا المديح ومن هنا يمحو تلك الاستكانة التى حاولت أن تجريها فى عروقه امرأة أبيه وأخيرا طمع فى أن يرفع من شأن قبيلته تغلب النصرانية التى تعيش فى بحر متلاطم يسيطر عليه المسلمون سيطرة

---

(١) انظر : الأخطل فى سيرته ونفسيته وشعره ـ ايليا حاوى : ٤٥ .
(٢) انظر الأخطل الكبير ـ د . فخر الدين قباوة : ٢٢٠- ٢٢١ .

تامة ،ويهجو أعداءها من منطلق قوى فلا غرابة اذن أن يجــــوّد مديحه وفخره ويقف الى جانب الأمويين داعية لسياستهم ورافعـــــا من شأنهم ،ولم يذهب هذا هدرا لديهم بل كافأوه اذ رفعـــــوه مكانا عليّــــا لم يصل اليه شاعر مسلم ولم ينافسه عليه أحـــد طـــوال حياته فيما نعلم .

واذا عرفنا هذا فلا غرابة فى أن نرى عبد الملك بن مـــروان يفضله على جرير ويأبى أن يستمع الى مدحة جرير الحائية (١) فـــى أول الأمر بل يبقى منصتا للأخطل حتى اذا ما انتهى من مدحتــه قال عبد الملك : (ويحك يا أخطل أتريد أن أكتب الى الآفـــاق أنك أشعـــر العرب (٢)) واذا قد عرفنا هذا أيضا فلا غرابة فـــى أن يرى أغلب النقاد أن الأخطل يجيد مديح الملوك وهذا ماسنراه عند حديثنا عن الملامح الموضوعية لغرضى المديح والفخر عند الشعراء الثلاثة فى باب لاحق - ان شاء الله - .

****

---

(١) ونعنى بمدحة جرير حائيته المشهورة التى يقول فيها :

أَلَسْتُم خَيْر مَنْ رَكِبَ المَطَايَا وَأَنْدَى العَالَمِينَ بطُون رَاحِ

أما قصيدة الأخطل التى شغلت عبد الملك عن الاستماع الـــى جرير فهى رائيته المشهورة والتى مطلعها :

خَفَّ القَطِينُ فَرَاحوا مِنْك أَوْ بَكَرُوا وَأَزْعَجَتْهُم نَوًى فِى صَرْفِهَا غِيَرُ

(٢) الأغانى : ٨/٦٦-٦٧، ٢٨٧ - ٢٨٨ وشعر الأخطل : ١ /١٩٢ وديوان جرير : ١ /٨٧ .

الفصل الثاني

الفرزدق

" " الفصل الثانى " "

÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷

* * الفـــرزدق * *

لقد كان للظروف النفسية والاجتماعية التى اكتنفت هذا الشاعر[1] منذ نعومة أظفاره أثرها الواضح فى شخصيته فنشأ معتزا بنفســـه مباهيا بطيب منبته وكريم نسبه ووقف مفاخـرا بنفسه وأسرته وقبيلتـه - وحق له ذلك - فهو من قبيلة عريقة وأسرة لا تقل عنها عراقــــة فقبيلته تميم احدى قبائل مضر الكبرى [2] ،وهى قوية صخمة تعتــد

---

(١) وأسمه همام بن غالب بن صعصعة بن عقال بن محمد بن سفيان ابن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم بن مر بن طابخة .

ويرجح الدكتور شاكر الفحام أنه ولد فى خلافة عمر بـــن الخطاب - رضى اللهعنه - فى حدود سنة (٢٠هـ) وكانت وفاته سنة (١١٤هـ) وترجمته فى الكتب التالية :(طبقات فحـــول الشعراء :١/٢٨٩-٢٧٤ ،والشعر والشعراء : ١/٤٧١-٤٨٢ ، والمؤتلف : ٢٥٠ ،ونوادر المخطوطات: ٢/١٧٠ ،١٨٢ ،٢٩٠ ، ٣٥٦ ،والموشح :١٥٦-١٨٦ ،ومعجم الشعراء : ٤٦٥-٤٦٨ ، والسمط : ١/٤٤ ،والاشتقاق : ١/٢٣٩-٢٤٠ ،والأغانى :٢١/٢٧٦ -٤٠٤ ،وأمالى المرتضى : ١/٥٨-٦٩ ،وابن خلكان : ٢/ ١٩٦-٢٠١ ،واليافعى : ١/٢٣٨ - ٢٤٢ ،والمعاهد : ١/ ٤٣-٤٥ ،والخزانة : ١/١١٧-٢٢٣ ،وانظر الفرزدق - د . شاكر الفحام ،وغيرها من الكتب القديمة والحديثة فـــى الأدب والتراجم .)

(٢) جاء الاسلام وتميم تحتل ديارا كثيرة وتخالط بقاعا عدة / أنظـر معجم مااستعجم: ١/٩٠ ،٣١٢ ،وصفة جزيرة العرب : ٢٨١ ،ومادة (تميم) فى دائرة المعارف الاسلامية .

بكثرتها وقوتها يوم أن كانت لغة القوة هي المسيطرة والفيصل قبل بزوغ شمس الاسلام وظهور النبي - صلى الله عليه وسلم - وكانت هذه القبيلة ببطونها وكثرتها في العدد والعدة وتوالي حروبها وغاراتها من أقوى قبائل العرب وأشدها علوّا ومفاخرة ، وقد أتاح لها مجدها وشرفها أن تحوز مكارم جمة حتى أنهم حينما يوازنون بين قبائل مضر يجعلون تميما في مقدمتها وعليها تعتمد . (١)

وأما أسرته الدنيا فهي ترجع الى دارم وهي أسرة عريقة حلت من تميم ذؤابتها وتبوأت سنام مجدها وإليها انتهى شرفها (٢) . ويعد بيت عبد الله بن دارم وأخيه مجاشع أحد بيوت أربعة انتهى اليها شرف الجاهلية ومجدها فكثر فيهما الأشراف والسادات أصحاب المآثر والمكارم ، والأجواد الذين لا يطاولون جودا ، وكان منهم قائد تميم وجرارها " زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم " وبقيت القيادة والقضاء فيهم حتى انتهت الى غالب والد الفرزدق وخاله الأقرع بن حابس المجاشعي وهو آخر من قضى منهم بعكاظ في الجاهلية حتى جاء الاسلام . (٣) ومما زاد الفرزدق شرفا وفخرا يتطاول به على الملوك والأشراف أنه لا يوجد بينه وبين عدنان أب مجهول وقد أشار الى هذا بقوله (٤) :

كَمْ فِيَّ مِنْ مَلِكٍ أَغَـرَّ وَسُوقَـةٍ ... حَكَمٍ بِأَرْدِيَةِ المَكَارِمِ مُحْتَبِي

وَإِذَا عَدَدْتَ وَجَدْتَنِي لِنَجِيْبَةٍ ... غَرَّاءَ قَدْ أَدَّتْ لِفَحْلٍ مُنْجِبِ

---

(١) انظر الاصابة : ٤٣١/٣ ، والعقد الفريد : ٣٣٢/٣

(٢) انظر الفرزدق للدكتور شاكر الفحام : ١٠٩ .

(٣) الأغاني : ١٢٨/١٩ .

(٤) ديوان الفرزدق : ٣٥/١ .

ونشأ الفرزدق سليل هذا المجد التليد يتجاذبه من كل مكـــــان . فجده لأبيه صعصعة بن ناجية المجاشعي اشتهر برجاحة عقله وسعة خلقه فهو الذى افتدى الموءودات فى الجاهلية فقد ورد أنه مــــا سمع بموءودة الا افتداها حتى جاء الاسلام وقد فدى مائة وقيـــــل أربعمائة [1] .

فسبق بذلك الى عمل خيّر لم يشاركه أحد فيه من أشـــــراف العرب فى الجاهلية . وقد أصهر الى حابس المجاشعى [2] ممـــا أمد الشاعر بكثير من معانى الفخر والسمو ، ووفد على الرسول -صلى الله عليه وسلم- وقص عليه كيفية افتدائه الموءودات وقد أسلم وحســـن ورسخ الاسلام فى أعماقه فلم يكن أحد من عرب البادية الأشــــراف أحسن منه دينا وقد حاز شرف مجاشع فى الجاهلية والاسلام . [3]

أما جده لأمه فهو قرظة الضبىّ من بنى ضبة ، وهو مـــــن سادات قومه ، وكثيرا مافاخر الفرزدق بأخواله . وأنه أخذ الشعـــر من قبلهم [4] .

وأما أبوه فهو غالب بن صعصعة من أجود الناس وأكرمهـــم وأشرفهم . [5] وقد عاش الفرزدق فى أسرة متماسكة مترابطة قوامهـــا الحب والاحترام بين أفرادها ، وشيمتها الكرم والوفـاء وحب المعالـي فنعم مع أخيه وأخته برعاية أبيهم وتأثروا بخلقـــه الحسن وفضائلــه

---

(١) النقائض : ٢٦٤-٢٦٥ ، ٤٣٨ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ .
(٢) أنظر الفرزدق - د . شاكر الفحام : ١١٠ .
(٣) الأغانى : ٢١ / ٣٩٦ .
(٤) المصدرالسابق : ٢١ / ٢٧٩ - ٢٨١ .
(٥) المصدرالسابق : ٢١ / ٢٨١ - ٢٨٢ .

المثلى وباهوا به وأحلوه من أنفسهم المقام الأسمى .(١)

وانعكست تلك الحياة المترابطة التى عاشها على نفسيته فكان فخره ومديحه صدى واضحا لتطلعاته السامقة الى العلا والمجد منطلقا من بيئة اجتماعية راسخة الجذور ممتدة الى أعماق التاريخ المشرق ففاخر ومدح ،وكان يتمتع بتراث شعرى عظيم يغذيه مجد لم تتوافر مقوماته لشاعر آخر ولغة فصيحة فلم يتكسب بمديحه (٢) ولم يتصنع فى فخره فجاءت كلماته جزلة ومعاينة بليغة . وقد أتاحت هذه المكارم وهذا التاريخ للفرزدق مجالا رحبا فى الابداع الفنى والاعتزاز بالنفس والنسب الرفيع حتى ليقول مخاطبا الخليفة سليمان ابن عبد الملك : (أنا من قوم منهم أوفى العرب وأسود العرب وأجود العرب ،وأحلم العرب وأفرس العرب وأشعر العرب (٣) .) ، والفرزدق وان بدأ الشعر هجاء الا أن هذا الهجاء كان ممزوجا بالفخر بنفسه والتباهى بمكانته المرموقة التى جعلت منه سيدا فى قومه يجير ويغيث ويتحمل الحمالات وينفق بلا حساب مقتديا بأبيه غالب الذى كان ذا باع طويل فى الكرم والسخاء . وكان الفرزدق

---

(١) معجم الشعراء : ٤٨٦ .

(٢) لم يتكسب الفرزدق فى بداية الأمر بمديحه لأنه كان فى غنى ووفرة الا أنه فى أواخر حياته قد ألحف بالسؤال ،ولعل هذا كان نتيجة لكبر سنه وفراغ يده من المال ،لكن غرر مدائحه لم يتكسب فيها البتة بخلاف الأخطل وجرير اللذين ماانفكا يلحفان بالسؤال فى كل مدائحهما .

(٣) العقد الفريد : ٢/ ٥٤ - ٥٥ .

يفاخر بأبيه الملوك ويتعالى عليهم حتى جعل قبره مستغاثا يلاذ به لينهض الشاعر للنجدة والاغاثة .(١) وقضاء الحاجات .

وكأن الفرزدق والمجد صنوان يتوق الى بلوغ المعالى فى قومه ،وقد قاده طموحه وكبرياؤه الى مفاخرة الملوك ففاخر معاوية وطلب منه رد ميراث الحتات .(٢) قائلا :

أبوك وعمى يامعاوى أورثا تراثا فيحتاز التراث أقاربه

وقد أثارت هذه القصيدة وغيرها زياد بن أبيه والى العراق آنذاك فجد فى طلب الفرزدق لتأديبه غير أن الشاعر لم يمكن من نفسه اذ بدأ حياة التنقل والهرب سنة ٥٠ هـ . ولم يكن يميل لبنى أمية ولا يودهم ،فهو غير محتاج لعطائهم ،ومكانته فى نظره تضاهيهم علوا ورفعة فهو سيد جواد فاضل وجيه عند الناس ،وهو ضالع فى هواه مع بنى هاشم يمدح أحياءهم ويؤبن موتاهم ،ويهجو بنى أمية وأمراءهم ،كمعاوية بن أبى سفيان وهشام بن عبد الملك وزياد بن أبيه والحجاج بن يوسف ،وابن هبيرة وخالد القسرى وغيرهم (٤)

وقد عاش الفرزدق فى المدينة فارا من البصرة فنعم بما فيها

---

(١) أنظر ديوان الفرزدق : ١/٨٥ - ٨٦ .

(٢) كان قد وفد على معاوية وفد من تميم فيهم الحتات بن يزيد المجاشعى الذى مات فى وفادته ،وكان معاوية قد أمر له بمال فحبسه بعد موته مما دعا الفرزدق الى مفاخرة معاوية وطلب منه رد الميراث وقد فعل معاوية .

(٣) انظر : أمالى المرتضى : ١/٦٧ - ٦٨ .

(٤) أنظر معجم الشعراء : ٤٨٧ ،والفرزدق - محمود حقى : ٣٣

من دعة العيش ، والجمال الحسي والمعنوى ، فراقته الحياة هناك مما جعله بعد ذلك يكثر الرحلة اليها . وخلال هذه الفترة من الزمن التى ظل فيها الشاعر مشردا نجده لا يمدح الا اعترافا بجميل وشكرا على فعل حسن وهذا فعل الشعراء السادة الكبار أمثال امرىء القيس وغيره والفرزدق يرى أنه أسمى من التردد على أبواب السلطان ولذلك نجده لا يتقرب من بنى أمية ولا يخطب ودهم لأنه ليس فى حاجة الى عطائهم حتى ولو أدى به الأمر الى التشرد والاغتراب . (١)

وحينما استتب الأمر لهم ، واستقرت الأوضاع رأينا الفرزدق لا ينبرى متهافتا على أبوابهم لكنه على الأقل يمسك عن هجائهم ثم يمدح بعض خلفائهم بقصائد معدودة . وخصوصا سليمان بن عبد الملك الذى كانت تربط الفرزدق به علاقة حسنة .

وبهذا عاش الفرزدق فى جو مفعم بالعلا والمحامد والفخار كل هذا زاده شعورا بشخصيته الطاغية التى تصعب على التهافت أمام مديح الملوك واستجدائهم حتى فى أحلك الظروف (٢) لأن نفسه تواقة الى العلا ولأن بيئته الاجتماعية قد أمدته بفيض غزير من الأنفة واحترام الذات . فهو شريف وابن شريف ، ويجب أن يبقى كذلك . كل هذه العوامل قد أثرت فى نفسيته وجعلت منه شاعر فخر ومديح يعد بهما قمة شامخة فى سماء الشعر العربى لأن الروافد الاجتماعية التى ورثها حددت له المسار الصحيح

---

(١) انظر : الفرزدق د . شاكر الفحام : ١٢٤ .

(٢) انظر أمالى المرتضى : ١/٥٨-٦٣ .

الفصل الثالث

جرير

" " الفصل الثالث " "

÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷

* * جـــريـــر * *

لم تكن البيئة الاجتماعية والدوافع النفسية التى أدت الـى ظهور المديح والفخر عند جرير (١) كتلك التى نشأ فيها الفـرزدق والأخطل وإن كان جرير والفرزدق ينحدران من قبيلة تميم الكبـرى التى يشرف الانتماء إليها (٢) إلا أن جريرا ينتسب فى " بنـى كليب " وهى أسرته الدنيا مما أفقده الثقة فى تبوؤ مكانة ساميـة فى يربوع التى تتفرع منها " بنو كليب " (٣) فضلا عن تميم التـى

---

(١) وأسمه : جرير بن عطية بن الخطفى بن حذيفة بن بدر بـن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيـد مناة بن تميم .
ويرجح الدكتور " نعمان طه " أن تكون ولادته بين سنتـى (٣٠-٣٣هـ) وأن وفاته كانت سنة (١١٤هـ) ، وترجمته فـى الكتب التالية :
(ابن سلام : ١/ ٣٧٤ - ٤٥١ ، والشعر والشعراء : ١/ ٤٦٤- ٤٧٠ ، والأغانى : ٨/ ١- ٨٩ ، ونوادر المخطوطات : ٢١- ٢٩٠ ، والمؤتلف : ٩٤ ، وجمهرة أشعار العرب : ٧١٢- ٧١٩ ، والموشـح ١٨٧- ٢١٠ ، وابن حزم : ٢٢٥- ٢٢٦ ، واليافعى : ١/ ٢٣٤ ، وابن العماد : ١/ ١٤٠- ١٤١ ، والعينى : ١/ ٩١- ٩٢ ، والخزانة : ١/ ٧٥ - ٧٧ .
وجرير حياته وشعره للدكتور نعمان طه وغيرها من كتب الأدب ، والتراجم القديمة والحديثة .

(٢) انظر : البداية والنهاية - لابن كثير : ٩/ ٦٠ .

(٣) انظر معجم الشعراء : ٧١ .

تنضوى تحتها يربوع وبطونها .

ومن هنا أصبح الشاعر يحس ضعة قبيلته التى لم يرد لهـــا اسم فى الجاهلية اذ لم يذكر النسابون والمؤرخون لكليب هذه مواقع تذكر غير يوم (جدود [١]) بين بكر وبنى ربيع فلم تهب كليب لنجدة بنى ربيع وقد استنجدوا بهم فكان هذا التخاذل من أسرة الشاعـر سببا فى الخزى والعار لبنى يربوع . [٢] .

ومن أجل هذه الضعة كان جرير يستمد رافده القوى فـــى الفخر من انتسابه فى النهاية الى تميم ،وقد تجلى هذا واضحـــا فى هجائه للراعى النميرى [٣] وفخره عليه بقوله :

إِذَا غَضِبَتْ عَلَيكَ بَنُو تَمِيم   حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهمُ غِضَابَا

(١) انظر أخبار هذا اليوم فى أيام العرب فى الجاهلية ـ تأليف محمد أبو الفضل ابراهيم وغيره : ١٧٨ - ١٨٣ .

(٢) أنظر النقائض (طبعة الصاوى) : ٢/٣٢-٣٣ .

(٣) وهو عبيد بن حصين بن معاوية من بنى نمير ويكنى أبا جندل ، عاصر الفرزدق وجرير والأخطل وعده ابن سلام فى طبقتهم الأولى من الاسلاميين ،هجاه جرير لأنه مال مع الفرزدق ،وســـمى الراعى لأنه كان يصف راعى الابل فى شعره . ومن جيـــد شعره قوله :

كَأَنَّ العُيونَ المرسلَات عَشية   شَآبِيبُ دَمْعٍ لَمْ تَجِدْ مُتَرَدَّدَا
مَزَايدُ خَرْقَاءِ اليَدِين مسيفَـــة   أَخَبَّ بِهِنَّ المخلفَانِ وَأَحْفَدَا

انظر ابن سلام فى طبقاته : ١/٥٠٢ ،والشعر والشعـــراء لابن قتيبة : ١/٤١٥ ،وكتاب الراعى النميرى ـ عصره حياتـــه شعره للدكتور محمد نبيه مجاب .

الا أن أسرة جرير بقيت مغمورة لم يظهر فيها فوارس يذكرون ، ولا أماجد يقصدون ،يؤيد هذا مارواه بعض المؤرخين : (أنه حينما نزل الحطيئة في بني كليب رهط جرير قالت له ابنته: تركت الثروة والعدد ونزلت في بني كليب بعر الكبش (١)) .

هذا هو رأى ابنة الحطيئة في قوم جرير ،فما هو رأى جرير نفسه كشاعر يتوق الى الظهور والشهرة ؟ وماهو رأى الشعراء الآخرين كذلك ؟ وماذا بقى لجرير من الشرف في هذه الأسرة ؟ فجده حذيفة بخيلا وقع في أسر الهذيل التغلبي في يوم (اراب)(٢) وبقى في الأسر حتى استوهبه عمرو بن عقفان اليربوعي من خاله الهذيل فوهبه له (٣) .

وأبوه عطية كان رجلا مضعوفا (٤) وضيعا ، ويبدو أن عطية قد ورث البخل عن أبيه حذيفة فقد أورد صاحب الأغاني قصة طريفة تدل على شدة بخل الرجل (٥) ،ولم يكن لجرير أخوال يعتز بهم

---

(١) الكامل في التاريخ : ١/٣٣٦ .

(٢) أخبار هذا اليوم في كتاب جرير حياته وشعره للدكتور نعمان طه : ٩٥ .

(٣) نقائض جرير والأخطل : ٧٨ .

(٤) الشعر والشعراء لابن قتيبة : ١/٤٦٤ .

(٥) وتتلخص هذه القصة في أن رجلا قال لجرير : من أشعر الناس قال جرير : قم حتى أعرفك الجواب ،ثم جاء به الى أبيه عطية وقد أخذ عنزا له فاعتقلها وأخذ يمص ضرعها ،فصاح به جرير قائلا : أخرج ياأبت ،فخرج شيخ دميم الخلقة واللبن يسيل على لحيته . فقال جرير : ألا ترى هذا الرجل انه أبي كان =

اذ ترجع خئولته فى كليب نفسها كما ترجع اليها خئولة أبيه .

ان جريرا وقد نشأ فى هذه الأسرة الهابطة الوضيعة وقد تفتقت فيه روح الشعر لايجد أمامه وهو يريد أن يشق طريقه الى العلا الآ منحى واحدا وهو أن يجند نفسه بطلا يدافع عن قبيلته الدنيا كليب ويسمو بها عن طريق شعره ،وأن يجعل لها مزايا ، وسمات لم تكن لها فى الأصل ليفخر بها ويمدح من يشاء وهو فى الحقيقة يسير فى طريق صعب وشاق لا يرتاده الآ الواثق من نفسه المتمكن من فنه . وهو وان لم يفخر بكليب علانية لكن ظهوره فيها يعد كسبا لها ورفعة لشأنها (١) ولقد ساعده على ارتياد هذا الطريق والتمكن فى المديح والفخر عدة عوامل نفسية واجتماعية :

فحياته الأولى بدوية يلفها الغموض ولكنه نشأ فقيرا راعيا شأنه فى ذلك شأن أبناء البادية الذين امتزجت حياتهم بحياة الصحراء والحيوان . تربى هذا الشاعر فى هذا المناخ يرى نطاح الكباش ورماح الحمير ونزاء التيوس (٢) يتمتم فى خلوته ، ويناجى نفسه فى الصحراء وراء الماشية لاشأن له بالناس حتى اذا ماتعرض بنو الخطفى لهجاء "غسان السليطى" أخذته الحمية ،وانبرى يذود عنهم ويدافع عن أعراضهم ولما يتجاوز الحادية عشرة من

= يشرب من ضرع العنز مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه لبن ثم قال للرجل : أشعر الناس من فاخر بمثل هذا ثمانين شاعرا فغلبهم جميعا . أنظر الأغانى : ٨/ ٤٩ .

(١) منتاريخ الأدب العربى ـ طه حسين : ١/ ٦٥٣ .

(٢) نوابغ الفكر العربى جرير ـ محمد ابراهيم جمعة : ٢٨ .

عمره بعد . (١)

ومن هنا بدأ قول الشعر هجاء كصاحبيه ،وبدأ التحامه بالشعراء ولم يكد هذا الصبى يفصح عن قول الشعر حتى وجد أسرته كلها شعراء أباه وجده ثم جاء هو وأبناؤه وأحفاده فأصبح بيته من بيوت الشعر في الاسلام . (٢) ولكن مافائدة الهجاء لهذا الشاعر الفقير طالما أنه لايرفع من شأنه ولا من شأن قبيلته ولايدر ربحا عليه خصوصا وأن الشعراء أصبحوا يتهافتون على أبواب الخلفاء والأمراء والولاة يمدحونهم ويحضون بأعطياتهم . عندئذ أدرك جرير أنه لاطائل ماديًا ولا معنويًا من قول الهجاء ،وأصبح يزداد شعورا بعظم رسالته تجاه رهطه مدركا أن الشعر شعور ووجدان والتزام قوى في خدمة ذاته ومجتمعه أمام الشعراء الذين ينهشونه من كل جانب وهو يراهم يظفرون بالجوائز من الخلفاء وينعمون بالعطايا والهبات فما عليه الا أن يشق طريقه نحو الشهرة وأن يجيد فنيّ المديح بالمقام الأول ،والفخر تاليا للقضاء على روح الفقر والبؤس اللذين يكتنفان حياته ،ويتقرب من الخلفاء ويمدحهم لينال أعطياتهم الوفيرة . (٣) وبخاصة بعد أن استقر الأمر لبنى أمية ،وهدأت الأمور فأخذوا يجزلون العطايا للشعراء ويجتذبونهم الى بلاطهم ولعله

---

(١) جرير حياته وشعره ـ د . نعمان طه : ١٢٧ ، ١٥٢ .

(٢) العمدة لابن رشيق : ٢/ ٢٣٦ .

(٣) ولذلك رأيناه ينبرى فى أول مدحة قالها فى عبد الملك بن مروان أول من اتصل به من البيت المروانى بالسؤال والطلب

=

بهذا يرفع من شأن رهطه المغمورين لأن ظهوره فيهم غنيمة لهم - لو كانوا يعلمون - لينتشلهم من هاوية الضياع الى مسرح الحياة الكريمة .

ومن هنا نستطيع أن نقول : ان الدوافع النفسية والاجتماعية التى دفعت جريرا الى المديح والفخر - وان كان مديحه أكثر من فخره - عوامل ذات شقين .

دوافع معنوية : وهى شعوره بالنقص نتيجة لضعة أصله وقصور نسبه عن الأشراف ودمامة خلقه وقصره ومابه من غنة ، وضعف بنيته نتيجة لولادته ولمّا يكتمل بعد اذ ولدته أمه لسبعة أشهر (١) ، كل هذه الأمور ولدت عنده الشعور بالنقص فكان لابد ازاء هذا من التمكن عند الخلفاء والأمراء والولاة بالمدح والتعالى بالفخر حتى ولو كان مصطنعا ليرفع من روحه المعنوية ويتمكن عند عامة الناس وخاصتهم

ودوافع مادية حسية وتتلخص فى الأوصاف التى ذكرنا آنفا ومايعانيه الشاعر من الفقر والفاقة ومحاولة القضاء على هذا الفقر الذى لازمه طويلا وبالتالى الرفع من شأن تلك الأسرة الخاملة " كليب " (٢)

= الصريح :

أَغِثْنِى يَافِداكَ أَبى وَأُمّى ... بِسَيْبٍ مِنْكَ إِنَّكَ ذُو ارتِيَاحِ

ديوان جرير : ١ /٨٩ .

(١) الأغانى : ٨ / ٥٠ .

(٢) جرير حياته وشعره - د . نعمان طه : ١١٤ .

ونتيجة لهذه الأمور مجتمعة أخذ الشاعر يجود فنه تجويدا فجاءت عباراته قوية ومعانيه عميقة حتى قال عنه خصمه الفرزدق :

(... قاتله الله فما أخشن ناحيته وأشرد قافيته ،والله لو تركوه لأبكى العجوز على شبابها ،والشابة على أحبابها ،ولكنهم هروه فوجدوه عند الهراش نابحا ،وعند الجراء قارحا ،وقد قال بيتا لأن أكون قلته أحب الىّ مما طلعت عليه الشمس [1] .)

وهكذا صمم جرير على تغيير حياته ليصبح من الشعراء المعدودين فسلست معانيه ،وتمكن من ناصية اللغة حتى اكتمل عوده ،عندها أخذ يفد على الخلفاء مع شعراء عصره مادحا ولايتردد فى التكسب بشعره مظهرا حاجته لأن رغبته فى الثراء والتخلص من قيود الفقر الذى رزح تحته فترة من الزمن كان ذلك من أقوى الدوافع التى أذكت قريحة المديح عنده ودفعته الى الوقوف بأبواب السّراة وسؤالهم العطاء .

ومن هنا كان مديحه صدى لما فى نفسه من تطلعات الى أفق الحياة الرحب ليجد نفسه وقد سد فاقته وتداعت له العطايا والهبات وودع حياة الفقر والبؤس الى غير رجعة .

أما فخره فانه لم يقصد اليه قصدا ،وانما ساقه الى ذلك

---

(١) الأغانى : ٨/ ١١

يقصد الفرزدق قول جرير فى معرض هجائه للراعى النميرى وفخره بتميم :

إِذَا غَضِبَتْ عليكَ بَنُو تَميمٍ　　　حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهم غِضَابَا =

ملرآه من فخر الفرزدق واغراقه فى هذا الغرض فجاراه فى ذلك ليطامن من كبريائه (١) وقد طور هذا الفخر تلك النقائض التى كانت سجلا حافلا لنتاج الشعراء الثلاثة فى ذلك العصر .

****

(=) وقد قال جرير نفسه : (والله لولا ماشغلنى من هذه الكلاب لشببت تشبيبا تحن منه العجوز الى شبابها حنين الجمل الى عطنه ٠) . العقد الفريد : ٢٢/٧٠

(١) جرير حياته وشعره - د . نعمان طه : ٣٥٧ ٠

الباب الثانى

دراسة تاريخية موضوعية
للمديح والفخر عند الشعراء الثلاثة
وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الغرضان لدى الأخطل

الفصل الثانى : الغرضان لدى الفرزدق

الفصل الثالث : الغرضان لدى جرير

الفصل الأول

الغرضان
لدى
الأخطل

" " الفصل الأول " "

÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷

* * الغرضان لدى الأخطل * *

ونبدأ هنا بالمديح فعلى الرغم من أن اتصال الأخطل بالأمويين بدأ في خلافة معاوية - رضي الله عنه - الا أننا لم نجد له شيئا يذكر في مديحه باستثناء بعض الأبيات المتفرقات التي قد تأتي في أثناء مديحه لأبنائه أو ماروواه أبو حاتم السجستاني عن العتبي للأخطل في معاوية (١)

تَسْمُو العُيونُ إِلَى إِمَامٍ عَادِلٍ　　　مُعْطَى المَهَابَةَ نَافِعٌ ضَرَّار

وَتَرَى عَلَيْهِ إِذَا العُيُونُ لَمَحْنَهُ　　　سِيمَا الحَلِيمِ وَهَيْبَةِ الجَبَّارِ

ويبدو أن تطاول الأخطل في هجاء الأنصار قد أغضب "معاوية" فهدد بقطع لسانه مما جعله يتحاشى المثول بين يديه مادحا ، فمكث بعيدا عن مجلسه مكتفيا بمجالسة يزيد الذي وجد عنده بغيته فمدحه كأول شخصية من بني أمية بأربع قصائد (٢) تمثل فترة زمنية في حياة الأخطل كان فيها متأرجحا بين الخوف والرجاء وكانت بداية لشعر المديح عند الأخطل .

---

(١) العقد الفريد : ٣٨/١ .

(٢) بالاضافة الى مقطوعة وبيتين مفردين حفظها لنا ديوانه في مديح يزيد . انظر شعر الأخطل: ١٦٦/١، ٢٩٢، ٣٠٢، ٩٣ .
وانظر مطالع هذه القصائد في الجدول الملحق رقم (٢) .

فقصيدته (الطللان) لانجد نصيب المديح فيها الا خافتا قليلا لايتعدى ثلاثة أبيات فقد أنشدها تحت ظروف متقلبة وغير مستقرة فجاءت معانيها محصورة في شفاعة يزيد له ولم يخرج في هذه المدحة عن موضوع هذه الشفاعة . (١)

فَلولاَ يَزيدُ ابنُ الإِمَامِ أَصَابَنِي قَوَارِعُ(٢) يُجْنيهَا عَليَّ لِسَانِي
وَلَم يَأْتِنِي فِي الصُّحْفِ إِلاَّ نَذِيرُكُمْ وَلَو شِئْتُمُ أَرْسَلْتُمُ بِأَمَـانِـي
فَأَقْسَمْتُ لاَ آتِي نَصِيبِيْنَ طَائِعًا وَلاَ السِّجْنَ حَتَّى يَمْضِيَ الحَرَمَانِ

ولايتناول في هذه القصيدة حادثة الأنصار ،وانما يكتفي بالاشارة الى هذه القوارع التي يجنيها عليه لسانه مضمنا جريمته هذه الأبيات .

أما في قصيدته الأخرى الرائية (دمنة الدار) فاننا نجده يمدح بني حرب بعامة وقد أجمع الرواة على أنه قالها في مديح يزيد وان كنا لانجد له اسما فيها بل يركز على مديح بني حرب وما " يزيد " الا واحد منهم . (٣)

إِنِّي حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ وَمَا أَضْحَى بِمَكَّةَ مِنْ حُجْبٍ وَأَسْتَارِ
وَبِالْهَدِيِّ إِذَا احْمَرَّتْ مَذَارِعُهَا فِي يَومِ نُسْكٍ وَتَشْرِيقٍ وَتَنْحَارِ

---

(١) شعر الأخطل : ٢٩٨/١ .
(٢) قوارع : جمع قارعة وهي النازلة الشديدة . اللسان : (قرع)
نصيبين : بفتح النون وكسر الصاد والباء ـ موضع في الشام .
(٣) شعر الأخطل : ١٧١/١ .

وَمَا بِزَمْزَمَ مِنْ شُمْطٍ مُحَلِّقَةٍ ... وَمَا بِيَثْرِبَ مِنْ عُوْنٍ (١) وَأَبْكَارِ
لَأَلْجَأَتْنِي قُرَيْشٌ خَائِفًا وَجِلاً ... وَمَوَّلَتْنِي قُرَيْشٌ بَعْدَ إِقْتَارِ
المُنْعِمُونَ بَنِي حَرْبٍ وَقَدْ حَدَقَتْ ... بِيَ المَنِيَّةُ وَاسْتَبْطَأْتُ أَنْصَارِي
بِهِمْ تَكَشَّفُ عَنْ أَحْيَائِهَا ظُلَمٌ ... حَتَّى تَرَفَّعَ عَنْ سَمْعٍ وَأَبْصَارِ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا مَآزِرَهُمْ ... عَنِ النِّسَاءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارِ

ولا تخرج أفكار هذه القصيدة وموضوعها عن تصوير حاله وقد أحدقت به المصيبة وتخلى عنه أنصاره فتملكه الخوف ،لكن بني حرب تداركوه وأنقذوه مما حل به ،وقد ألحف في هذا المدح بالقسم وأغرق في ايراد الألفاظ الدينية كمكة ،والمدينة ،والحجب ،والأستار والنسك ،والهدىّ ،وزمزم . ليتخذها وسيلة الى قلوب المسلمين فتكون شفيعة له عند آل حرب ،وكبيرهم معاوية الخليفة فيؤمنوه ويغيثوه ،والاّ فلماذا يذكر هذه المقدسات مع أنه لايعتقد بها ؟ .

ولا يزال هول الوعيد يلاحق الشاعر في هذه الحقبة من الزمن فيقول في قصيدته الدالية (فأصعدا) مادحا يزيد (٢) :

وَإِنِّي غَدَاةَ اسْتَعْبَرَتْ أُمُّ مَالِكٍ ... لَرَاضٍ مِنَ السُّلْطَانِ أَنْ يَتَهَدَّدَا
وَلَوْلَا يَزِيدُ ابنُ المُلُوكِ وَسَيْبُهُ ... تَجَلَّلْتُ حِدْبَارًا مِنَ الشَّرِّ أَنْكَدَا
وَكَمْ أَنْقَذْتَنِي مِنْ جَرُورٍ حِبَالُكُمْ ... وَخَرْسَاءَ لَوْ يُرْمَى بِهَا الفِيلُ عَرَّدَا

فهو يتخذ من ضعف نفسه وقلة حيلته وسيلة للثناء على ممدوحه الذى

---

(١) العون : جمع عوان ـ المرأة التى كان لها زوج وقيل هى الثيب .
أنظر اللسان (عون) .
(٢) شعر الأخطل : ١/ ٣٠٥ .

تداركه قبل أن يهلك ويستطرد في المديح قائلا : (١)

وَدَافَعَ عَنِّي يَوْمَ جِلِّقَ غَمْرَةً   وَهَمًّا يُنَسِّينِي السُّلافَ المُهَوَّدَا
وَبَاتَ نَجِيًّا فِي دِمَشْقَ لِحَيَّةٍ   إِذَا عَضَّ لَمْ يَنمِ السَّليمُ وَأَقْصَدَا
يُخَفِّتُهُ طَوْراً وَطَوْراً إِذَا رَأَى   مِنَ الوَجْهِ إِقْبالاً أَلَحَّ وَأَجْهَدَا

فيحشد في هذه الأبيات كثيرا من الألفاظ ذات الدلالة الحسية من الحدبار الى الفيل الى البئر الى الحية التى ان لدغت لم يبرأ لديغها وفي هذه الألفاظ من المعنى مايهول عظم المصيبة التى أحاطت به مؤكدا هذا المعنى من خلال قوله في نفس الممدوح : (٢)

أَبَا خَالِدٍ دَافَعْتَ عَنِّي عَظِيمَةً   وَأَدْرَكْتَ لَحْمِي قَبْلَ أَنْ يَتَبَدَّدَا
وَأَطْفَأْتَ عَنِّي نَارَ نُعْمَانَ بَعْدَمَا   أَغَذَّ لِأَمْرٍ عَاجِزٍ وَتَجَرَّدَا
وَلَمَّا رَأَى النُّعْمَانُ دُونِي ابْنَ حُرَّةٍ   طَوَى الكَشْحَ إِذْ لَمْ يَسْتَطِعْنِي وَعَرَّدَا

وقبل أن يهنيء ممدوحه بولاية العهد يمتدح معاوية بالقوة فلا تزعزعه الأحداث فهو أصلب قريش عودا وأكثرهم عفة ووفاء ، وأشدهم عزما وحزما في كل الأمور ، ولعله أراد بهذه التوطئة أن يبين أن الخليفة لايقدم على عمل الا بعد تدبر وروية وأن اختياره " يزيد "

---

(١) شعر الأخطل : ١/٣٠٦ .

(٢) جلق : بكسر الجيم وتشديد اللام وكسرها اسم موضع بالشام وكانت احدى منازل أمراء الغساسنة من بنى جفنة .
انظر دائرة المعارف الاسلامية (جلق) .

(٣) شعر الأخطل : ١/٣٠٦ - ٣٠٧ .

لولاية العهد لم يكن أمرا مرتجلا ليرد بذلك على من رفضوا البيعة ليزيد بولاية العهد فيقول : (١)

وَمَا وَجَدَتْ فِيهَا قُرَيْشٌ لِأَمْرِهَا ... أَعَفَّ وَأَوْفَى مِنْ أَبِيكَ وَأَمْجَدَا

وَأَصْلَبَ عُودًا حِينَ ضَاقَتْ أُمُورُهَا ... وَهَمَّتْ مَعَدٌّ أَنْ تَخِيمَ وَتَخْمُدَا

وَأَوْرَى بِزَنْدَيْهِ وَلَوْ كَانَ غَيْرُهُ ... غَدَاةَ اخْتِلَافِ الأَمْرِ أَكْبَى وَأَصْلَدَا

ثم ينتقل الى تهنئة يزيد بولاية العهد فيقول : (٢)

فَأَصْبَحْتَ مَوْلَاهَا مِنَ النَّاسِ بَعْدَهُ ... وَأَحْرَى قُرَيْشٍ أَنْ يُهَابَ وَيُحْمَدَا

ويردف بالقسم ليؤكد فضل يزيد : (٣)

فَأَقْسَمْتُ لَا أَنْسَى يَدَ الدَّهْرِ سَيْبَهُ ... غَدَاةَ السَّيَالَى(٤) مَا أَسَاغَ وَزَوَّدَا

ولقد كان لعمل يزيد الكبير تجاه الشاعر من شفاعته فيه أثر كبير فلا تخلو قصائد المدح التي خصه بها من ذكر هذه الشفاعة والمبالغة في شكره مبينا عظيم جميله وأنه لن ينساه أبد الدهر الى أن يموت ويدعو له : (٥)

أَمَّا يَزِيدُ فَإِنِّي لَسْتُ نَاسِيَهُ ... حَتَّى يُغَيِّبَنِيَ فِي الرَّمْسِ مَلْحُودُ

جَزَاكَ رَبُّكَ عَنْ مُسْتَفْرَدٍ وَحَدٍ ... نَفَاهُ عَنْ أَهْلِهِ جُرْمٌ وَتَشْرِيدُ

مُسْتَشْرَفٍ قَدْ رَمَاهُ النَّاسُ كُلُّهُمُ ... كَأَنَّهُ مِنْ سَمُومِ الصَّيْفِ سَفُّودُ

وفي هذه الأبيات يصور ضعفه الشخصي وسوء حالته حينما

---

(١) شعر الأخطل : ١ / ٣٠٨ .

(٢) شعر الأخطل : ١ / ٣٠٩ (٣) شعر الأخطل : ١ / ٣١١ .

(٤) السيالى : اسم موضع . وقد ورد البيت برواية أخرى هي : =

صدر أمر الخليفة بقطع لسانه اذ أصبح وحيدا بعيدا عن أهلـــــه بسبب جرمه فقد رماه الناس كلهم بأبصارهم فأصبح منبوذا بينهـــــم ويكرر اعترافه بجميل يزيد فيقول :(١)

فَما يَزالُ جَدَا نُعْمَاكَ يَمْطُرُنِي ... وَإِنْ نَأَيْتَ وَسَيْبٌ مِنْكَ مَرْفُـــودُ

ويعد الكرم والأمان من أهم الصفات التى نعت بها الأخطل ممدوحـه فى هذه الفترة لأنها كانت فترة ابتلاء له بقطع لسانه فلجأ الــــى يزيد يمدحه ويطلب منه الحماية والأمان . ويركز على التشبيــــــه الاستطرادى (٢) ليقارن بين الفرات فى فيضانه وكرم ممدوحه (٣)

وَمَا مُزْبِدٌ يَعْلُو جَزَائِرَ حَامِزٍ ... يَشُقُّ إِلَيْهَا خَيْزُرَانًا وَغَرْقَـــدَا
تَحَرَّزَ مِنْهُ أَهْلُ عَانَةَ بَعْدَ مَا ... كَسَا سُورَهَا الأَعْلَى غُثَاءً مُنَضَّـــدَا
يُقَمِّصُ بِالمَلاَّحِ حَتَّى يَشُفَّهُ الْ ... حِذَارُ وَإِنْ كَانَ المُشِيحَ المُعَـوَّدَا
بِمُطَّرِدِ الآذِيِّ جَوْنٍ كَأَنَّمَـــا ... زَفَا بِالْقَرَاقِيرِ النَّعَامُ المُطَـــرَّدَا
كَأَنَّ بَنَاتِ المَاءِ فِي حَجَرَاتِـهِ ... أَبَارِيقُ أَهْدَتْهَا دِيَافُ لِصَرْخَـدَا (٤)
بِأَجْوَدَ سَيْبًا مِنْ يَزِيدَ إِذَا غَدَتْ ... بِهِ بُخْتُهُ يَحْمِلْنَ مُلْكًا وَسُــــؤْدَدَا

وتتكرر هذه الصورة عنده فى مديحه لعبد الله بن معاوية (٥) الذى يمتدحه الأخطل بالشجاعة والاقدام والكرم فيشبهه بالبازى الـــذى

(*) فَأَقْسَمْتُ لاَ أَنْسَى مَدَى الدَّهرِ سَيْبَهُ ... غَدَاةَ اللَّيَالِي مَا أَسَاغَ وَزَوَّدَا
شعر الأخطل : ١/ ٩٧ .

(١) شعر الأخطل : ١/ ٩٨ .

(٢) أى الذى يجعل فيه المشبه به صورة مكونة من عناصر عدة .

(٣) شعر الأخطل : ١/ ٣١٠ - ٣١١ . (٤) دياف وصرخدا : اسم لقريتين

(٥) شعر الأخطل : ٢/ ٤٤٣ - ٤٤٤ .

ينقض على سائر الطيور فيتركها خاشعة لا تتحرك .(١)

بازٌ تَظَلُّ عِتَاقُ الطَّيْرِ خَاشِعَةً ... مِنْهُ وَتَمْتَصِعُ الكِرْوَانُ (٢) وَاللَّبَدُ

وَلَوْ يُجَمَّعُ رِفْدُ النَّاسِ كُلِّهِمُ ... لَمْ يَرْفِدِ النَّاسُ إِلاَّ دُونَ مَارَفَدُوا

فَالْمُسْلِمُونَ بِخَيْرٍ مَابَقِيتَ لَهُمْ ... وَلَيْسَ بَعْدَكَ خَيْرٌ حِينَ تُفْتَقَدُ

وهكذا فان عطايا الناس كلهم لو جمعت لم تواز عطايا بنى أمية وأن سلامة الممدوح هى التى ترفرف ظلالها على المسلمين ولو أودى لهلكوا .

ولقد كان لبعض الولاة فى عهد آل حرب نصيب من مدائح الأخطل اذ امتدح عباد بن زياد وأخاه سلما كلاً بقصيدة واحدة (٣) فيقول فى مدح عباد :(٤)

إِلَيْكَ أَبَا حَرْبٍ تَدَافَعْنَ بَعْدَمَا ... وَصَلْنَ لِشَمْسٍ مَطْلِعاً بِغُرُوبِ

إِلَى مُسْتَقِلٍّ بِالنَّوَائِبِ وَاصِلِ الـ ... قَرَابَةِ فَيَّاضِ الْيَدَيْنِ وَهُوبِ

وَمَا أَرْضُ عَبَّادٍ إِذَا مَاهَبَطْتَهَا ... بِحَزْنٍ وَلَا أَعْطَانُهَا بِجُدُوبِ

رَبِيعٌ لِهُلاَّكِ الحِجَازِ إِذَا ارْتَمَتْ ... رِيَاحُ الثُّرَيَّا مِنْ صَبًا وَجَنُوبِ

وَطَارَتْ بِأَكْنَافِ البُيُوتِ وَحَارَدَتْ ... عَنِ الضَّيْفِ وَالْجِيرَانِ كُلُّ حَلُوبِ

إِلَيْهِ أَشَارَ النَّاظِرُونَ كَأَنَّهُ ... هِلَالٌ بَدَا مِنْ قُتْمَةٍ وَغُيُوبِ

---

(١) شعر الأخطل : ٢ / ٤٤١ ، ٤٤٨ .

(٢) الكروان : طائر أغبر بعظم الدجاجة الا أنه أسبط وأطول عنقا وأطول رجلين ، وجمعه " كروان " أنظر الافصاح فى فقه اللغة : ٢ / ٨٨١ .

(٣) انظر مطالع هذه القصائد فى الجدول رقم (٢) الملحق بالبحث .

(٤) شعر الأخطل : ١ / ٢٦٣ - ٢٦٥ .

وَلَوْلاَ أَبُو حَرْبٍ وَفَضْلُ نَوالِـــهِ عَلَيْنَا أَذَانَا دَهْرُنَا بِخُطُـــوبِ
حَبَانِي بِطِرْفٍ أَعْوَجِيٍّ وَقَيْنَـــةٍ مِنَ الْبَرْبَرِيَّاتِ الحِسَانِ لَعُـــوبِ
وَحَمَّـالُ أَثْقَالٍ وَفَرَّاجُ غَمْـــرَةٍ وَغَيْثٌ لِمَجْلُومِ السَّوامِ حَـــرِيبِ
كَرِيمُ مُنَاخِ الضَّيْفِ لاَعَاتِمُ الْقِرَى وَلاَعِنْدَ أَطْرَافِ الْقَنَا بِهَيـــُوبِ
كَثِيرٌ بِكَفَّيْهِ النَّدَى حِيْنَ يُعْتَـرَى عَشِيَّةَ لاَ جَافٍ وَلاَ بِغَضُـــوبِ
عَرُوفٌ لِحَقِّ السَّـائِلِينَ كَأَنَّـــهُ بِعَقْرِ الْمَتَالِي طَالِبٌ بِذَنُـــوبِ

ففى هذه القصيدة نجد تزاحما كبيرا بين الأفكار فالممدوح متفرد بحمل النوائب الثقال عن الناس وهو كريم تفيض يداه جودا ، وأرضه ليست غليظة ولا وعرة ومنازلها ليست مقفرة خالية ولكنها تفيض جودا فهو غيث وربيع للمعدمين الذين يرزحون تحت وطأة رياح الثريا تلك التى تنذر بالمحل والفقر ويصف ممدوحه بأنه كريم معطاء اذا اشتد الشتاء فزلزل جوانب البيوت وانقطع لبن الناقة الحلوب فاذا اشتد البرد وضاقت الحال عندئذ تجد الناس ينظرون اليه كأنه هلال ظهر بعد ظلام شديد كانوا يتخبطون فيه فلولاه لعضهم الدهر بنوائبه . وقد اتخذ من صيغ المبالغة وسيلة لتعظيم هذا الممدوح والزيادة فى ايضاح الصورة الفنية فيرى أنه حمّال أثقال فرّاج للشدائد كثير بكفيه الندى فير هيوب لحرب ولا يرى غضوبا اذا ما استحثّ للندى ،وهو عروف لحق السائلين ثم يختم صيغ المبالغة الخمسة بصورة لطيفة حين يجعله أشبه فى جنونه واندفاعه فى عقر المتالى بطالب ثأر .

ويقول فى مدح سلم (١) :

---

(١) شعر الأخطل : ٢/٦٠٥ .

نَفْسِي فِدَاءُ أَبِي حَرْبٍ غَدَاةَ غَدَا ... مُخَالِطُ الجِنِّ أَوْ مُسْتَوحِشٌ فَـرِقُ
عَلَى مُذَكَّرةٍ تَرْمِي الفُـروجَ بِهَـا ... غَوْلِ النَّجَاءِ إِذَا مَا اسْتُعْجِلَ العَنَقُ

فهو يفدى ممدوحه بنفسه وهو قد جد فى السير اليه فقد بات يهيم فى الفيافى مخالطا للجن من هموم أثقلته فخافها وسيبشها فور وصوله الى الممدوح ويستمر فى مقطع طويل يصور فيه حالته وحالة راحلته فى هذه الرحلة المضنية حتى ألقى عصا الترحال ،ثم يقول : انه بعد هذا السير كله لايخاف نصبا لأن وجهته انسان لا يلجئ المستغيث به الى غيره . (١)

إِلَى امْرِىءٍ لَاتَخَطَّاهُ الرِّفَاقُ وَلَا ... جَدْبِ الْخِوَانِ إِذَا مَا اسْتُبْطِئَ الْمَرَقُ
صَلْبُ الْحَيَازِيمِ لَاهَذْرِ الْكَلَامِ إِذَا ... هَزَّ الْقَنَاةَ وَلَا مُسْتَعْجِلٌ زَهِـقُ
وَأَنْتَ يَا ابْنَ زِيَادٍ عِنْدَنَا حَسَـنٌ ... منكَ الْبَلَاءُ وَأَنْتَ النَّاصِحُ الشَّـفِقُ
وَالْمُسْتَقِلُّ بِأَمْرٍ لَايَقُومُ لَـهُ ... غَسٌّ مِنَ الْقَومِ رِعْدِيْدٌ وَلَا فَـرِقُ (٢)
وَأَنْتَ خَيْرُ ابْنِ أُخْتٍ يُسْتَطَافُ بِهِ ... إِذَا تَزَعْزَعَ فَوْقَ الفَيلَقِ الخِـرَقُ
مُوَطَّأُ البَيْتِ مَحْمُودٌ شَمَائِلُـهُ ... عِنْدَ الحمالةِ لَا كَزٌّ وَلَا وَعِـقُ

فالممدوح هنا مقصد المحتاجين لأنه كريم خوانه ليس بجدب صلب الصدر قوى القلب كناية عن شجاعته لايخلط كلامه بساقط ، مستقل بأمره يضبط الأمور بنفسه ليس ضعيفا فى عقله أو رأيه ولا خائفا فزعا وهو خير من يدير الأمور بحزم وفطنة عندما يتزعزع الأمر ويخفق

---

(١) شعر الأخطل : ٢ / ٦١٠ - ٦١١ .
(٢) المستقل بالأمر : الذى يستبد به . والغَسّ : الرخو الضعيف فىعقله ورأيه . والفرق : الخائف الشديد الفزع .

قائد الجيش وتضطرب الرايات وكذلك فهو ليس بسئ الخلق ولابخيل اذ هو كريم ذو شمائل محمودة يتحمل الحمالات ويلبى طلب أصحاب الحاجات .

هذه أهم القصائد التى خص بها الأخطل بنى حرب وعمالهم وهى نابعة من صلته الوثيقة بهم غير أنه عندما تنازل معاوية بن يزيد عن الخلافة واشتعلت نار الفتنة وعمت الأمصار الاسلامية لم يستطع الشاعر وقتئذ أن يتخطى الجزيرة الفراتية الى الشام فآثر الاقامة فى ربوع تغلب (١) ريثما تستقر الأمور .

وعندما تولى عبد الملك بن مروان (٢) الخلافة وقضى على الفتن انبرى الأخطل ثانية يجدد عهوده لبنى أمية فمدح عبد الملك بثلاث قصائد (٣) كان صوت السياسة ظاهرا واضحا فيها فاذا ما استعرضنا مثلا رائيته (آخر الدهر) وجدناها مزيجا من الغزل والهجاء ، والوصف ، والفخر بينما نجد نصيب المديح التقليدى فيها قليلا جدا تغلب عليه صفة الالحاح فى طلب العطاء الكثير ، ويستغل حادثة الصلح مع قيس فيركز عليها ليكشف نوايا القيسيين أمام

---

(١) أنظر الأخطل شاعر بنى أمية ـ د. سيد غازى : ٨٧ .

(٢) عبد الملك بن مروان بن الحكم تولى الخلافة سنة (٦٥هـ) بعد موت أبيه مروان . وكان عبد الملك من أعاظم الخلفاء ودهاتهم فقيها واسع العلم أديبا ناقدا توفى سنة (٨٦هـ) .
أنظر ابن الأثير : ١٩٨/٤ ، والطبرى : ٥٦/٨ ، وميزان الاعتدال : ٦٦٤/٢ ، وسير أعلام النبلاء : ٢٤٦/٤ ، وغيرها من كتب التراجم والتاريخ والأدب .

(٣) انظر مطالع هذه القصائد فى الجدول رقم (٢) الملحق بهذا البحث .

الخليفة .(١)

أَعنّى أَميرَ المُؤمنينَ بِنائِلٍ ... وَحُسْنِ عَطَاءٍ لَيْسَ بِالرَّيِّثِ النَّزْرِ
وَأَنْتَ أَمِيرُ المُؤمنِينَ وَمَابِنَا ... إِلَى صُلْحِ قَيْسٍ يَاابْنَ مَرْوَانَ مِنْ فَقْرِ
فَانْ تَكُ قَيْسٌ يَاابْنَ مَرْوَانَ بَايَعَتْ ... فَقَدْ وَهِلَتْ(٢) قَيْسٌ إِلَيْكَ مِنَ الذُّعْرِ
عَلَى غَيْرِ إِسْلاَمٍ وَلاَ عَنْ بَصِيرَةٍ ... وَلَكِنَّهُمْ سِيقُوا إِلَيْكَ عَلَى صُغْرِ(٣)

وهذه الأبيات تتضمن مدحا غير مباشر يكمن فى خضوع قيس للأمويين أذلاء . ومن هنا غلبت الصبغة السياسية على هذه الأبيات كما نرى فى بيانه لنوايا القيسية وأنهم لم يبايعوا عن اختيار بل دفعوا الى ذلك دفعا ثم يعود ليذكر الخليفة بما أظهره التغلبيون من بطولات فى ركاب الأمويين .(٤)

إِلَيكَ أَميرَ المُؤْمِنِينَ نَسِيْرُهَا(٥) ... تَخُبُّ المَطَايَا بِالْعَرَانِينِ مِنْ بَكْرِ
بِرَأْسِ امْرِئٍ(٦) دَلَّى سُلَيْمًا وَعَامِرًا ... وَأَوْرَدَ قَيْسًا لُجَّ ذِى حَدَبٍ غَمْرِ
فَأَسْرَيْنَ خَمْسًا ثُمَّ أَصْبَحْنَ غُدْوَةً ... يُخَبِّرْنَ أَخْبَارًا أَلَذَّ مِنَ الْخَمْرِ

---

(١) شعر الأخطل : ١٨٩/١ .
(٢) وَهِلَتْ : أى نزعت اليك عن خوف .
(٣) يريد أنهم لم يبايعوا عن عقيدة وايمان وهداية لكنهم دفعوا الى ذلك دفعا وسيقوا اليه صاغرين .
(٤) شعر الأخطل : ١٩٠/١ - ١٩١ .
(٥) نَسِيْرُهَا : أى نسوقها أى أنهم يسوقون الى الخليفة رؤساء بكر وأسيادها أسارى .
(٦) هو عمير بن الحباب بن جعدة السلمى رأس القيسية فى العراق وقد قتله بنو تغلب .

وكما نلاحظ فان شخصية الخليفة بقيت متوارية وراء هذا التيار السياسى الذى يسرى فى أبياته وبالتالى فانه يمكننا أن نقول ان فن المديح فى هذه القصيدة جاء سياسيا أكثر منه شخصيا بينما تعاظم فخره وهجاؤه . (١)

ولكن عبد الملك يبدوا أكثر ظهورا فى القصيدة الثانية وهى بائيته التى يقول فيها : (٢)

إِلَيكَ أَمِيرَ المؤمنينَ رَحَلْتُهَا ... عَلَى الطَّائِرِ المَيْمُونِ وَالْمَنْزِلِ الرَّحْبِ
إِلَى مُؤْمِنٍ تَجْلُو صَفِيحَةُ وَجْهِهِ ... بَلَابِلَ تَغْشَى مِنْ هُمُومٍ وَمِنْ كَرْبِ
مُنَاخِ ذَوِى الْحَاجَاتِ يَسْتَمْطِرُونَهُ ... عَطَاءَ كَرِيمٍ مِنْ أُسَارَى وَمِنْ نَهْبِ (٣)
تَرَى الْحَلَقَ المَاذِىَّ تَجْرِى فُضُولُهُ ... عَلَى مُسْتَخِفٍّ بِالنَّوَائِبِ وَالْحَرْبِ
أَخُوهَا إِذَا شَالَتْ عَضُوضًا سَمَالَهَا ... عَلَى كُلِّ حَالٍ منْ ذَلُولٍ وَمِنْ صَعْبِ (٤)
إِمَامٌ سَمَا بِالْخَيْلِ حَتَّى تَقَلْقَلَتْ ... قَلَائِدُ فِى أَعْنَاقِ مُعْلَمَةٍ حُدْبِ (٥)

وقد ابتدأ المدح مخاطبا الخليفة وبينا أنه ساق مطاياه الى فنائه الواسع لأن فيه الخير ويمتدحه بحسن الايمان والعطاء من الغنائم لذوى الحاجات الذين ينتجعون داره وكأن هذا العطاء

---

(١) انظر الأخطل فى سيرته ونفسيته وشعره - ايليا حاوى : ١٠٦ .
(٢) شعر الأخطل : ١/٤٣ - ٤٤ .
(٣) النَّهْبُ : الغنيمة .
(٤) العَضُوضُ : الشديدة .
(٥) الحُدْب : جمع حدباء وهى الدابة التى بدت عظام رأس وركها من الهزال . (اللسان / حدب) .

مطر لأنه من كريم ويصفه بالشجاعة وأنه مستقل بالحرب وقادر عليها اذا دارت رحاها أدارها مشبها هيجان الحرب بشولان الناقة حين تتهيأ للضراب فهو يركب الحرب على كل حال من حالاتها وهذا منتهى الشجاعة ويصفه كذلك بالامامة وأنه من كثرة حروبه ومداومته عليها قد أتعب خيله فأصابها الهزال حتى تقلقلت القلائد في أعناقها ،ويستمر في تصوير هذه الخيل ليصل من خلال هذا التصوير الى امتداح عبد الملك بالكر والفر فيقول : (١)

أُعِدَّ لِهَيْجَا أَوْ مُوَافَقَةَ الرَّكْبِ ... شَوَاخِصَ بِالْأَبْصَارِ مِنْ كُلِّ مُقْرَبِ

مُجَلَّلَةَ الْأَشْطَانِ طَيِّبَةَ الْكَسْبِ ... سَوَاهِمَ قَدْ عَاوَدْنَ كُلَّ عَظِيمَةٍ

وَهُنَّ عَلَى العِلَّاتِ يَرْدِيْنَ كَالنُّكْبِ (٢) ... يُعَانِدْنَ عَنْ صُلْبِ الطَّرِيقِ مِنَ الْوَجَا

غُرَابٌ عَلَى عَوْجَاءَ مِنْهُنَّ أَوْ سَقْبِ (٣) ... إِذَا كَلَّفُوهُنَّ التَّنَائِي لَمْ يَزَلْ

فهذا الانهاك والهزال اللذان لحقا بالخيل انما هما نتيجة لطول بقائها في الحرب فقد دأبت على القتال ،وتمرست به ،وهو بهذا يعظم الممدوح من خلال تعظيمه لخيله ،ويمتدح عبد الملك بغزواته المتكررة للروم ويركز هنا على وصف الخيل فيقول : (٤)

---

(١) شعر الأخطل ١/ ٤٤-٤٥ .

(٢) يُعَانِدْنَ : أى يعدلن ولا يذعن . الوَجَا : التعب الذى يصيب حوافرهامن الحفا . على العِلَّاتِ : أى على مختلف الأحوال . النُّكْب : المواثل وهي التي تشتكي مناكبها

(٣) يقصد بالغراب : الفارس الأسود .

(٤) شعر الأخطل : ١/ ٤٥ - ٤٦ .

وفي كُلِّ عامٍ مِنْكَ لِلرُّومِ غَزْوَة ... بَعِيدَةُ آثارِ السَّنَابِكِ وَالسَّرْبِ(١)
يُطَرِّحْنَ بِالدَّرْبِ السِّخَالَ كَأَنَّمَا ... يُشَقِّقْنَ بِالأَسْلاءِ أَرْدِيَةَ الْعَصْبِ(٢)
بَنَاتُ غُرَابٍ لَمْ تُكَمِّلْ شُهُورُهَا ... تَقَلْقَلْنَ مِنْ طُولِ الْمَفَاوِزِ وَالْجَذْبِ
وَإِنَّ لَهَا يَوْمَينِ يَوْمَ إِقَامَةٍ ... وَيَوْمًا تَشَكَّى الْقَضَّ مِنْ حَذَرِ الدَّرْبِ(٣)
غَمُوسَ الدُّجَى تَنْشَقُّ عَنْ مُتَضَرِّمٍ ... طَلُوبِ الأَعَادِي لاَ سَؤُومٍ وَلاَ وَجْبِ(٤)

فالممدوح يسعى بخيله الى الروم وهذه الخيل تقتحم السبل النائية فى كل سنة ونتيجة لهذه الغزوات المستمرة أصبحت هذه الخيل تضع أولادها قبل الأوان من شدة الاعياء . وهو يريد بهذه الصورة أن يصل الى شجاعة الخليفة واقدامه .

ثم يعود للمدح المباشر فيقول :(٥)

عَلَى ابْنِ أَبِي الْعَاصِي قُرَيْشٌ تَعَطَّفَتْ ... إِلَى صُلْبِهَا لَيْسَ الْوَشَائِظُ كَالصُّلْبِ(٦)
وَقَدْ جَعَلَ اللّـهُ الْخِلاَفَةَ فِيكُمُ ... لِأَبْيَضَ لاَ عَارِى الْخِوَانِ وَلاَ جَدْبِ
وَلَكِنْ رَآكَ اللّـهُ مَوْضِعَ حَقِّهَا ... عَلَى رَغْمِ أَعْدَاءٍ وَصَدَّادَةٍ كُذْبِ

---

(١) السَّرْب : الطريق .
(٢) سِخَال: جمع سخلة وهى أولاد الضأن . والأَسْلاَء : المناديل التى تغشى الوليد اثر ولادته . أنظر أمالى المرتضى : ١/ ٣٤٣ . والعَصْب : الثياب المصبغة .
(٣) القَضّ : الحصى الصغار .
(٤) غَمُوسَ : أى أنها تسير الليل كله . والمتضرم : الذى يتسعر فيه لهيب الحماسة . والوَجْب : الجبان .
(٥) شعر الأخطل : ١/ ٤٧ ، ٤٩ ، ٥١ .
(٦) الوَشَائِظ: الزوائد وأحدها وشيظة ، والمعنى أن الأصل الشريف ليس =

قُرُومَ أَبُو الْعَاصِي غَدَاةَ تَخَمَّطَـــتْ دِمَشْقُ بِأَشْبَاهِ الْمُهَنَّدَةِ الْجُرْبِ
يَقُودُونَ مَوْجًا مِنْ أُمَيَّةَ لَمْ يَــــرِثْ دِيَارَ سُلَيْمٍ بِالْحِجَازِ وَلَا الْهُضْبِ

فالممدوح ذو أصل عريق أحاط به نسب قريش الكريم من كل جانب فهو كريم ابن كريم جعل الله الخلافة فيهم فغدت سلطتهم مستمدة من سلطة الله لأنه رآهم موضع ثقة فقد قادوا أمواجا كبيرة من الجند في الشام حينما أحاطت بدمشق جحافل الأعداء بخيولهم التي تشبه الابل المطلية بالقطران ،وهنا يريد أن يعود لاثارة عبد الملك على قيس متخذا من هذا المنعطف السياسي وسيلة لازدياد كراهية بني أمية للقيسيين .

على أن أجمل مانظمه الأخطل في عبد الملك هي رائيته (غير) التي أطربت عبد الملك كثيرا ومن أجلها لقب الأخطل بشاعر بني أمية . (١) وهذه المدحة تعد من غرر قصائد الأخطل في المديح وقد استهلها بالمقدمة الغزلية التي بلغت سبعة عشر بيتا ثم ولج من ذلك الى المديح المباشر للخليفة قائلا : (٢)

إِلَى امْرِئٍ لَا تُعَدِّينَا نَوَافِلُـــهُ أَظْفَرَهُ اللَّهُ فَلْيَهْنِئْ لَهُ الظَّفَرُ
الْخَائِضِ الْغَمْرَ وَالْمَيْمُونِ طَائِـــرُهُ خَلِيفَةِ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ

لقد عمت عطايا الممدوح الشاعر ،وكأنها كانت حبسا عليه

(=) كاللاحق الدنيء النسب .
(١) انظر الأغاني : ٢٨٨/٨ .
(٢) شعر الأخطل : ١٩٦/١ - ١٩٧ .

لاتتعداه الى غيره كما يمتدحه بالشجاعة والاقدام ، ولم يطرق الشاعر هذا المعنى مباشرة بل اتخذ من الكناية سبيلا للوصول الى مقصده فالخليفة يخوض الماء الكثير الذى قلما ينجو من يخوضه ، ويقابل بين هذه الشجاعة وشدة تقواه اذ أن العرب يعتقدون أن انحباس المطر يكون نتيجة لغضب الله لكن عبد الملك لشدة صلته بالله أصبح الناس يطلبون السقيا به لأن الله يستجيب له لتقواه ، ويعود ليتخذ من الفرات أيضا صورة يقابل بينها وبين كرم ممدوحه : (١)

وَمَا الفُرَاتُ إِذَا جَاشَتْ حَوَالِبُهُ ... فِى حَافَتَيْهِ وَفِى أَوْسَاطِهِ العُشَرُ (٢)
وَذَعْذَعَتْهُ رِيَاحُ الصَّيْفِ وَاضْطَرَبَتْ ... فَوْقَ الْجَآجِئِ مِنْ آذِيِّهِ غُدُرُ
مُسْحَنْفِرًا مِنْ جِبَالِ الرُّومِ تَسْتُرُهُ ... مِنْهَا أَكَافِيفُ فِيهَا دُونَهُ زَوَرُ (٣)
يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ حِينَ تَسْأَلُهُ ... وَلَا بِأَجْهَرَ مِنْهُ حِينَ يُجْتَهَرُ

ان هذه الصورة التشبيهية المبالغ فيها تحمل وجهى شبه هما الكرم والعطاء والوسامة والعظمة . وكل هذه المشاهد المحسوسة التى رسمها للفرات ليست بأجود سيبا من عبد الملك ولا بأحسن وسامة وعظمة منه . ويوازى فى مدحه لعبد الملك بين معانى التقوى كالقرب من الله وبين المعانى الفاضلة الأخرى كالجود

---

(١) شعر الأخطل : ١٩٧/١ - ١٩٨ .
(٢) حَوَالِبُهُ : أمواجه . العُشَرُ : نوع من الشجر العظيم .
(٣) المُسْحَنْفِر : السريع الجرى بامتداد ومضاء . والأكافيف : هو مايكف به الماء عن الجرى .
زَوَرُ : أى ميل .

والكرم والبطولة فهذا الممدوح يخوض معركة كبيرة يسطر خلالها ملحمة رائعة تنم عن الشجاعة والاقدام (١)

مُقَدَّمٌ مائتي أَلْفٍ لِمَنْزِلَةٍ ... مَا إِنْ رَأَى مِثْلَهُمْ جِنٌّ وَلَا بَشَرُ

فالصورة هنا موغلة فى الغلو لكنها تخفق بأجواء الملحمة خفوقا وهى تأخذ غلوها من صفة هؤلاء الجند الذين يقودهم عبد الملك فهو جيش خارق مروع ليس من الجن ولا من البشر بل أعظم من الجنسين وليس هناك أسمى من الجن والبشر الانسى الا الملائكة وهذه مبالغة موغلة فى الغلو أوصلت الشاعر الى هذا المعنى . ثم يستمر فى امتداحه بالشجاعة مستكملا المعانى السابقة : (٢)

يَغْشَى القَنَاطِرَ يَبْنِيهَا وَيَهْدِمُهَا ... مُسَوَّمٌ فَوْقَهُ الرَّايَاتُ وَالْقَتَرُ
حَتَّى تَكُونَ لَهُ بِالطَّفِّ مَلْحَمَةٌ ... وَبِالثَّوِيَّةِ لَمْ يُنْبَضْ بِهَا وَتَرُ
وَتَسْتَبِيْنَ لِأَقْوَامٍ ضَلَالَتُهُمْ ... وَيَسْتَقِيمَ الذِي فِي خَدِّهِ صَعَرُ
وَالمُسْتَقِلُّ بِأَثْقَالِ العِرَاقِ وَقَدْ ... كَانَتْ لَهُ نِعْمَةٌ فِيهِم وَمُدَّخَرُ

فيمازج هنا بين الصورة الحسية والمعنوية اذ يومىء الى مقتل مصعب ابن الزبير (بالطف) وقبل هذا يشير الى بعض الاصلاحات التى يقوم بها الخليفة وان كان فى حالة حرب فهو يبنى القناطر اذا كان فى ذلك مصلحة عامة ويهدمها لنفس الغرض . وفى ذكره

---

(١) شعر الأخطل : ١/١٩٩ .

(٢) شعر الأخطل : ١/١٩٩ - ٢٠٠ .

لأماكن بعينها فى هذا المديح (كالطف ،والثوية . .) انما يريد أن يصل الى نسبة النصر فى الأحداث التى جرت فى هذه الأماكن الى ممدوحه الذى يتفوق دائما فى معاركه مع أعدائه وأعداء المسلمين قاطبة . ومن هنا استقامت له الأمور ثم يعود الأخطل لتتبع أصول ممدوحه العريقة فيقول مشيدا ببنى أمية : (١)

فِي نَبْعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَعْصِبُونَ بِهَا ... مَا إِنْ يُوَازَى بِأَعْلَى نَبْتِهَا الشَّجَرُ (٢)
تَعْلُو الهِضَابَ وَحَلُّوا فِي أَرُومَتِهَا ... أَهْلُ الرِّبَاءِ وَأَهْلُ الفَخْرِ إِنْ فَخَرُوا (٣)
حُشْدٌ عَلَى الحَقِّ عَيَّافُوا الخَنَا أُنُفٌ ... إِذَا أَلَمَّتْ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا
وَإِنْ تَدَجَّتْ عَلَى الآفَاقِ مُظْلِمَةٌ ... كَانَ لَهُمْ مَخْرَجٌ مِنْهَا وَمُعْتَصَرُ (٤)
أَعْطَاهُمُ اللَّهُ جَدًّا يُنْصَرُونَ بِهِ ... لَا جَدَّ إِلَّا صَغِيرٌ بَعْدُ مُحْتَقَرُ (٥)
لَمْ يَأْشَرُوا فِيهِ إِذْ كَانُوا مَوَالِيَهُ ... وَلَوْ يَكُونُ لِقَوْمٍ غَيْرِهِمْ أَشِرُوا (٦)
شُمْسُ العَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ ... وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا (٧)
لَا يَسْتَقِلُّ ذَوُو الأَضْغَانِ حَرْبَهُمُ ... وَلَا يُبَيِّنُ فِي عِيدَانِهِمْ خَوَرُ
هُمُ الذِينَ يُبَارُونَ الرِّيَاحَ إِذَا ... قَلَّ الطَّعَامُ عَلَى العَافِينَ أَوْ قَتَرُوا (٨)
بَنِي أُمَيَّةَ نُعْمَاكُمْ مُجَلِّلَةٌ ... تَمَّتْ فَلَا مِنَّةٌ فِيهَا وَلَا كَدَرُ

---

(١) شعر الأخطل : ١ / ٢٠٠ - ٢٠٢ .
(٢) النَّبْعَة : هى من أجود الشجر . يعصبون بها : أى يلازمونها .
(٣) حَلُّوا : أى نزلوا . أرومتها : أى أصلها .
(٤) تَدَجَّتْ : أى أظلمت ،والمظلمة الكرب .
(٥) أعطاهم الله جَدًّا : أى حظا .
(٦) لَمْ يَأْشَرُوا فيه : أى لم يبطروا فيه . (٧) شمس : أى عسر .
(٨) قَتَرُوا : أى ضاق عيشهم نتيجة القلة والفقر .

لقد امتدح عبد الملك بعراقته التى تضرب فى أعماق التاريـــــخ وهذه الأبيات تعد بحق خير ماتفتقت به قريحة الأخطل الشعرية فى هذا الغرض لأنها تضمنت معانى وأفكارا غاية فى القوة والعظمـــة صورت هؤلاء القوم بأنهم أعز الناس وأكرمهم وأقدرهم على الحـــرب وأحلمهم وأصبرهم الى غير هذه المعانى العظيمة . وقد جعـــل من سواهم يقصرون عنهم فى النسب فنبتهم يعلو كل نبت وكـــل هضبة ثم يدقق فى ترتيب أفكار هذه المدحة فيجعل بنى أمية أفضل قريش ثم يجعل القرشيين أفضل الناس فكأن بنى أمية فى نظر الأخطل صفوة الصفوة . ولعمرى ان هذه المعانى بعيدة المعنى عميقـــة المدلول . ولقد تجلى ابداع الأخطل فى هذه القصيدة وظهـــرت عاطفته فعبر عما يريد مجسدا معانيه بالصور الحسية والمعنوية ، ومركزا على الأحداث التاريخية مستمدا معانيه من واقع الحياة السياسية والاجتماعية والدينية ليصوغها أفكارا تنطق بعظمة هؤلاء الممدوحيـــن وفى مقدمتهم عبد الملك الذى أوسع للأخطل كرما وجودا وتقريبـــا واشـادة .

وبعد وفاة عبد الملك اتصل هذا الشاعر بالوليد (1) ومدحـــه

---

(1) الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ولى الخلافة بعد وفـــاة أبيه سنة (٨٦هـ) وكان مهتما بالفتوحات الاسلامية فاتسعت الخلافة الاسلامية فى عهده وشملت بلادا كثيرة لم تتجاوزها بعده ولاقبلـــه كما كان ولوعا بالبناء والعمران وغير هذا من شئون الدولة توفـــى سنة (٩٦هـ) بعد خلافة دامت حوالى ثمان وعشرين سنة (٢٨هـ) . انظر سير أعلام النبلاء : ٤/ ٣٤٧ - ٣٤٨ .

وقد شاخ فتى تغلب وتقدمت به السن ،ولم يكن الوليد ذا ولـع بالشعر أو مقبلا عليه مثل أبيه وانما كان منشغلا بأمر المسلمين ، ومهام الفتوح التى اتسعت فى عهده (١) اتساعا لا نظير له فـى التاريخ ومع هذا لم نجد فى مدائح الشعراء له مايشير من قريب أو بعيد الى هذه الفتوح ومنها على سبيل المثال فتح الأندلس الذى يعد أعظم حدث فى تاريخ الدولة الاسلامية .

ولقد كان للوليد موقف من النصارى اذ شدد عليهم الجزية وهدم بعض بيعهم وحولها الى مساجد . (٢)

ومن الطبيعى أن يكون لهذه العوامل وغيرها (٣) أثر واضح فيما انبثق عن الأخطل من مدائح لبنى أمية بعامة والوليد بخاصة بعد موت عبد الملك وأن تنحسر عاطفته ويكاد يجف نبع تلك المعانى

---

(١) انظر تاريخ الاسلام د. حسن ابراهيم حسن : ١/٢٩٩-٣٠٠ .

(٢) انظر تاريخ الطبرى : ٦/٤٩٦ ،ومروج الذهب للمسعودى : ٣/١٧٥-١٦٧ ،والبداية والنهاية - لابن كثير : ٩/٧٠-٧١ ، ١٦١ ومابعدها .

(٣) كان لاستقرار الأمور للوليد بعد أن هدأت العاصفة السياسية وانصرافه لمهام الفتوح والاصلاحات أثر فى ضعف مكانة الأخطل لديه فلم يعد يأبه بدعاية شاعر نصرانى ،فقرب غيره من شعراء المسلمين .

كما يرى الأستاذ محمد محمد حسين فى كتابه الهجاء والهجاءون فى صدر الاسلام : ١١٦ - ١١٧ .

التى كانت تسير فى موكب من الصور الفنية المتلاحقة الرائعة وقد نلمس هذا التراجع من خلال قصائده التى خص بها الوليد والتى يتجلى فى أغلبها القسم كمدخل للمديح وكأنه يحس فى نفسه شيئا يباعد بينه وبين ممدوحه فيريد أن يؤكد اخلاصه بهذا القسم اذ نجده فى البائية (والحطب) يقسم برب الكعبة والستور ،والحجب ،والحجاج بأن الوليد أنقذه من المخاطر التى كانت تحيق به وآمنه من الخوف . كما يقسم فى مدحة أخرى بمن تساق له الهدايا الى الكعبة على نجابة خيل الممدوح وأصالته وثباته فى القتال كما يقسم أيضا فى مدحة ثالثة بالله الحجيج الذى نذرت له دماء البدن فى الحرم أن الوليد أنقذه .

وبهذه النفس المتأرجحة بين الرجاء والمنع يظهر الأخطل أمام الويد متضعضع الشخصية فاقدا لمكانته السالفة عند بنى أمية ضعيف العزيمة فيعوض عن هذا كله بالاكثار من صيغ القسم اذ يقول مادحا للوليد :(1)

وَقَدْ حَلَفْتُ يَمِينًا غَيرَ كَاذِبَةٍ ... بِاللَّهِ رَبِّ سُتُورِ البَيْتِ ذِى الحُجُبِ
وَكُلِّ مُوفٍ بِنَذْرٍ كَانَ يَحْمِلُهُ ... مُضَرَّجٌ بِدِمَاءِ البُدْنِ مُخْتَضِبِ
إِنَّ الْوَلِيدَ أَمِينَ اللَّهِ أَنْقَذَنِى ... وَكَانَ حِصْنًا إِلَى مَنْجَاتِهِ هَرَبِى

---

(1) شعر الأخطل : ١/ ٢٤٤

أَتَيْتُهُ وَهُمُومِي غَيْرُ نَائِمَـــةٍ   أَخَا الحِذَارِ طَرِيدَ الْقَتْلِ وَالهَرَبِ (١)
فَآمَنَ النَّفْسَ مَا تَخْشَى وَمَوَّلَهَـــا   قَدْمَ الْمَوَاهِبَ مِن أَنْوَائِهِ الرَّغَـــبِ (٢)

فهو ينسب ولايته الى الله ليخلع عليه الصفة الدينية (خليفة الله .. أمين الله ..) .

وفى هذه الأبيات وجدناه يشخص الهموم فينسب اليها الأرق (.. وهمومي غير نائمة ..) مع أنها لاتنام ولا تستيقظ لكنه وحّد بين الهموم وصاحبها تعبيرا عن قوة أرقه وعظيم مصيبته وكثيرا مانجده يركز على الصفات الدينية فى مديحه كقوله : (٣)

خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِسُنَّتِهِ   أَلْغَيْثُ مِنْ عندِ مَولَى العِلمِ مُنْتَجِبِ

فقد بالغ فى هذا المديح حتى خرج به عن مضمون الدين فأهل السنة لا يقرون مثل هذا لأن السقيا انما تطلب من الله وحده دون واسطة .

وفى معرض مديحه للوليد بالشجاعة والمجد يمتدح بنى أمية وأنه لا عديل لهم فى حلمهم وعفوهم مقابلا بين هذا المعنى وبين شدة بطشهم وغضبهم فهم ملوك حلوا من الناس فى أعلى منزلة لا تساميها منزلة غيرهم ورثوها من سابق الدهر أبا عن أب .

فيقول : (٤)

حَتَّى تَنَاهَى إِلَى القومِ الذينَ لَهُمْ   عِزُّ الْمُلُوكِ وَأَعْلَى سُورَةِ الحَسَبِ

---

(١) يحاذر القتل : أى يهرب منه كالطريد .
(٢) قَدْمَ المَوَاهِبَ : كثير العطاء ويقصد بالأنواء هنا : العطاء . والرغب : الكثيرة الواسعة .
(٣) شعر الأخطل : ١ / ٢٤٥ .
(٤) المصدر السابق : ١ / ٢٥٢ - ٢٥٣ .

بيضٌ مَصَاليتُ لَمْ يُعْدَلْ بِهِمْ أَحَدٌ ... فِي كُلِّ مُعْظَمَةٍ من سَادَةِ العَرَبِ
الأَكْثَرِينَ حَصًى وَالأَطْيَبِينَ ثَرًى ... وَالأَحْمَدِينَ قِرًى فِي شِدَّةِ اللَّزَبِ (١)
مَا إِنْ كَأَحْلَامِهِمْ حِلْمٌ إِذَا قَدَرُوا ... وَلَا كَبَطْشِهِم بَطْشٌ لَدَى الغَضَبِ
وَهُمْ ذُرَاعَبْدِ شَمْسٍ فِي أُرُومَتِهَا ... وَهُمْ صَمِيمُهُمُ لَيْسُوا مِنَ الشَّذَبِ (٢)
وَكَانَ ذَلِكَ مَقْسُومًا لِأَوَّلِهِمْ ... وِرَاثَةً وَرِثُوهَا عَنْ أَبٍ فَأَبِ

وقد يعمد في مديحه للخلفاء الى تعظيم خيلهم فخيل الوليد في نظره قد وصلت الى مشارف لم تبلغها خيل قبلها (٣) :

وَمَابَلَغَتْ خَيْلُ امْرِىءٍ كَانَ قَبْلَهُ ... بِحَيْثُ انْتَهَتْ آثَارُهُ وَمَحَارِبُهُ

ويجسد للخليفة أثناء مدحه له همومه وهموم قومه بني تغلب ومايعانونه ليبين للوليد ماحل بهم فيقول : (٤)

وَإِنَّا مَعْشَرٌ نَابَتْ عَلَيْنَا ... غَرَامَاتٌ وَمُعْضِلَةٌ كَؤُودُ (٥)
وَعَضَّ الدَّهْرِ وَالأَيَّامِ حَتَّى ... تَغَيَّرَ بَعْدَكَ الشَّعَرُ الجَدِيدُ (٦)

ولا يخرج مابقي من مدائح الأخطل للوليد عن هذا النسق الذي يلفه الالحاح في طلب النجدة والمساعدة له ولقومه مؤكدا ضعفه وقلة

---

(١) شِدَّةِ اللَّزَبِ : أي شدة القحط .
(٢) الأُرُومَة : أصل الشجر ، والشَّذَبُ : مايشذب من الشجر فيسقط ويهمل .
(٣) شعر الأخطل : ١/ ٢٩٠ - ٢٩١ .
(٤) شعر الأخطل : ٢/ ٦٢٠ .
(٥) المُعْضِلَةُ : المصيبة الشديدة . والكَؤُودُ : الصعبة .
(٦) يقصد بتغير الشعر : أنه شاب .

حيلته من خلال عبارات القسم الكثيرة التي تظهر في أغلب مدائحه للوليد (١) ولا أجد من الضروري تتبع بقية مدائح الأخطل في الوليد لأنها تكاد تكون صورة مكررة لبعضها ليس فيها مايجسد المعاني والأفكار في صور تختلف عما ذكرت لأنه في هذه الحقبة بالذات بعد أن خلص الى الوليد قد احدودب ظهره من الكبر (٢) فهو في مقام الضراعة والاستعطاف وطلب العطاء فلا مندوحة اذا من تعظيم ممدوحه ونعته بالكرم وكثرة العطاء لينالـه شيء من رفد الوليد بعد أن هدأت عاصفة السياسة واستقرت الأمور لبني أمية وعندها لم يدم للأخطل نفوذه السابق في بلاط الأمويين ،فقد أخذ النصارى يفقدون ماكانوا يتمتعون به من مكانة وعندئذ تزعزعت منزلة الأخطل لدى الوليد وتقلص سلطانه (٣) وقد خص الأخطل بعض الأمراء من بني أمية والولاة والقادة والأشراف ،والقبائل بمدائح تتفاوت فيما بينها من حيث قوة المعاني وتدفقها وترابط أفكارها وانسجام موضوعها مع مكانة كل ممدوح ،ومن هؤلاء على سبيل المثال - بشر بن مروان (٤) - فقد اتصل به الأخطل ومدحه

---

(١) أنظر مثلا شعر الأخطل : ١/٢٢٢ ، ٢٧٠ - ٢٧١ .

(٢) ربما كان يرسل قصائده للوليد في دمشق ويبقى في الجزيرة بعد أن تقدمت به السن وبلغ من الكبر عتيا . ولم يك بدعا في هذا فقد روى عن جرير أنه فعل ذلك في شيخوخته .

(٣) انظر الهجاء والهجاءون في صدر الاسلام - د . محمد محمد حسين : ١١٦ - ١١٧ .

(٤) بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الأموي - =

بخمس قصائد (١) جاءت في مضمونها أقوى من مدائحه في الوليد لأنه اتصل به في عهد أخيه عبد الملك بن مروان يوم أن كانت منزلة الأخطل عند بني أمية بعيدة عن يد المتناول ، وقد امتدح بشرا بالكرم والشجاعة وكثرة العطاء وعراقة نسبه ، وهي معان درج على امتداح بني أمية بها فهو من أبناء الملوك . (٢) :

يُعَاظِمونَ أَبَا العَاصِي وَهُمْ نفَــرٌ ... فِي هَامَةٍ من قُرَيْشٍ دُونَها شَذَبُ (٣)

بِيْضٌ مَصَاليتُ أبْنَاءُ المُلوكِ فَلَــنْ ... يُدْرِكَ مَاقَدَّمُوا عُجْـمٌ وَلَا عَرَبُ

إِنْ يَحْلُمُوا عَنكَ فَالأَحْلَامُ شِيْمَتُهُـمْ ... وَالْمَوتُ سَاعَةَ يَحْمَى مِنْهُمُ الغَضَبُ

كَانوا مَوَالِيَ حَقٍّ يَطْلُبُونَ بِــهِ ... فَأَدْرَكُوهُ وَمَامَلُّوا وَلَا لَغِبُـوا

إِنْ تَكُ لِلْحَـقِّ أَسْبَابٌ يُمَدُّ بِهَـا ... فَفِي أَكُفِّهِمِ الأَرْسَانُ وَالسَّـبَبُ (٤)

(=) من أمراء بني أمية تولى امرة العراق لأخيه عبد الملك سنة (٧١هـ) كان كريما ممدحا يغرى بين الشعراء كماكان يحب سماع الشعر وتوفي سنة (٧٥هـ) . انظر : تاريخ الطبري : ٦ / ١٦٤-١٦٩ والبخلاء / للجاحظ : ٤٢٥ .

(١) انظر هذه القصائد في شعر الأخطل : ١ / ٨٤ ، ٣١٢ ، ٣٣٨ ، ٣٥٦ ، ٣٧١ ومطالعها في الجدول رقم (٢) الملحق بهذا البحث

(٢) شعر الأخطل : ١ / ٨٤ - ٨٥ . ولاشك أن هذا من أقوى ضروب المدح السياسي الذي نما في العصر العباسي فيما بعد

(٣) الشذب : الشوك والعشر .

(٤) الأرسان : جمع رسن وهو ماكان من الأزمة على الأنف .
والسبب : هو الحبل . ومايتوصل به الى غيره .
انظر معجم البستان للشيخ عبد الله البستاني : ١ / ١٠٣٨ .
المطبعة الامريكانية بيروت ١٩٢٧م .

وكعادته يشيد ببني أمية كما نلاحظ هنا ويتهم من يعادونهم بأنهم جهلاء لأن الأمويين اقتعدوا من قريش سنام المجد فلا أحد يساميهم ، ويختص بشرا بمدح مباشر فيقول في قصيدة أخرى :(١)

إِنِّي دَعَانِي إِلَى بِشْرٍ فَوَاضِلُهُ وَالْخَيْرُ قَدْ عَلِمَ الأَقْوَامُ مُتَّبَعُ
يَابِشْرُ لَوْلَمْ أَكُنْ مِنْكُمْ بِمَنْزِلَةٍ أَلْقَى يَدَيْهِ عَلَيَّ الأَزْلَمُ الجَذَعُ (٢)
أَنْتُمْ خِيَارُ قُرَيْشٍ عِنْدَ نِسْبَتِهِمْ وَأَهْلُ بَطْحَائِهَا الأَثْرَوْنَ وَالفَرَعُ
أَعْطَاكُمُ اللَّهُ مَاأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ إِذَا المُلوكُ عَلَى أَمْثَالِهِ اقْتَرَعُوا
لَيْسُوا إِذَا طَرَدُوا يَنْمِى طَرِيدُهُمُ وَلَا تَنَالُ أَكُفُّ القَوْمِ مَامَنَعُوا

وكثيرا مانجده يمتدحهم بأنهم خيار قريش وهو معنى يكاد يطرقه كل الشعراء فالكرم والأصالة والشجاعة من الأمور التي يجد فيها الشاعر متسعا لقوله فيكثر من ترديدها في شعره وقد لمسنا هذا كثيرا عند الأخطل فهاهو يمتدح بشرا كذلك بالشجاعة (٣)

أَخُو الحَرْبِ مَايَنْفَكُّ يُدْعَى لِعُصْبَةٍ حَرُورِيَّةٍ أَوْأَعْجَمِيٍّ يُقَاتِلُهُ (٤)
مُعَانٍ بِكَفَّيهِ الأَعِنَّةَ أُشْعِلَتْ لِكُلِّ عِدًى نِيرَانُهِ وَقَنَابِلُهُ (٥)

---

(١) شعر الأخطل : ٣٦٥/١ - ٣٦٦ .
(٢) الأَزْلَمُ الجَذَعُ : الشديد الكثير البلايا الفتيّ وهو يريد بالأزلم هنا الدهر ، والجذع الذي لايهرم .
(٣) شعر الأخطل : ٣٤٧/١-٣٤٨ ، وانظر مثل هذا المعنى كذلك في شعر الأخطل : ٣١٨/١ .
(٤) الحَرُورِيَّة : فرقة من الخوارج .
(٥) مُعَانٍ : أي ملازم للخيل . والقَنَابِلُ : جمع قنبلة وهي الجماعة من الخيل .

أَبَحْتَ حُصُونَ الأَعْجَمِينَ فَأَمْسَكَتْ　　بِأَبْوَابِهَا مِنْ مَنْزِلٍ أَنْتَ نَازِلُهْ
ضَرُوبٌ عَرَاقِيبَ المَطِيّ كَأَنَّمَا　　يُبَارِى جُمَادَى إِذْ شَتَا أَوْ يَخَايِلُهْ

كما يمتدحه بالكرم فيشبهه بالفرات : (١)

إِذَ غَابَ عَنَّا غَابَ عَنَّا فُرَاتُنَا　　وَإِنْ شَهْدَ أَجْدَى فَيْضُهُ وَجَدَاوِلُهْ (٢)
وَإِنَّكَ حِصْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَإِنَّنِى　　بِأَسْبَابِ حَبْلٍ مِنْكُمُ مَا أُزَايِلُهْ (٣)

وبهذا نجده يتخذ من عناصر الطبيعة أدوات ليجسد معانيه ويرسم صورة وكأنه مخترع مبدع . وقد اتصل الأخطل بكثير من الولاة ومدحهم ، ومنهم خالد بن أسيد (٤) ، وعبد الله بن سعيد بن العاص (٥) وغيرهما ، لكنه فى مدائحه لغير بنى أمية نجده يبتعد عن الصبغة السياسية ويركز على الكرم والشجاعة وحسن العطاء وهكذا تكاد تكون كل مدائحه فى بنى أمية متماثلة مع بعضها بينما نجد مدائحه فى غيرهم تختلف من حيث الحضور السياسى فتكاد تتماثل هى الأخرى مع بعضها ومن خلال استقرائنا تاريخيا وموضوعيا لمدائح الأخطل فى بنى أمية وغيرهم من الأمراء والولاة يمكن أن نجمل خصائص هذه المدائح من حيث الأفكار فنقول :

لقد برزت النواحى السياسية فى مديحه لبنى مروان أكثر من

---

(١) شعر الأخطل : ١/ ٣٤٨ .
(٢) شَهْد : أى شَهِدَ ـ انظر ماورد فى هذه الكلمة من لغات فى الكتاب : ٢/ ٢٧٩ ، والمخصص : ١٤/ ٢٢٢ . (٣) أُزَايِلُهْ: أفارقه .
(٤) هو خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية .
(٥) عبد الله بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص . / انظر : جمهرة الأنساب : ٨٠-٨١

ذى قبل وبخاصة عندما مدح عبد الملك والوليد بينما افتقدنا معانى البطولة والشجاعة في مديحه ليزيد بن معاوية الذى طغت عليه الموضوعات الجانبية الاستطرادية فحظيت المقدمات بنصيب الأسد من القصيدة في مدائحه لبنى سفيان مع أنه كان يفترض العكس بالنسبة ليزيد الذى حماه وأمنه وأغدق عليه ،وفتح له قصور بنى أمية فقد جاءت معانيه خافتة الصوت لم تكن من القوة بحيث تشكل صورا تنطق بالعظمة وتنبئ عن عاطفة صادقة تجاه يزيد ولكنه اقتصر في معانيه على ذكر حماية يزيد له . واذا كان هناك من تعليل لقلة أبيات المديح التى خصه بها وقلة معانيها وعدم رقيها الى مستوى مدائحه في عبد الملك فانه يكمن في مصاحبته ليزيد في شبابه بعيدا عن سمة الملك وهيبة الامارة فزال الحجاب بين الشاعر وهذا الممدوح ،ولاشك أن في الشباب مافيه من النزق والطيش عندئذ لم يدخل في روع الأخطل دخول البطولة فاقتصرت مدائحه له على الثناء بجميله وكرمه ،بالاضافة الى أن تجربة الأخطل الأولى في المديح قد انطلقت من هنا ،بينما حشد لعبد الملك كثيرا من صور البطولة ومعانى القوة والعظمة وتضاءلت نفسه أمام الوليد وضعفت قريحته ومنزلته في آن واحد ،وأما مدائحه في بشر فقد جاءت في أيام مجده فجوّدها ورسم له فيها صورا من البطولة والكرم وأصالة المنبت . وأما مدائحه في الولاة من غير بنى أمية فقد اقتصرت على الاشادة بكرمهم وحسن عطائهم وقيادتهم في الحروب وابتعد فيها عن الجانب السياسى ما استطاع الى ذلك سبيلا .

واذ قد انتهينا من الدراسة التاريخية والموضوعية للغـــرض الأول وهو المديح فاننا نولى وجهنا الآن شطر الغرض الآخـــــر لندرســه : ألا وهو الفخر .

ويحسن قبل الخوض فيه أن نقدم بين يدى الموضوع بمـــــا يجليه عند الأخطل . فقد عاش هذا الشاعر في طفولته وشبابـــه واقعا مريرا فاذا مااتصل بالأمويين في خلافة معاوية فلعله بــــدأ يرســـم لنفسه خطا متميزا يجتاز من خلاله الحدود الضيقة ليصـــل الى الذروة ،فأصبح سيدا في تغلب وزعيما يصلح ذات البين ويتحمل الحمالات ويتكفل بالديات حقنا للدماء ومسحا للشحناء . (١)

وقد تخطى صيته قبيلته تغلب التى تبوأ فيها مكان الزعامـــة وأصبحت له دار للضيافة يقصده فيها القاصدون وأصحاب الحاجات(٢)

وكان من الطبيعى أن يكون لهذه المكانة السامقة أثرهـــــا الواضح في نفسيته وأن تكون مددا لاينضب معينه في مفاخره بالاضافة الى مكانة تغلب ونسبها العربى الأصيل . ومع أنه لا توجد لديـــه روافد اسلامية له أو لقومه فهم نصارى يعيشون في وسط اســـــلامى كبير ،ولهذا فقد اتخذ من القبيلة ومن نفسه منطلقا لفخره ومرتكـــزا لنقائضه مع خصمه جرير .

---

(١) انظر طبقات فحول الشعراء ـ لابن سلام : ١ / ٤٨٤ ،والأغانى : ٨ / ٣٠٣ و ٣١٩ ،والموشح : ٢١٤ ،والهجاء والهجاءوون ـــ د . محمد محمد حسين : ٨٣ - ٨٧ .

(٢) انظر الأغانى : ٨ / ٣١٨ .

وقد غلبت الناحية القبلية على جل فخره وكأن حبه الشديد والتحامه بقبيلته قد فرضا عليه أن يكون ابنها البار ، ولسانها الناطق بعد أن وجد أبواب الخلفاء مفتوحة له فرأى أن أقل واجب عليه أن يفاخر بتغلب ويبين موقفها من الخلافة لأن هذه القبيلة النصرانية فى حاجة الى من يرفع اسمها بين القبائل وعند الخلفاء ولذا انبرى يشيد ببطولة قومه ويعظمهم ، وينوه بكرمهم وحمايتهم للجار ، ونجابة خيلهم التى أضفى عليها الكثير من نعوت الجلال والعظمة ، ولم يسرف كثيرا فى الفخر الشخصى ، ولعل ديانته قد كبلته بعض الشىء فى هذه الناحية .(١) فاتجه لأمجاد قومه دونما اغراق فى امجاده الخاصة كما سنرى فى الصفحات التالية ـ باذن الله ـ ونبدأ بالحديث عن الجانب القبلى فى فخر الأخطل .

××××××××××××××××××

---

(١) أنظر الأغانى : ٣٠٦/٨ .
ودراسة عن " نقائض جرير والأخطل " للدكتور عبد المجيد المحتسب : ٤٩٦ .

أما الفخر القبلي عند شاعر بني تغلب فقد انطلق فيه من واقع عريق الجذور فتغلب ليست بالقبيلة الهينة الشأن لكنها صاحبة أمجاد ولها أيامها المعروفة في الجاهلية . ولذا فان الأخطل في فخره القبلي يدوي صوته بمفاخر قبيلته ويشرف بانتمائه اليها فيتغنى بأمجادها وكان لهذا الانتماء الجياش في وجدانه المالك لروعه أثر في تزويده بالمعاني والصور .

وقد اتخذ الفخر القبلي عنده مرتكزين أساسيين : مرتكز الشجاعة والاقدام ،ومرتكز الضيافة والكرم ،وهما أساس الفخر القبلي التقليدي منذ الجاهلية .

أما الشجاعة فان تغلب في نظره قوية لا أحد يجاريها أو يتمكن منها بل هي التي تتمكن من الأعداء وتتركهم صرعى فيفتخر بهذا قائلا : (١)

نَصَبْنَا لَكُمْ رَأْسًا فَلَمْ تَكْلِمُوا بِهِ ... وَنَحْنُ ضَرَبْنَا رَأْسَكُمْ فَتَصَدَّعَا
وَنَحْنُ قَسَمْنَا الأَرْضَ نِصْفَيْنِ نِصْفُهَا ... لَنَا وَنُرَامِي أَنْ تَكُونَ لَنَا مَعَا
بِتِسْعِينَ أَلْفًا تَأْلَهُ الْعَيْنُ وَسْطَهُ ... مَتَى تَرَهُ عَيْنُ الطَّرَامَةِ تَدْمَعَا (٢)
إِذَا مَاأَكَلْنَا الأَرْضَ رَعْيًا تَطَلَّعَتْ ... بِنَا الخَيْلُ حَتَّى تَسْتَبِيحَ المُمَنَّعَا

فهو يفاخر بواقع تغلب بين أعدائها فقد عجز هؤلاء الأعداء عن منازعة التغلبيين فيما تمكن منهم بنو تغلب ومثلوا بهم غاية التمثيل ،

---

(١) شعر الأخطل : ٢ / ٥٥١ .
(٢) تَأْلَهُ العين : أي تتحير ،والطَّرَامَةُ : السحابة .

ويتجلى في هذا الفخر تطلعه الى الغلبة والتفوق اذ نصف الأرض لهم ويطمعون في النصف الآخر وفي هذا مايذكرنا بفعال" كليب[1] " في الجاهلية مما كان سببا في اشتعال حرب البسوس .

وتبد و نزعة الاستيلاء مسيطرة على معظم فخره القبلي وكأنه لاهم لتغلب سوى التوسع في أراضي الغير . (٢)

وَنَحْنُ أُنَاسٌ لاَ حُصُونَ بِأَرْضِنَا ... إِذَا الْحَرْبُ أَمْسَتْ لاَقِحًا أَوْتَلْقَحُ
وَإِنَّا لَمَمْدُودُونَ مَابَيْنَ مَنْبِجٍ ... فَغَافٍ فَعُمَانَ فَالْحِمَى لِيَ أَفْيَحُ (٣)
وَإِنَّ لَنَا بَرَّ العِرَاقِ وَبَحْرَهُ ... وَحَيْثُ تَرَى القُرْقُورَ (٤) فِي المَاءِ يَسْبَحُ
وَإِنْ ذَكَرَ النَّاسُ القَدِيمَ وَجَدْتَنَا ... لَنَا مِقْدَحًا مَجْدٍ وَلِلنَّاسِ مِقْدَحُ
بِنَا يُعْصَمُ الجِيرَانُ أَوْ يُرْفَدُ القِرَى ... وَتَأْوِي مَعَدٌّ فِي الحُرُوبِ وَتَسْرَحُ
ذَوِي يَمَنٍ إِلاَّ تُثِرْنَا لِنَصْرِنَا ... نَدَعْ بَارِقَاتٍ مِنْ سَرَابٍ تَضَحْضَحُ
فَإِمَّا مَقَامٌ صَادِقٌ كُلَّ مَوْطِنٍ ... وَأَمَّا بَيَانٌ فَالصَّرِيمَةُ أَرْوَحُ

---

(١) كليب بن ربيعة بن الحارث بن مرة التغلبي . سيّد بكر وتغلب في الجاهلية - أحد من تشبهوا بالملوك في السلطة بلغ من هيبته أنه كان يحمي مواقع السحاب وكان لايورد أحد مع ابله ولا توقد نار مع ناره ،ولا يمر أحد بين بيوته ولا يحتبي أحد في مجلسه وهو أخو مهلهل بن ربيعة ،وخال امرؤالقيس قتله جسّاس بن مرة البكري الوائلي فثار حرب السوس أطول حرب عرفت في الجاهلية / أنظر الأمالي للقالي :٢ / ١٢٩ - ١٣٤ .

(٢) شعر الأخطل : ٢ / ٧٥٠- ٧٥٢ .

(٣) مَنْبِج : مدينة قريبة من حلب . وغَاف : موضع في عمان يكثر فيه الشجر ،والأَفْيَحُ : الأوسع . (٤) القَرْقُور : السفينة العظيمة .

تَروا أَنَّنَا نَجْزِي إِذَا هِيَ أَبْهَمَتْ   بِصَمَّاءَ يُلْفَى بَابُهَا لَيْسَ يُفْتَحُ (١)
مَصَالِيتُ نَصْطَنِعُ السُّيوفَ مَعَـــاذَةً   لَنَا عَارِضٌ يَنْفِي العَدُوَّ وَيَرْجَحُ (٢)

وقد اعتمد في هذا الفخر على الأفكار الحسية التى تجسد المعنى أعظم تجسيد . ويبدو هنا وكأنه يريد أن يضع مصورا للحدود السياسية التى تسيطر عليها تغلب فيحدد في شيء من التفصيل تلك الديار التى تناثر التغلبيون فيها فسيطروا عليها وبذلوا حياتهم في سبيل العز والمجد فهم لايزالون يضرمون نار الحرب في كل مكان مخوف دليل شدتهم وشجاعتهم . (٣)

فَقُلْ لِلنَّاسِ إِنْ هُمْ فَاضَلونَـــا   يَعُدُّوا مِثْلَهُنَّ لَهُمْ جُلَالَا .
أَلَسْنَا مِنْ دِمَشْقَ إِلَى عُمَـــانٍ   مَلَأْنَا البَرَّ أَحْيَاءً حِــلَالَا .
وَدِجْلَةَ وَالْفُرَاتَ وَكُـــلَّ وَادٍ   إِلَى أَنْ خَالَطَ النَّعَمُ الجِبَالَا .
وَنَحْنُ المُوقِدُونَ بِكُلِّ ثَغْــــرٍ   ضِرَامَ الحَرْبِ تَشْتَعِلُ اشْتِعَالَا .

ويفتخر بالأراقم (٤) ذلك الحى من تغلب الذى له مكان الصدارة فيها مصورا شجاعتهم وأنهم فلقوا هامات العدو . (٥)

---

(١) الصَّمَّاء : الداهية الشديدة . وَأَبْهَمَتْ : أى اشتدت .
(٢) العَارِضُ : السحاب يعرض في الأفق ،واستعارة هنا للجيش العظيم ،وَيَرْجَحُ : أى يغلب .
(٣) انظر مجلة المشرق العدد ٦/ ٤٣٣ ،والعدد ٧/ ٤٧٥ .
(٤) الأَرَاقم : جشم ،ومالك ،وعمرو ،وثعلبة ،ومعاوية ،والحارث . بنو بكر بن حبيب بن عمرو ـ انظر المعارف لابن قتيبة : ٩٦ .
(٥) نقائض جرير والأخطل : ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ١٧٨ .

ألم تعلموا أن الأراقم فلقت ... جماجم قيس بين ودان والحضر
زحف الأراقم بالمجاز لوردها ... كالسيل سال بأبطحية سيول

ويفتخر بقومه فيأتي بأحداث يسردها سردا تعداديا ويربط بين أحداث هذا السرد التعدادي بحرف العطف (الواو) و " قد " التحقيقية . (١)

وَطَحَنَّ حَائِرَةَ المُلُوكِ بِكَلْكَلٍ ... حَتَّى احْتَذَيْنَ مِنَ الدِّمَاءِ نِعَالاَ (٢)
خُزْرَ العُيُونِ إِلَى رِيَاحٍ بَعْدَمَا ... جَعَلَتْ لِضَبَّةَ بِالسُّيُوفِ ظِلاَلاَ
وَلَقَدْ دَخَلْنَ عَلَى شَقِيقٍ بَيْتَهُ ... وَلَقَدْ رَأَيْنَ بِخَدِّ نَضْرَةَ خَالاَ
وَلَقَدْ سَمَا لَكُمُ الهُذَيْلُ (٣) فَنَالَكُمْ ... بِإِرَابَ حَيْثُ تُقَسَّمُ الأَنْفَالاَ
وَلَقَدْ عَطَفْنَ عَلَى فَزَارَةَ عَطْفَةً ... كَرَّ المَنِيحِ وَجُلْنَ ثَمَّ مَجَالاَ
وَلَقَدْ وَقَعْنَ عَلَى المَشَاعِرِ كُلِّهَا ... وَلَقَدْ قَتَلْنَ ثَقِيفَهَا وَهِلاَلاَ
وَسَقَيْنَ مَنْ عَادَيْنَ كَأْسًا مُرَّةً ... وَأَزَلْنَ جَدَّ بَنِي الحُبَابِ فَزَالاَ
وَقَتَلْنَ مَنْ حَمَلَ السِّلاَحَ وَغَيْرَهُمْ ... وَتَرَكْنَ فَلَّهُمُ عَلَيْكَ عِيَالاَ

ان هذه الأبيات كما نرى يكثر بها التكرار والسرد وذكر الوقائع وتضخيمها واحاطتها بهالة عامة من الانفعال الحماسي فذكر أعلاما من أعداء تغلب ومواقع بعينها كان النصر فيها لهم على أعدائهم

---

(١) نقائض جرير والأخطل : ٧٦- ٨١ .
(٢) حَائِرَة المُلوكِ : يعني مجتمعهم ويقصد عمرو بن هند الذي قتله عمرو بن كلثوم .
(٣) الهُذَيْلُ : من بني حرقة وهو : ابن هبيرة التغلبي ،وَإِراب : ماء لبني رياح . انظر: نقائض جرير والأخطل : ٧٧ .

وتوجد في هذه الأبيات بعض الومضات التصويرية التي ترقى بها الى درجة مقبولة من درجات الفن الشعرى بعد أن ضمن السياق اشارة معنوية الى قصة " عمرو بن كلثوم " الذى قتل" عمروبن هند " وكذلك " عصم بن النعمان التغلبى " الذى قتل " شرحبيل بن الحارث " (١)

وقد امتدح قومه بأنهم " خزر العيون " هذه الصفة التى لاعيب فيها ، وقد أشار في شيء من الايجاز الى ماوقع بينهم وبين بنى ضبه فأصابوا منهم الشيء الكثير وقد دخلوا على " شقيق الضبى وامرأته (٢) " فى بيته وقد غزوهم بجيش جل فرسانه من الأراقم ليسوا بعزل ولا أكفال بل سلاحهم كامل وهم متمرسون بركوب الخيل والثبات على دوابهم فى المعارك . ويفتخر بأن قومه مصاليت شجعان أقوياء يستأصلون جرثومة الشر أينما وجدت : (٣)

لَقَدْ عَلِمَتْ هَذِى الْقَبَائِلُ أَنَّنَا مَصَالِيتُ جَذَّامُونَ آخِيَةَ الشَّغْبِ(٤)

ويفتخر بأنهم فضلوا الناس بخصال عديدة منها الكرم ، وحماية الجار والشجاعة الى غير ذلك من الخصال الطيبة (٥)

فَضَلْنَا النَّاسَ أَنَّ الْجَارَ فِينَا يُجِيْرُ وَأَىُّ جَارٍ يُسْتَجَارُ

---

(١) عصم بن النعمان ـ ابن مالك بن عتاب أبو حنش وهو ابن عم عمرو بن كلثوم ـ الشاعر المعروف ـ قاتل شرحبيل بن الحارث الملك آكل المرار انظر جمهرة الأنساب لابن حزم : ٣٠٤ .

(٢) شقيق من بنى ضبة ونضرة امرأته ، وقد أغار الهذيل على بنى ضبة فأصاب فيهم وسبا منضورة بنت شقيق . انظر النقائض: ٧٧ .

(٣) نقائض جرير والأخطل : ٩٨ (٤) آخِيَة الشَّغْب: أى الأصل الثابت/ النقائض ٩٨ .

(٥) المصدر السابق : ١٢٨ .

وَأَنَّا نُطْعِمُ الأَضْيَافَ قِدْمًا إِذَا الْعَذْرَاءُ أَخْرَجَهَا الْقُتَارُ (١)
وَإِنَّا لَضَارِبُونَ إِذَا لَقِينَا كِبَاشَ الْقَوْمِ قَدْ عَلِمَتْ نِزَارُ (٢)
نُدَافِعُ فِي الْكَرِيهَةِ عَنْ بَنِينَا وَنَعْلَمُ أَنَّ جُبْنَ الْقَوْمِ عَارُ
بِضَرْبٍ لاَ كِفَاءَ لَهُ وَطَعْنٍ كَأَفْوَاهِ الْمَزَادِ لَهُ شَرَارُ (٣)

فهو يتغنى بمآثر قومه في معرض فخره فهم سادة ملوك يعز بهم الجار حتى يجير المطاردين ،وأن الأضياف تقصدهم في أيام الشدة والجدب ،وبطولاتهم لا يجهلها أحد في أيام الصراع والقتال ،وهاهو ينضوي تحت قبيلته تغلب ويميل معها حيث مالت شأنه في فخره القبلي كله ،ويفخر ببكر وتغلب معا مجسدا مافي نفسه من حب وولاء لهاتين القبيلتين الشقيقتين :

واذا سما للمجد فرعا وائل واستجمع الوادي عليك فسالا (٤)

وهو يريد بفرعي وائل هنا : بكر وتغلب ،ثم يأتي بجواب الشرط في البيت الثاني فيقول :

كُنْتَ الْقَذَى فِي لُجِّ أَكْدَرَ مُزْبِدٍ قَذَفَ الأَتِيُّ بِهِ فَضَلَّ ضَلاَلاَ .

وهو يتغنى بهذه الخصال الحميدة كثيرا ويزجيها في مفاخره مصورا تلك المكارم التي يحظى بها التغلبيون .(٥)

---

(١) التعبير هنا باخراج القتار للعذراء انما هو كناية عن القحط ،والقتار هو ريح اللحم المشوي / انظر : نقائض جرير والأخطل ١٢٨ ،والمصباح المنير (قَتَرَ) . (٢) كبش القوم : رئيسهم وسيدهم .
(٣) لاكفاء له : أي لا مثيل له وله شرار مثل شرار النار المتطاير/ نقائض جرير والأخطل ١٢٨ . (٤) المصدر السابق :٨٢-٨٣ .
(٥) شعر الأخطل : ٥٤٩/٢ .

وَإِنَّا لَقَوّادُونَ لِلأَمْرِ قَوْمَنَا ... يَكُونُ بِنَا مَيْمُونَهُ وَأَشَائِمُهْ
وَإِنَّا لَجَزَّاؤونَ بِالْخَيْرِ أَهْلَهُ ... وَبِالشَّرِّ حَتَّى يَسْأَمَ الشَّرَّ سَائِمُهْ

ويهتز وجدان الأخطل لصلابة قومه وشدة صمودهم للأعداء وقد أطربه هذا الصمود وهذه الشدة . (١)

إِذَا لاَنَ الصَّفَا عَنْ طُولِ نَحْتٍ ... فَإِنَّ صَفَاةَ تَغْلِبَ لاَ تَلِينُ
إِذَا قُذِفَتْ نَبَا الجُلْمُودُ عَنْهَا ... وَأَطَّتْ صَخْرَةٌ فِيهَا زَبُونُ (٢)
فَقَبْلَكَ رَامَهَا الجَبَّارُ فِينَا ... فَكَانَ لَنَا وَلِلْجَبَّارِ دِينُ (٣)

فمهما ألمت بالتغلبيين من أحداث فانهم لايلينون لها ، ولقد يلين الصخر الأصم من دونهم ومهما تألب عليهم الأعداء فانهم سيرتدون خائبين . ويستمر في فخره بأن قومه يقتحمون على الجبابرة دورهم بجيوشهم الكثيفة اللابسة للدروع والخوذ فلا أحد ينال منهم منالا لعلو مجدهم وشجاعتهم . (٤)

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ أَغْلَقَ بَابَهُ ... نَسِيرُ وَنَكْسُو الدَّارِعِينَ الْقَوَانِسَا
فَمَنْ يَأْتِنَا أَوْ يَعْتَرِضْ لِطَرِيقِنَا ... يَجِدْ أَثَرًا بَقًّا وَعِزًّا خَنَابِسَا (٥)

---

(١) شعر الأخطل : ٢ / ٥٦٣ .
(٢) أطّت الصَّخرة : أى صوتت . وَزَبُونُ : جمع زبن وهو القطع والدفع .
(٣) المراد بالدِّين هنا : الحال .
(٤) شعر الأخطل : ٢ / ٥٧٨ .
(٥) البَقّ : يريد به هنا الواسع الضخم ، والخَنَابِس : الشديد الرفيع ، والقَوانِس : جمع قونس وهو أعلى البيضة ، وأراد هنا البيضة نفسها .

كما يفتخر بأنه تغلبى الأصل نما عوده فى أفناء هذه القبيلة وهزه كرم عريق ،وقد شبه أصله الكريم بشجرة عظيمة نمت وأينعت وأنه لا يتسامى على أجداده أحد فى الفضل والسؤدد ،ويشيد كذلك ببكر فيقول : (١)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ عُودِى تَغْلِبِيٌّ ... نُضَارٌ هَزَّهُ كَرَمٌ فَطَالَا
فَسَلْنِى بِالْكِرَامِ فَإِنَّ قَوْمِي ... كِرَامٌ لَا أُرِيدُ بِهِمْ بِدَالَا
وَقَوْمِي تَغْلِبٌ وَالْحَيُّ بَكْرٌ ... فَمَنْ هَذَا يُوَازِنُنَا فِضَالَا

كما يتسامى فى فخره القبلى هذا فيصور قومه بأنهم أصحاب حلم وأخلاق ،وأنهم ليسوا ذوى طيش وجهل وهذه صفات ينبغى على الانسان الكريم أن يصونها ويتحلى بها . ويستمر الأخطل فى فخره فيصف هيئة قومه وأنهم يلبسون الثياب الفاخرة فلا يقترون على أنفسهم لأنهم كرماء وأنهم يخرسون من يتقول عليهم وهم أصحاب العدد والعدة والأحلام الثقال ويشبههم بالبحر فى فيضانه .

واذ قد ملكوا على الناس هذه الصفات فلا أحد يساميهم ويعادلهم الا قريش لأن منها الخلفاء فهم الذين يكافئون تغلب . (٢)

---

(١) هذه الأبيات من قصيدة مطلعها :

قِفَا يَاصَاحِبَيَّ بِنَا أَلِمَّا ... عَلَى دِمَنٍ نُسَائِلُهَا سُؤَالا

لم يذكرها محقق شعر الأخطل د . فخر الدين قباوة .
وقد وُجِدَتْ هذه القصيدة فى نسخة جديدة من ديوان الأخطل ببغداد ونسخة أخرى فى يد العلامة القانونى " أوجينيو غرنينى" فى مدينة ميلانو وهذه القصيدة تتألف من اثنين وستين بيتا ،أغلبها فى الفخر .
انظر مجلة المشرق العدد ٦ ص ٤٣٣ ،والعدد ٧ ص ٤٧٥ .

(٢) انظر مجلة المشرق ٦/٤٣٣ ، ٧/٤٧٥ .

تُصَانُ حُلُومُنَا وَتَرَى عَلَيْنَـــا ثِيَابَ الخَزِّ تُبْتَـذَلُ ابْتِذَالَا
فَكَمْ مِنْ قَائِلٍ قَدْ قَالَ فِينَـا فَلَمْ نَتْرُكْ لِذِى قِيْـلٍ مَقَـالَا
وَسَلْ عَنَّا فَإِنْ تَنْظُـرْ إِلَيْنَـا تَرَى عَدَدًا وَأَحْلَامًـا ثِقَـالَا
فَمَنْ يَعْـدِلْ بِنَا إِلَّا قُرَيْـشٌ أَلَسْنَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ النِّعَالَا

وقد أغرق فى البيت الأخير غبالغ الى حد غير مقبول حينما جعـل تغلب خير من وطئ النعال ، وهو مع نشوة الفخر قد نسى نفسـه وقبيلته ومن يكونون فليسوا خير الناس بل هم من أرذل البشـر لأنهم رجس لم يدخلوا فى الاسلام الذى يطهر القلوب من أدرانهـا ويخلص العبودية لله وحده لاشريك له . فكيف يكونون خير الناس؟

ويختص خيل قومه بنصيب كبير من فخره ليجسد بالتالى شجاعتهم واقدامهم ، فيصور بشئ من التهويل والتفضيل خيلهم وقد ضمـرت وهزلت من الطراد فيقول : (١)

وَطِمِرَّةٍ (٢) أَثَرُ السِّـلَاحِ بِنَحْرِهَا وَتَخَالُ فَوْقَ لَبَانِهَا جِرْيَـالَا
قُبَّ البُطُونِ (٣) قَدِ انْطَوَيْنَ مِنَ السُّرَى وَطِرَادِهِنَّ إِذَا لَقِيْنَ قِتَـالَا
مُلْحَ المُتُونِ كَأَنَّمَـا أَلْبَسْتَهَـا بِالْمَاءِ اذْ يَبِسَ النَّضِيحُ جِلَالَا
وَلَقَلَّ مَا يَلْقَيْنَ إِلَّا شُـزَّبًا (٤) يَرْكَبْنَ مِنْ عَرَضِ الْمَنِيَّةِ حَالَا

ففى هذا الفخر يتسامى بهذه الخيل الى درجة عليا من الشجاعة

---

(١) النقائض : ٧٥- ٧٧ .
(٢) الطِّمِرَّةُ : فرس أنثى وثابة وهى الطويلة القوائم وهى من الخيول الجياد
(٣) أى جمع قباء وهى الضامرة .
(٤) الشزب : أى الضمر .

والاقدام فهى لكثرة ارتيادها لميادين القتال أصبحت مضرجة نحورها بالدماء وكأنها قد صبغت باللون الأحمر وهى ضامرة قد انتابها الهزال لكثرة سيرها ولكنها متمرسة بالجوع الشديد لأنها فى قتال مستمر فى الليل والنهار مع الأعداء . ويصور شدة الكفاح الذى قامت به هذه الخيل من خلال تمثيله للعرق الذى نضح وتصبب منها فهى خيل لا تلفى الا ضامرة ، وهذه صورة مطولة للخيل وقد تضرجت نحورها بالدماء وضمرت بطونها وبدا هزالها الى آخر هذه الصورة الحسية التى يريد من خلالهاتصوير شجاعة قومه . وقد شبه خببها بخبب السباع فهى تبدو فى جريها وكأنها معجبة بنفسها لأنها جياد أصيلة .

ويمضى فى فخره ممجدا القوة محتفلا بها وكأن سنابك الخيل تقرع أذنه فيطرب وينتشى لخيل قومه قائلا : (١)

إِنَّا لَنَقْتَادُ الْجِيَادَ عَلَى الْوَجَى نَحْوَ الْعِدَى بِمَسَاعِرٍ أَبْطَالِ (٢)
وَنَسِيْرُ فِى الثَّغْرِ الْمَخُوفِ فِجَاجُهُ بِسَلاَهِبٍ جُرْدِ الْمُتُونِ طِوَالِ (٣)
خُوصٍ كَأَنَّ شَكِيمَهُنَّ مُعَلَّقٌ بِقَنَا رُدَيْنَةَ أَوْ جُذُوعِ أُوَالِ (٤)
مِنْ كُلِّ أَدْهَمَ كَالْغُرَابِ سَوَادُهُ طِرْفٍ وَأَحْمَرَ كَالأَدِيمِ نُسَالِ (٥)

---

(١) شعر الأخطل : ٢/٦٩٤ - ٦٩٧ .
(٢) الْوَجَى : أن يشكو الفرس باطن حافره ، والمساعر : جمع مسعر وهو الفارس الذى يوقد النار للحرب .
(٣) السَّلاَهِبُ : جمع سلهب وهو الفرس الطويل الجسم ، والْجُرْد : جمع أجرد وهو الخفيف الشعر . (٤) أُوَال : اسم قرية بالبحرين
(٥) الأَدْهَمُ : الأسود ، والطرف الكريم ، والأَدِيمُ : الجلد المدبوغ ، ونُسَال : أى سريع .

يُسْقَى الرَّبيع يُصَانُ غَيْرَ مُصَـرَّدٍ مَحْضَ الْعِشَارِ وَقَارِصَ الأَشْوَالِ (١)
وَدَنَا الْمُغَارُ لَهَا فَهُنَّ شَـوَازِبٌ خَلَلَ الْمَطِيِّ كَأَنَّهُنَّ مَغَالِـى (٢)
يَمْشِيْنَ إِذْ طَالَ القِيَادُ عَلَى الْوَجَى نَحْوَ العدُوِّ كَمِشْيَةِ الرِّئْبَـالِ (٣)

وهنا نجد أنه يصور خيل قومه فى موقف حماسى معظما صفاتها وخصائصها التى تبرز الصفة البطولية لتغلب ،فهم يسيرون بها فى الأماكن الطويلة المظلمة ،ويدقق فى وصف هذه الخيل معظما فخره بهذا الوصف فيصورها غائرة العيون كأن حديدة فمها معلقة بالرمح أو بجذوع النخل إذًا ، فهى شامخة باستمرار . وهى خيول أصيلة ذات صهيل مجلجل اذ يخرجون بها فى الصباح للغارة وكلها نشاط وقوة وهى تتفاوت فى ألوانها فبعضها أسود وبعضها أحمر وكلها جرد أعدتها تغلب للحرب فأكرمتها وسقتها اللبن الصافى المحض فهى عندما تهم بالغارة تبدو خفيفة كالسهام والأسود فى سرعة انقضاضها .

(١) المَحْضُ : هو اللبن الخالص . والعشار : جمع عشراء وهى الناقة التى مضى على حملها عشرة أشهر ولما تضع . وهنا يريد النواق التى وضعت حملها لأن العشار يطلق على النوق الحوامل اذا وضع بعضها وبعضها لم يضع . والقارص : الحامض من لبن الابل والأشوال : جمع شول وهى الناقة قل لبنها بعد نتاجها بستة أشهر .
(٢) يريد بالمَغَالى : السهام .
(٣) الرِّئْبَـال : من أسماء الأسد والذئب .

ويزيد من فخره أن قومه يصونون هذه الخيل ويكرمونهـــــا وينزلونها من أنفسهم منزلة الأهل فهي خيل مقربات نجيبة أصيلة (١)

إِذَا مَالْخَيْلُ ضَيَّعَهَـا رِجَـالٌ   رَبَطْنَاهَا فَشَارَكَتِ العِيَـالاَ
نُقَاسِمُهَا المَعِيشَـةَ إِذْ شَـتَوْنَا   وَنَكْسُوهَا الْبَرَاقِـعَ وَالجِـلاَلاَ
نَصُونُ الْخَيْلَ مَادُمْنَا حُضُـورًا   وَنَحْذُوهُنَّ فِي السَّفَرِ النِّعَالاَ
وَنَبْعَثُهُنَّ فِي الْغَـارَاتِ حَتَّـى   يَقُودَ الفَحْلَ صَاحِبُهُ مُذَالاَ
وَكُلَّ طِمِرَّةٍ جَـرْدَاءَ تَـرْدِي   تَرَى الْأَضْلاَعَ بَادِيَةً هُـزَالاَ
أَصَابَتْ مِنْ غُزَاةِ الْقَـوْمِ جَهْـدًا   يُعَرِّقُ مِنْ جُزَارَتِهَا المَحَالاَ (٢)
إِذَا مَلَّـتْ فَوَارِسُنَـا وَكَلَّـتْ   عِتَـاقُ الْخَيْـلِ زِدْنَاهَا كَلاَلاَ
جَنَائِبُنَا الْعِتَاقُ لَهَا صَهِيـلٌ   بِأَيْدِينَا يُعَارِضْنَ البِغَـالاَ (٣)
إِذَا نَادَى مُنَادِيـنَـا رَكِبْنَـا   إِلَى الدَّاعِي فَطِرْنَ بِنَا عِجَالاَ
فَهُنَّ إِلَى الصَّبَـاحِ مُجَلِّحَـاتٌ   بِنَا يُمْعِنَّ إِمْعَانًا رِسَـالاَ (٤)
عَوَابِسُ بِالْقَنَـا مُتَـوَاتِـرَاتٌ   تَرَى الْأَبْطَـالَ يَعْلُونَ النِّهَـالاَ (٥)
بِهَا نِلْنَ غَرَائِبَ مَنْ سِوَانَـا   وَأَحْرَزْنَـا الْقَرَائِبَ أَنْ تُنَـالاَ

---

(١) انظر مجلة المشرق العدد ٤٣٣/٦ والعدد ٤٧٥/٧ .
(٢) الجُزَارَةُ : اليدان والرجلان والعنق لأنها تستبقى للجزار ولا تدخل في المياسرة .
(٣) الجَنَائِبُ : جمع جنيبة وهي الخيل يتجنب ركوبها الا في القتال .
(٤) التَّجْلِيح : السير الشديد . والرسال : جمع رسلة وهي الفرس النشيطة السريعة العدو .
(٥) مُتَوَاتِرَاتٌ : أي متتابعات .

والأخطل في هذه الأبيات يفخر بأنهم يكرمون الخيل ويجعلونها في بيوتهم كعيالهم مما يدل على حبهم الكبير لها وفروسيتهم وشجاعتهم فقد قاسموها المعيشة وكسونها أجمل الأكسية صيانة لها ورعاية وقت السلم حتى اذا مااستعرت نار الحرب أذاقوها ألوانا من التعب وكلفوها الكثير من الجهد فهي معدة لهذا ، ويستطرد في وصف الخيل التغلبية مما يعكس شجاعتهم وشدة بطشهم وسرعة نجدتهم وتمرسهم بالقتال فقد قادتهم هذه الخيل الى النصر فقتلوا الأعداء وسبوا النساء مستحضرا صورة أخرى للخيل التغلبية فيقول : (١)

وَأَوْلَادُ الصَّرِيحِ مُسَوَّمَاتٍ ... عَلَيْهَا الأَزْدُ غُضْفًا وَالنِّمَارُ(٢)
شَوَازِبَ كَالْقَنَاقِدَ كَانَ فِيهَا ... مِنَ الْغَارَاتِ وَالْغَزْوِ اقْوِرَارُ
ذَوَابِلَ كُلَّ سَلْهَبَةٍ خَنُوفٍ ... وَأَجْرَدَ مَا يُثَبِّطُهُ الخَبَارُ
فَأَتْرَزَ لَحْمَهُ التَّعْدَاءُ حَتَّى ... بَدَتْ مِنْهُ الجَنَاجِنُ والفَقَارُ
وَقَدْ قَلِقَتْ قِلَادَةُ كُلِّ غَوْجٍ ... يُطِفْنَ بِهِ كَمَا قَلِقَ السِّوَارُ
تَرَاهُ كَأَنَّهُ سِرْحَانُ طَلٍّ ... زَهَاهُ يَوْمَ رَائِحَةٍ قِطَارُ

فصور الخيل هنا تصويرا يومىء بأنهم رجال حرب وقد تسامت وتعاظمت بطولاتها الشبيهة بالمعاناة الانسانية فهي متحفزة للقتال تخوضه بجلد وصلابة قد أعياها الكر والفر حتى هلكت وذاب لحمها وتقلقلت أعنتها ونتأت أضلاعها ..

---

(١) شعر الأخطل : ١/ ٢٨١ - ٢٨٢ .

(٢) الصَّرِيحُ : فحل تنسب اليه النجائب من الخيل ، والمسومات : المعلمات ، والأزد : الأسد جمع أسد وأراد بني أسد بن ربيعة ، والغضف : جمع أغضف وهو الكثير الوبر ، والنمار : جمع نمر ، وأراد بني النمر من ربيعة .

ورغم هذه الصورة المتناهية فى الضعف والهزال التى رسمها لها فانها لاتزال تنقض كالأسود .

وحينما نتتبع فخر الأخطل بخيل قومه نجد أنه قد صورها صورتين متباينتين . فهى فى الأولى ضامرة هزيلة أعياها السير والتعداء الى القتال ، وفى الثانية عظيمة حبيبة حلت من نفوسهم محل عيالهم يسقونها اللبن الخالص ولا يقترون عليها حبا وكرما منهم لها ومع هذا فهم لايبالون براحتها وقت القتال اذ يركبون بها الوعر والخطر وقد أعدوها لذلك فهى ضامرة كالسهم لا تحفل بالتعب والاعياء . مفتخرا بأن هذه الخيل قد قادتهم الى النصر المؤزر فسبوا نساء الأعداء بينما بقيت نساؤهم فى مأمن من السبى (١)

بِهَا نِلْنَا غَرَائِبَ مِنْ سِوَانَا ... وَأَحْرَزْنَا الغَرَائِبَ أَنْ تنَالاَ

وَمَا تَحْتَ السَّمَاءِ لَنَا ابْنُ أُخْتٍ ... بِمُرْدُ فَةٍ عَلَيهَا القِدْحُ جَالاَ

تُنَاضِلُنَا وَحَلَّ النَّاسُ عَنَّا ... فَمَا قَامَتْ لَنَا قَيْسُ نِضَالاَ

وبقدر مايفتخر بشجاعة قومه المتمثلة فى الكر والفر ، وامتطائهم صهوات الجياد النجيبة لخوض المعارك ، وما أضفاه على هذه الخيل من صور البطولة والعظمة ـ نجده كذلك يقرن هذه الشجاعة بكرمهم المتناهى فى العظمة فيدعى أن قومه فاقوا جميع الناس فى الضيافة . (٢)

أَلَسْنَا نَحْنُ أَقْرَاهُم لِضَيْفٍ ... وَأَوْفَاهُمْ إِذَا عَقَدُوا حِبَالاَ (٣)

---

(١) انظر مجلة المشرق العدد ٤٣٣/٦ ، ٤٧٥/٧ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) عَقَدُوا حِبَالاَ : أى أعطوا عهدا .

وَأَجْبَرُهُمْ لِمُخْتَبِطٍ فَقِيرٍ ... بِخَيرٍ حِيْنَ قَوَّبَ ثُمَّ نَالاَ
كِرَامُ الرِّفْدِ (١) لاَ نُعْطِي قَلِيلاً ... وَلاَ نَنْبُو لِسَائِلِنَا اعْتِلاَلاَ
سَلِ الضِّيْفَانَ لَيْلَةَ كُلِّ رِيحٍ ... تَلُفُّ البَرْكَ (٢) عَازِمَةً شَمَالاَ
أَلَسْنَا بِالْقِرَى نَمْشِي إِلَيْهِمْ ... سِرَاعًا قَبْلَ أَنْ يَضَعُوا الرِّحَالاَ
فَمَا نَجْفُوا الضِّيَافَةَ إِنْ أَقَامُوا ... وَلاَ الْجِيْرَانَ إِنْ كَرِهُوا زَوَالاَ
وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَادَامَ فِينَا ... وَنُتْبِعُهُ الكَرَامَةَ حَيْثُ مَالا

وهو فى هذا الفخر يعتمد على صيغة التفضيل التى تنم عن الاطلاق وهذه فى الواقع عاطفة جانحة من الشاعر نحو قومه فهم فى نظره " الأوفى ،والأقرى " وهم من أكثر الناس نجدة للطارئ الغريب الذى ينتجع ديارهم فينال نوالهم ،وهذه المعانى ليس فيها ابتكار ولا جدّة ،ولكنها معان مطلقة يحاول من خلالها تصوير هذا الكرم من خلال حبهم للضيف فهم لا يتعللون بالعلل والأعذار حرصا على مالهم وبخلا به ولكنهم يبذلونه رخيصا ،يشهد بذلك الضيفان أنفسهم فهم ينتجعون ديار تغلب طلبا للقرى فى الوقت الذى تشتد فيه الريح الشمالية الباردة ،وهذا المعنى مطروق منذ القدم ،ويرى أن قومه لا يقتصرون على اكرام ضيفهم مادام حالا ومقيما عندهم بل انهم يراعون كذلك جواره عندما يرتحل عنهم فهم يتبعونه الاكرام أينما حل وارتحل .

ويقول فى صورة أخرى معظما هذا الكرم : (٣)

---

(١) الرِّفْدُ : العطاء والاعانة .

(٢) البَرْك : جمع بروك وهى الابل المقيمة .

(٣) شعر الأخطل : ١/١٠٧ - ١٠٨ .

وَلَقَدْ عَلِمْتِ إِذَا العِشَارُ (١) تَرَوَّحَتْ ... هَدَجَ الرِّئَالِ تَكُبُّهُنَّ شَمَالَا
تَرْمِي العِضَاهَ بِحَاصِبٍ مِنْ ثَلْجِهَا ... حَتَّى يَبِيتَ عَلَى العِضَاهِ جُفَالَا
أَنَّا نُعَجِّلُ بِالْعَبِيطِ لِضَيْفِنَا ... قَبْلَ العِيَالِ وَنَقْتُلُ الأَبْطَالَا

فيقرن هنا بين الكرم والشجاعة وأنهم يفضلون الضيف على الأهل والولد ، ومع ذلك فالشجاعة ديدنهم فهم يفتكون بالأبطال .

ومن الحاحه في الكرم وافتخاره بأن قومه كرماء يصف تلك الابل التي أعدوها للضيفان فهي محبوسة في مرابطها لاتتعداها تحسبا لعقرها لضيف يطرق في أية ساعة .

وَمَحْبُوسَةٍ فِي الحَيِّ ضَامِنَةِ القِرَى ... إِذَا اللَّيلُ وَافَاهَا بِأَشْعَثَ سَاغِبِ (٢)
مُعَقَّرَةٍ لَاتُنْكِرُ السَّيْفَ وَسْطَهَا ... إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَعَسٌّ لِحَالِبِ
مَرَازِيحَ فِي المَأْوَى إِذَا هَبَّتِ الصَّبَا ... تُطِيفُ أَوَابِيهَا بِأَكْلَفَ شَاسِبِ (٣)
إِذَا اسْتَقْبَلَتْهَا الرِّيحُ لَمْ تَنْفَتِلْ لَهَا ... وَإِنْ أَصْبَحَتْ شُهْبَ الذُّرَى وَالْغَوَارِبِ
إِذَا مَا الدَّمُ المُهْرَاقُ أَضْلَعَ حَمْلَهُ ... وَنَابَ رَهَنَّاهَا بِأَغْلَى النَّوَائِبِ
إِذَا مَا بَدَا بِالْغَيْبِ مِنْهَا عِصَابَةٌ ... أَوَيْنَ لَهُ مَشْيَ النِّسَاءِ اللَّوَاغِبِ
يُطِفْنَ بِزَيَّافٍ كَأَنَّ هَدِيرَهُ ... إِذَا جَاوَزَ الحَيْزُومَ تَرْجِيعُ قَاصِبِ
تَرُدُّ عَلَى الظِّمْءِ الطَّوِيلِ نِطَافَهَا ... إِذَا شَوَتِ الْجَوْزَاءُ وُرْقَ الْجَنَادِبِ

---

(١) العِشَارُ : جمع عشراء الناقة التي مر على حملها عشرة أشهر ، تَرَوَّحَتْ : أي رجعت في العشي ، الرئال : جمع رأل وهو ولد النعام .
(٢) شعر الأخطل : ١ / ٣٣٤ ، والأشعث الساغب : الجائع .
(٣) " المَرَازِيح " الثقال في مباركها . " والأَوَابِي " بكارتها التي أبت أن تلقح في عامها .

كَأَنَّ لَهَاهَا فِي بَلاَعِيمِ جِنَّةٍ ... وَأَشْدَاقَهَا العُلْيَا مَغَارُ الثَّعَالِبِ (١)
إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلاَّ القَتَادُ تَجَزَّعَتْ ... مَنَاجِلُهَا أَصْلَ القَتَادِ المُكَالِبِ (٢)
تُحَطِّمُهُ تَحْتَ الجَلِيدِ فُؤُوسُهَا ... إِذَا قَنَّعَ المَشْتَى أَكُفَّ الحَوَاطِبِ
كَأَنَّ عَلَيْهَا القَسْطَلاَنِيَّ مُخْمَلاً ... إِذَا مَا اتَّقَتْ شَفَّانَهُ بِالمَنَاكِبِ (٣)

فهذه الابل المرازيح لها ثلاث خصائص تكمن في احتباسها في الحيّ وقيامها في المأوى وليس في العراء وثقل لحمها فهي تعلف وتترك في أماكنها تحسبا لأي طارئ ،وهي من أبكار الابل تأنف مواقعة الفحل . وعقر الابل للضيفان خاصية لا توجد الا عند العرب وهذا منتهى الكرم الأصيل ،وهذه الابل أعدتها تغلب نفيسة غالية تؤدى بها الديات وتفتدى بها الأرواح . وقد رسم الأخطل لها صورتين متغايرتين وقد جره الى هذا التغاير في التصوير ماعرف عنه من الاستطراد فقد صورها في الأولى محبوسة في الحيّ تعلف بعيدة عن الفحل وهي من الأبكار تفدى بها الديات . أما الصورة الثانية فتكمن في كونها في مرعاها ملتفة حول فحلها .

إِذَا مَابَدَا بِالغَيْبِ مِنْهَا عِصَابَةٌ ... أَوَيْنَ لَهُ مَشْيَ النِّسَاءِ اللَّوَاغِبِ

ومهما يكن من أمر هذه الابل فهي معدة للقرى وهي مصدر فخر للشاعر كما نرى .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxx

(١) اللها : جمع لهاة ، وهي اللحمة المشرفة على الحلق .
(٢) مَنَاجِلُهَا : أي أنيابها .
(٣) القَسْطَلانِيّ : نوع من القطف منسوبة الى قسطلة في الأندلس ، والشفان : الريح الباردة ذات النـدى .

أما الفخر الشخصي عند الأخطل فيبدو أن نصيبه قليل جدا اذا ماقيس بفخره القبلي حتى انه عندما يفتخر بنفسه لا يتناسى أن يشير الى ذروة تغلب التي ينتمي اليها : (١)

وَإِنِّي لَمِنْ عَلْيَاءِ تَغْلِبَ وَائِلٍ ... لأَطْوَلِهَا بَيْتاً وَأَثْبَتِهَا أَصْلا
أَنَا الجُشَمِيُّ (٢) الرَّحْبُ فِي الحَيِّ مَنْزِلاً ... إِذَا احْتَلَّ مَضْهُودٌ بِمَضْنِيَةٍ هَزْلا
وَعَمَّايَ نِعْمَ الْمَرْءُ عَمْرُو وَمَالِكٌ ... وَثَعْلَبَةُ المُولِي بِمَنْظُورَةٍ فَضْلا (٣)
وَقَدْ عَلِمَتْ أَفْنَاءُ تَغْلِبَ أَنَّنِي ... نُضَارٌ وَلم أَنْبُتْ بِقَرْقَرَةٍ أَثْلا (٤)
وَإِنِّيَ يَوْماً لاَ مُضِيعٌ ذِمَارَهَا ... وَلاَ مُقْلِتِي هَاجٍ هَجَا تَغْلِباً بُطْلا (٥)

انه يفتخر بمجده وسؤدده ،لأنه يحل من تغلب علياءها ،ويقيم في أرفع بيوتها ،وهو من أشرافها ،اذ أنه أرحب الناس منزلا للضيف الطارئ الذى أخذ منه الاملاق مأخذا ،ولا غرابة في هذا فأعمامه هم الذين يفيضون على الناس ،ويغدقون الأموال . ويشبه أصله بالشجر الصلب الذى ينبت في أعالي الجبال والذى رسخ عوده في أعماق الأرض ،فهو الحامي الذمار يدافع عن قبيلته ضد أى شخص يتعرض لها بالهجاء بطلا وافتراء .

---

(١) شعر الأخطل : ٢/ ٤٣١ - ٤٣٢ .
(٢) نسبة الى جشم من الأراقم " والمضهود " المقهور "والمَضْنِيَة " - المعرضة .
(٣) هم " عمرو ومالك ،وثعلبة " من الأراقم . بنو بكر بن حبيب .
(٤) " الأَفْنَاء " أى الفروع . و" النضار " مانبت في الجبل ويكون خشبه صلبا . و" القَرْقَرَةُ " الأرض اللينة ،و" الأثل " شجر لا ثمر له ولاشوك
(٥) الذِّمَارُ : العرض وكل ما يجب على الانسان حمايته .

ولذلك فان أشد الشعراء لايستطيع أن يقف في وجهه بل انهم حينما يرونه يهربون خوفا منه . (١)

إِذَا الشُّعَرَاءُ أَبْصَرَتْنِي تَشَعَّبَتْ مَقَاحِيمُهَا(٢) وَازْوَرَّ عَنِّي فُحولُهَا

ويفتخر بأنه رزين فليس بالخفيف الذى يستخف لما يطرأ من الأمور العارضة ،وأنه عندما يصيبه الدهر بمصائبه فانه لا يشكو ولا يتضجر(٣)

وَمَا يَزْدَهِينِي فِي الأُمُورِ أَخَفُّهَا وَمَا أَضْلَعَتْنِي يَوْمَ نَابَ ثَقِيلُهَا
وَلَكِنْ جَلِيلُ الرَّأْيِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَأَكْرَمُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ جَلِيلُهَا

وقد ترد في فخر الأخطل الشخصي بعض الأسماء :" كجشم ،والهذيل وأبيه غوث " يقول متفاخرا بجشم : (٤)

إِذَا هَبَطْنَ مُنَاخًا يَنْتَطِحْنَ بِهِ أَحَلَّهُنَّ سَنَامًا عَافِيًا جُشَمُ
تَرْعَاهُ إِنْ خَافَ أَقْوَامٌ وَإِنْ أَمِنُوا وَفِي الْقَبَائِلِ عَنْهُ غَيْرُنَا كَرَمُ

كما يفتخر بالهذيل الذى أغار على بني رياح بن يربوع في يوم اراب(٥)

وَلَقَدْ سَمَا لَكُمُ الْهُذَيْلُ فَنَالَكُمْ بِإِرَابَ حَيْثُ يُقَسِّمُ الأَنْفَالَا .

كما يفتخر بأبيه غوث قائلا : (٦)

---

(١) شعر الأخطل : ٢ / ٦٢٦

(٢) مَقَاحِيمُهَا : جذعانها والجذعان جمع جذع وهو الشاب الفتى من الخيل وقد شبه الشعراء هنا بالخيل .

(٣) شعر الأخطل : ٢ / ٦٢٦ . (٤) شعر الأخطل : ٢ / ٤٧١ .

(٥) نقائض جرير والأخطل : ٧٧ . (٦) شعر الأخطل : ٢/ ٧٤٩

أَلاَ جَعَلَ اللّٰهُ الأَخِلاَّءَ كُلَّهُمْ فِدَاءً لِغَوْثٍ حَيْثُ أَمْسوا وَأَصْبَحوا
فَغَوْثُ فَتَى الغَلْبَاءِ تَغْلِبَ لِلنَّدَى إِذَا عَيَّ أَقْوَامٌ لِئَامٌ وَقُرْدَحوا

ويتسامى فى هذا الفخر الشخصى ليصل الى عمرو بن كلثوم التغلبى قاتل عمرو بن هند ، وكذلك عصم بن النعمان التغلبى قاتل شرحبيل ابن الحارث (١) فيقول مفاخرا فى معرض هجاء بنى كليب (٢)

أَبَنِي كُلَيْبٍ إِنّ عَمَّيَّ اللَّذَا قَتَلاَ المُلوكَ وَفَكَّكَا الأَغْلاَلاَ

ويفتخر بكرمه الشخصى فيأتى بصورة فنية مطولة حيث يقول : (٣)

وَمُسْتَنْبِحٍ بَعْدَ الهُدُوءِ دَعَوتُهُ بِصَوتِيَ فَاسْتَعْشَى بِنِضْوٍ تَزَغَّمَا (٤)
فَجَاءَ وَقَدْ بَلَّتْ عَلَيْهِ ثِيَابَهُ سَحَابَةُ مُسْوَدٍّ من اللَّيْلِ أَظْلَمَا
وَفِي لَيْلَةٍ لاَ يَنْبَحُ الكَلْبُ ضَيْفَهَا إِذَا نَبَّهَ المُبْلُودُ فِيهَا تَغَمْغَمَا (٥)
فَلَمَّا أَضَاءَتْهُ لَنَا النَّارُ وَاصْطَلَى أَضَاءَتْ هِجَفًّا مُوحِشًا قَدْ تَهَشَّمَا (٦)
فَنَبَّهْتُ سَعْدًا بَعْدَ نَومٍ لِطَارِقٍ أَتَانَا ضَئِيلاً صَوتُهُ حِينَ سَلَّمَا (٧)
فَقُلْتُ لَهُمْ هَاتُوا ذَخِيرَةَ مَالِكٍ وَإِنْ كَانَ قَدْ لاَقَى لَبُوسًا وَمَطْعَمَا
فَقَالَ أَلاَ لاَ تُجْشِمُوهَا وَإِنَّمَا تَنَحْنَحَ دُونَ المُكْرَعَاتِ لِتَجْشَمَا (٨)

---

(١) انظر نقائض جرير والأخطل : ٧٣-٧٤ .
(٢) المصدر السابق : ٧٣ .
(٣) شعر الأخطل : ٢/٥٩٩-٦٠٠ .
(٤) النِّضْو : بعير أضناه السفر . تَزَغَّمَا : ضعف رغاؤه .
(٥) المُبْلُودُ : الثقيل البليد . والتَّغَمْغُم : الكلام الضعيف غير المفهوم
(٦) الهِجَفّ : الجافى الغليظ . (٧) سَعْد : غلام للأخطل .
(٨) المُكْرَعَاتِ من الابل الذى أدخل للاصطلاء من البرد وغشيها الدخان فاسودت أعناقها .

وَإِنِّي لَحَلَّالٌ بِيَ الْحَقُّ أَتَّقِي ... إِذَا نَزَلَ الأَضْيَافُ أَنْ أَتَجَهَّمَا
إِذَا لَمْ تَذُدْ أَلْبَانُهَا عَنْ لُحُومِهَا ... حَلَبْنَا لَهُ مِنْهَا بِأَسْيَافِنَا دَمَا

وهذه الصورة الفنية الرائعة حقا هى من أجود الصور القصصية النادرة ،ولعلها تكون الوحيدة فى فخر الأخطل يبين من خلالها حالة ذلك الضيف الذى أدركهم واصطلى نارهم فى تلك الليلة الهادئة . ثم يصور هذا الضيف وقد بدا غليظا متهشم الوجه قد ألف الاقامة فى الأمكنة الموحشة وقد نبه الأخطل سعدا ليقوم بحق الضيافة لهذا الضيف الذى يكاد يفقد صوته من شدة الاعياء فأكرمه ثم زوده بتلك الابل لتكون عونا له .

ويستمر فى توضيح الصورة التى تنم عن كرمه فيقول : انه يحلب للأضياف حتى اذا لم تف ألبانها بالغرض حلبها بسيفه لحما ناضجا للأضياف دون أن يتجهم بل يبقى فرحا مسرورا . وغاية ما هنالك أن الأخطل لم يطل فى فخره الشخصى ،ولم ينطلق فيه من نفسية متشعبة بالمعالى والمحامد فهو نصرانى ،والفخر بالصليب ليس شرفا له لأن النصارى آنذاك أقلية يعيشون وسط مجتمع اسلامى كبير . ومن هنا لم يبق للأخطل ميدان فسيح ينطلق فيه ويفتخر سوى كرم قومه وشجاعتهم التى ضخمها وأغرق فى غلوائه بعض الأحيان . وكذلك كرمه الشخصى وشجاعته ،والفخر بأبيه غوث فى حالات نادرة ،أما الصليب والنصرانية فلم نجد له فخرا بهما سوى بيتين اثنين فقط حيث يقول فى هذا :(١)

(١) شعر الأخطل : ٢/٧٤٤ - ٧٤٥ .

لَمَّا رَأَوْنَا وَالصَّلِيْبَ طَالِعَــــا وَمَارَ (١) سَرْجِيْسَ وَسُمًّا نَاقِعَــا
وَأَبْصَرُوا رَايَاتِنَا لَوَامِعَـــا كَالطَّيْرِ إِذْ تَسْتَوْرِدُ الشَّرَائِعَا

أما الخمر : فقد افتن في وصفها وافتخر بها كثيرا وبشربها ولعلها قد طغت على فخره الشخصى فأكثر من التغنى بها وباح بما يكنه لابنة الحان من حب ووفاء وقد رأى بعض الباحثين المحدثين أنه كان يفاخر بالصهباء يزجيها أنغاما مرسلة ويسترسل فى وصفها (٢)

والواقع أن الأخطل النصرانى قد أباحت له ديانته أن يصرح بشرب الخمر وبوصفها فى أى مكان شاء فأكثر من ذلك حتى سيطر سلطانها على نفسه ،وأصبحت معشوقة له يسرف فيها القول ،وينكر على من ينكر عليه شربها . وهو يعرف أنها ليست مدار فخر بل منقصة ومذلة ،ولذلك أحبها وقربها من نفسه ،ولم يفخر بها كما يظن البعض فأصبح شعره فيها شعر حب ووفاء وليس فخرا واعتزازا . وقد كانت متنفسا له يلقى لنفسه العنان فى أن تعبر التعبير الحر غير المقيد وبخاصة اذا وازنا موقفه النفسى من وصف الخمر بمواقفه الأخرى فى الفخر وغيره تلك المواقف التى كان يشعر فيها بضآلة نفسه ويكبت مشاعره اذا ما أراد أن يطلق لها العنان فتصطدم بشخصيات الخلفاء القوية التى سرعان ما كانت ترده الى صوابه والى

---

(١) "مَار" لفظة سريانية تعنى السيد . و"سَرْجِيس" هو قديس كانت تتشفع به تغلب .

(٢) انظر الأخطل الكبير حياته وشخصيته وقيمته الفنية ـ د . عبد الحليم قباوة : ١١٤ - ١٣٠ .

مكانته الحقيقيـــة في مجتمع اسلامي كبير .

ونستطيع أن نستلهم ذلك من خلال الحوار الذى دار بينـــه وبين الخليفة عبد الملك بن مروان عندما أراد أن يخرج عن طـــوره في بيته المشهور :

فَإِنْ لَمْ تُغَيِّرْهَا قُرَيْشٌ بِمُلْكِهَـــا   يَكُنْ عَنْ قُرَيْشٍ مُسْتَمَازٌ وَمزحَـــلُ

وعندها صفعه الخليفة بتساؤله القوى : الى أين ياابن اللخناء ؟ .. فاستدرك الأخطل بسرعة وثاب الى رشده بقوله : الى النـــــــار يا أمير المؤمنين (١) وبهذا التخلص اللبق من الأخطل استطـــــاع أن يرجع الى حجمه الحقيقي ويتجنب ايقاع الخليفة به .

××××××××××××××

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة : ١/ ٤٨٥ .
وأمالي المرتضى : ١/ ٢٦٧ .

ومن خلال استعراضنا لمفاخر الأخطل وجدنا أنه يفتخر في معرض مديحه لبني أمية لكنه يخفف نغمة الفخر حتى تتلاشى ، وكأنه يمتن عليهم وقوفه هو وقبيلته في صف الخلافة .

وقد تبدو معاني فخره صورة لمعاني القدماء فالشجاعة والكرم وقتل الملوك والأبطال معان مطروقة ليست من ابتكار الأخطل وحده كما نجده يفتخر برجالات قومه كعمرو بن كلثوم التغلبي ، والسفاح التغلبي ، والهذيل بن هبيرة كما افتخر بانتصارات قومه على قيس عيلان وتغنى بهذه الانتصارات كثيرا وبخاصة نقائضه مع جرير . وقد جاءت صورة الفنية سواء في فخره القبلي أم الشخصي مستمدة من البيئة تبدو عليها سمة الوصف المجرد للأشياء بعيدا عن الغوص في أعماق الصورة ومداخلها . ولذلك كان وصفه تقليديا لما كان عليه شعراء الجاهلية كما رأينا من قبل .

وان لم يعدم فخره كله من لفتات فنية موحية الا أنها ليست من الكثرة بحيث تمكننا من الحكم على فخره بالعمق والاستقصاء لدقائق الصور . وان كان في وصفه لبعض الأشياء يبدو متعمقا وبخاصة مايتصل ببيئته المحيطة به .

****

الفصل الثاني

الغرضان
لدى
الفرزدق

" " الفصل الثانــى " "
+++++++++++++++++

* * الغرضان لــدى الفــــرزدق * *

أما المديح فقد مرّ بثلاث مراحل أساسية فى حياة الشاعــر، ولعل المرحلة الأولى هى مرحلة بدء المديح وانبثاقه من نبعـــــة الفرزدق اذ لم يكن يدفعه الى هذا الغرض آنذاك فقر أو حاجـــة وانما كانت نظرته الى ما حولــه نظرة المتعالى الذى ليس فى حاجة الى استجداء الخلفاء ،والأمراء ،والولاة ،غير أنه وجد نفسه مندفعا الى المدح يزجيه لمن كانت لهم عليه منة ،فهو كريم يأسره المعـروف وكما قال الحكيم الجاهلى :

اللّــها تفتح اللّهـــــى ..

وهذه المرحلة تمثلها أشعاره فى عيسى بن خصيلة السلمى (١) وقبيلة بكــر بن وائل ،وقد وجد عند الجميع الأمن والضيافـــــــة الحسنة فى أثناء رحلته من العراق الى المدينة . (٢)

وحينما نستقرئ معانى هذه المدائح نجدها لا تتعدى الشكر

---

(١) وهو من بنى بهز وقد آوى الفرزدق حينما جد زياد فى طلبه اذ مكث عنده ثلاث ليال ثم أعطاه ناقة أرحبية ليركبها الى الشام. انظرالطبرى ٥ / ٢٤٤ .

(٢) استعدى قوم زيادا على الفرزدق وزعموا أنه هجاهم ،فأرسل فى طلبه فهرب ميمما وجهه شطر المدينة حيث واليها سعيد بن العاص وكـــان ذلك حوالى سنة (٥٠هـ) .

أنظر: طبقات فحول الشعراء: ١ / ٣٠٤ ،والعقد الفريد : ٦ / ١٤٧

لمن أنعموا عليه مشيدا بما فعلوه معه ، ولعل هذه الحادثة - وهى خروجه من العراق - كانت سببا مباشرا لاتصال الفرزدق بالأمصار ، والخروج من حيز القبيلة والبادية (١) وهو الحيز الضيق الى مجال أوسع وأرحب وهو أكناف معظم الخلافة الاسلامية .

أما المرحلة الثانية : فهى مرحلة النضج والكمال لمدائح الفرزدق .

فبعد أن وطد بنو أمية الخلافة وبسطوا نفوذهم على رقعة كبيرة من العالم القديم منذ بداية عهد عبد الملك بن مروان كثر الأشراف وتعددت البيوتات وتدفق المال فى أيدى الناس ، وكان لهذه الطفرة المادية والاستقرار الأمنى أثر فى نهوض شعر المديح فى ذلك العصر فاتخذ الشعراء قصور الخلفاء وبيوت الأشراف قبلة لهم يولونهم مدائحهم ويفتنون فى عرض تلك المدائح وما الفرزدق الا واحدا من هذا العدد الكبير من الشعراء الذين قصدوا الخلفاء ، والأمراء ، والولاة ، وغيرهم من الأشراف وعلية القوم ومدحوهم ، ويعد من هؤلاء الحجاج بن يوسف (٢) ،

---

(١) انظر كتاب الفرزدق للدكتور شاكر الفحام : ٤٠٠ .

(٢) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفى أبو محمد ، ولد فى الطائف سنة (٤٠هـ) تولى امارة مكة والمدينة والطائف فى خلافة عبد الملك بن مروان ثم العراق اذ مكث أميرا عليه عشرين سنة وتوفى سنة (٩٥ هـ) . انظر سير أعلام النبلاء للذهبى : ٣٤٣/٤ .

وابن عمه الحكم بن أيوب (١) ،وعبد الرحمن بن شيبة (٢) ،وعلى رأسهم عبد الملك بن مروان ومن كان في عصره من الرجال الفضلاء والقادة الكبار ،فقد مدح العباس بن الوليد (٣) ،وعمر بن هبيرة الفزاري (٤) ،وعبد الرحمن بن سليم الكلبي (٥) ،وهلال بن

---

(١) الحكم بن أيوب بن الحكم الثقفي أمير وهو ابن عم الحجاج قتل في خلافة سليمان بن عبد الملك سنة (٩٧هـ) .
أنظر تهذيب ابن عساكر : ٣٨٩/٤ .

(٢) عبد الرحمن بن شيبة بن أم الحكم بن عثمان الثقفي استخلفه عبد الملك بن مروان سنة (٦٩هـ) على دمشق عندما خرج لبعض غزواته ،ولد في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وتوفي في خلافة عبد الملك حوالي سنة (٦٩هـ) .
أنظر الاعلام للزركلي : ٣١٢/٣ .

(٣) العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان أمير من كبار القادة توفي حوالي سنة (١٣١) هـ .
انظر جمهرة الأنساب لابن حزم : ٨٨- ٨٩ .

(٤) عمر بن هبيرة الفزاري أمير من الدهاة الشجعان تولى عدة امارات في عهد عمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك مدحه الفرزدق وهو في السجن فأثنى عليه ،وسار الى الشام وطلب الأمان من هشام بن عبد الملك فأمنه مسلمة ورضي هشام - توفي سنة (١١٠هـ) .
الاعلام : ٦٨/٥ - ٦٩ .

(٥) عبد الرحمن بن سليم الكلبي . قائد شجاع من قواد الحجاج
انظر الطبري : ١٤١/٦ ،٣٤٩ ،٥٨٤ ،٦٠٥ .

أحوز المازني (١) وهريم بن أبي طحمة المجاشعي (٢) ، والمسور بن عمر بن عباد (٣) . وقد أكثر من مدح الولاة والأشراف والقبائل فأخذ يمدح من يراه حقيقا بالمدح ، ولم يتهافت كغيره من شعراء عصره في هذه المرحلة على أبواب الخلفاء والولاة .

ويبلغ الفرزدق ذروة الكمال والنضج بهذا الغرض ابتداء من مدائحه للوليد وسليمان ومسلمة (٤) أبناء عبد الملك . وقد تجلت في مدائحه هذه سمات الفتوة وتعالي المزهو بنفسه والمعتز بنسبه اذ لم نجده يمدح الا الكريم الجدير بالمدح مبتعدا عن التكسب

---

(١) هلال بن أحوز التميمي من بني مازن قائد شجاع .
انظر الطبري : ٢ / ٦٠٢ .

(٢) هريم بن أبي طحمة المجاشعي . من فرسان تميم وسادات بني مجاشع قائد شجاع لا يشق له غبار .
انظر تاريخ الطبري : ٦ / ٣١٤ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٥١٣ ، ٥٤٠ ، ٥٨١ ، ٥٩٠ .

(٣) المسور بن عباد من سادات أهل البصرة الممدحين .
جمهرة الأنساب : ٢٠٧ .

(٤) سليمان بن عبد الملك تولى الخلافة بعد موت الوليد سنة (٩٦هـ) فسار على نهج أخيه وأحسن الى الناس وفك الأسرى وأخلى السجون ، كان عاقلا فصيحا توفي سنة (٩٩هـ) .
ومسلمة بن بن عبد الملك بن مروان بن الحكم من قواد وأمراء بني أمية له فتوحات مشهورة مات في الشام سنة (١٢٠هـ) .
انظر المسعودي : ٢ / ١٢٧ ، والأعلام : ٧ / ٢٢٤ .

والاستجداء . (١)

وَماساقَها من حاجَةٍ أجْحَفَتْ بها　　اليْكَ ولا من قِلّةٍ في مُجاشِعِ
ولكنّها اخْتارَتْ بِلادَك رغْبَــــةً　　علَى ماسِوَاها منْ ثَنايا المَطالِعِ

فهو لايزال يشعر بشخصيته الطاغية ،ويتناسى من حوله حتى ولــو كان الخليفة ،ولايتردد في أن يخاطبه بصيغة الأمر تلك الصيغـــة النابعة أصلا من نفسية تشعر بعظمة الانتماء وطيب المحتد ويطلـب الاغاثة ليس لضعفه وانما لكرمه وتفرده بزعامة الشعر في عصره .

أَغِثْني بِكُنْهي في نِزَارٍ وَمُقْبَلَــي　　فَإني كَرِيمُ المَشْرِقَين وَشَاعِرُه(٢) !!

وهذا يخالف تلك النبرة المتهافتة عند جرير في قوله : (٣)

أغثني يافداك أبي وأُمي　　بسَيب منك إنك ذو ارتياح

فنجد مدح الفرزدق قد تحول الى فخر وتحول هذا الفخر الى طلب صريح بصيغة الأمر يؤكد عراقة الشاعر وأصالة انتمائه .

ونلحظ على مدائحه في هذه المرحلة أنها بقيت محتفظـــة بطابع الجزالة والقوة وتنوع المعاني ،وتدفقها ،والافتنـان في الصـور وهذا ماجعلنا نطلق عليها مرحلة النضج والكمال .

وكانت المرحلة الثالثة : مرحلة الذبول والتراجع ليس في الجزالة والقوة ،وانما في مسألة انحسار الوضوح عن معانيه وتداخل العبارات الناتج عن كثرة التقديم والتأخير .

---

(١) ديوان الفرزدق : ١/٣٩٣ .
(٢) من قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك . ديوان الفرزدق : ١/٢٤٨-٢٥١ . (٣) ديوان جرير : ١/٨٩ .

ولعلها سمة غالبة على شعر الفرزدق لكنها لم تظهر جلية واضحة الا في مدائح الطور الأخير [١] عندما أخذت الصور وتنوع المعاني تقل شيئا فشيئا على مر الزمن وتقدم السن بالشاعر وتغير الحال ،فحلت المبالغة محل الصور الموحية ،وتراجعت العاطفة المتدفقة ،وكأن العبقرية الشعرية التي تألقت زمنا طويلا أصابها بعض الخمول والذبول ،فأي غموض وعدم وضوح أكبر منه في قوله : [٢]

وَكُنْتُم لِهَذا النّاسِ حِينَ أَتاهُمُ ... رَسُولُ هُدى الآياتِ ذلّتْ رِقابُها
لَكُم أَنّها في الجاهليّةِ دَوّخَتْ ... لَكُمْ مِن ذُرَاها كلَّ قَرْمٍ صِعابُها

وتمثل هذه الفترة مدائحه في يزيد بن عبد الملك وأخيه هشام وابنه الوليد بن يزيد وغيرهم من رجال عصرهم .

وعلى ضوء هذه المراحل الثلاث ستكون دراستنا لغرض المديح عند الفرزدق - ان شاء الله - ذلك الشاعر الذي اشتهر في عرف النقاد بالتعقيد وكثرة التقديم والتأخير [٣] ،وهذه سمة بارزة في شعره بصفة عامة ،لكننا حينما نبحث في مكنونات اللغة الشعرية

---

(١) انظر الفرزدق - للدكتور شاكر الفحام : ٤١١ .
(٢) ديوان الفرزدق : ١/٥٨ .
(٣) كانت هذه الشهرة نتيجة لتتبع اللغويين والنحاة لما في شعره من تقديم وتأخير وتدوينهم بعض المآخذ على هذا الشاعر وقد اشتهر بمداخلة الكلام فكان ذلك سببا في اعجاب أصحاب النحو به كما يقول ابن سلام في طبقاته : ١/٣٦٤ .

عنده نجد شاعرية فذة قد لايبلغ شأوه فيها شعراء عصره أو حتى من جاءوا بعده .

ففي المرحلة الأولى عندما بدأ شعر المديح كان يعمد الى اختيار المعاني السهلة الواضحة التي تعتمد على الحقيقة أكثر مما تعتمد على المجاز ويتجلى هذا في مدائحه لعيسى بن خصيلة السلمي بقوله : (١)

فَتى الجُودِ عيسَى ذُوالمكارِمِ وَالنّدى   إِذَا المَالُ لمْ تَرْفَعْ بَخيلاً كَرَائِمُهْ

فالمعنى هنا واضح سهل لم يزد الشاعر على أن نسب الممدوح للجود والمكارم والندى . .

ويقول في قصيدة أخرى حول هذا المعنى (٢) :

فَنِعْمَ الفَتَى عيسَى إِذَا البُزْلُ حارَدَتْ   وَجَاءَتْ بِصُرَّادٍ مَعَ اللّيلِ بَارِدِ (٣)
نَمَتْهُ النّوَاصِي مِنْ سُلَيْمٍ إِلى العُلا   وأعرَاقُ صِدْقٍ بَيْنَ نَصْرٍ وَخَالِدِ
بِحَقّكَ تَحْوِي المَكْرُمَاتِ وَلَمْ تَجِدْ   أباً لَكَ إِلاّ مَاجِدًا وَابْنَ مَاجِدِ
وَأَنْتَ الذي أمْسَتْ نِزَارٌ تَعُدّهُ   لِدَفْعِ الأَعادي وَالأُمورِ الشّدَائِدِ

---

(١) ديوان الفرزدق : ٢/ ٢٠٤ - ٢٠٥ .
(٢) ديوان الفرزدق : ١/ ١٦٧ .
(٣) حاردت : أي ذهبت ألبانها . والمراد بالبزل : النياق والصراد : ريح باردة مع ندى . وقيل سحاب بارد ليس فيه ماء .
انظر اللسان (حرد ، صرد) .

فهو يصفه بالكرم والجود في الليالي الباردة الممحلة مشيدا بأجداده وأنهم حووا المكرمات ويوصل هذه المعاني الى ذهن الممدوح بألفاظ سهلة تجسد أفكار الشاعر وعاطفته تجاه ممدوحه نتيجة لما قدمه له من عون ويثني عليه فيقول : (١)

سَأُثْنِي بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَأعُـدُّهُ ... إذا القَوْمُ عَدّوا فَضْلَهُمْ في المَشاهِدِ

نَماكَ مُغيْثٌ ذو المَكَارِمِ والعُلَا ... إلى خَيْرِ حَيٍّ مِنْ سُلَيْمٍ وَوالِـدِ

فهو يعده لقاء ماقدم له - أن يباهي بهذا المعروف ويذكره له على طول الأيام وفي أوساط الناس ،ثم يشيد بجد الممدوح وقبيلته ووالده بهذا الأسلوب البسيط السهل ،ويستمر في رحلته معرجا على قبيلة بكر بن وائل فيجد عندهم الضيافة وطيب الوفادة فيمدحهم بقوله : (٢)

تَبَغَّتْ جِواراً في مَعَدٍّ فَلَمْ تَجِدْ ... لِحُرْمَتِها كالحَيِّ بَكْرِ بن وَائِلِ

أبرَّ وأوفَى ذِمَّةً يَعْقِدونَها ... وَخَيراً إذا سَاوَى الذُّرَى بالكَواهِلِ

وَسارَتْ إلى الرَّوْحاءِ خِمساً فأصْبَحتْ ... مَكَانَ الثُّرَيَّا مِنْ يَدِ المُتَنَاوِلِ (٣)

فيصفهم بالبر والوفاء والخير في وقت الشدائد ويمتدحهم بهذه الصفات كما يمتدحهم بالشجاعة وأنهم خير الناس ،مستخدما بعض

---

(١) ديوان الفرزدق : ١/ ١٦٧ .

(٢) ديوان الفرزدق : ٢ / ٩٥ .

(٣) الخمس : يقصد بها خمس ليال أي أنه سار خمسة أيام بلياليها .
والروحاء : موضع بين الحرمين على بعد ثلاثين أو أربعين ميلا من المدينة .

العبارات التى تزيد المعنى جمالا فيقول : (١)

إلى الصّيدِ من أبناءِ عَمرو بن مَرْثَدٍ   أُنيخَتْ لَبُوني عِنْدَ خَيرِ المَنَاهِلِ
إلَيْهِمْ فَأمّيهِمْ فإني وَجَدتهُمْ   حِجازاً لمنْ يَخشَى اصْطفاقَ الزّلازلِ

ونجد الفرزدق ينطلق فى هذا الغرض مشيدا بفضل بكر وقد زاد المعنى جمالا تعبيره بالمجاز كما نرى فى الشطر الثانى من البيت الثانى ،والذى بدأه بصيغة الأمر فكأنه لا يعرف على ظهر البسيطة من هو خير منهم فأمر مطيته بالتوجه اليهم فورا .

ويستقر به المطاف عند سعيد بن العاص (٢) وكنا نتوقع أن نجد للفرزدق قصائد عدة يمتدحه بها لما له عليه من أياد بيضاء فقد أمنه من زياد . ومع هذا فلم نجد فى ديوانه المطبوع سوى قصيدة واحدة فقط أغلبها فى مدح بنى أمية عامة ولم يكن نصيب سعيد منها الا بيتين أو ثلاثة (٣) ،ليست من القوة والجزالة بحيث تصور لنا شخصية سعيد الذى أمن الشاعر .

وكل ماهنالك أن المقربين من الفرزدق نصحوه أن يلجأ الى بنى أمية هربا من زياد ،وهاهو يفصح عن هذا بقوله : (٤)

فَقَالَ ليَ الّذي يَعْنِيه شَأنِي   نَصيحَةَ قَولِهِ سِرّاً وقَالا

---

(١) ديوان الفرزدق : ٢ / ٩٥ .

(٢) انظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء : ٣ / ٤٤٤ .

(٣) ديوان الفرزدق : ٢ / ٦٩ .

(٤) ديوان الفرزدق : ٢ / ٦٩ - ٧٠ .

عَلَيْكَ بَنِى أُمَيَّةَ فَاسْتَجِرْهُمْ   وَخُذْ مِنْهم لِمَا تَخْشَى حِبَالا
فَإنّ بَنِي أُمَيّةَ في قُرَيْشٍ   بَنَوا لِبُيُوتِهِمْ عَمَداً طِوَالا
فَرَوّحْتُ القَلُوصَ الى سَعِيدٍ   إذا ما الشّاةُ في الأرْطَاةِ قَالا (١)

وتتضمن هذه الأبيات مدحا مباشرا لبنى أمية ،ويشير الى أنه يمم راحلته شطر سعيد فى المدينة بعد أن حمى النهار ،واشتدت القيلولة .

والفرزدق ذو النفس الأبية المتعالية ليس من السهل أن يجرد لسانه لمدح الناس لأنه يرى نفسه أحق بالمدح ،ولكن قدره ساقه الى هذا الطريق فلابد أن تظهر عظمة تلك النفس ويكون شعره صدى لها .

ومن هنا نجد الفرزدق فى هذه المرحلة لايزيد على أن يشكر من أنعموا عليه ،ويشيد بفضلهم بعيدا عن التشبيهات والاستعارات الكثيرة لأنه لا يتكلم من واقع تجربة طويلة فى هذا الغرض كالفخر مثلا .

ومن خلال تتبعنا لشعر المديح عند الفرزدق فى هذه المرحلة تتراءى لنا عدة سمات منها :

أن هذه المدائح تعد أول ماصدر عن الفرزدق فى هذا الغرض حيث مدح عيسى بن خصيلة السلمى وقبيلة بكر بن وائل وهو

---

(١) يريد أنه يمم وجهه شطر سعيد فى وقت القيلولة فى حر شديد .
والشاة : يريد بها الثور الوحشى .

فى طريقه الى سعيد بن العاص والى المدينة من قبل معاوية بن أبى سفيان ومدحه له بعد أن استقر به المطاف عنده ، وكذلك الجزالة والوضوح فى الألفاظ والمعانى اذ لم يكن مديحه عسيرا ولم يشع فيه الغريب وكان بعيدا عن التعقيد الذى اشتهر به الفرزدق فيما بعد كذلك تظهر لنا هذه المدائح جانبين هامين من جوانب نفسية الفرزدق :

أما أولهما فنفسية الفرزدق الشاب النشط الذى يحس من نفسه هذه القوة وهذا النشاط اذ لم نره يبكى على فراق أهله وعشيرته ووطنه .

وأما ثانيهما فخوفه ووجله الذى ظهرت به هذه النفس فى حضرة سعيد بن العاص فهو يبرر خطأه كالخائف أو المتهم الماثل فى قفص الاتهام وهو يحاول أن يدافع عن نفسه واظهارها بالمظهر الذى لا تستحق عقابا عليه ، وكأنه يقول : مافعلت هذا الآ دفاعا عن النفس وردا على الأعداء ، ويصور هذا الضعف وهذا الوجل بقوله : (١)

إِلَيْكَ فَرَرْتُ مِنْكَ وَمِنْ زِيَادٍ　　وَلَمْ أَحْسِبْ دَمِي لَكُمَا حَلالا
وَلَكِنِّي هَجَوْتُ وَقَدْ هَجَتْنِي　　مَعَاشِرُ قَدْ رَضَخْتُ لَهُمْ سِجَالا

---

(١) ديوان الفرزدق : ٢ / ٧٠ .
وكان من نتيجة هذا الهجاء أن رفعوا أمره الى زياد فلجّ فى طلبه فهرب الى سعيد بن العاص بالمدينة كما علمنا من قبل .
انظر العقد الفريد : ٦ / ١٤٧ .

فإنْ يَكُنِ الهِجَاءُ أَحَلَّ قَتْلِي فَقَدْ قُلْنَا لِشَاعِرِهِمْ وَقَالا
وإنْ تَكُ في الهِجَاءِ تُرِيدُ قَتْلِي فَلَمْ تُدْرِكْ لِمُنْتَصِرٍ مَقَالا

محاولا أن يبرر مافعل بمنطق قوى يسوقه فى أسلوب جزل يمتزج فيه الضعف النفسى بقوة الاباء ولا ينسى فى ختام هذه الشكوى أن يشيد ببنى أمية مرة أخرى ،ويمتدحهم مدحا مباشرا يتضمن أفكارا واضحة ومعانى حقيقية . ويشيد بسعيد ويشبهه بالهلال وأنه شجاع مقدام فيقول : (١)

تَرَى الشُّمَّ الجَحَاجِحَ مِنْ قُرَيْشٍ إذا ماالأمْرُ فى الحَدَثَانِ عَالا
بَنِي عَمِّ الرَّسُولِ وَرَهْطَ عَمْرٍو وَعُثْمَانَ الَّذِينَ عَلَوْا فَعَالا
قِيَاماً يَنْظُرُونَ إلى سَعِيدٍ كَأَنَّهُمُ يَرَوْنَ بِهِ هِلَالا
ضَرُوبٍ للقَوَانِسِ غَيْرَ هِدٍّ إذَا خَطَرَتْ مُسَوَّمَةً رِعَالَا (٢)

هذه أبرز السمات التى يمتاز بها شعر المديح عند الفرزدق فى مرحلته الأولى عندما بدأ يطرق هذا الغرض .

أما المرحلة الثانية فهى مرحلة النضج والكمال لشعر المديح عند الفرزدق وتبدأ هذه المرحلة بمدائحه فى الحجاج وابن عمه الحكم بن أيوب بعد عودة الشاعر من المدينة واستقراره فى العراق

---

(١) ديوان الفرزدق : ٢/ ٦٩ - ٧١ .
(٢) لم يختص سعيدا وحده بالمدح بل أرسل الكلام عاما يشمل بنى أمية كلهم لكى يصل هذا الى أسماع من ولوه فيتخذ عندهم مكانا وجوارا .

اثر موت معاوية . (١)

ولقد شهد الفرزدق ماحدث فى العراق من أحداث جسام وأخيرا خضوع الاقليم كله لبنى أمية وتولى الحجاج امارته من قبل بنى مروان ، ومن هنا انطلق الفرزدق فى مديح الحجاج قبل أن يمدح الخليفة . (٢)

ولقد نتساءل لماذا مدح الحجاج فى البداية ؟ ولعل الاجابة على هذا التساؤل تكمن فى قوة شخصية الشاعر التى حالت بينه وبين الاسراف فى تملق الخلفاء ، وقد أبى أن يذهب الى دمشق أيام عبد الملك وابنه الوليد . (٣) فى الوقت الذى كان فيه الأخطل وجرير متهافتين على أبواب بنى أمية (٤) .

وليس معنى هذا أن الفرزدق قد مدح الحجاج بدافع الجبن والخوف لكن شخصية الحجاج الطاغية جعلت كل الناس يتقون شره فهو لا يعاقب بالسجن ولا بالقول بل يجعل من السيف فيصلا بينه وبين أى شخص يريد أن يعاقبه بأى شبهة كانت (٥) ومن أجل

---

(١) كان ذلك فى سنة (٧٥هـ) أثناء ولاية الحجاج على العراق .
انظر الكامل - لابن الأثير : ١٨٤/٤ .

(٢) كان من الطبيعى أن يمدح الحجاج قبل الخليفة لأنه أحكم السيطرة على العراق وكان أقرب الى الشاعر موطنا من الخليفة بالاضافة الى الأسباب الأخرى المذكورة هنا .

(٣) وقد صرح بذلك أثناء مدحه لسليمان بن عبد الملك .
أنظر ديوانه : ٧٦/١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ .

(٤) انظر من تاريخ الأدب العربى - د . طه حسين : ٦٤٩/١ - ٦٥٠ .

(٥) المرجع السابق : ٦٤٨/١ .

هذا فلا يلام الفرزدق فى مدحه للحجاج (١) ، وهو لا يمدحه لقاء معروف أسداه اليه ، ولكنه يمدحه بتحفظ فيزن ألفاظه قبل النطق بها ، وربما كان الحجاج يعرف أن هذه المدائح من باب النفاق والتزلف ليس الا (٢) لأنها تخلو من العاطفة الصادقة التى تهز الوجدان وتبعث فى النفس أريحية ، وانما قوامها الخوف الذى بدأ يسيطر على الناس من هذا الرجل الذى أصبح كل يخافه حتى الفرزدق وهو ابن الأكرمين - يقول : (٣)

لَقد خِفتُ حتى لوْ أَرَى المَوْتَ مقبِلاً ... ليأْخُذَنى وَالمَوْتُ يكرهُ زَائِرُهْ
لَكَانَ مِنَ الحجّاجِ أهْوَنَ رَوْعَةً ... إذا هُوَ أَغْضَى وَهْوَ سامٍ نَوَاظِرُهْ

فوصفه في اغضائه بالموت فكيف به ناظرا متأملا يقظا . ثم زاد المعنى عمقا حينما نزهه عن الاغضاء فقال : " وهو سام نواظره " وكأن المعنى يناقض ماسبق لكنه واياه ينبعان من منبع واحد ذاك هو تدقيق الشاعر فى تحديد جوانب معناه حتى لايقع السامع فى وهم .

وفى اطار هذا الخوف وهذا التخبط بدأ الفرزدق هذه المرحلة بمدائحه فى الحجاج فصوره شخصا مرهوب الجانب هيمنت سيطرته على الأحياء وملكت سطوته قلوب الناس بالرعب والوجل .(٤)

---

(١) ربما كان خوفه السابق من زياد هو الذى دفعه أن يخطب ود الحجاج بهذا المدح .

(٢) يؤيد كلامنا هذا أن الفرزدق ماكان يمدح الحجاج الا ارضاء للوليد وليس حبا فيه - انظر العقد الفريد : ٥ / ٢٨٨ .

(٣) ديوان الفرزدق : ١ / ٢٥١ . (٤) ديوان الفرزدق : ٢ / ١٣٧ .

إذا وَعَدَ الحَجّاجُ أوْهَمَّ أسقطتْ مَخافته مافى بُطُون الحَوامِلِ
لَهُ صَولةٌ مَنْ يُوقِها أنْ تُصِبَهُ يَعِشْ وَهوَ منها مُسْتَخَفُ الخَصائِل(١)
ولَمْ أَرَ كالحَجّاج عَوناً على التّقى ولا طَالباً يَوماً طَريدَةَ تابِلِ (٢)
وما أَصْبَحَ الحَجّاج يَتْلو رَعيّةً بسيرَةِ مُخْتالٍ ولا مُتضائِلِ
وكمْ من عَشي العَيْنَين أعمى فؤادُهُ أقمْتَ وذِى رَأسٍ عَن الحقّ مائلِ
بسَيْفٍ به لله تَضْرِبُ مَنْ عَصَى عَلَى قَصَرِ الأعناقِ فَوْقَ الكَواهِلِ
شَفَيْتَ مِنَ الدّاءِ العِراقَ فلمْ تدَعْ به رِيبَةً بَعْدَ اصْطِفاقِ الزّلازِلِ

وبهذه المعانى القوية المعبرة امتدح الحجاج فأى خوف يغشى الانسان ويهتزله كيانه أكبر من أن تسقط الحوامل مافى بطونهن من أجنة ؟!

وبلاغة هذه المعانى مقتبسة من القرآن الكريم حينما صور يوم القيامة وما ينتاب الناس فيه من هلع وفزع ﴿ يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها .. (٣) ﴾ ومعانى الشاعر وأفكاره فى هذه الأبيات عديدة منها الحقيقى ومنها المجازى فالحجاج له صولة من لم تصبه فهو آمن ! وهوعون على التقى لا يسأل الناس ولا يطلبهم ، أما المعنى الأكثر عمقا فيكمن فى قوله :

---

(١) الواحدة خصيلة وهى العضلة . وأراد بمستخف أنه لا ترتعد عضلاته خوفا .
(٢) التابل : هوصاحب الحقد والعدواة والثأر ،اللسان (تبل) .
(٣) سورة الحج : الآية (٢)

وكمْ من عَشِى العَيْنيَنِ أعمى فؤادُهُ   أقمْتَ وذي رَأْسٍ عَنِ الحقّ مائلِ

فكأن الحجاج جاء الى العراق وبه كثير من المنحرفين الذين أعشى لله أبصارهم وأعمى قلوبهم وأمال رؤوسهم عن الحق فقومها الحجاج بسيف الله ثم يشبهه بالطبيب الذى يحسن تشخيص الدواء للمريض ويتابعه حتى يشفى .!

والفرزدق فى هذا المديح يبتعد عن التكسب والاستجداء مصورا عظمة شخصية الممدوح أروع تصوير من خلال تصويره للمجتمع العراقى قبل مجيء الحجاج اليه ومافيه من المنحرفين والمتمردين (١)

وَكانُوا كَذِي داءٍ أصابَ شِفاءَهُ   طَبيبٌ بهِ تحتَ الشّراسيفِ داخِلِ
كوَى الداءَ بالِمكْوَاةِ حتى جَلا بِها   عن القَلْبِ عَينيْ كلّ جنٍ وخابِلِ

فأهل العراق مرضى ،والحجاج طبيب يحسن العلاج بالكى ،والكى الذى يحسنه يزيل حتى عيون الجن ويشفى المرضى من جميع أمراضهم .

ولكن مرض أهل العراق معنوى ومعرفة الحجاج بالطب ليست بالكى وانما بالسيف فجاء الشاعر بهذه الصورة ليجسد شغب أهل العراق وقوة الحجاج فى اخضاعهم مسترسلا فى بيان عيوب

---

(١) الديوان : ٢ / ١٣٧ .
(٢) الشراسيف : جمع شرسوف ،وهو الطرف اللين من الضلع مما يلى البطن .
انظر المعجم الوسيط : ١ / ٤٧٨ .

الولاة السابقين : (١)

وَكُنّا بأَرْضٍ يا ابنَ يوسُفَ لم يكُنْ ... يُبَالي بِهَا مايَرتَشِي كُلُّ عامِلِ
يَرَوْنَ إذا الخَصْمانِ جاءا إليْهِمُ ... أحَقَّهُمَا بالحَقّ أهْلَ الجَعائِلِ

وفي هذا تصوير دقيق لحياة العراق قبل مجي الحجاج اليه فالولاة يرتشون والناس تموج بهم فوضى وعدم استقرار والحق غير موجود والكاسب للدعوى من تكون جعبته مملوءة للوالي من فضول المال غير أن الحجاج اجتث هذه المظاهر وقضى عليها فهو صارم لا تطلب الحاجات عنده بالعطاء والهدايا والرشى . (٢)

وَما تُبْتَغَى الحاجاتُ عندَكَ بالرِّشَى ... وَلا تُقْتَضَى إلاّ بِما في الرَّسائِلِ

فيمتدحه بما قام به من بسط للأمن وقضاء على الفتن والفساد . وبمثل هذه المعاني الجزلة والأفكار المتنوعة يسير الفرزدق في امتداح الحجاج والحكم بن أيوب (٣) وتظهر رقة الشاعر في اختيار معانيه وألفاظه حتى غدت مدائحه صورة صادقة لشخصيته المتمردة ونفسيته الجافية ومزاجه البدوي الحاد .

واللافت للنظر أن هذا الشاعر بقي متباعدا عن بلاط الأمويين بدمشق ، ولعل تباعده هذا ناتج عن احساسه العميق بشرفه وأنه

---

(١) ديوان الفرزدق : ٢/ ١٣٧ .
(٢) الديوان : ٢/ ١٣٧ .
(٣) انظر مثلا ديوان الفرزدق : ١/ ٨٢ ، ٣٤٩ ، ٤١٧ - ٢/ ١٢٨ .

يضاهيهم فى هذا الشرف حتى اذا جاء عهد سليمان بن عبد الملك وفد على دمشق وقد أسن (١) وان كان قد مدح بنى أمية فانما كان يرسل مدائحه اليهم ويبقى فى العراق . (٢)

وأول خليفة مدحه الفرزدق هو عبد الملك بن مروان اذ خصه بقصيدة ومقطوعة وبعض الأبيات المتفرقات . (٣)

ويبدو الفرزدق فى مديحه لعبد الملك متأثرا بالسياسة اذ لم يجد بدا من السير فى ركاب بنى أمية حيث يقول فى مدح الخليفة (٤)

يا أيّها الرّاكبُ المُزجى مَطيّتَهُ ... يُريدُ مَجْمعَ حاجاتِ الأراكيبِ
إذا أتَيْتَ أميرَ المؤمنينَ فَقُلْ ... بالنّصحِ والعِلْمِ قَوْلاً غيرَ مكذوبِ
مُجاهِدٍ لِعُداةِ اللّهِ مُحْتَسِبٍ ... جِهادَهُمْ بِضِرابٍ غيرَ تَذْبيبِ
إذا الحُرُوبُ بَدَتْ أنيابُها خَرَجَتْ ... ساقًا شِهابٍ على الأعداءِ مَصْبوبِ
فَالأرضُ لِلّهِ وَلاّها خَليفَتَهُ ... وَصاحِبُ اللّهِ فيها غيرُ مَغْلوبِ

---

(١) انظر تاريخ الشعر العربى فى العصر الاسلامى للدكتور يوسف خليف : ١٨٤ .

(٢) انظر كتاب الفرزدق" للدكتور شاكر الفحام : ٤٠٣

(٣) انظر هذه القصيدة والمقطوعة والأبيات المتفرقات فى ديوانه : ١/ ٢٢ ، ٢٣ ، ١٣٥ ، ١٧٧ - ٢/ ٢٦ ، ٢٥٥ .
ويرى الدكتور شاكر الفحام أن أول خليفة وفد عليه الفرزدق هو الوليد بن عبد الملك ولكن ما أشرنا اليه هنا ينقض هذا الرأى : انظر " الفرزدق : ٤٠٣ .

(٤) ديوان الفرزدق : ١/ ٢٣ .

وحينما نتأمل هذه المدحة نجد الشاعر يعمد الى اثبات الحقائق وكأنه لايريد أن يقرع سمع الخليفة الا بحقائق ثابتة واضحة للعيان (١) . فالخليفة مجاهد للأعداء وهو محتسب هذا العمل عند الله ،والأرض له سبحانه ولاها عبد الملك ومده بعون منه وتوفيق . ولا يتورع وهو يمدح عبد الملك أن يصب غضبه على ابن الزبير تملقا للخليفة وارضاء لبني أمية فيقول : (٢)

بَعْدَ الفَسَادِ الّذي قَد كانَ قامَ بِهِ ... كَذّابُ مكّةَ من مَكْرٍ وتَخْرِيبِ
رَامُوا الخِلافَةَ في غَدْرٍ فأخطأهُم ... مِنْهَا صُدُورٌ وفَازُوا بِالعَرَاقِيبِ
كَانُوا كسالِئَةٍ حَمقاءَ اذْ حَقَنَتْ ... سِلاءَهَا في أدِيمٍ غَيرِ مَرْبُوبِ

وكأن الفرزدق قد وجد متنفسا هنا فعاد الى غرضه الذى يحسنه قبل المديح وهو الهجاء ليصبه على ابن الزبير مع أنه لم يصبه بأذى لكن السياسة تفعل الأعاجيب ،وماكان ينبغي للفرزدق نعت ابن الزبير بهذا (٣) .

---

(١) وهذا ضرب من التصوير الفنى الكامن فى الصورة التقريرية التى لا تحوى تشبيها أو مجازا وانما تجسم المعنى بحقائق ثابتة . انظر الصورة الفنية فى الشعر الجاهلى للدكتور نصرت عبد الرحمن : ١٣ .

(٢) ديوان الفرزدق : ١ / ٢٤ .وفي هذا المدح تبدو نغمة السياسة واضحة

(٣) ربما يرجع هجاء الفرزدق لابن الزبير - بالاضافة الى ارضاء الخليفة - الى نقمته عليه منذ أن قضى للنوار عندما هربت اليه فهم بقتل الفرزدق لولا أن قبلته زوجا . انظر شرح مقامات الحريرى : ١ / ٣٦٨ .

ثم يعود ثانية لمدح عبد الملك فيقول : (١)

دَعَوْا لِيَسْتَخْلِفَ الرَّحمنُ خيرَهُمُ ... واللهُ يسمَعُ دَعوى كُلِّ مكْروبِ
فانقضَّ مثلَ عتيقِ الطَّيرِ تتبَعُهُ ... مَساعِرُ الحَرْبِ مِنْ مُرْدٍ ومن شيبِ
لا يَعْلِفُ الخيلَ شَدّ ودًّا رَحائِلُها ... في مَنْزِلٍ بنهارٍ غيرَ تأويبِ
تَغْدُو الجِيادُ ويَغدو وهو في قَتَمٍ ... مِنْ وَقْعِ مُنعَلَةٍ تُزجي ومجنوبِ
قِيدَتْ لهُ من قُصورِ الشّامِ ضُمَّرُها ... يَطْلُبْنَ شرقيَّ أرضٍ بعدَ تغريبِ

فقد شبه الخليفة بالطائر القوى الذى انقض على فريسته بقوة وسرعة كما شبه جيش عبد الملك بالذئاب المسعورة . فالخليفة مثل عتيق الطير وجيشه مثل الذئاب والطير عادة يعشق العلو ويعيش فى القمم والذئاب تعيش فى الأدوية والكهوف فهذه الصورة الحسية تنبئ بعلو مكانة الخليفة وشرف منزلته فهو مستمر فى الحرب واخماد الأعداء اذ أن خيله فى سير طول النهار لا تتوقف جاءت من قصور الشام الى العراق بعد أن أنهت مهمتها فى المغرب . فهو يعلفها الجد والتشمير فى طلب العدو . ويستمر فى مديحه لعبد الملك (٢)

فأَصْبَحَ اللهُ وَلّى الأمرَ خيرَهُمُ ... بَعدَ اختِلافٍ وصَدعٍ غيرِ مشعوبِ
تُراثَ عثمانَ كانوا الأولياءَ لَهُ ... سِرْبالَ مُلْكٍ عليْهِمْ غيرَ مسلوبِ
يَحْمِي إذا لَبِسوا الماذِيَّ مُلكَهُمُ ... مِثْلَ القُرُومِ تَسامَى للمَصاعيبِ
قَوْمٌ أبوهُمْ أبو العاصي أجادَ بهِمْ ... قَرْمٌ نَجيبٌ لِحرّاتٍ مَناجيبِ

---

(١) ديوان الفرزدق : ١ / ٢٤ .

(٢) ديوان الفرزدق : ١ / ٢٥ - ٢٦

قَوْمٌ أُثِيبُوا عَلَى الإحسانِ اذْ مَلَكوا وَمِنْ يَدِ اللهِ يُرْجَى كُلُّ تَثْوِيبِ

والشاعر يعمد الى انتقاء اللفظة المصورة لتغدوا فى كلامة موحية تحمل من المعنى مالا تطيقه جملة بأكملها تكوّن بمفردها صورة تثير الخيال وتشغل الفكر فهاهو يختار صيغة المبالغة (حرّاب) لامتداح عبد الملك بأنه شجاع ينتمى لأسرة لا يظام من استجار بهم حلو من الناس محل الذؤابة .

ويأتى بعد عبد الملك ابنه الوليد فيقصده الشعراء ويمتدحونه وكان الفرزدق واحدا من أولئك حيث مدحه بست قصائد ومقطوعة (١) ولقد كانت مدائحه فى الوليد أكثر من مدائحه فى أبيه ولعل هذا راجع الى أن نفسه قد تمرست هذا الفن وانصهرت مع الشعراء الآخرين الذين ملأوا الدنيا بمديح الخلفاء ،فلم يكن له بد من أن يسلك هذا المسلك متجاهلا خفايا تلك النفس التى ما فتئت تتوق الى العلا والمجد . يقول فى الوليد : (٢)

أَلَمْ يَكُ جَهْلاً بَعْدَ سِتِّينَ حِجَّةً تَذَكُّرُ أُمِّ الفَضْلِ وَالرَّأْسُ أَشْيَبُ
أَلَسنا بِمَحقوقِينَ أَنْ نُجهِدَ السُّرَى وَأَنْ يُرْقِصَ التالي لَنا وَهوَ مُتعَبُ
إلى خَيرِ مَنْ تَحْتَ السَّماءِ أَمانَةً وَأَوْلاهُ بِالحَقِّ الذي لا يُكَذَّبُ
تُعارِضُ بِاللَّيْلِ النُّجومَ رِكابُنا وَبِالشمسِ حتى تأفلَ الشمسُ تَذأَبُ

---

(١) انظر هذه القصائد والمقطوعة فى الديوان : ١/ ٧٩، ٢٨٣ ، ٢٤٨ - ٢/ ١٢٦ ، ٢٤٣، ١٤٩، ٢٠٩ .

(٢) ديوان الفرزدق : ١/ ٧٩ .

أُنيخَتْ وماتَدْرِي أما فى ظُهورها ... مِنَ القَرْحِ أمْ مافي المَناسِمِ أنْقَبُ (١)
حَلَفْتُ بأيْدِي البُدْنِ تَدْمي نُحورُها ... نَهاراً وَماضَمَّ الصِّفاحُ وَكَبْكَبُ (٢)
لَأُمٌّ أتَتْنا بِالوَليدِ خَليفَةً ... من الشمسِ لوْ كانَ ابنُها البدرُ أنجبُ

وأول مانلاحظه على هذه القصيدة أنه بدأها بالاستفهام التقريرى ليثبت حقيقة واقعة هى أنه تجاوز الستين ،وأنه من الجهل بعد هذا العمر الطويل الذى اشتعل فيه الرأس شيبا أن يتذكر أم الفضل التى نص عليها ،وكأن ذاك الشباب الطاغى والفتوة التى عاشها قد آذنتاه بالرحيل . ثم يدخل الى غرضه وهو المدح بالاستفهام التقريرى أيضا ليقرر حقيقة لا ينكرها الا جاحد ،وهى أن الوليد خير من تحت السماء أمانة وأولاهم بالحق ،وأحراهم بأن تشد اليه الرحال . ويبين فى تصوير اخبارى محكم أن ركابهم واصلت الليل والنهار سيرا لتصل فى النهاية الى ساحة الوليد ثم يقسم بأن تلك السيدة الفضلى التى أنجبت الوليد أنجب من الشمس فيما لو كان البدر ابنها ،فقد استلهم الشاعر هذه الصورة الفنية مما يحيط به بصره من مظاهر الكون فى أسلوب مسوح لا يستطيع مثله الا الشعراء الكبار حيث قرن بين أم الوليد والشمس ثم أفاض فى المبالغة حتى أن الشمس لو كانت أنجبت البدر لكانت أم الوليد أنجب منها . ويسترسل فى المديح فيقول : (٣)

---

(١) أنقب : أى أرق .
(٢) الصفاح : جبال تتاخم نعمان ،وكبكب : جبل بعرفات .
(٣) الديوان : ١/٨٠ - ٨١ .

تَصَعّدَ جَدّ بالوليدِ إلى التي | أرى كلَّ جدٍّ[١] دونها يتصوّبُ
أرى الثقلين الجنّ والإنس أصبحا | يمدّان أعناقًا إليك تقرّبُ
وما منهما إلا يرجّي كرامةً | بكفّيك أو يخشى العقاب فيهربُ
وما دون كفّيك انتهاءٌ لراغبٍ | ولا لمناهُ من ورائك مذهبُ

ونجد الشاعر هنا يبالغ الى درجة عليا فى التعبير فيذكر أنه يرى الجن والانس يتقربون الى الوليد ويمدون اليه أعناقهم زيادة فى تعظيمه وهيبته ،وهذا المعنى يذكرنا بعمرو بن كلثوم التغلبى الذى جعل الجبابر تخر لتعظيمهم . وهذه الرؤية التى يراها الفرزدق مجازية فمن المستحيل رؤية الانس والجن معا لأن نظر الجن مما لايحيط به نظر الانسان لكن مبالغة الشاعر فى المديح اقتضت هذا السياق . وبين أن هؤلاء الجن والانس جميعا اما أن ينالهم كرامة من كفى الوليد وهذا مايرجون ، أو يصيبهم عقاب فيهربون وهذا من باب المجاز أيضا فالجن لايريدون من الوليد كرامة ولا يخافون منه عقابا . فجاء بهذا المعنى من خلال المقابلة بين شطرى البيت التالى :

وما منهما إلا يرجّي كرامةً | بكفّيك أو يخشى العقاب فيهربُ

كما أن فى شطر هذا البيت الثانى مجاز بالحذف والتقدير (أو يخشى العقاب من كفيك فيهرب) .

---

(١) ليس معنى جدّ هنا الحظ والا لكان المدح أقل قيمة من الجد الحقيقى .

ويقول مادحا الوليد أيضا : (١)

خِيارَ اللّهِ للإسْلامِ إنّا ... إلَيْكَ نَشُدّ أنْسَاعَ الصّدُورِ
سَتَحْمِلُنَا إلَيْكَ مُبَلَّغَاتٌ ... يَطَأْنَ دَماً مُكَدَّحَةُ الظّهورِ
لنأتِي خَيرَ أهْلِ الأرْضِ حَيّاً ... تُحَلُّ إلَيْهِ أحْنَاءُ الأُمُورِ

ثم يقول :ـ(٢)

وَلَكِنْ يَنْتَجِعْنَ بِنَا فُرَاتاً ... وَنيلاً يَطْمُوَانِ عَلى البُحُورِ
هُمَا في راحَتَيْكَ اذا تَلاقَى ... عُبَابُهُمَا إلى حَلَبٍ غَزِيرِ
بِهِمْ ثَبَتَتْ رَحَى الإسلامِ قَسْراً ... وَضَرْبٍ بالمُهَنّدَةِ الذّكُورِ
تَوارَثَها بَنُوا مَرْوانَ عَنْهُ ... وَعَنْ عُثْمَانَ بَعدَ تَأًى كَبِيرِ(٣)
رَجَاكَ المَشْرِقَانِ لِكُلّ عَانٍ ... وأرْمَلَةٍ وأصْحَابُ الثّغُورِ
وَكُنْتَ جَعَلتَ للعُمّالِ عَهْداً ... وَفِيْهِ العَاصِمَاتُ مِنَ الفُجُورِ
فَمَنْ يَأخُذْ بِحَبلِكَ يَجْلُ عَنهُ ... عَشَا عَيْنَيْهِ مِنكَ بَيَاضُ نُورِ
أميرَ المُؤمنينَ وأنْتَ تَشْفِي ... بِعَدْلِ يَدَيْكَ أدْوَاءَ الصّدُورِ

فيستهل هذه القصيدة ببيان فضل بنى أمية وأنهم خيار أهل الاسلام ،وأن الوليد خير أهل الأرض ثم يصفه بالفرات والنيل كرما .

وَلَكِنْ يَنْتَجِعْنَ بِنَا فُرَاتاً ... وَنيلاً يَطْمُوَانِ عَلى البُحُورِ

---

(١) الديوان : ١/٢٨٣ - ٢٨٦ .
(٢) الديوان : ١/٢٨٣ - ٢٨٦ .
(١) الثأى : الجهاد .

وهذا من أبرز مظاهر التفنن في دقة المعنى وهو في هذه الأبيات لامتداح الوليد يعرض صورة من صور الظلم والاضطهاد التي حلت بالعراق من قبل الولاة السابقين وكأن المجتمع قد فوضه للحديث عن آلامه وآماله فهو يجسد روح الشاعر الاجتماعي الذي يصور حياة قومه ويدافع عن شرفهم وأحسابهم وكأنه ينطق بلسان قومه اذ يقول مخاطبا الخليفة ومقدما شكوى المجتمع العراقي :

أَمِيرَ المُؤمنينَ وأَنْتَ تَشفِي ... بِعَدْلِ يَدَيْكَ أَدْواءَ الصُّدُورِ(١)
فَكَيْفَ بِعَامِلٍ يَسْعَى عَلَيْنَا ... يُكلِّفُنَا الدَّرَاهِمَ في البُدُورِ
وأَنَّى بالدَّرَاهِمِ وَهْيَ مِنَّا ... كَرَافِعِ رَاحَتَيْهِ إلى العَبُورِ
إِذَا سُقْنَا الفَرَائِضَ لَمْ يُرِدْهَا ... وَصَدَّ عَنِ الشُّوَيْهَةِ وَالبَعِيرِ
إِذا وَضَعَ السِّيَاطَ لَنَا نَهَاراً ... أَخَذْنَا بِالرِّبَا سَرَقَ الحَرِيرِ
فَأَدْخَلَنَا جَهَنَّمَ مَا أَخَذْنَا ... مِنَ الإِرْبَاءِ مِنْ دُونِ الظُّهُورِ
فَلَوْ سَمِعَ الخَلِيفَةُ صَوْتَ داعٍ ... يُنَادِى اللّهَ هَلْ لِي مِنْ مُجِيرِ
وَأَصْواتَ النِّسَاءِ مُقَسَّرنَاتٍ ... وَصِبْيَانٍ لَهُنَّ عَلَى الحُجُورِ
إِذًا لأَجَابَهُنَّ لِسَانُ داعٍ ... لِدِينِ اللّهِ مِغْضَابٍ نَصُورِ
أَمِينِ اللّهِ يَصْدَعُ حِينَ يَقْضِي ... بِدِينِ مُحَمَّدٍ وَبِهِ أُمُورِ

وهنا تظهر هذه اللوحة الفنية الرائعة اذ عرض لما حل بمجتمعه من الظلم والقهر في أسلوب بليغ واضح ومؤثر ، وقد أضفى على معانيه لونا من التأثير في النفس حيث شبه الخليفة بطبيب يكون

---

(١) الديوان : ١/٢٨٣ - ٢٨٦ .

على يديه شفاء الصدور مما بها من الغل وشبه العدل الذى يأتى على يديه بالدواء الناجع ثم يأتى دور الاستفهام الانكارى اذ ينكر أن يكون الخليفة راضيا عما يفعله الولاة من تكليف الناس مالا يطيقون ، وكأنه يريد أن يقول للخليفة مارأيك فيمن يكلف الرعية مالا يطيقون .

فَكَيْفَ بِعَامِلٍ يَسْعَى عَلَيْنَا ... يُكَلِّفُنَا الدَّرَاهِمَ في البُدُورِ

ومن أين لنا هذه الدراهم وهى بعيدة عنا بعد الجوزاء فالناس فى فقر والولاة يكلفونهم مالا يستطيعون ، ويبين فى أسلوب مؤثر أن ماحل بالناس دفعهم الى التعامل بالربا ، وأن هذا الربا سيئول بهم الى جهنم لأنه محرم بنص الكتاب والسنة . * وأحل الله البيع وحرم الربا * (١)

ويصور نساء مجتمعه وحالتهن المؤلمة وقد قرن وصبيانهن على حجورهن يتألم الجميع من الجوع ثم يؤكد أن الخليفة لو رأى هذا المنظر لأجاب غضبا لدين الله الذى لا يقر هذه الأشياء .

وقد عمد الشاعر هنا الى اتخاذ الصور الحقيقية التى تدل على ماحل بالمجتمع من الظلم فالوالى حينما يأتى اليه شخص بشاة أو بعير صدقة يرفضها ليأخذ مقابلها دراهم ومن لم يأت بذلك فقد أعدت له السياط التى تجعله والحالة هذه يقدم على الربا لتسديد مافرض عليه ، وهذه الأفكار التى يجسدها الفرزدق فى مديحه للوليد انما هى أفكار حقيقية تعكس صورة الوضع الاجتماعى للمجتمع .

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٧٥) .

ولعــل هذا من أخص مايميز مدائح الفرزدق فى الوليد تصويره البارع لحالة المجتمع الذى يعيش فيه وماحل به من ظلم ومن أناة فالشاعر ينهض بهذه المهمة ليوصل الى سمع الخليفة شكاة النـــاس ويصور حالهم كما مر معنا .

ويمثل هذا التفنن فى الأفكار والقوة فى المعانى والتدقيــق فى الصور تكون بقية مدائح الفرزدق فى الوليد . (١)

××××××××××××××

(١) انظر الديوان : ٢٤٨/١ - ٢٤٩ - ١٤٥/٢ .

ومن خلفاء الدولة الأموية سليمان بن عبد الملك الذى لم تدم خلافته أكثر من أربعة أعوام ، وقد اتصل به الفرزدق ومدحه بأرقى قصائده وزاد من فرط حبه له أن وفد عليه وأنشده شعره ولم يكن وفد على خليفة من قبل كما أشار هو الى ذلك بقوله : (١)

تَرَكْتُ بَنِي حَرْبٍ وَكَانُوا أئِمَّةً ... وَمَرْوَانَ لا آتِيهِ وَالْمُتَخَيَّرَا
أَبَاكَ وَقَدْ كَانَ الْوَلِيدُ أَرَادَنِي ... لِيَفْعَلَ خَيْراً أَوْ لِيُؤْمِنَ أَوْجَرَا
فَمَا كُنْتُ عَنْ نَفْسِي لأرْحَلَ طَائِعاً ... إلَى الشَّامِ حَتَّى كُنْتَ أنْتَ الْمُؤَمَّرَا

وبهذه النفسية المندفعة فى حب الخليفة سليمان كانت غرر مدائح الفرزدق بعد أن تمرست نفسه مديح الخلفاء فاختصه بسبع قصائد وثلاث مقطوعات . (٢) كانت كلها مليئة بالصور الخيالية التى تملأ النفس أريحية ، وكأنها تبث الحياة فى الكلمات والعبارات التى انتقاها الشاعر : (٣)

فَلَمَّا أَتَانِي أَنَّهَا ثَبَتَتْ لَهُ ... بِأَوْتَادِ قَرْمٍ مِنْ أُمَيَّةَ أَزْهَرَا
نَهَضْتُ بِأَكْنَافِ الْجَنَاحَيْنِ نَهْضَةً ... إلَى خَيْرِ أَهْلِ الأرْضِ فَرْعاً وَعُنْصُرَا
فَحُبُّكَ أَغْشَانِي بِلاداً بَغِيضَةً ... إلَيَّ وَرُومِيّاً بِعَمَّانَ أَقْشَرَا
فَلَوْ كُنْتُ ذَا نَفْسَيْنِ إنْ حَلَّ مُقْبِلاً ... بِإحْدَاهُمَا مِنْ دُونِكَ الْمَوْتُ أَحْمَرَا
حَبِيتُ بِأُخْرَى بَعْدَهَا إذْ تَجَرَّمَتْ ... مَدَاهَا عَسَتْ نَفْسِي بِهَا أَنْ تُعَمَّرَا

---

(١) القصيدة فى الديوان : ١/ ١٩٦ .

(٢) هذه القصائد والمقطوعات فى ديوانه ١/ ١٩، ١٩٦، ٢٦١، ٢٩١، ٢/ ٧١ - ٣٣٣، ٧٨، ٩٩، ٣٠٧، ٣٧٣ .

(٣) الديوان : ١/ ١٩٧ .

إذا لتغالتْ بالفــلاة ركابُنا   إليكَ بنا يَخْدِينَ مشْيا عشَنْزرا

ولقد جاءت الاستعارة أجمل ماتكون فى قوله :

فلمّا أتانى أنّها ثبتتْ لهُ   بأوتادِ قَومٍ مِنْ أُمَيّة أزهرا

اذ شبه ثبات الخلافة لسليمان بالبيت الذى تضرب أوتاده فى أعماق الأرض لتثبيته ،كما شبه بنى أمية بالأوتاد القوية الثابتة جذورهـا فى بطن الأرض ،ويصور نفسه تصويرا دقيقا حينما اتجه لسليمان وكأن الخبر جاءه فجأة فنهض من مكانه مسرعا لمقابلة الخليفة وتهنئته :

نَهضْتُ بأكْنافِ الجَناحَينِ نَهضَةً   إلى خَيرأهلِ الأرْض فرْعاً وعُنصرَا

وقد أكد هذه النهضة بالمفعول المطلق " نهضة " لكنه بالغ فـى الشطر الثانى فوصف سليمان بأنه خير أهل الأرض فرعا وعنصرا .

ونجد الشاعر هنا يعمد الى اختيار الألفاظ القوية المعبـرة التى تزيد المعنى قوة ،تلك الألفاظ النابعة من ذاتية الشاعـر المتمرسة حبّ البادية ، ولكنه مع هذه النفسية البدوية الجـافة قد حباه الله قريحة متوقدة فلم يكن غريبا عليه أن نجد فى البيت الواحد أوالبيتين عنده الكثير من الصور الفنية الخصبة التى تفسح للخيال أن يتمثل مايريده الشاعر من صنوف المديح .

يمثل هذا قوله :(١)

فَحُبّكَ أغشَانى بِلاداً بَغيضَــةً   إلىّ وَرَوْمِيّاً بِعَمّانَ أقْشَـرا

---

(١) الديوان : ١/١٩٧ .

فلَوْ كنتُ ذا نَفسَين إنْ حَلّ مُقْبلاً بإحداهما منْ دونكَ الموْتُ أحمَرا
حَبيتُ بأُخرى بَعْدَها إذْ تجرَّمَتْ مَداها عَسَتْ نَفسى بها أنْ تُعَمَّرا

ان اختيار الشاعر لهذه الألفاظ والمعانى القوية الجزلة كما نـرى تعطى فكرته بعدا أعمق ومفهوما أبلغ لدى القارىء أو السامع ، فكلمة " أغشانى " تعطى من الايحاء مالا تعطيه جملة بأكملهـا فهذا الحب للممدوح جعل الشاعر يستسهل الصعب ويستلذ المر حتى تلك البلاد البغيضة لديه صارت حبيبة الى نفسه ـ وبغضه لهذه البلاد ليس لها ذاتها وانما لأهلها نتيجة للعلاقة التى كانت تربط الشاعر بهم ـ أما وقد جاء سليمان فان الفرزدق حتى لو كانت له نفسان ماتت احداهما والأخرى تنازع فانه سيبقى حيّا بهذه النفس طالما بقى سليمان ، وهذا تعبير فيه من المجاز مـا يجعله يحمل من المعنى الموحى الذى يدل على سعة مفهـوم الشاعر لغرضه وسعة ثقافته العربية وتمكنه من فنه الشىء الكثيـر فهى صور فيها من العمق والاستقصاء للمعنى مالا يطيقه فيض مـن الألفاظ والمعانى مالم تكن على هذا النسق وهذا الترتيب .

ومديح الفرزدق لسليمان بن عبد الملك تتجلى فيه روعة الخيال وصدق العاطفة وبلاغة الصور الفنية التى جادت بها قريحة الشاعـر لتعبير عن نفسيـة غمرها حب الخليفـة اذ وجد الشاعر عنده مـا يريده لمجتمعـه ، فقد أطلق سليمان الأسرى وأعطى المحتاجين ، وخلص العراق من ظلم الحجاج الذى خلفه بعد وفاته ورسف فيـه المجتمع العراقى طوال العهد السابق متهما الحجاج بالظلم وقهـر

الناس ،وهذا يؤكد ماقلناه من أنه ماكان يمدح الحجاج الا اتقاء لشره ..

يقول في مدح سليمان أيضا : (١)

هَلُمّ إلى الإسْلامِ والعَدْلِ عِنْدَنَا	فَقَدْ ماتَ عن أرْضِ العِرَاقِ خَبالُها
فما أصْبَحَتْ في الأرضِ نفسٌ فَقيرَةٌ	ولا غَيْرُها إلاّ سُلَيْمَانُ مالُها
يَمِيْنُكَ في الأيْمانِ فَاصِلَةٌ لَهَا	وَخَيْرُ شِمالٍ عِنْدَ خَيْرِ شِمالُها
فَأصْبَحتَ خَيرَ النّاسِ والمُهتَدى بِهِ	إلى القَصْدِ والوُثْقَى الشّديدِ حِبالُها
يَداكَ يَدُ الأسْرَى التي أطْلَقَتْهُمُ	وأُخْرى هيَ الغَيْثُ المُغيثُ نَوالُها
وكَمْ أطلَقَتْ كفّاكَ من قيدِ بائِسٍ	ومِنْ عُقدَةٍ ماكانَ يُرْجَى انحلالُها
كثيراً مِن الأسرَى التي قَدْ تَكَنّعَتْ	فَكَكْتَ وأعْنَاقاً عَلَيْها غِلالُها
وَجَدْنا بَني مَروانَ أوْتادَ دِينِنَا	كَما الأرْضُ أوْتادٌ عَلَيْها جِبالُها
وَأنْتُمْ لِهَذا الدّينِ كَالقِبْلَةِ التي	بِها إنْ يَضِلِ النّاسُ يَهدي ضَلالُها

هذه المقطوعة مليئة بالأفكار والمعاني الصادرة عن عاطفة متأججة ،فالعدل مقرونا بالاسلام عند الخليفة سليمان ،ونتيجة لوجود هذا العدل فقد مات عن أرض العراق ماحل بها من الظلم والاضطهاد ،وسليمان هو المال لكل الأنفس الفقيرة والمحتاجة يمينه فاصلة في الايمان وشماله خير شمال ،وبهذا رسم الشاعر مدحته هذه فوصف ممدوحه كذلك بالكرم ،وهداية الناس الى الطريق المستقيم

---

(١) الديوان ٢ / ٧٦ .
وقد نظم الفرزدق هذه القصيدة في مديح سليمان وهجاء الحجاج .

وأن احدى يديه تمتد بالعفو لتطلق الأسرى ، وأما الأخـــرى فتشبه الغيث المنهمر والناس ينظرون نوالها ، وعلى يديه تفـــك القيود ، وتقضى حوائج الناس . وتزداد قوة المعنى وبراعة التصوير في قوله :

وَجَدْنا بَنى مَرْوانَ أوتادَ دِينِنَـــا ... كَمَا الأرْضُ أوْتادٌ عَلَيها جِبالُها

وَأَنْتُمْ لِهَذا الدِّينِ كالقِبْلَـــةِ التى ... بهاإنْ يَضِلَّ النّاسُ يَهدي ضَلالُها

إذ يصف بنيمروان بأنهم أوتاد للدين ، ويشبههم بالقبلة التى يجتمع المسلمون فى استقبالها ، وقد وفق الشاعر الى هذا التشبيه الذى أضفى على المعنى هيبة وجلالا .(١) وقد تجلت عبقريـــة الفرزدق الشعرية فى مديح سليمان فكانت له روائع تجلت فيهـــا عظمة الشاعر وطول نفسه وافتنانه فى الصور المعبرة كقوله : (٢)

وَإلى سُلَيْمانَ الّذي سَكَنَتْ ... أرْوَى الهِضَابِ بِهِ مِنَ الذُّعْــرِ

وَتَراجَعَ الطُّرَداءُ اذْ وَثِقُـــوا ... بالأمْنِ مِنْ رَتْبِيلَ(٣) وَالشَّحْــرِ

أَوْكُلِّ دائِرَةٍ كأَنَّ بِهَـــــا ... قاراً وَلَبْسَ سَفِينَها يَجْــرِي

---

(١) لأنه بهذا يركز على قيمة القبلة الروحية عند المسلمين فالكعبة رمـــز لاتجاههم الى الله وتوحيدهم جميعا على ملة واحدة فأراد أن يأخذ من هذا المعنى فكرة توحيد الأمة ووجوب اتباع الامام انطلاقا من قوله تعالى : * ياأيهاالذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولـى الأمر منكم * الآية ٥٩ من سورة النساء . ، فكأن طاعة الخليفة مـن طاعة الله سبحانه ، وهذه عقيدة المسلمين .

(٢) الديوان : ١ / ٢٦١ .

(٣) رتبيل : ملك من ملوك الترك . أنظر الطبرى : ٦ / ٣٢٢ .

أَوْكُلِّ صَادِقَــةٍ إذا طُلِبَـتْ ... مِنْ دُونِهَا الرِّيحُ الَّتي تُذْرِي
تُمْسِي الرِّيَــاحُ بِهَا وَقَدْ لَغِبَتْ ... أَوْ كُلِّ صَادِقَــةٍ عَلَى الفَتْــرِ (١)

والشاعر قد اعتنى كما نرى بتصوير شخصية الممدوح تصويرا يظهــــر من خلاله عظمة سليمان وقوته وأنه مد مظلة الأمن حتى شملـــــت الطرداء الذين أخافوهم طغاة الأرض ،وكذلك حيواناة الفلاة أصبحـــت آمنة مطمئنة في عهد سليمان :

وَإلى سُلَيْمَانَ الَّذِي سَكَنَــــتْ ... أَرْوَى الهِضَابِ بِهِ مِنَ الذُّعْــرِ
وَتَرَاجَعَ الطُّرَدَاءُ اذْ وَثِقُـــــوا ... بِالأَمْنِ مِنْ رَتْبِيــلَ وَالشَّحْــرِ

حتى المصيبة ثبتت فى مكانها ولم تعث فى الأرض فسادا بعــد أن تولى سليمان الخلافة ،فهى تشبه السفينة الراسية التى وضع فيهــا أثقال لتثبيتها فى مكانها .

وقد صور الشاعر هذه الأشياء ليخلص بالتالى الى امتــــداح سليمان فيقول :

أَوْ كُلِّ دَائِرَةٍ كَـأَنَّ بِهَــا ... قَاراً وَلَيْسَ سَفِينُهَا يَجْــرِي
أَوْكُلِّ صَادِقَةٍ إذا طُلِبَــتْ ... مِنْ دُونِهَا الرِّيحُ الَّتِي تُذْرِي
تُمْسِي الرِّيَاحُ بِهَا وَقَدْ لَغِبَتْ ... أَوْ كُلِّ صَادِقَةٍ عَلَى الفَتْــرِ

ولقد بلغ من براعة الفرزدق أن معانيه قد تحمل صورا واقعيــــة حدثت بالفعل وقد تكون كناية تحمل من المعنى الشيء الكثيــــر

---

(١) نلاحظ فى هذا المديح عمق المعانى وقوتها وبراعته فى تصوير هذه الشخصية العظيمة .

ففى قولـــه : (١)

كُنَّا نُنَادِي اللَّـــــهَ نَسْأَلُهُ ... في الصُّبح والأَسْحَارِ والعَصْرِ
أَنْ لَا يُمِيتَكَ أَوْ تَكُـــونَ لَنَـا ... أَنْتَ الإِمَامُ ووَالِيَ الأَمْـــرِ
فَأَجَابَ دَعْوتَنَا وأَنْقَذَنَــــا ... بِخِلَافَةِ المَهْدِيِّ مِنَ ضُـــرِّ
يَاابْنَ الخَلَائِفِ لَمْ نَجِدْ أَحَداً ... يَبْقَى لِحَزِّ نَوائِبِ الدَّهْـــرِ
إِلَّا الرَّوَاسِي وَهْيَ كَائِنَـــــةٌ ... كَالعِهْنِ وَهْيَ سَرِيعَةُ المَـــرِّ

نجد كثيرا من المعانى الحقيقية والمجازية على السواء ،فاللــــه أنقذهم بخلافة سليمان من الضر الناتج عما خلفه الحجاج وولاتـــه على العراق من الظلم والاستعباد ،فهذه المعانى الحقيقيـــة والمجازية قد تزامنت وجاءت معا فى هذه الأبيات مما زاد فـــى عمق المعنى . وتمكن الشاعر من استيفاء غرضه بمثل هذه الصـــور الجميلة .

وقولـــه كذلك : (٢)

جَعَـلَ الإِلَــهُ لَنَا خِلَافَتَــــهُ ... بُرْءَ القُرُوحِ وَعِصْمَةَ الجَبْـــرِ
كَمْ حَـلَّ عَنَّا عَدْلُ سُــــنَّتِهِ ... مِنْ مَغْـرَمٍ ثِقْلٍ وَمِنْ إِصْـــرِ
كُنَّا كَزَرْعٍ مَـاتَ كَانَ لَــــهُ ... سَاقٍ لَهُ حَدَبٌ مِنَ النَّهْـــرِ
عَدَلُـوهُ عَنْهُ في مُغْولَــــةٍ ... لِلمَاءِ بَعْدَ جِنَانِهِ الخُضْـــرِ (٣)

---

(١) الديوان : ١/٢٦٢ .
(٢) الديوان : ١/٢٦٤ .
(٣) عدلوه فى مغولة : أى فى أرض بعيدة عنه حتى مات .

أَحْيَيْتَهُ بِعُبَابٍ مُنْثَلِمٍ — وَعَلَاهُ مِنْكَ مُغَرِّقُ الدَّبْرِ
أَحْيَيْتَ أَنْفُسَنَا وَقَدْ بَلَغَتْ — مِنَّا الفَنَاءَ وَنَحْنُ فِي دُبْرِ

فهو يشبه حالهم قبل مجيء سليمان بالزرع الميت الذى كان يسقى من النهر حتى يرتوى لكنه منع عنه الماء فمات وذبل ثم جاء سليمان وأعاده اليه فنما واخضر وعادت له النضارة والجمال ، والتعبير باحياء النفس يدل على هول ماحل بهم فى العهد الماضى وعظم ماقدمه سليمان لهم بعد أن آلت اليه الخلافة فكأنه أعاد لهم الأمل فى الحياة بعد أن طوح بهم الظلم :

أَحْيَيْتَ أَنْفُسَنَا وَقَدْ هَلَكَتْ — وَجَبَرْتَ مِنَّا وَاهِيَ الكَسْرِ

فاحياء النفس بعد هلاكها يعد جبرا للكسر ، وكأن هذا الجبر جزء من الإحياء ، ومع أنه يتبادر الى الذهن عند ذكر الاحياء أنه لا لزوم لجبر الكسر ، لكن ذكره هنا نوع من أنواع التأكيد ، وهذه صورة حسية فاحياء النفس احياء عام لا يمكننا من معرفته لأننا نجهل أساسا كنه النفس : * ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا * (١) أما جبر الكسر فهو حسى مادى وليس ذكره تزيدا بل تأكيدا للمعنى عندئذ جاء ذكره للحسى المادى بعد المعنوى .

ولقد بدأ الفرزدق صانعا ماهرا يحسن التأتى لفكرته حين يختار لها مثل هذه المعانى الموحية التى لا تكلف فيها وكأنه لم

---

(١) سورة الاسراء الآية (٨٥) .

يقصد اليها قصدا .

ولو استرسلت في تعداد الصور الخيالية في هذه القصيدة ، وغيرها وماتضمنته هذه المدائح من معاني وأفكار وصور لطال حصرها لأن هذه المرحلة تمثل فترة النضج عند الشاعر في هذا الغرض نتيجة لصدق العاطفة ناحية سليمان حبا وولاء ، وما أجملها من عاطفة صادقة وصور موحية في مثل قوله : (١)

بَعَثَ الإلَهُ لَهَا وَقَدْ هَلَكَتْ ... نُورُ البِلَادِ وَمَاطِرَ القَطْرِ
يَرْجُونَ سَيْبَكَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ ... كَالنِّيلِ فَاضَ عَلَى قُرَى مِصْرِ

فهو يشبهه بالنور الذي أضاء أرجاء البلاد في تشبيه بليغ مؤثر وبالمطر الذي ينزل على الأرض فيحييها بعد موتها ، كما يشبهه كذلك بالنيل في تدفقه ومايحمله من بشائر الخير لقرى مصر وهذه صورة حسية مأخوذة من الطبيعة التي تكتنف الانسان ، كما نجده يشبهه بضوء القمر حينما تتضاءل معه الكواكب.

إلى بَدْرِ لَيْلٍ مِنْ أُمَيَّةَ ضَوْءُهُ ... إذَا مَابَدَا يَغْشَى لَهُ كُلُّ كَوْكَبُ (٢)

وهو قريب من قول النابغة يمدح النعمان بن المنذر ويعتذر اليه (٣) :

فَإِنَّكَ شَمْسٌ والنُّجُومُ كَوَاكِبُ ... إذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

ولمن أراد المزيد من هذه الصور الجميلة الرجوع الى ديوان الفرزدق وبخاصة مدائحه لسليمان فانها قمة لشعر المديح في هذه المرحلة (٤) .

---

(١) الديوان : ١ / ٢٦٦   (٢) الديوان : ١ / ٢٢ .

(٣) ديوان النابغة : ٢٨ .

(٤) انظر ديوان الفرزدق : ١ / ٢٤٨ - ٢٤٩ ، ٢ / ١٤٥ .

أما عمر بن عبد العزيز (١) ـ رضي الله عنه ـ فلم يكن بعد أن تولى الخلافة ممن يغترون بمديح الشعراء ويتطلعون اليه ،بخلاف ماكان عليه غيره من خلفاء بني أمية وأمرائهم ،وانما كان يسير على نهج الراشدين في سيرته وحكمه وورعه وتقواه ،والمحافظة على مال المسلمين (٢) .

وبناء على هذا الاتجاه قل مديح الشعراء له ،ولم نعثر في ديوان الفرزدق الا على قصيدتين فقط يمدح بهما عمر (٣) .

ومنهما قولـــه : (٤)

لَمَّا تَفَرَّقَ بِي هَمِّي جَمَعتُ لَهُ ... صَرِيمَةً لم يَكُنْ فِي عَزْمِهَا خَوَرُ

فَقُلْتُ:مَا هُوَ إِلّا الشَّامُ تَرْكَبُهُ ... كَأَنَّمَا المَوْتُ فِي أَجْنَادِهِ البَغَرُ

أَوْ أَنْ تَزُورَ تَمِيمًا فِي مَنَازِلِهَا ... بِمَرْوَ وَهْيَ مَخُوفٌ دُونَهَا الغَرَرُ

أَوْ تَعْطِفَ العِيسَ صُعْرًا فِي أَزِمَّتِهَا ... إِلى ابْنِ لَيْلَى إِذَا ابْزَوْزَى بِكَ السَّفَرُ

فَعُجْتُهَا قِبَلَ الأَخْيَارِ مَنْزِلَةً ... وَالطَّيِّبِي كُلَّ مَا الْتَاثَتْ بِهِ الأُزُرُ

مِثْلُ النَّعَائِمِ يُزْجِيْنَا تَنَقُّلُهَا ... إِلى ابْنِ لَيْلَى بِنَا التَّهْجِيرُ وَالبُكَرُ

سِيْرُوا فَإِنَّ ابْنَ لَيْلَى مِنْ أَمَامِكُمُ ... وَبَادِرُوهُ فَإِنَّ الْعُرْفَ مُبْتَدَرُ

وَبَادِرُوا بِابْنِ لَيْلَى الْمَوْتَ إِنَّ لَهُ ... كَفَّيْنِ مَا فِيهِمَا بُخْلٌ وَلَا حَصَرُ

---

(١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ـ أبو حفص ـ الخليفة الصالح والملك العادل خامس الخلفاء الراشدين ،ولد سنة ٦١هـ ،وتولى الخلافة سنة ٩٩هـ بعهد من سليمان بن عبد الملك ،ومآثره وصفاته لا تخفى توفي سنة ١٠١ هـ ـ/ سير أعلام النبلاء ٥/١١٤-١٤٧،والأعلام : ٥/٥٠ .

(٢) ظاهرة التكسب وأثرها في الشعر العربي ـ د . درويش الجندي : ٨٨

(٣) انظر هذه القصائد في الديوان : ١/١٨٢، ٢/٨٠ .

(٤) الديوان : ١/١٨٣ - ١٨٤ .

فالشاعر هنا يصف حاله بعد الهموم التى ألمت به وما انتابه من الآلام ،وعند ذلك لم يجد بدا من تحمل الصعاب والتصدى لتلك الهموم والأحزان وهذا لايتم الا بأحد أمرين : اما السفر الى الشام ومقابلة الخليفة لشرح الحال وما آلت اليه . واما زيارة تميم فى منازلها - وهذه نغمة فخر قبلى لم يستطع الشاعر التخلص منه حتى بين يدى عمر ،ولكنه سرعان ماجد عزمه واختار زيارة الخليفة فعنده الخلاص ،وهو الحريص على مصلحة الأمة . ونجده يكرر نسبة الممدوح الى أمه "ليلى" (١) تشريفا له وتعظيما لهذه المرأة التى أنجبت عمر وكأنه يريد هنا أن يومىء الى عظم نسب عمر من جهة أمه ،وهذه لفتة تدل على معرفة الفرزدق بالأنساب (٢) وكأنه أثناء رحلته الى "عمر" وقبلها قد أصابه ما أصابه من العناء والضيق حتى لقد أوشك الموت قريبا منه نتيجة لما حل به من العوز والحاجة لكن عمر سرعان ماينقذه بكرمه وعدله :

وَبَادِرُوا بِابْنِ لَيْلَى الْمَوتَ إِنَّ لَهُ ... كَفَّيْنِ مَافِيهِمَا بُخْلٌ وَلاَ حَصَرُ

والفرزدق هنا يصور نفسه بأنه شخص فقير محتاج عدا عليه الزمن وأوهنته هموم الدنيا ليظهر أمام عمر بأنه محتاج الى عطائه لعلمه أن عمر يتأثر للضعفاء والمعوزين ،ويعود ثانية ليكرر

---

(١) وهى ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب - رضى الله عنهم أجمعين - انظر تاريخ الخلفاء للسيوطى : ٢١٢ .

(٢) انظر تاريخ الاسلام للذهبى : ١٨٧/٣ ،والنقائض : ٢٠٠ - ٢٠١ .

الاشارة بنسب عمر من جهة أبيه وأمه معا فيذكر مروان جده لأبيه وعمر الفاروق جده لأمه : (١)

أَلَيْسَ مَرْوَانُ وَالفَارُوقُ قَدْ رَفَعَا ... كَفَّيْهِ وَالعُودُ مَاءُ العِرْقِ يَعْتَصِرُ

مَا اهْتَزَّ عُودٌ لَهُ عِرْقَانِ مِثْلُهُمَا ... إِذَا تَرَوَّحَ فِي جُرْثُومِهِ الشَّجَرُ

ويأخذ في عرض لحال الناس قبل مجيء عمر الى الخلافة وبعد مجيئه اليها في صور معبرة تفسح للخيال التعمق في المعنى وتقبل النفس للفكرة التي يرمي اليها الشاعر فيقول :

أَلْفَيْتَ قَوْمَكَ لَمْ يَتْرُكْ لِأَثْلَتِهِمْ ... ظِلٌّ وَعَنْهَا لِحَاءُ السَّاقِ يُقْتَشَرُ

فَأَعْقَبَ اللَّهُ ظِلاًّ فَوْقَهُ وَرَقٌ ... مِنْهَا بِكَفَّيْكَ فِيهِ الرِّيشُ وَالثَّمَرُ

وَمَا أُعِيدَ لَهُمْ حَتَّى أَتَيْتَ لَهُمْ ... أَزْمَانَ مَرْوَانَ إِذْ فِي وَحْشِهَا غِرَرُ

فَأَصْبَحُوا قَدْ أَعَادَ اللَّهُ نِعْمَتَهُمْ ... إِذْ هُمْ قُرَيْشٌ وَإِذْ مَا مِثْلُهُمْ بَشَرُ

وَهُمْ إِذَا حَلَفُوا بِاللَّهِ مُقْسِمُهُمْ ... يَقُولُ: لَا وَالَّذِي مِنْ فَضْلِهِ عُمَرُ

عَلَى قُرَيْشٍ إِذَا احْتَلَّتْ وَعَضَّ بِهَا ... دَهْرٌ وَأَنْيَابُ أَيَّامٍ لَهَا أَثَرُ

فهو يعرض لحال قوم الممدوح قبل مجيئه لهم فهم كالشجرة التي لاظل لها ، والتي عرى ساقها عن اللحاء الذى يكسوه ، وقد اعتمد على التضمين (٢) في بيان فكرته التي يريد لأنه اذا لم يكن للشجرة

---

(١) ديوان الفرزدق : ١/ ١٨٥ .

(٢) يرى أبو هلال العسكرى أن التضمين هو أن يكون الفصل الأول مفتقرا الى الفصل الثاني ، والبيت الأول محتاجا الى البيت الثاني ، وهو ماتعنيه في كلامنا هنا . الصناعتين : ٤٢ .

ظل فمعناه أنه لاورق لها ،وتساقط الورق يدل على الجدب ،وأنه لايوجد ثمر ،واذا اقتشر لحاء الساق تعرض للشمس والهواء فماتت الشجرة .

ونتيجة لهذا التأمل التاريخي الموضوعي فى شعر المديح عند الفرزدق من خلال النماذج الشعرية التى عرضنا لها فى هذه المرحلة والتى تمثل مرحلة النضج والكمال لشعر المديح عند الشاعر تحددت لنا بعض السمات والملامح الفنية يمكن اجمالها فى أن الفرزدق قد تفنن فى الصور الخيالية الموحية من تشبيهات واستعارات وكنايات ، واستخدم المحسنات البديعية ذات الأثر فى توضيح الصورة كالجناس والطباق والمقابلات والتضمين الى غير ذلك من مظاهر الجمال الفنى فى نتاج الشاعر . ووضوح المعنى وعدم الغموض والبعد عن التعقيد الذى اشتهر به والناتج عن كثرة التقديم والتأخير ،وكان تقديمه وتأخيره فى هذه المرحلة قريب المأتى مما جعل التصوير واضحا ، والسبك محكما فى الأبيات التى توجد فيها هذه الظاهرة ،وقد ظهر بوضوح فى هذه المرحلة عفاف الفرزدق وعزة نفسه فلم نجده يستجدى أحدا من الخلفاء أو غيرهم ممن مدحهم ،واذا ماحصل ان طلب شيئا فانما يريده لمجتمعه ولأفراد قبيلته وكأنه كان فى غنى عن عطاء الخلفاء والولاة والأمراء ،وقد لعبت السياسة دورا واضحا فى شعر الفرزدق فى هذه المرحلة فحطب فى حبل بنى أمية ومدحهم بكثير من قصائده ،ودافع عن مجتمعه وتحدث بلسان قومه مصورا ما ينتابهم من مشكلات ومايحتاجون اليه ،ومعارضا لبعض الولاة الذين لا تحمد سيرتهم ومبينا للخليفة عيوب هذا الوالى

أو ذاك ، وكأنه شاعر معارضة له الحق في ابداء رأى مجتمعـــــه والتصريح به حتى ولو كانت هذه المعارضة للوالى لايأبه أن يذمـــه متى أساء ويمدحه متى أحسن بغض النظر عن مركزه ، يؤيد هذا قول عمر بن هبيرة الفزارى :

(مَارَأَيْتُ أَشْرَفَ مِنَ الفَرَزدق هَجَانِي أَمِيرًا وَمَدَحَنى أَسِيْرًا (١))

وقد خلا شعره فى هذه الفترة من المبالغات الكثيرة والتكـــــرار واذا ماحدث أن كرر بعض الألفاظ فانه تكرار محمود لغرض يريـــده ولم يتسع له البيت الأول ، وهذا يدل على تشبع الشاعر باللغـــة وامتلاء نفسه بالفكرة التى يريد أن يطرقها وكما نلاحظ على مديحـــه أيضا فى هذه الفترة أنه لم يكن يمدح مدحا مباشرا بل كان ذلـك المدح بالقيم النفسية والاجتماعية ولم يكن بأوصاف فى الجسم كالحسن والبهاء والزينة ، وانما بالفضائل التى تختص بالنفس كالعقل والعفـــة والعدل ، والشجاعة ، وهذه الأمور عدها بعض النقاد القدامى مـــن مقومات شعر المديح الصادق . (٢)

×××××××××××××××

---

(١) الكامل لابن الأثير : ٥/٣٧ ، ٣٨ ، ٤٦ .
(٢) الصناعتين لأبى هلال العسكرى : ١٠٤ .

أما المرحلة الثالثة ،وهى مرحلة الاضطراب التعبيرى والغموض عند الفرزدق فانها تبدأ بمديحه ليزيد بن عبد الملك وأخيه هشام ،ومن كان فى عصرهما من الأمراء والولاة فلقد اتصل بهم ومدحهم ،وعمره حينذاك يتجاوز الخامسة والثمانين ،وقد أطلقنا هذه التسمية على شعره فى هذه المرحلة نتيجة لما دخله من الغموض وعدم الوضوح الناتجين من كثرة التقديم والتأخير المخل بالمعنى وظهور سمة التعقيد التى أصبحت ظاهرة فى شعر الفرزدق وكثرة المبالغات والتكرار لمعان بعينها لايعدوها الى غيرها ولقد مدح يزيدا بسبع قصائد (١) كلها لاترقى الى مدائحه فى الوليد ،ولا حتى الحجاج فضلا عن سليمان بن عبد الملك .

ولعل حكم السن كان له دور فى خبو عاطفة الشاعر المتأججة التى رأيناها من قبل وان بقيت لديه بعض الصور الخيالية فانما هى صور ضعيفة اذا قسناها بصوره المتقدمة .

يقول فى مديح يزيد : (٢)

وَرِثْتَ ابْنَ حَرْبٍ وَابْنَ مَرْوَانَ وَالَّذِي ... بِهِ نَصَرَ اللّٰهُ النَّبِيَّ مُحَمَّدَا
فَلَا أُمَّ إِلَّا أُمَّ عِيسَى عَلِمْتُهَا ... كَأُمِّكَ خَيْرًا أُمَّهَاتٍ وَأَمْجَدَا

فمن الذى نصر الله به النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم(٣) ـ ثم التشبيه فى البيت الثانى ضعيف نتيجة لكثرة التقديم لبعض الألفاظ

---

(١) هذه القصائد فى ديوانه : ١/١٤٣ ،٢١٣ ،٣٤٤ ،٢/١٦ ، ١٢٤ ،٢٨١ ،٣٠١ .

(٢) الديوان : ١/١٤٤ .

(٣) إلا إذا كان يقصد به الذين مثلاً في القرآن الكريم

على بعض فهو يريد أن يشبه أم يزيد بأم عيسى وهى " مريـــم " عليهما السلام ،فجاء بهذه الصورة التى تفتقد الترابط وحسن الصياغة ومن الأمور التى طغت على شعر المديح عند الفرزدق فى هـــذه المرحلة كثرة المبالغات التى تصل بالخليفة أحيانا الى درجة النبىّ كقوله فى يزيد : (١)

لَوْلَمْ يُبَشِّرْ بِهِ عِيسَى وَبَيَّنَـــهُ ... كُنْتَ النَّبِىَّ الَّذِى يَدْعُو إِلَى النُّورِ
فَأَنْتَ إِذْ لَمْ تَكُنْ إِيَّاهُ صَاحِبُهُ ... مَعَ الشَّهِيدَيْنِ وَالصِّدِّيقُ فِى السُّورِ
فِى غُرَفِ الْجَنَّةِ الْعُلْيَا الَّتِى جُعِلَتْ ... لَهُمْ هُنَاكَ بِسَعْيٍ كَانَ مَشْكُـــورِ

فما الذى نجده هنا من المعانى المعبرة غير هذه المبالغـة الممقوتة التى جعلت يزيد بن عبد الملك فى مرتبة الرسول صلى الله عليه وســـلم وصحابته الكرام أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ - رضى الله عنهم أجمعين .
وبمثل هذا المعنى الضعيف يستمر فى مدح يزيد فيقول : (٢)

فَإِنَّ مُنَى النَّفسِ الَّتِي أَقْبَلَتْ بِهَـا ... وَحَلَّ نُذُورِي إِنْ بَلَغْتَ المُوقَّـرا
بِهِ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ حَيًّا وَمَيِّتـًا ... سِوَى مَنْ بِهِ دِينُ البَرِيَّةِ أَسْفَـرا
إِمَامٌ كَأَيِّنْ مِنْ إِمَامٍ نَمَىٰ بِــهِ ... كَشَمْسٍ وَبَدْرٍ قَدْ أَضَاءَ فَنَـــوَّرَا
فَلَيْتَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ قَضَى لَنَــا ... فَرُحْنَا وَلَمْ تَنْظُرْ غَدًا مَنْ تَعَـذَّرَا

فكل منى نفس الشاعر أن يصل الخليفة لأنه سيجد عنده بغيته فهـــو خير أهل الأرض حيا وميتا ويبالغ فى جعل يزيد خير الناس ماعـــدا

---

(١) الديوان : ١ / ٢١٤ .
(٢) الديوان : ١ / ٣٤٦ .

الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ،ويزيد يشبه الشمس والقمر ، ونراه يلح صراحة فى استعجال الخليفة للعطاء ليقضى لهم حوائجهم حتى يتمكنوا من العودة الى ديارهم ثم يستطرد قائلا : (١)

تَنَاوَلْتَ مَاأَعْيَا ابْنَ حَرْبٍ وَقَبْلَهُ ... وَأَعْيَا أَبَاكَ الْحَازِمَ الْمُتَخَيَّرَا
وَمَاكَانَ قَدْ أَعْيَا الْوَلِيدَ وَبَعْدَهُ ... سُلَيْمَانَ مِمَّنْ كَانَ فِي الرُّومِ أَعْصَرَا
وَأَعْيَا أَبَا حَفْصٍ فَكَسَّرْتَ عَنْهُمُ ... عَلَى أَسْوُقٍ أَسْرَى الحَدِيدَ الْمُسَمَّرَا
فَلَوْلَا الَّذِي لَاخَيْرَ فِي النَّاسِ بَعْدَهُ ... بِهِ قَتَلَ اللَّهُ الَّذِي كَانَ خَيَّرَا

ان هذا المديح كما نلاحظ يفتقر الى الصدق الفنى ولذلك لجأ الشاعر الى المبالغة غير المقبولة وهى البديل عن المعانى الصادقة التى تعطى القارئ أو السامع الرغبة فى القراءة والاستماع وتفتح النفس لتقبل الفكرة والعناية بها .

والمعنى هنا ساذج بل ربما عدّ ذما للخلفاء السابقين وأنهم كانوا جبناء فما الذى أعياهم جميعا ،وتغلب عليه يزيد ،ثم هل الناس بعد يزيد غثاء لا خير فيهم حتى الخليفة المرتقب .

ونجد الفرزدق صاحب النفس الشامخة الذى يفتخر على الخلفاء ويدل بشرفه الرفيع يتهاوى على باب يزيد ملحا فى نواله فيقول : (٢)

أَتَيْنَاكَ زُوَّارًا وَسَمْعًا وَطَاعَةً ... فَلَبَّيْكَ يَاخَيْرَ الْبَرِيَّةِ دَاعِيَا
فَلَوْ أَنَّنِي بِالصِّيْنِ ثُمَّ دَعَوْتَنِي ... وَلَوْلَمْ أَجِدْ ظَهْرًا أَتَيْتُكَ سَاعِيَا

---

(١) الديوان : ١ /٣٤٧ .
(٢) الديوان : ٢ /٣٥٢ .

وَمَالِيَ لَا أَسْعَىٰ إِلَيْكَ مُشَمِّرًا وَأَمْشِي عَلَى جُهْدٍ وَأَنْتَ رَجَائِيَا
وَكَفَّاكَ بَعْدَ اللّٰهِ فِي رَاحَتَيْهِمَا لِمَنْ تَحْتَ هَذِي فَوْقَنَا الرِّزْقُ وَافِيَا
وَأَنْتَ غِيَاثُ الأَرْضِ وَالنَّاسِ كُلِّهِمْ بِكَ اللّٰهُ قَدْ أَحْيَا الَّذِي كَانَ بَالِيَا
أَرَى اللّٰهَ بِالإِسْلَامِ وَالنَّصْرِ جَاعِلًا عَلَى كَعْبِ مَنْ نَاوَاكَ كَعْبَكَ عَالِيَا

فأى نفسية ضعيفة متهافتة أكثر من هذه النفسية التى تصورها هذه الأبيات حيث ظهر الشاعر هنا متسولا مغرقا فى التسوّل ، وبهذه المعانى والأفكار المهزوزة المضطربة يسير الفرزدق فى مدح يزيد وهشام فاختص هشاما بتسع قصائد أيضا (١) لاتصل فى مجملها الى بعض مدائحه فى سليمان بن عبد الملك وربما كانت أقوى من سابقتها التى اختص بها يزيد ، ونجده يتكىء على كلمات بعينها فيكررها وكأن ذاكرته لم تعد تحفظ غير هذه الألفاظ ، فمثلا يكثر فى القصيدة الواحدة قوله : (رأيت بنى مروان .....) كما يكثر من ذكر مروان هذا الاسم الذى لازم الفرزدق كثيرا فى شعره آخر حياته اذ نراه يقول فى مديح هشام : (٢)

رَأَيْتُ بَنِي مَرْوَانَ يَرْفَعُ مُلْكَهُمْ مُلُوكٌ شَبَابٌ كَالأُسُودِ وَشَيْبُهَا
إِذَا ذُكِّرَتْ نَفْسِي ابْنَ مَرْوَانَ صَاحِبِي وَمَرْوَانَ فَاضَتْ مَاءُ عَيْنِي غُرُوبُهَا
وَهَلْ دَعْوَتِي مِنْ بَعْدِ مَرْوَانَ وَابْنِهِ لَهَا أَحَدٌ إِذْ فَارَقَاهَا يُجِيبُهَا

---

(١) هذه القصائد فى ديوانه : ٥٩/١ ، ٨٧ ، ١٤٠ - ١٨٨/٢ ، ٢٢٨ ، ٢٩٠ ، ٣٠١ .

(٢) الديوان : ٥٩/١ - ٦٢ .

رَأَيْتُ بَنِي مَرْوَانَ إِذْ شُقَّتِ الْعَصَا ... وَهَرَّمَنَ الْحَرْبِ العَوَانِ كَلِيبُهَا
رَأَيْتُ بَنِي مَرْوَانَ ثَبَّتَ مُلْكَهُمْ ... مَشُورَةُ حَقٍّ كَانَ مِنْهَا قَرِيبُهَا

فهو يشبه ملوك بنى مروان بالأسود وأن ملكهم ثابت بالمشورة فلا يأتى بشيء جديد فى هذا المديح كما يلحف بالسؤال فيطلب صراحة مريقا ماء وجهه أمام هشام ولم نعهد فيه قبل مثل هذا ، وكان عليه أن يخص ممدوحه فقط بالمدح ولكن نراه يلقى الحبل على الغارب والكلام على عواهنه فيتكلم عن بنى مروان بعامة ، وهذا يدلنا على ضحالة عاطفته ازاء الخليفة .

ولعل أجود ماقاله فى مديح هشام فى هذه المرحلة قوله : (١)

إِلَيْكَ مِنَ الصَّمَّانِ وَالرَّمْلِ أَقْبَلَتْ ... تَخُبُّ وَتَخْدِي مِنْ بَعِيدٍ سَبَاسِبُهْ
لِتَلْقَاكَ وَاللَّاقِيكَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ... إِلَى خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ تُحْدَى رَكَائِبُهْ
فَإِنَّ هِشَامًا إِنْ تُلَاقِهِ سَالِمًا ... تَكُونِي كَمَنْ بِالْغَيْثِ يُنْصَرُ جَانِبُهْ
لِتَأْتِيَ خَيْرَ النَّاسِ وَالْمَلِكَ الَّذِي ... لَهُ كُلُّ ضَوْءٍ تَضْمَحِلُّ كَوَاكِبُهْ
فَإِنَّ ذُنُوبًا مِنْ سِجَالِكَ مَالِئٌ ... حِيَاضِي فَأَفْرِغْ لِي ذُنُوبًا أُنَاهِبُهْ
وَمِنْ أَيْنَ أَخْشَى الفَقْرَ بَعْدَ الَّذِي اتَّقَى ... بِكَفَّيْكَ مِنْ مَعْرُوفِ مَا أَنَا طَالِبُهْ

ومع أنه يلح فى طلب العطاء الا أننا لا نعدم الصور الفنية المعبرة فى هذا المديح والتى اعتدنا على مثلها عند الفرزدق فهو يبين أنهم شدوا رحالهم للقيا هشام لعلمهم أنهم سيلقون خير أهل

---

(١) الديوان : ١/ ٨٧ - ٨٨ .

الأرض الذى تساق اليه الركائب وتضرب أكباد الابل ، ويشبهه بالغيث كرما وجودا وأن الذى يأتيه انما يأتى خير الناس الملك ذى الضوء القوى الذى يشبه ضوء الشمس أو ضوء القمر بحيث تضمحل معه أضواء الكواكب الأخرى وهو لايخشى على نفسه الفقر طالما التقت كفاه بكفى هشام .

ومع أن هذه الصور قوية لكن الشاعر أغرق فى المبالغات اذ أن هشاما فى نظره خير أهل الأرض وهو خير الناس والملك الذى لا يعادله ملك فى الأرض ، ويلح فى الطلب بنفسية متهافتة متطلعة الى هذا العطاء . ولقد اتسم مديح الفرزدق لهشام بالجزالة والقوة والتنويع فى الصور الفنية أكثرمما اتسم به مديحه لأخيه يزيد ولعل السبب فى ذلك طول الفترة التى مكثها هشام فى الخلافة اذ أنه مكث تسع عشرة سنة (١) مما أتاح للشاعر أن ينظم فيه بعض المدائح التى ترقى الى شعر الفرزدق فى أوج قوته ، مطبوعا بطابع الجزالة والقوة يبين هذا قوله :

أَقُولُ لِنَاقَتِي لَمَّا تَرَامَتْ ... بِنَا بِيدٌ مُسَرْبَلَةُ القَتَامِ (٢)
أَغِيثِي مَنْ وَرَائِكِ مِنْ رَبِيعٍ ... أَمَامَكِ مُرْسَلٍ بِيَدَيْ هِشَامِ
يَدَيْ خَيْرِ الَّذِينَ بَقُوا وَمَاتُوا ... إِمَامًا وَابْنِ أَمْلَاكٍ عِظَامِ
بِهِ يُحْيِي البِلَادَ وَمَنْ عَلَيْهَا ... مِنَ النَّعَمِ البَهَائِمِ وَالأَنَامِ

---

(١) تولى الخلافة بعد أخيه يزيد سنة ١٠٥ هـ وتوفى سنة ١٢٥ هـ ، فكانت مدة خلافته تسع عشرة سنة ـ أنظر مروج الذهب للمسعودى ٣ / ٢١٦ .

(٢) الديوان ٢ / ٢٩١ .

عَمَدْتُ إِلَيْكَ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا ... لِتُنْعِشَ أَوْ يَكُونَ بِكَ اعْتِصَامِي
إِلَى مَلِكِ المُلُوكِ جَمَعْتَ هَمِّي ... عَلَى المُتَرَدِّفَاتِ مِنَ السَّمَامِ
وَحَبْلُ اللهِ حَبْلُكَ مَنْ يَنَلْهُ ... فَمَا لِعُرَى إِلَيْهِ مِنَ انْفِصَامِ
يَدَاكَ يَدٌ رَبِيعُ النَّاسِ فِيهَا ... وَفِي الأُخْرَى الشُّهُورُ مِنَ الحَرَامِ
فَإِنَّ النَّاسَ لَوْلَا أَنْتَ كَانُوا ... حَصَى خَرَزٍ تَسَاقَطَ مِنْ نِظَامِ

فهو يشبه هشاما بالربيع الذى يغيث الأرض ومن عليها لكنه يبالغ فيذكر أن يدى هشام خير الأيدى سواء من الأحياء أو الأموات فهو امام ابن ملوك عظام . وتلازمه المبالغة فيصوره بأنه خير الناس، وأنه قصده لينعشه أو يعتصم به ،ويصفه بأنه ملك الملوك ثم يبين أن حبله مستمد من حبل الله ومن يعتصم بحبل الله فلا انفصام له كناية عن عدله ،وأن الناس ينتظرون الخير من يديه ،وأجمل مايروقنا هنا تصويره الفنى لحال الناس لولا هشام فقد شبههم بالخرز المنظوم المتراص فلو لم يكن هشام موجودا لاختل هذا العقد وتناثرت حباته .

وبعد هذا كله فانه من خلال تتبع شعر المديح عند الفرزدق فى هذه المرحلة وهى مرحلة الاضطراب التعبيرى والغموض أمكننا أن نستخلص بعض النتائج التى بسطها البحث نجملها فى هذه الأسطر :

لقد بقى شعر الفرزدق فى هذه المرحلة على الرغم من كبر سنه محتفظا بطابع الجزالة والقوة لكنه خلا من تنوع المعانى والافتنان فى الصور الفنية وكثرت عنده المبالغات التى ترقى أحيانا بالممدوح

الى مرتبة الأنبياء وصحابة الرسول [١] ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولاشك أن هذه الكثرة فى المبالغات تدل على ضعف قريحة الشاعر فأخذ يعوض فقر هذه القريحة بقوة رنين اللفظة حتى تعوضه عن الصورة الخيالية المبتكرة فغدت هذه المبالغة سارية فى معظم أبيات المديح عنده فى هذه الفترة . وقد كثر أيضا تكراره لألفاظ بعينها لاتعطى المعنى قوة ولاتزيد الصورة جمالا وقد بدا متهافتا على أبواب الخلفاء يريق ماء وجهه فى الالحاح والطلب وانتظار عطائهم ،وكأن العطاء مقصده ومبلغ غايته كما كثر التقديم والتأخير عنده فى هذه المرحلة فاتسمت بعض أشعاره بسمة الغموض والتعقيد الذى لا يدفع اليه عمق الفكرة بل غموضها وارتباكها فى ذهنه مما حدا ببعض النقاد الى القول : (وَكَانَ الفرزدقُ حَرِيصًا شَرِهًا جَشِعًا [٢]) .

ومهما يكن فهذه الطباع ليست أصيلة فيه وان كانت صوره الأخيرة فى مدائحه تعبر عن هذه السمات التى أشرنا اليها [٣] ، فلعل هرمه مع عسر وضيق صاحباه فى أخريات عمره حدت به الى هذا .

---

(١) لاشك أن الناحية السياسية كانت من أهم الأسباب التى حدت بالفرزدق الى هذه المبالغات ،واغراقه المفرط فى غلوائه تجاه ممدوحيه بالاضافة الى كبر سنه وضعف قريحته فى هذا السن بالذات ولهذا تراجعت عاطفته وخبت قريحته .

(٢) صاحب هذا القول هو أبو عبيدة / انظر النقائض ١٠٤٩ .

(٣) انظر الفرزدق ـ للدكتور شاكر الفحام ٤١١ .

وبعـــــــد :-

فلقد قال الفرزدق شعر المديح حوالى نصف قرن كان خلالهـــــا صورة حية لحياة الصحراء ، وماتمثله من قيم وعادات أصيلة (١) فلـــم تخب قريحته بل كانت حية متوقدة حتى بعد بلوغه من الكبر عتيـــا واشتعال رأسه شيبا .

ولقد مدح هذا الشاعر أشخاصا كثرا من الخلفاء والولاة ، والأمراء ، والأجواد ، والقبائل فافتـــن فى مدائحه وجود فنه (٢) ولعل فى الجداول التوضيحية المرفقة مايبين تلك الكثرة من ممدوحى هـــذا الشاعر الفحـــل ليستدل الدارس على غزارة نتاجه الفنى وماخلفـــه للعربية من تراث ضخم يستمد منه العلماء شواهدهم فى صنـــوف المعرفة العربية ماعاشت هذه الأمة حية بين الأمم تحفل بتراثهـــا وتحترم نتاج شعرائها .

وبعد أن انتهينا من دراسة المديح نعرض لدراسة الفخر عند الفرزدق .

****

---

(١) انظر مقدمة القصيدة العربية فى العصر الأموى للدكتور حسيـــن عطوان : ١٤- ١٥ (طبعة دار المعارف) .

(٢) ليس معنى هذا أن مالم نتعرض له من مدائح فى أشخاص آخرين دون ماأوردناه فى الجودة ، فان الباحث يجد نماذج كثيرة يصعب معهـــا الحكم على بعضها بالجودة دون بعض ولكننا اخترنا هذه النصوص التى أوردناها لأنها تمثل أطوار المديح الثلاث عند الفرزدق .

فلقد كان لنشأة الفرزدق في بيت من أشرف بيوت العرب ، وأعظمها مجدا أثر في شخصيته اذ وجهته هذه النشأة الى التعلق بحبال الشرف المتينة ، والاعتصام بنسب عريق يتجاذبه من كل مكان ، فعاش سيدا من سادات تميم (١) يفخر وحق له ذلك ، وكانت أشعاره الأولى مفاخرة ومهاجاة اذ لم يكن هناك من الدواعي النفسية مايجعله يطرق باب المديح الا قليلا اذ كان في غنى مادّي ومعنوى عن التكسب بالشعر واستجداء العظماء .

وكان من الطبيعي أن يكون للشباب ، والترف ، وأصل المنبت أثر واضح في حياة هذا الشاعر يجعله ينسى أو يتناسى من حوله حتى ولو كانوا خلفاء أو ولاة ظنا منه ألا أحد يستطيع الوقوف في وجهه وردعه عن التعالي على الناس ، والقدح في أعراضهم .

وقد تمالكته العظمة بحيث غلب عليه الفخر وعد فارس حلبته ، ويمكننا القول ان الفرزدق فاق شعراء عصره في هذا المجال (٢) لأنه ينطلق فيه من واقع حقيقي يعضده في ذلك نسب رفيع ونفس تياهية متعالية :

وَإِذَا فَخَرْتُ فَخَرْتُ غيرَ مُكَذَّبٍ وَلِيَ العُلَا وَكَرِيمُهَا الْمَأْثُورُ (٣)

فبيته من بيوت مجاشع بن دارم وقد حلوا من تميم ذؤابتها واقتعدوا

---

(١) النقائض : ١٠٥١ .

(٢) العمدة : لابن رشيق : ١ / ٩٦ ، وتاريخ الأدب العربي - عمر فروخ ١ / ٦٥١ .

(٣) ديوان الفرزدق : ١ / ٢٩٧ .

سنام مجدها (١) ،وجده صعصعة بن ناجية بن عقال عرف برجاحة عقله ،وقد أنكر وأد البنات فى الجاهلية فافتداهن بماله ،وكان من خيار العرب فى الجاهلية والاسلام . (٢)

وأبوه غالب بن صعصعة كان سيدا من سادات مجاشع جوادا متلافا شديد التعلق بفضائل البادية ومكارمها ،وقد اشتهر بمعاقرة سحيم بن وثيل الرياحى ،فعقر أربعمائة بعير فى يوم واحد ،وكان يعطى السائلين دون أن يسألهم عن أصلهم ونسبهم ، فقد تراهن ثلاثة نفر من كلب على أن يختاروا أفضل تميم ،وبكر فكان خيرهم غالب اذ أعطاهم مائة ناقة وراعيها دون أن يسألهم من هم . (٣)

وجدته ليلى بنت حابس (٤) أخت الأقرع بن حابس الذى أقرت له العرب بأن يكون حكمها ترضى بقضائه وتستجيب لحكمه .

وعمته هنيدة بنت صعصعة أخت أبيه غالب بلغ من اعتدادها بنفسها واعتزازها بنسبها أن قالت :

(من جاءت من نساء العرب بأربعة كأربعتى يحل لها أن تضع

---

(١) انظر المحبر : ٢٤٧ والفرزدق دراسة للدكتور شاكر الفحام : ١٠٩

(٢) المحبر : ١٤١ ،والأغانى ٢١ / ٣٠٠ ،وشرح نهج البلاغة ٣ / ٤٢٦ ، وأنساب الأشراف : ١١ / ٢٦ - ٣٢ .

(٣) المحبر : ١٤٢ ،والأغانى : ٢١ / ٢٨٢ .

(٤) خلافا للدكتور / محمد عبد القادر أحمد الذى يرى أنها أم الفرزدق - دراسات فى أدب ونصوص العصر الأموى : ٢٨٩ .

خمارها عندهم فصرمتي(١) لها . أبي صعصعة ،وأخي غالب ، وخالي الأقرع بن حابس ،وزوجي الزبرقان بن بدر(٢)) فسميت بذات الخمار .

وأمه لينة بنت قرظة من بني ضبة أخت العلاء بن قرظة الشاعر المجيد الذى كان له أثر فى موهبة الفرزدق الشعرية .(٣)

ومن هنا فقد ملك الفخر على الفرزدق نفسه ومكنته هذه المكانة السامقة والنفس الشابة المتعاظمة أن يفخر على أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان فى وقت لم يبلغ فيه من العمر ثلاثين عاما (٤) لكنه كان معجبا بنفسه معتدا بآبائه حيث قال :(٥)

أَلَسْتُ أَعَزَّ النَّاسِ قَوْمًا وَأُسْرَةً ... وَأَمْنَعَهُمْ جَارًا إِذَا ضِيمَ جَانِبُهْ ؟
وَمَا وَلَدَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَهْلِهِ ... كَمِثْلِي حَصَانٌ فِي الرِّجَالِ يُقَارِبُهْ
أَبِي غَالِبٌ وَالْمَرْءُ صَعْصَعَةُ الَّذِي ... إِلَى دَارِمٍ يَنْمِي فَمَنْ ذَا يُنَاسِبُهْ
أَنَا ابْنُ الْجِبَالِ الشُّمِّ فِي عَدَدِ الْحَصَى ... وَعِرْقُ الثَّرَى عِرْقِي فَمَنْ ذَا يُحَاسِبُهْ
وَبَيْتِي إِلَى جَنْبٍ رَحِيبٍ فِنَاؤُهُ ... وَمِنْ دُونِهِ الْبَدْرُ الْمُضِيءُ كَوَاكِبُهْ

---

(١) الصِّرمة : القطعة من النخل أو الابل أو السحاب / المعجم الوسيط (صرم) .

(٢) العقد الفريد : ١ / ٦٧ .

(٣) الأغاني : ٢١ / ٢٩٠ ، والطبرى : ٤ / ٢٩٠ .

(٤) لعل الفرزدق تطاول على معاوية رضى الله عنه بهذا الفخر دونما خوف لعلمه بحلم معاوية وسعة صدره ، والا ماكان يجرؤ على مثل هذا .

(٥) ديوان الفرزدق : ١ / ٥٣

وَكَمْ مِنْ أَبٍ لِي يَا مُعَاوِيَ لَمْ يَزَلْ — أَغَرَّ يُبَارِي الرِّيحَ مَا ازْوَرَّ جَانِبُهْ
نَمَتْهُ فُرُوعُ المَالِكَيْنِ وَلَمْ يَكُنْ — أَبُوكَ الَّذِي مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ يُخَاطِبُهْ
تَرَاهُ كَنَصْلِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى — جَوَادًا تَلَاقَى المَجْدَ مُذْ طُرَّ شَارِبُهْ
طَوِيلُ نِجَادِ السَّيْفِ مُذْ كَانَ لَمْ يَكُنْ — قُصَيٌّ وَعَبْدُ الشَّمْسِ مِمَّنْ يُخَاطِبُهْ

ومن استقرائنا للفخر عند الفرزدق وجدناه ينطلق فيه من منطلقين أساسيين أدار حولهما فخره .

فبقدر مايجد في نفسه من أنفة وكبرياء ،ومايشعر به من تفوق على الناس في الحسب والنسب وعلو المنزلة . (١)

يَا وَقْعَ هَلَّا سَأَلْتِ الْقَوْمَ مَا حَسَبِي — إِذَا تَلَاقَتْ عُرَى ضُفْرٍ (٢) وَأَحْقَابِ
إِنِّي أَنَا الزَّادُ إِذْ لَا زَادَ يَحْمِلُهُ — رِكَابُهُمْ غَيْرَ أَنْقَاءٍ (٣) وَأَصْلَابِ (٤)

يرى كذلك أن الله قد هيأه ،وهو سليل مجد تليد ليدافع عن أبناء قبيلته ويحمي أعراضهم ويرفع من شأنهم في وقت كان للشعر فيه دور هام في رفع منزلة القبيلة أو العكس : (٥)

---

(١) ديوان الفرزدق : ١ / ٣٠ .
(٢) وقْع : مرخم وقعة : وهي أم سوداء زوجته . والضُّفْر : حزام الرجل وكل خصلة من الشعر ضفرت على حدة ،والأحْقَاب : يريد بها السنين . انظر المعجم الوسيط مادة (ضفر ،حقب) .
(٣) الأنْقَاء الواحد نقي : مخ العظم .
(٤) والأَصْلَاب ،الواحد صلب : الظهر .
(٥) ديوان الفرزدق : ١ / ٩٥ .

أَرُونِي مَنْ يَقُومُ لَكُمْ مَقَامِي ... إِذَا مَا الْأَمْرُ جَلَّ عَنِ الْعِتَابِ
إِلَى مَنْ تَفْزَعُونَ إِذَا حَثَوْتُمْ ... بِأَيْدِيكُمْ عَلَيَّ مِنَ التُّرَابِ

ومن هنا يمكننا القول بأن المنطلق الأول للفخر عند الفرزدق قبلى يتبعه منطلق شخصى ذاتى .

وقد استأثر الجانب القبلى بجزء كبير من شعر الفخر عنده اذ ظهر متعصبا لقبيلته شديد الاعتزاز بها متفانيا فى سبيل رفعة شأنها ، وقد وجد فى دارم عزا ومنعة ففاخر وتطاول بها على القبائل والشعراء لما عرفت به من نبل المحتد ورفعة النسب وعلو المنزلة وكرم الخلال : (١)

فَإِنَّا أُنَاسٌ نَشْتَرِي بِدِمَائِنَا ... دِيَارَ الْمَنَايَا رَغْبَةً فِى الْمَكَارِمِ
أَلَسْنَا أَحَقَّ النَّاسِ يَوْمَ تَقَايَسُوا (٢) ... إِلَى الْمَجْدِ بِالْمُسْتَأْثِرَاتِ الْجَسَائِمِ؟
مُلُوكٌ إِذَا طَمَّتْ عَلَيْكَ بُحُورُهَا ... تَطَحْطَحْتَ فِى آذِيِّهَا الْمُتَصَادِمِ (٣)
إِذَا مَا وَزَنَّا بِالْجِبَالِ رَأَيْتَنَا ... نَمِيلُ بِأَنْضَادِ الْجِبَالِ الْأَضَاخِمِ
تَرَانَا إِذَا صَعَّدْتَ عَيْنَكَ مُشْرِفًا ... عَلَيْكَ بِأَطْوَادٍ طِوَالِ الْمَخَارِمِ (٤)
وَلَوْ سُئِلَتْ مَنْ كُفْؤُنَا الشَّمْسُ أَوْمَأَتْ ... إِلَى ابْنَيْ مَنَافٍ عَبْدِ شَمْسٍ وَهَاشِمِ
وَكَيْفَ تُلَاقِي دَارِمًا حَيْثُ تَلْتَقِي ... ذُرَاهَا إِلَى حَيْثُ النُّجُومِ التَّوَائِمِ

---

(١) ديوان الفرزدق : ٢/٣١٥ - ٣١٦ .

(٢) تقايس القوم : ذكروا مآربهم ، تطحطحت : أى هلكت .

(٣) طمت : أى كثر حتى عمت .

(٤) المخارم : جمع مخرم وهى الطرق فى الغلظ .
انظر اللسان (خرم) .

ويقول أيضا في معرض فخره على جرير : (١)

تَعَاطَ مَكَانَ النَّجْمِ إِنْ كُنْتَ طَالِبًا ... بَنِي دَارِمٍ فَانْظُرْ مَتَى أَنْتَ نَائِلُهْ

وَلَلنَّجْمُ أَدْنَى مِنْهُمُ أَنْ تَنَالَهُ ... عَلَيْكَ فَأَصْلِحْ زَرْبَ مَا أَنْتَ آبِلُهْ

وأحيانا نجده يفخر بضبة ودارم معا فيقول : (٢)

أَنَا ابنُ ضَبَّةَ للقَوْمِ الذى خَضَعَتْ ... خَيْرُ القُرُومِ فَهَذَا خَيْرُ مُنْتَسَبِ

وَبَيْتُ مَكْرُمَةٍ فِي عِزّ أَوَّلِنَا ... مَجْدٌ تَلِيدٌ إِلَيْهِ كُلُّ مُنْتَجَبِ (٣)

مِنْ دَارِمٍ حِينَ صَارَ الأَمْرُ وَاشْتَبَهَتْ ... مَصَادِرُ النَّاسِ فِي رَجَّافَةِ الكُرَبِ

ويقول مفتخرا بدارم ومناقضا جريرا : (٤)

وَجَدْتَ لِدَارِمٍ قَوْمِي بُيُوتًا ... عَلَى بُنْيَانِ قَوْمِكَ قَاهِرَاتِ

ويقرن مع دارم مجاشعا فيقول : (٥)

فَلَسْتُ وَإِنْ كَانَتْ ذُؤَابَةُ دَارِمٍ ... نَمَتْنِي إِلَى قُدْمُوسِ مَجْدٍ حَلَاحِلِ (٦)

وَإِنْ حَلَّ بَيْتِي مِنْ سَمَاءِ مُجَاشِعٍ ... بِمَنْزِلَةٍ فَاتَتْ يَدَ المُتَنَاوِلِ

بِنَاسٍ لِبَكْرٍ حُسْنَ صُنْعِ أَخِيهِمُ ... إِلَيَّ لَدَى الخِذْلَانِ مِنْ كُلِّ خَاذِلِ

---

(١) ديوان الفرزدق : ٢/١٧٥ .

(٢) ديوان الفرزدق : ١/٣٩ .

(٣) المُنْتَجَب ـ المصطفى المختار .

(٤) الديوان : ١/١٠٩ .

(٥) الديوان : ٢/١١٠ .

(٦) الحَلْحَول : الضخم .

وبقدر مايفتخر بدارم ومجاشع وضبة نجده يفتخر بخندف قائلا :

تَهَامَةُ وَالْبِطَاحُ إِذَا سَدَدْنَا ... بِخِنْدِفَ مِنْ تِهَامَةَ كُلَّ بَابِ (١)

، لَنَا حَوْمُ بَحْرَي خِنْدِفٍ قَدْ حَمَتْ بِهِ ... لَهُ مَنْ أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ اضْطِرَابُهَا (٢)

ويقول مفاخرا بخندف وقيس عيلان معا : (٣)

إِذَا خِنْدِفٌ بِالأَبْطَحَيْنِ تَغَطْرَفَتْ ... وَرَائِي وَقَيْسٌ ذَيَّلَتْ بِالْمُشَرَّقِ

فَمَا أَحَدٌ إِلاَّ يَرَانَا أَمَامَهُ ... وَأَرْبَابَهُ مِنْ فَوْقِهِ حِينَ نَلْتَقِي

وَمَنْ يَلْقَ بَحْرَيْنَا إِذَا مَاتَنَاطَحَا ... بِخِنْدِفَ أَوْقَيْسِ بْنِ عَيْلاَنَ يَغْرَقِ

هُمَا جَبَلا اللهِ اللَّذَانِ ذُرَاهُمَا ... مَعَ النَّجْمِ فِي أَعْلَى السَّمَاءِ الْمُحَلِّقِ

فَتَحْنَا بِإِذْنِ اللهِ كُلَّ مَدِينَةٍ ... مِنَ الْهِنْدِ أَوْبَابٍ مِنَ الرُّومِ مُغْلَقِ

والملاحظ على الفرزدق أنه لايجد مدخلا يلج منه للشرف والعلو الا ولجه ،فهاهو يفتخر بمضر لأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- منها وهى بذلك فى الذروة من الشرف :

إِذَا مُضَرُ الْحَمْرَاءُ حَوْلِي تَعَطَّفَتْ ... عَلَيَّ وَقَدْ دَقَّ اللُّجَامَ شَكِيمِي

أَبَوْا أَنْ أَسُومَ النَّاسَ إِلاَّ ظُلاَمَةً ... وَكُنْتُ ابْنَ ضِرْغَامِ الْعَدُوِّ ظَلُومِ

، أَبَتْ مُضَرُ الْحَمْرَاءُ إِلاَّ تَكَرُّمًا ... عَلَى النَّاسِ يَعْلُو كُلَّ جَدٍّ جُدُودُهَا

، يَخْتَلِفُ النَّاسُ مَالَمْ نَجْتَمِعْ لَهُمُ ... وَلاَ اخْتِلاَفَ إِذَا مَا أَجْمَعَتْ مُضَرُ (٤)

---

(١) الديوان : ١ / ٣٣

(٢) الديوان ١ / ٦٣ .

(٣) الديوان : ٢ / ٣٨ .

(٤) ديوان الفرزدق : ٢ / ٢٨٦ ، ١ / ١٥٨ ، ٢٠٠ .

وقد يجره هذا الفخر الى أن يذكر النبى -صلى الله عليه وسلم - ثم يفتخر به كقوله :(١)

وَمِنَّا رَسُولُ اللّٰهِ أُرْسِلَ بِالْهُدَى ... وَبِالْحَقِّ جَاءَتْ بِالْيَقِينِ نَوَادِرُهْ
وَمِنَّا نَبِيُّ اللّٰهِ يَتْلُو كِتَابَهُ ... بِهِ دُوِّخَتْ أَوْثَانُهَا وَيَهُودُهَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّا بِالْمَشَاعِرِ يُهْتَدَى ... بِنَا وَلَنَا مَجْدُ الْفَخُورِ الْمُصَدَّقِ
أَبِى مُضَرٌ مِنْهُ الرَّسُولُ الذى هَدَى ... بِهِ اللّٰهُ مَنْ صَلَّى بِغَرْبٍ وَمَشْرِقِ

وقد وجد هذا الشاعر فى تميم القبيلة العظيمة الكثيرة فى العدد والعدة مجالا لفخره فهو ابنها البار الذى يضرب نسبه فى دارم ، وهو سيفها المسلول فى وجه الأعداء :(٢)

أَنَا ابنُ العَاصِمِينَ بَنِى تَمِيمٍ ... إِذَا مَا أَعْظَمُ الْحَدَثَانِ نَابَا
نَمَانِى كُلُّ أَصْيَدَ (٣) دَارِمِيٍّ ... أَغَرَّ تَرَى لِقُبَّتِهِ حِجَابَا
بُيُوتًا يَبْتَنُونَ تَوَارَثُوهَا ... سُرَادِقُهَا المَقَاوِلُ وَالْقِبَابَا

ويقول فى مناقضة جرير :(٤)

مَنَعْتُ تَمِيمًا مِنْكَ إِنِّى أَنَا ابْنُهَا ... وَرَاجِلُهَا المَعْرُوفُ عِنْدَ المَوَاسِمِ
أَنَا ابْنُ تَمِيمٍ وَالْمُحَامِي وَرَاءَهَا ... إِذَا أَسْلَمَ الْجَانِي ذِمَارَ المَحَارِمِ

ويقول مصورا قوة هذه القبيلة وعظمتها حتى أن الناس لابد وأن يطيعوا ويمتثلوا لأمرها وإلاَّ حزت حلاقم المتمردين (٥) :

---

(١) ديوان الفرزدق : ٣٢٢/١ ، ١٥٩-٣٨/٢ .
(٢) الديوان ٩٩/١ . (٣) الأصيد : المائل العنق المتكبر المزهو بنفسه ، وكل ذى حول وطول من ذوى السلطان- المعجم الوسيط (صيد)
(٤) الديوان ٣١٣/٢ (٥) الديوان : ٣١٢/٢ .

فَمَا بَيْنَ مَنْ لَمْ يُعْطِ سَمْعاً وَطَاعَةً ... وَبَيْنَ تَمِيمٍ غَيْرُ حَزِّ الحَلاَقِمِ
فَإِنَّ تَمِيماً لَمْ تَكُنْ أُمُّهُ ابْتَغَتْ ... لَهُ صِحَّةً فِي مَهْدِهِ بِالتَّمَائِمِ
كَأَنَّ أَكُفَّ القَابِلاَتِ لِأُمِّهِ ... رَمَيْنَ بِعَادِيِّ الأُسُودِ الضَّرَاغِمِ (١)
تَأَزَّرَ بَيْنَ القَابِلاَتِ وَلَمْ يَكُنْ ... لَهُ تَوْأَمٌ إِلاَّ دَهَاءُ لِحَازِمِ (٢)

واذا تتبعنا فخر الفرزدق بقومه تراءت لنا صور المجد من كل جانب فتارة يصورهم بأنهم كرام أجواد يكرمون الضيف ويبالغون فى اكرامه اذا تقاعس غيرهم عن ذلك فيقول مصورا هذا الكرم ومفتخرا به : (٣)

وَكُنَّا إِذَا نَامَتْ كُلَيْبٌ عَنِ القِرَى ... إِلَى الضَّيْفِ نَمْشِي بِالعَبِيطِ (٤) وَنَلْحِفُ
وَقِدْرٍ فَثَأْنَا غَلْيَهَا بَعْدَ مَا غَلَتْ ... وَأُخْرَى حَشَشْنَا بِالْعَوَالِي تُؤَثَّفُ
وَكُلُّ قِرَى الأَضْيَافِ نَقْرِي مِنَ القَنَا ... وَمُعْتَبَطٌ فِيهِ السَّنَامُ المُسَدَّفُ (٥)

وتارة يفخر بقومه ويصورهم بأنهم أفضل من يمشى على الأرض ، وأن قبور أمواتهم أفضل القبور قائلا : (٦)

وَأَفْضَلُ مَنْ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ حَيُّنَا ... وَمَا ضَمِنَتْ فِي الذَّاهِبِينَ قُبُورُهَا
لَنَا دُونَ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ عَلَيْهِمُ ... من الناس طرا شمسها وبدورها
أخذنا بآفاق السماء عليهم ... لَنَا بَرُّهَا مِنْ دُونِهِمْ وَبُحُورُهَا

---

(١) القَابِلاَتُ : هن اللواتى يتلقينه عند الولادة . والضراغم : الأسود الشديدة
(٢) الحَازِمُ : هو الشديد .
(٣) الديوان : ٢ / ٣٠ .
(٤) العَبِيطُ : هو اللحم الطرى غير ناضج .
(٥) السَّنَامُ المُسَدَّفُ : السديف لحم السنام جمعه سدائف وهو الشحم المقطع انظر المعجم الوسيط (سدف) .
(٦) الديوان : ١ / ٢٢٣ .

وكأن الفرزدق هنا متأثر بقول عمرو بن كلثوم التغلبي الجاهلي في معرض فخره القبلي :

لَنَا الدُّنْيَا وَمَنْ أَمْسَى عَلَيهَا ... وَنَبْطِشُ حِينَ نَبْطِشُ قَادِرِينَا (١)

مَلأْنَا الأَرْضَ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا ... وَمَاءُ البَحْرِ نَمْلأُهُ سَفِينَا

وأحيانا أخرى يصور قومه بأنهم حلماء وقت الحلم وأنهم كالجن أو الجبال وقت الغضب حينما يهم أحد بالجهل عليهم فيقول مفتخرا بهذا الجانب : (٢)

إِنَّا لَتُوزَنُ بِالْجِبَالِ حُلُومُنَا ... وَيَزِيدُ جَاهِلُنَا عَلَى الجُهَّالِ

أَحْلَامُنَا تَزِنُ الْجِبَالَ رَزَانَةً ... وَتَخَالُنَا جِنًّا إِذَا مَا نَجْهَلُ

فَضَلْنَا بِثِنْتَيْنِ المَعَاشِرَ كُلَّهُمْ ... بِأَعْظَمِ أَحْلَامٍ لَنَا وَجِفَانِ

يَرُدُّونَ الحُلُومَ إِلَى جِبَالٍ ... وَإِنْ شَاغَبْتَهُمْ وَجَدُوا شِغَابَا

ويفتخر بأن قومه ملوك في منازلهم قادة شجعان في حومات الوغى (٣) :

حُلَلُ المُلُوكِ لِبَاسُنَا فِي أَهْلِنَا ... وَالسَّابِغَاتِ إِلَى الْوَغَى نَتَسَرْبَلُ

ويفخر بأن قومه أحق الناس بالمجد فهم ملوك لا يصادمهم أحد إلا غرق في بحورهم وهلك ويصور هذه الصفات بقوله مفتخرا : (٤)

---

(١) انظر معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي وهي من عيون الفخر القبلي .

(٢) ديوان الفرزدق ٢ / ١٦٥ ، ١٥٧ ؛ ٣٣٠ - ١ / ١٠٠ .

(٣) الديوان ٢ / ١٥٧ .

(٤) الديوان : ٢ / ٣١٥ .

أَلَسْنَا أَحَقَّ النَّاسِ يَوْمَ تَقَايَسُوا   إِلَى المَجْدِ بِالْمُسْتَأْثِرَاتِ الجَسَائِمِ
مُلُوكٌ إِذَا طَمَّتْ عَلَيكَ بُحُورُهَا   تَطَحْطَحَتَ فِي آذِيِّهَا المُتَصَادِمِ
إِذَا مَا وُزِنَّا بِالجِبَالِ رَأَيْتَنَا   تَمِيلُ بِأَنْضَادِ الجِبَالِ الأَضَاخِمِ

ويفخر بقومه ويصورهم بأنهم بلغوا ذروة الشرف وأنهم سادة الدنيا يتحملون الحمالات واليهم يهرب كل مظلوم ، وأنهم لا يقتلون الأسرى بل يفكونهم لأنهم أناس شيمتهم العفو عند المقدرة :(١)

إِذَا عَجِزَ الْأَحْيَاءُ أَنْ يَحْمِلُوا دَمًا   أَنَاخَ إِلَى أَجْدَاثِنَا كُلُّ غَارِمِ
تَرَى كُلَّ مَظْلُومٍ إِلَيْنَا فِرَارُهُ   وَيَهْرُبُ مِنَّا جَهْدَهُ كُلُّ ظَالِمِ
وَلَا نَقْتُلِ الْأَسْرَى وَلَكِنْ نَفُكُّهُمْ   إِذَا أَثْقَلَ الأَعْنَاقَ حَمْلُ المَغَارِمِ(٢)
وَكَمْ مِنْ أَسِيرٍ قَدْ فَكَكْنَا وَمِنْ دَمٍ   حَمَلْنَا إِذَا مَا ضَجَّ بِالثِّقْلِ غَارِمُهْ

وفى هذا المعنى من الجمال والعمق مالا يخفى لأن الأحياء اذا عجزوا عن العطاء ودفع الحمالات يكون الأموات من باب أولى ، لكن قوم الشاعر يكادون يختلفون عن الناس فأمواتهم يستطيعون القيام بما لم يستطع القيام به الأحياء من غيرهم . فهو يرتفع بالمعنى درجة فوق المعقول ، لكن هذا نتيجة متوقعة لما يشعر به الشاعر من عز وعظمة بانتمائه القبلى ، وهو بهذا يومىء الى قبر أبيه

---

(١) ديوان الفرزدق ٢ / ٣١٤ .

(٢) (غرم) غرما وغرامة : لزمه مالا يجب عليه ، ويقال : غرم الدية والدين أداهما عن غيره .
المعجم الوسيط (غرم) .

غالب المدفون بكاظمة ،وقد تسامى به هذا الشرف وهذا المجد الى أن يفخر بأن الشمس لو أنكحت النجوم نباتها لكان قوم الشاعر أسبق الى نكاح نبات الشمس قبل الكواكب : (١)

وَلَوْ تُنْكِحُ الشَّمْسُ النُّجُومَ بَنَاتِهَا ... إِذًا لَنَكَحْنَاهُنَّ قَبْلَ الكَوَاكِبِ .

ويرى أن مجدهم قد تسامى بهم الى أعلى المنازل حتى أن السحاب لو سبق وأن رفع اليه أحدا لكانوا قوم الشاعر : (٢)

وَلَوْ رَفَعَ السَّحَابُ إِلَيْهِ قَوْمًا ... عَلَوْنَا فِي السَّمَاءِ إِلَى السَّحَابِ

ويقول مفتخرا بكثرة قومه في العدد والعدة : (٣)

لَنَا قَمَرُ السَّمَاءِ عَلَى الثُّرَيَّا ... وَنَحْنُ الأَكْثَرُونَ حَصًى وَغَابَا

ويقول : (٤)

لَنَا عَدَدٌ يُرْبِي عَلَى عَدَدِ الْحَصَى ... وَيُضْعِفُ أَضْعَافًا كَثِيرًا عَذِيرُهَا

فأى فخر أكبر من هذا ؟! الذى تومىء لنا الألفاظ والمعانى فيه بكثير من التجاوز لحدود المعقول والمبالغة فلا أحد يستطيع أن يملك القمر والثريا مهما علت منزلته وكثر نفيره ،ولكن خيال الشاعر ترامى الى أفق رحب فاستطاع أن يقدم لنا هذه الصورة الشعرية الرائعة التى تنم عن خيال متدفق متطلع الى أعلى غاية

(١) ديوان الفرزدق : ١/ ٩٧ .

(٢) الديوان : ١/ ٩٨ .

(٣) الديوان : ١/ ١٠٠ .

(٤) الديوان : ١/ ٢٢٢ .

في المجد والسؤدد .

والحقيقة أن الكثرة ليست مدار الفخر وانما العبرة بالصفات الحميدة التي يتحلى بها الناس سواء أكانوا قليلا أم كثيرا وهذا ما أشار اليه السموأل[1] بقوله مفتخرا : [2]

تُعَيِّرُنَا أَنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا ... فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الكِرَامَ قَلِيلُ

وَمَاضَرَّنَا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنَا ... عَزِيزٌ وَجَارُ الأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ

هذا في الواقع مايتعلق بفخر الفرزدق القبلي ،أما عن الجانب الثاني من فخر هذا الشاعر :-

فهو الجانب الذاتي وهو مادار حول الشاعر نفسه وامتد الى آبائه وأجداده وعشيرته الأقربين كأخواله وأخوال أبيه ومن في حكم هؤلاء ممن يمتون الى الشاعر بصلة قرابة .

والفرزدق كثير الاعتداد بنفسه وقد ملأ الدنيا بالحديث عنها وعن أبيه غالب وجده صعصعة ،وقد كانتا هاتان الشخصيتان رافدا لاينضب معينه يستمد منه الشاعر فيضًا غزيرا من المعاني السامية يزجيها في مفاخره الكثيرة ،وقد يمتد هذا الفخر ليشمل أخواله بني ضبه وكذلك الأقرعين ابني حابس أخوال أبيه .

ولم نجد من شارك الفرزدق خيلاءه في العصر الأموي ولا حتى فيما بعده الا أبا الطيب المتنبي رغم اختلاف الزمن والبيئة والنشأة

---

(١) وهو السموأل بن عاديا من أهل تيماء وهو من شعراء اليهود ، انظرابن سلام : ١/ ٢٧٩ .

(٢) أنظر الحماسة البصرية : ١/ ١٤٧ .

والمحتد بين الشاعرين ،وهو فى نظر نفسه كريم لا يجارى قد ضحى فى سبيل كرمه بناقته فى وقت الشدة : (١)

وَلَوْ سأَلْتَ عَنِّي سُوَيْدَةُ أُنْبِئَتْ ... إِذَا كَانَ زَادُ القَوْمِ عَقْرَ الرَّكَائِبِ
بِضَرْبِي بِسَيْفِي سَاقَ كُلِّ سَمِينَةٍ ... وَتَعْلِيقِ رَحْلِي مَاشِيًا غَيْرَ رَاكِبِ

وقوله : (٢)

إِذَا خَمَدَتْ نَارٌ فَإِنَّ ابْنَ غَالِبٍ ... سَتُوقِدُهَا لِلطَّارِقِينَ خَلَائِقُهْ
أَنَا المُطْعِمُ المَقْرُورُ فِي لَيْلَةِ الصَّبَا ... وَأَجْهَلُ مَنْ يَخْشَى الجَهُولُ بَوَائِقُهْ

وهو يفتخر بأن هذه السجية الطيبة صفة من صفات أبيه حتى بعد مماته وأنه سيظل وفيا لها .

فَقَالُوا اشْتَغِثْ بِالْقَبْرِ أَوْأَسْمِعِ ابْنَهُ ... دُعَاءَكَ يَرْجِعْ رِيقُ فِيكَ إِلَى الْفَمِ (٣)
فَأَقْسَمَ لَا يَخْتَارُ حَيًّا بِغَالِبٍ ... وَلَوْ كَانَ فِي لَحْدٍ مِنَ الْأَرْضِ مُظْلِمِ
فَقُلْتُ لَهُ أَقْرِيكَ عَنْ قَبْرِ غَالِبٍ ... هُنَيْدَةَ إِذْ كَانَتْ شِفَاءً مِنَ الدَّمِ

وأى صورة من صور الفخر الشخصى أعظم من هذه الصورة التى يرسمها الفرزدق مبينا اغراقه فى الكرم وحبه للضيف . وسرعة القرى فيقول مفتخرا : (٤)

وَمُسْتَنْبِحٍ وَاللَّيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... يُرَاعِي بِعَيْنَيْهِ النُّجُومَ التَّوَالِيَا
سَرَى إِذْ تَغَشَّى اللَّيْلُ تَحْمِلُ صَوْتَهُ ... إِلَى الصَّبَا قَدْ ظَلَّ بِالْأَمْسِ طَاوِيَا

---

(١) الديوان : ١ / ٢٧ .
(٢) الديوان : ٢ / ٥٠ .
(٣) ديوان الفرزدق : ٢ / ١٩٨
(٤) ديوان الفرزدق : ٢/ ٣٥٦ - ٣٥٧ .

فَلَمَّا رَأَيْتُ الرِّيحَ تَخْلِجُ نَبْحَهُ ... وَقَدْ هَوَّرَ اللَّيْلُ السِّمَاكَ اليَمَانِيَا
حَلَفْتُ لَهُمْ إِنْ لَمْ تُجِبْهُ كِلَابُنَا ... لَأَسْتَوْقِدَنْ نَارًا تُجِيبُ المُنَادِيَا
وَقُلْتُ لِعَبْدَيَّ أَسْعِرَاهَا فَإِنَّهَا ... كَفَى بِسَنَاهَا لِابْنِ إِنْسِكَ دَاعِيَا
فَمَا خَمَدَتْ حَتَّى أَضَاءَ وَقُودُهَا ... أَخَا قَفْرَةٍ يُزْجِي الْمَطِيَّةَ حَافِيَا
فَقُمْتُ إِلَى البَرْكِ الهُجُودِ وَلَمْ يَكُنْ ... سِلَاحِي يُوَقِّي الْمُرْبِعَاتِ المَتَالِيَا
فَخُضْتُ الى الأَثْنَاءِ مِنْهَا وَقَدْ تَرَى ... ذَوَاتِ البَقَايَا المُعْسِنَاتِ مَكَانِيَا
وَمَاذَاكَ إِلَّا أَنَّنِي اخْتَرْتُ لِلْقِرَى ... ثَنَاءَ المَخَاضِ وَالْجِذَاعَ الأَوَابِيَا
فَمَكَّنْتُ سَيْفِي مِنْ ذَوَاتِ رِمَاحِهَا ... غِشَاشًا وَلَمْ أَحْفِلْ بُكَاءَ رِعَائِيَا

وهذه الأبيات ببنائها وأسلوبها القصصي المؤثر تشكل صورة جميلة للشاعر وهو يتأهب لاستقبال ذلك الضيف الطارئ ومايترتب على هذا الاستقبال من حفاوة بالغة . وهي صورة جميلة تحكى لنا الكرم العربي الأصيل وسرعة القرى للضيف ،وهذه القصيدة تشكل أجمل قصائد الفرزدق في الفخر لأنها تحكى سجايا محببة بعيدا عن التباهي بالنسب والقبيلة ،هذه السجايا هي اكرام الضيف ،والبشاشة في وجهه . كما أن هذه القصيدة تمثل كرم الفرزدق وقت الشباب وهو يرى في نفسه العظمة والسيادة . وقد تجلت فيها عبقريته المصورة وقدرته على الحكاية والقص ،وتمكنه من ناصية اللغة لفظا ومجازا وصورا وهو يرى نفسه رفيعا كالنجم المصلط على رقاب الأعداء فيقول :

واني أنا النجم الذى عذبت به ... قرى أمة بادت وباد نخيلها (١)

---

(١) الديوان : ٢ / ١١٧ .

ويرى أنه كالموت الذى يأخذ النفس ولا يستطيع أحد رده وأنه البدر الذى لايناله أحد فيقول : (١)

فَإِنّي أَنَا المَوْتُ الّذِي هُوَ ذَاهِبٌ بِنَفْسِكَ فَانْظُرْ كَيْفَ أَنْتَ مُحَاوِلُهُ
أَنَا البَدْرُ يُعْشِي طَرْفَ عَيْنَيْكَ فَالْتَمِسْ بِكَفَّيْكَ يَاابْنَ الكَلْبِ هَلْ أَنْتَ نَائِلُهْ

ويفتخر بشاعريته وأنه عظيم لم يأته الشعر مصادفة لكنه سليل شعراء كبار ورث منهم الشعر كامرئ القيس ،والمهلهل ،وطرفة ،والأعشى والمرقش ،وعلقمة وغيرهم من الفحول فيقول : (٢)

وَهَبَ القَصَائِدَ لِي النَّوَابِغُ إِذْ مَضَوا وَأَبُو يَزِيدَ وَذُو القُرُوحِ وَجَرْوَلُ
وَالفَحْلُ عَلْقَمَةُ الّذِي كَانَتْ لَهُ حُلَلُ المُلُوكِ كَلاَمُهُ لاَيُنْحَلُ
وَأَخُو بَنِي قَيْسٍ وَهُنَّ قَتَلْنَهُ وَمُهَلْهِلُ الشُّعَرَاءِ ذَاكَ الأَوَّلُ
وَالأَعْشَيَانِ كِلاَهُمَا وَمُرَقِّشٌ وَأَخُو قُضَاعَةَ قَوْلُهُ يُتَمَثَّلُ
وَأَخُو بَنِي أَسَدٍ عُبَيْدٌ إِذْ مَضَى وَأَبُو دُوَادٍ قَوْلُهُ يُتَنَحَّلُ
وَابْنَا أَبِي سُلْمَى زُهَيْرٌ وَابْنُهُ وَابْنُ الفُرَيْعَةِ حِينَ جَدَّ المِقْوَلُ
وَالجَعْفَرِيُّ وَكَانَ بِشْرٌ قَبْلَهُ لِي مِنْ قَصَائِدِهِ الكِتَابُ المُجْمَلُ
وَلَقَدْ وَرِثْتُ لِآلِ أَوْسٍ مَنْطِقًا كَالسَّمِّ خَالَطَ جَانِبَيْهِ الحَنْظَلُ
وَالحَارِثِيُّ أَخُو الحِمَاسِ وَرِثْتُهُ صَدْعًا كَمَا صَدَعَ الصَّفَاةَ المِعْوَلُ

وبقدر مايفتخر بنفسه نجده كذلك يفتخر بأبيه وجده ،فيقول فى هذا المجال مفتخرا بأبيه : (٣)

---

(١) الديوان : ٢ / ١٧١ .

(٢) الديوان : ٢ / ١٥٩ .

(٣) الديوان : ١ / ٣٦ .

لَعَمْرِكَ مَا لِلْفَاخِرِيْنَ عَشِيْرَةٌ ... تُفَاخِرُنِي وَلَا لَهُمُ مِثْلُ غَالِبِ
بَنَى بَيْتَهُ حَتَّى اسْتَقَلَّ مَكَانَهُ ... فَسَامَى بِهِ الجَوْزَاءَ بَيْنَ الكَوَاكِبِ

ويستمر في افتخاره بأبيه فيقول :

أَبِى غَالِبٌ واللّٰهُ سَمَّاهُ غَالِبًا ... وَكَانَ جَدِيرًا أَنْ يَضُرَّ وَيَنْفَعَا

وقد بالغ في هذا الفخر فان الضار والنافع هو الله سبحانه وتعالى وليس غيره ،أما اذا كان يقصد أنه يضر الأعداء وينفع الأصدقاء فلا بأس به حينئذ ،وقد ورد هذا المعنى من قبل عند قيس بن الخطيم عندما قال : (١)

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعْ فَضَرَّ فَإِنَّمَا ... يُرَادُ الفَتَى كَيْمَا يَضُرَّ وَيَنْفَعُ

ويستمر في فخره بأبيه كقوله : (٢)

وَقَوْمٌ أَبُوهُمْ غَالِب جُلَّ مَالِهِمْ ... مَحَامِدُ أَغْلَاهَا مِنَ المَجْدِ غَالِبُ
بَنُوا كُلَّ فَيَّاضِ اليَدَيْنِ إِذَا شَتَا ... وَأَكْدَتْ بِأَيْمَانِ الرِّجَالِ المَطَالِبُ

ويقول مفاخرا بجده صعصعة : (٣)

وَصَعْصَعَةَ المُجِيرُ عَلَى المَنَايَا ... بِذِمَّتِهِ وَفَكَّاكِ العُنَاةِ

وقد اتخذ الفرزدق من عمل جده العظيم حينما افتدى الموؤدات

---

(١) هو قيس بن الخطيم من بني ظفر من الأوس عده ابن سلام من شعراء القرى / طبقات فحول الشعراء : ١/٢١٥ .
(٢) الديوان : ١/٩٤ . (٣) الديوان : ١/١٠٩ .

وسيلة فافتخر بهذا العمل الجليل الذى لم يسبق اليه أحد : (١)

أَنَا ابْن الّذِي مَنَعَ الوَائِدَا تِ وَأَحْيَا الوَئِيدَ فَلَمْ يُوأَدِ

أَنَا ابنُ الذِى أَحْيَا الوَئِيدَ وَلَمْ أَزَلْ أُحَلُّ بِهَا مَاتِ اللّهَا مِنْهم مِنْ مُضَرّ

على أن من أجمل صور الفخر بهذا العمل الجليل الذى قام به جده تصويره اياه بأنه أفضل من الغيث عندما قال : (٢)

أَبِى أَحَدُ الغَيْثَيْنِ صَعْصَعَةُ الذِى مَتَى تُخْلِفِ الجَوْزَاءُ وَالنَّجْمُ يُمْطِرِ

فقد ارتفع بالمعنى درجة فوق التشبيه ليبين أن جده صعصعة أفضل من الغيث (٣) ويستمر فى رسم هذه الصورة الجميلة فيقول مفتخرا : (٤)

أَجَارَ بَنَاتِ الوَائِدِينَ وَمَنْ يُجِرْ عَلَى الفَقْرِ يَعْلَمْ أَنَّهُ غَيْرُ مُخْفَرَ
وَفَارِقِ لَيْلٍ مِنْ نِسَاءٍ أَتَتْ أَبِي تُعَالِجُ رِيْحًا لَيْلُهَا غَيْرُ مُقْمِرِ
فَقَالَتْ أَجِرْ لِي مَا وَلَدْتُ فَإِنَّنِي أَتَيْتُكَ مِنْ هَزْلَى الحَمُولَةِ مُقْتِرِ
هِجَفٌّ مِنَ العُثْوِ الرّؤوسِ إِذَا اضْغَتْ لَهُ ابنَةُ عَامٍ يَحْطِمُ العَظْمَ مُنْكَرِ
رَأَى الأَرْضَ مِنْهَا رَاحَةً فَرَمَى بِهَا إِلَى خُدُدٍ مِنْهَا وَفِى شَرّ مَحْفِرِ
فَقَالَ لَهَا نَامِي فَإِنِّي بِذِمَّتِي لِبِنْتِكِ جَارٌ مِنْ أَبِيْهَا القَنَوّرِ

وهذه الصورة الفنية التى أبدعها الفرزدق تدلنا على أنه يتعالى بهذا العمل الجليل ويجد فيه منطلقا لفخره فيجيد فى رسم

---

(١) الديوان : ١٧٣/١ ، ٣٣٩ . (٢) الديوان : ٣٧٩/١-٣٨٠ .
(٣) التصوير البيانى ـ د . محمد أبو موسى : ٧٥ .
(٤) الديوان : ٣٧٩/١ - ٣٨٠ .

الصور التى تمثل للقارىء ذلك الواقع المظلم الذى حاربه صعصعة ووقف فى وجه من يختط هذا العمل المشين من عرب الجاهلية حتى جاء الاسلام فأزال هذه العادة الذميمة عندما حرم وأد البنات . وقد استحسن الرسول -صلى الله عليه وسلم - عمل هذا الرجل كما ورد فى بعض الروايات . (١) ويمتد فخر الفرزدق بعشيرته الأدنين ليشمل الأقارع والحتات بالاضافة الى أبيه وجده فيقول : (٢)

إِنَّ الأَقَارِعَ وَالحُتَاتَ وَغَالِبًا وَأَبَا هُنَيْدَةَ دَافَعُوا لِمَقَامِى
إِنِّى وَجَدْتُ أَبِى بَنَى لِيَ بَيْتَهُ فِى دَوْحَةِ الرُّؤَسَاءِ وَالحُكَّامِ

ويتطاول ليشمل خاله في فخره الشخصي ~~ليشمل خاله كذلك~~ قائلا : (٣)

مِنَّا الَّذِى جَمَعَ المُلُوكَ وَبَيْنَهُمْ حَرْبٌ يُشَبُّ سَعِيرُهَا بِضِرَامِ
وَأَبِى ابنُ صَعْصَعَةَ ابْنِ لَيْلَى غَالِبٌ غَلَبَ المُلُوكَ وَرَهْطُهُ أَعْمَامِي
خَالِى الَّذِي تَرَكَ النَّجِيعَ بِرُمْحِهِ يَوْمَ النَّقَا شَرِقًا عَلَى بِسْطَامِ

فقد جمع فى هذا الفخر كما نرى أباه وجده وجدته وخاله ورهطه الأدنين . وهكذا ملك الفخر على الفرزدق نفسه . وكان هذا الغرض يطغى على نتاجه كله .

وبعد هذا يمكننا أن نقول اننا لو تتبعنا فخر الفرزدق القبلى وحده أو الشخصى لكان هذا كفيلا بأن يكون بحثا متكاملا فقد كان قومه فى نظره أعز العرب بيتا ،وأرفعهم شرفا وأوسعهم

---

(١) انظر الأغانى : ٢١ / ٢٧٩ - ٢٨١ .

(٢) ديوان الفرزدق : ٢ / ٣٠٥ - ٣٠٦ . (٣) الديوان : ٢ / ٣٠٦

خيرا وكرما وهم ذووا العقول التى توازى الجبال والثبات الـــذى لا يتزعزع والشجاعة التى تفوق كل شجاعة .

ويبدو هذا الشاعر فى فخره صادق العاطفة متوثب الخيـــال لأنه ينطلق فيه من نفسية متطلعة الى العلا والمجد ،ولأنه مؤمـــن بما يقول يعيش هو ذاته هذا الواقع الذى يكتنفه الشرف من كـــل جانب فكانت ألفاظـــه جزلة ومعانيه عميقة المدلول .

ومن هنا كان الفخر فنه الأول الذى برز فيه وعلا حتى لا يدانيه شاعر من شعراء عصره ،ولا من جاءوا بعده فيما نعلم .

كان يفخر بمجاشع ،ودارم ،وتميـــم ،وبأخوالـــه بنى ضبـــة وخندف ،ومضر كلها حتى وصلت به تطلعاته للشرف والمجد الـــى أن يفتخر بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم ،والخلفاء ،فضـــلا عن نفســـه ،وشرفه وكرمه ،وشعره وآبائه وأسرته .

وقد يأتى باللفظ المعبر ليدل به على معنى جميل يصـــوره تصويرا بارعا كقوله مفتخرا بشجاعته : (١)

وَسُرى إِذَا مالطِّرْمِسَاءُ تَطَخْطَخَتْ عَلَى الرَّكْبِ حَتَّى يَحْسَبُوا القُفَّ وَادِيَا

فان التعبير بلفظى (الطرمساء ،تطخطخت) فيهما من الدلالـــة والايحاء على ظلمة الليل وهوله مايجعل الانسان يتورع عن الســـير فيه ،لأن هذه العبارة بلفظها وجرس حروفها تدل على ثقل الليـــل

---

(١) الديوان : ٢/ ٣٥٥ .

وشدة ظلمته وبالتالى تعثر الركبان حتى أن الماشى فى هـــــذا الليل البهيم لم يعد يميز التل من الوادى . لكن الشاعر تخطى هذه الأخطار المحدقة وركبها بشجاعته ليبحث عن الضيف التائـــه مما يدلنا على كرمه وعطائه وشجاعته .

ومثل هذه الألفاظ كثيرا نجدها فى ثنايا فخره كقوله أيضـــا فى فخره على جرير : (١)

مُلُوكٌ إِذَا طَمَّتْ عَلَيْكَ بُحُورُهَـا   تَطَحْطَحْتَ فِى آذِيِّهَا الْمُتَصَادِمِ

فان لفظ (تطحطحت) يدل بجرس حروفه على قوة قوم الشاعر وعلـــو مجدهم وضياع من أراد مصادمتهم ،وبمثل هذه الألفاظ البليغـــة القوية والصور الفنية المعبرة يسير الفرزدق فى فخره كله فيعبـــر عما يريد بألفاظ نشتم فيها رائحة العظمة من مثل قوله : (٢)

بَخْبَخْ لَنَا الشَّرَفُ الْقَدِيمُ وَعِزُّنَـا   قَهَرَ الْبِلَادَ فَمَالَهُ تَنْكِيـــرُ
أَحْيَاؤُنَا خَيْرُ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَــــا   وَقُبُورُنَا مَافَوْقَهُنَّ قُبُـــورُ

لقد تجاوزت العظمة بالشاعر الى أن يصور قبور قومه بأنها تعلـــو قبور الناس كافة فضلا عن الأحياء منهم . ولكن هذه العظمة وهـذا التجاوز قد خرجا بالفرزدق عن حدود المعقول لأن الانسان فـــى قبره لا يفضل غيره الابما لديه من رصيد فى أعمال الخير .

---

(١) الديوان : ٣١٥/٢ .

(٢) الديوان : ٢٩٧/١ .

ولكن عظمة الفرزدق ونظرته لعشيرته جعلته ينسى من حوله من الأحياء ، والأموات من غير قومه . ولا يرى سوى قبيلته ونفسه وعشيرته الدنيا فيصور الناس وقد خضعوا لقومه وكأنهم خراريب طير فرقتها الصقور : (١)

وَنَحْنُ ضَرَبْنَا النَّاسَ حَتَّى كَأَنَّهُمْ ... خَرَارِيبُ(٢) طَيْرٍ صَعْصَعَتْهَا(٣) صُقُورُهَا

وكما نرى فان من أهم عناصر فن الفرزدق التعبيرى فى الفخر استعماله بكثرة الألفاظ الثنائية التراكيب وأفعل التفضيل ، وصيغ المبالغة لتهويل المبالغ فيه ، وجنوحه الى استعمال الألفاظ البدوية القوية الجافية ، والاكثار فى فخره الشخصى من تعداد أسماء آبائه وأجداده وقد وجد فى نسبه العريق متكأ يفاخر به ، حتى أن القارئ لشعر الفخر عند الفرزدق يستطيع بعد عدة قصائد أن أن يسرد أسماء آبائه وأجداده فى كل قصيدة قبل أن يقرأها لأن تلك الأسماء لمعت واشتهرت فى محيطها وتمكن من عرضها فى كل مناسبة وكأنها معينا لا ينضب يستمد منه معانى فخره وتطاوله على غيره حتى لقد أنساه هذا التطاول أن يمدح الخليفة سليمان بن عبد الملك عندما طلب منه أن ينشده ، فقال مفتخرا بين

---

(١) الديوان : ١ / ٢٢٣ .

(٢) الخراريب : جمع خرب وهو ذكر الحبارى .

(٣) صعصعتها : أى فرقتها - يريد أن هذه الصقور أفزعت الطيور فتفرقت هذه الطيور واضطربت نتيجة لهذا الخوف .
المعجم الوسيط (صعصع) .

يديـــه : (١)

وَرَكْبٍ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُمْ ... لَهَا تِرَةً مِنْ جَذْبِهَا بِالعَصَائِبِ

سَرَوْا وَسَرَتْ نَكْبَاءُ وَهْيَ تَلُفُّهُمْ ... إِلَى شُعَبِ الأَكْوَارِ ذَاتِ الحَقَائِبِ

إِذَا آنَسُوا نَارًا يَقُولُونَ لَيْتَهَا ... وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمُ نَارُ غَالِبِ

فأعرض عنه سليمان كالمغضب لأنه أراد أن ينشده مدحا فيه لكنه افتخر بأبيه ونسي أنه بحضرة الخليفة . (٢)

****

---

(١) زهر الآداب ـ للحصري ١ / ٣٣٥ .

(٢) لم يكن الفرزدق من الشعراء الذين بادروا بتأييد دعوة الوليد ابن عبد الملك بخلع سليمان من ولاية العهد وجعلها لابنه . فاحتفظ سليمان للفرزدق بهذا الموقف المشرف معه مما كان سببا في توطيد العلاقة بينهما .

الفصل الثالث

الغزل
لدى
جرير

" " الفصل الثالـــث " "

÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷

* * الغرضان لدى جـــــريـــر * *

يحسن بنا بادئ ذى بدء أن نبدأ بدراسة مدائح جريـــر للولاة أولا ثم الخلفاء ثانيا .

والسبب فى انتهاج هذا المنهج أن مدائح جرير فى الــولاة قد اتسمت بالقوة والجزالة والعمق فى التصوير أكثر من مدائحه فـى الخلفاء ،وقد أشار بعض الدارسين المحدثين الى هذه الضاهـــرة وتنبه لها . (١)

ويعد الحجاج بن يوسف من أوائل الولاة الذين اتصل بهـم جرير ومدحـهم لأنه أقرب الى الشاعر موطنا من بنى أمية ،ثـــم أن جريرا قد اتخذ جانب قيس التى كانت تناصب الأمويين العداء ، ونحن نعلم أن الحجاج ينتسب الى هذه القبيلة اذ كان قلبه وهواه معها فتعصب لها تعصبا قبليا بينما كان سيفه مع بنى أميـــــة فلا عجب اذا أن يمتدحه جرير ويتقرب اليه فاختصه بخمس قصائد (٢) تعد من حيث القوة والجزالة والتفنن فى التصوير أروع من مدائحه فى كثير من الخلفاء .

---

(١) انظر جرير حياته وشعره للدكتور نعمان طه : ٢٢٦ .

(٢) انظر هذه القصائد فى الديوان : ١/١٣٦،١٤٦،٣٩٩-٢/٧٢٧ ٨٤٨ ،ومطالعـهـا فى الجدول رقم (٧) الملحق بهــــذا البحث .

وعندما نستعرض مديحه فى الحجاج تترامى الى أسماعنا تلك المعانى القوية التى تدل حقا على أنها نابعة من عاطفة جياشة وهى من العواطف الصادقة فى تلك الفترة وان كانت قد خفتت بعد وفاة الحجاج اذ سرعان ماقلب جرير لممدوحه ظهر المجن فاستباح لنفسه أن يعرض به عند سليمان بن عبد الملك عله يظفر بحبه وعطائه ويمحو غلطته التى ارتكبها عندما أيد دعوة الحجاج للوليد بخلع سليمان من ولاية العهد كما هو معروف . (١)

ومهما يكن فان مدائحه لهذا الوالى كانت سجلا رائعا فى تصوير هذه الشخصية القوية ومايكتنفها من حزم وصرامة كقوله : (٢)

مَنْ سَدَّ مُطَّلَعَ النِّفَاق عليكم ... أَمْ مَنْ يَصُولُ كَصَوْلَةِ الحَجَّاجِ
أَم مَنْ يُغَارُ عَلَى النِّسَاء حَفِيظَةً ... إِذْ لاَ يَثِقْنَ بِغيرةِ الأَزْوَاجِ
إِنَّ ابنَ يوسف فَاعْلَموا وتَيَقَّنوا ... مَاضِي البَصِيرة وَاضِح المِنْهَاجِ
مَاضٍ عَلَى الغَمَرات يُمْضِي هَمَّه ... واللَّيل مُخْتَلف الطَّرَائِق دَاجِ
مَنَعَ الرِّشَا وَأَرَاكُمُ سُبُل الهُدَى ... وَاللِّصَّ نَكَّلَهُ عَنِ الإِدْلاَجِ
فَاسْتوثِقُوا وَتَبَيَّنوا سُبُل الهُدَى ... وَدعوا النَّجِيَّ فَلَيْسَ حِيْنَ تَنَاجِ

وكما نرى فهو يبدأ هذه الصور التى رسمها للحجاج بداية تقريرية من خلال صيغ الاستفهام . فيصوره حصنا منيعا وسيفا مصلتا يقطع دابر المنافقين ليوطد الأمن فى ربوع الوطن . ويذكر تلك الأعمال

---

(١) انظر البداية والنهاية ـ لابن كثير : ٩/١٦٦ .
(٢) ديوان جرير : ١/١٣٧ - ١٣٨ .

العظيمة التي قام بها مستدلا بوضوح سيرته ومنهاجه ، ويذكر حرصه على راحة المحكومين ، وسلامتهم ، وأمنهم ، وأنه لا يقر قراره ولا يهدأ باله حتى يطمئن على النساء وأنهن أصبحن في مأمن من الفساق . خصوصا وأن البصرة والكوفة كانتا تعج بالمجان والفساق فتتبعهم زياد بن أبيه ثم جاء الحجاج فاستأصلهم عن بكرة أبيهم وأجبرهم على الطاعة ، وسيّر الرجال للفتوح مع المهلب بن أبي صفرة . (١)

ويمضي جرير في رسم صورة واضحة للأعمال التي قام بها الحجاج مشيرا الى أنه منع الرشا ، وأبان سبل الهدى ، ونكّل باللصوص المدلجين حتى استبان للجميع سبيل الهدى واستقامت الأمور ، ويقرر هذه المعاني من خلال تصويره الحجّاج في صورة المصلح الذي أخطأ أهل عصره فهمه فاتعبوا أنفسهم معه .(٢)

---

(١) انظر أدب السياسة في العصر الأموي د . أحمد الحوفي : ٢٨٢ ٢٩٠ ، والمهلب بن أبي صفرة هو : ظالم بن سرّاق بن صبح بن كنديّ بن عمرو الأزدي العتكيّ البصريّ - ولد عام الفتح وتوفي غازيا بمرو الروز سنة (٨٢هـ) وهو قائد بطل وأمير شجاع . أنظر سير أعلام النبلاء : ٤/٣٨٣ - ٣٨٥ .

(٢) انظر جرير ونقائضه مع شعراء عصره - د . محمد عبد العزيز الكفراوي : ١٠٩

ان جريرا فى هذه الأبيات يعالج مشكلة من أهم المشكلات السياسية التى تتعلق بحياة الأمة كلها فهو يرى أن حياة الناس كافة فوق حياة الأفراد ، وأن الحجاج قد وضع مصلحة الأمة فوق أى اعتبار فصوره لنا مصلحا قويا يهتم بأمر الدولة ويقيم الأمن فى ربوع الوطن مؤكدا هذا المعنى من خلال قوله مادحا : (١)

إِنَّ العَدُوَّ إِذَا رَمَوكَ رَميتهمْ ... بِذُرَاعَمَايَة أَوْ بِهَضْبِ سُوَاجِ (٢)
فَإِذَا رَأَيْتَ مُنَافِقِيْنَ تَخَيَّـرُوا ... سُبُلَ الضَّجَاجِ أَقَمْتَ كُلَّ ضَجَاجِ (٣)
دَاوَيْتَهُمْ وَشَفَيْتَهُمْ مِنْ فِتْنَـةٍ ... غَبْرَاءَ ذَاتَ دَوَاخِنٍ وَأُجَـاجِ
وَلَقَدْ كَسَرْتَ سِنَانَ كُلِّ منافـقٍ ... وَلَقَدْ مَنَعْتَ حَقَائِبَ الحُجَّـاجِ

وجرير فى هذا المديح حينما استعمل الكلمات الحسية بشتى أنواعها انما يمثل تصورا ذهنيا معينا له دلالته وقيمته الشعورية عند السامع ليقف على حقيقة ماتمثله شخصية الحجاج من قوة وجبروت فى وجه المنافقين واللصوص ، وما كان لهذه الشخصية من تأثير فى بسط الأمن وتوفير الاستقرار لجميع الناس .

ويمضى جرير فى امتداح الحجاج بالجانب البطولى من خلال معاركه الدامية التى خاضها على رأس جيش الخلافة ضد الأعداء ويتسامى بهذا الممدوح الى مكانة يحسده عليها غيره

---

(١) ديوان جرير : ١/ ١٣٨ .
(٢) عماية وسواج : جبلان بالعالية .
(٣) الضجاج : الباطل .

فيقـــــول (١) :

لَقِيْتَهم وَخَيلهمُ سِمَــــان بِسَاهمة النّواظر والخُدودِ (٢)
أقمْتَ لَهُمْ بِمَسْكِنَ سُوقَ مَــوْتٍ وأُخْرَى يَوْمَ زَاوِيَةَ الجنُودِ (٣)
تَرَى نَفْسَ المُنَافِق فِي حَشَــاهُ تُعارِضُ كُلَّ جَائِفَةٍ عَنُــودِ (٤)
تَحُشُّهُمُ السُّيُوفُ كَمَا تَسَامَــى حَرِيقُ النّارِ فِي أَجَمِ الحَصِيدِ
وَيَوْمَهُمُ العَمَاسَ إِذَا رَأَوْهُ عَلَى سِرْبَالِهِ صَدَأُ الحَدِيـدِ

فالشاعر هنا يصور المعركة التي خاضها الحجاج ومافعله بالأعداء كما يصور رعب المنافقين حتى أن هؤلاء الأعداء تهتز أرواحهم بين جنوبهم وتكاد تفارق أجسادهم لشدة خوفهم وهلعهم من هذا القائد المقدام فكأنهم يموتون موتا بطيئا مشبها السيوف التي تحش الرؤوس بالمنجل الذى يحش الزرع ليصور بهذا مشهدا للمعركة وما حققه جيش الحجاج من نصر ويشير الى ذلك الرعب الذى قذف فى قلوب المنافقين وقـــد

---

(١) ديوان جرير ٢ / ٧٢٧ - ٧٢٨ .

(٢) بِسَاهِمة النّواظر : أى بخيل ضامرة ، والمعنى أن خيلهم سمان وخيله عابسة من الجد فى القتال . الصحاح مادة (سهم) .

(٣) مَسْكِن : موضع بالبصرة ويريد أنه أقام لهم فى الموضع سوقا كان نصيبهم فيه الموت والهلاك وأيضا زاوية هى موضع كذلك بالبصرة والمعنى هو نفس المعنى .

(٤) جَائِفَة : أى أنها تصل الى الجوف والمعنى أنها طعنة نافذة وصلت الجوف ـ المصباح المنير (جوف) .

أبدع جرير في هذه الصورة ،وفي عرض المشهد البطولي لخيل الحجاج مما يدل على مهارة الشاعر في رسم هذه الصورة .

وقد دخل الحجاج الى روع جرير مدخل البطل الملحميّ فكانت أغلب صور المديح التي خصه بها جرير تدور حول البطولة والعزم والحزم وقد صوره تصويرا بديعا في الذب عن خلافة المسلمين (١) ، وأن الخليفة قد اختاره للحرب كي يلقن الأعداء دروسا شديدة ، فيقول مصورا فعالية الحجاج : (٢)

إِذَا سَعرَ الخَلِيفَةُ نَارَ حَرْبٍ ... رَأَى الْحَجَّاجَ أَثْقَبهَا شِهَابَا
تَرَى نَصْرَ الإِمَامِ عَليكَ حَقًا ... إِذَا لَبَسُوا بِدِينهمُ ارْتِيَابَا
تَشُدُّ فَلَا تُكَذِّب يَوْمَ زَحْفٍ ... إِذَا الغَمَرات زَعْزَعتِ العُقَابَا

وفي هذه الأبيات نجد الحجاج عند حسن ظن الخليفة دائما فهو رجل المهام الصعبة التي يكون النصر والنجاح فيها حليفه دائما اذ هو لايزال يقيم على محض الود والصدق للخليفة ،وهو مقدام في حومات الوغى اذا اضطربت الرايات وتزعزع القوم من شدة القتال .

ونجد صورة تشبيهية قوية عندما يشبه الحجاج بالبازي الذى يرقب قدوم العدو لينقض عليه فيقول : (٣)

وَأَصْبَحَ كَالْبَازِي يُقَلِّبُ طَرْفَهُ ... عَلَى مَرْبَأٍ وَالطَّيرِ مِنْهُ دَوَاخِلُ (٤)

---

(١) انظر شعر البصرة في العصر الأموي دراسة في السياسة والاجتماع للدكتور عوني الشريف قاسم : ١٨٣- ١٨٤ .

(٢) ديوان جرير : ١ /٢٤٤ .

(٣) ديوان جرير : ١/ ٤٠٣ . (٤) المربأ : المكان المرتفع .

وَخَافوكَ حَتّى القومُ تَنْزُوقلوبُهم نُزاءَ القَطَا التفَّتْ عَلَيهِ الحَبائِلُ (١)
وَمَازِلْتَ حَتَّى أَسْهَلَتْ مِنْ مخافةٍ إِلَيْكَ اللّواتِي فِي الشّعُوفِ العَوَاقِلُ (٢)
وَثِنْتَانِ فِي الحَجَّاجِ لَاتَرْكُ ظَالِمٍ سَوِيّاً وَلَاعِنْدَ المُرَاشَاةِ نَائِلُ

فقد شبهه بالبازى الذى يرقب الأعداء من مكان مرتفع وهذه المعانى توحى بما يتمتع به الحجاج من قوة ،وماقذفه فى قلوب الأعداء من رعب وخوف ،وقد بلغ من مخافة هذا القائد أن أذعنت له الوعول المتمنعات بالجبال العالية فهو لايمهل ظالما ولا يأخذ رشوة ، وكأن جريرا يعرض بالولاة الذين قبله وأنهم كانوا يقبلون الرشوة ، ويستطرد فى رسم صورة أخرى من صور البطولة التى أضفاها على الحجاج فيقول : (٣)

تَرَى كُلَّ مِرْزَابٍ يُضَمِّنُ بَهْوُهَا ثَمَانِيْنَ أَلْفاً زَايَلَتْهَا المَنَازِلُ (٤)
جَفُولٍ تَرَى المِسْمَارَ فِيهَا كَأَنَّهَا إِذَا اهْتَزَّ جِذْعٌ مِنْ سُمَيْحَةَ ذَابِلُ (٥)
إِذَا اعْتَرَكَ الكَلَّاءُ وَالْمَاءُ لَمْ تَقِدْ بِأَمْرَاسِهَا حَتَّى تَثُوبَ القَنَابِلُ (٦)
تَخَال جِبَال الثَّلج لَمَّا تَرَفَّعَتْ أَجِلَّتُهَا وَالْكَيْدُ فِيهِنّ كَامِلُ (٧)

---

(١) تنزو قلوبهم : أى ترتفع من الخوف .
(٢) الشّعوف : جمع شعف وهو رأس الجبل ،يريد أن يقول : أن الوعول الممتنعات فى رؤوس الجبال قد أذعنت له .
(٣) ديوان جرير : ١/ ٤٠٥ .
(٤) المرزاب : السفينة الضخمة ،بهوها : وسطها وسعتها ،زايلتها : فارقتها .
(٥) المسمار : مايسمر به وجمعه مسامير والمراد به هنا سارية السفينة . وسميحة : بئر بالمدينة .
(٦) الكلاء : مرفأ السفن ،والقنابل : الجماعات من الناس .
(٧) أجلتها : أشرعتها .

تَشُقّ حَبَابَ الْمَاءِ عَنْ وَأسقاتِـهِ ... وَتَغْرِسُ حُوتَ البَحْرِ مِنْهَا الكَلاكِلُ (١)

لَقَدْ جَرّدَ الحَجّاجُ فِي الدِّينِ وَاجْتَبَى ... جِبًا لَمْ تَغْلُهُ فِي الجِيَاضِ الغَوَائِلُ (٢)

ففى هذه الأبيات يصف السفينة ويصور ضخامتها وقوتها واستعدادها للمعركة ليظهر قوة ممدوحه من خلال سفنه واستعدادها لخوض المعارك ونقل الجنود ، وقد بلغ من كبر حجم هذه السفن أنها لاتضبط الا بأعوان كثيرة وأنه ليخيل الى من يراها من بعيد أنها جبل من الثلج فهو فى هذه الأبيات يصور مشهدا متحركا فى قلب البحر من خلال السفن الضخمة التى أبحرت ثم رست لتفرغ حمولتها من الجند الأقوياء ، وقد سجل جرير هذا المشهد الرائع من خلال هذه الصورة المركبة .

ومن الولاة الذين امتدحهم جرير هلال بن أحوز المازنى (٣) ، اذ امتدحه بقصيدتين (٤) أضفى عليه فيهما صورا كثيرة من صور البطولة والاقدام ، فصوره بطلا يلقى الرعب فى قلوب الأعداء فتكاد

---

(١) حباب الماء : طرائقه ، وسقاته : تتابع أمواجه واضطرادها ، والكلاكل : الصدور .

(٢) الجبا : بكسر الجيم : ماجمع من الماء فى الحوض ، تغلة : تذهب بمائه ، والغوائل : الشقوق فى الحوض ، الجبا : بفتح الجيم : ماحول البئر .

(٣) انظر : (١٠٥) من البحث (الحاشية) .

(٤) انظر هذه القصائد فى ديوان جرير : ١/٤٦٨ - ٢/٧٧١ ، ومطالعها فى الجدول الملحق رقم : (٧) .

تنخلع خوفا وهلعا قائلا : (١)

أَلَا رُبَّ سَامِي الطَّرْفِ مِنْ آلِ مَازِنٍ ... إِذَا شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَّرَا

أَتَنْسَوْنَ شَدَّاتِ ابْنَ أَحْوَزَ إِنَّهَا ... جَلَتْ كُلَّ وَجْهٍ مِنْ مَعَدٍّ فَأَسْفَرَا

وَأَدْرَكَ ثَأْرَ الْمِسْمَعَيْنِ بِسَيْفِهِ ... وَأُغْضِبَ فِي شَأْنِ الْخِيَارِ فَنَكَّرَا

فالشاعر هنا يشيد بمعارك الممدوح التى رفعت الضيم عن العرب - جميعا ،كما أشاد بقومه بنى مازن ،وأثنى على شجاعتهم فى الحرب وان احدهم اذا مادعا داعى القتال استجاب لذلك وطرب له .

وقد امتدح جرير كذلك من الولاة خالد بن عبد الله القسرى (٢) بقصيدة واحدة يقول فيها : (٣)

فَإِنَّ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَدْ عُرِفَتْ لَهُ ... مَوَاطِنُ لَا تُخْزِيهِ عِنْدَ الْمَشَاهِدِ

فَأَبْلَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَانَةً ... وَأَبْلَاهُ صِدْقًا فِي الْأُمُورِ الشَّدَائِدِ

إِذَا مَا أَرَادَ النَّاسُ مِنْهُ ظُلَامَةً ... أَبَى الضَّيْمَ فَاسْتَعْصَى عَلَى كُلِّ قَائِدِ

وَكَيْفَ يَرُومُ النَّاسُ شَيْئًا مَنَعْتَهُ ... هَوَى بَيْنَ أَنْيَابِ اللُّيُوثِ الْحَوَارِدِ (٤)

---

(١) ديوان جرير : ١/ ٤٧٠ .

(٢) خالد بن عبد الله القسرى : من بجيلة أمير العراقين وأحد خطباء العرب وأجوادهم ،ولى مكة سنة (٨٩هـ) للوليد بن عبد الملك ثم عزله سليمان بن عبد الملك سنة (٩٧هـ) ثم ولاه هشام بن عبد الملك البصرة والكوفة سنة (١٠٥هـ) ثم عزله سنة (١٢٠هـ) ، وتوفى حوالى سنة (١٢٦هـ) مقتولا . تاريخ الطبرى: ٦/ ٤٢٢، ٤٤٠، ٤٦٤ ،٧/ ٢٦، ٢٥٤ والاعلام ٢/ ٢٩٧ .

(٣) انظر هذه القصيدة فى ديوان جرير : ٢/ ٦٠٢ .

(٤) الحوارد : الغاضبة ،والحرد الغيظ والغضب .

إِذَا كَانَ أَمْنٌ كَانَ قَلْبُكَ مُؤْمِنًا ... وَإِنْ كَانَ خَوْفٌ كُنْتَ أَحْكَمَ ذَائِدِ
وَمَازِلْتَ تَسْمُو لِلْمَكَارِمِ وَالْعُلَا ... وَتَغْمُرُ عِزًّا مُسْتَنِيرَ الْمَوَارِدِ
إِذَا عُدَّ أَيَّامُ الْمَكَارِمِ فَافْتَخِرْ ... بِآبَائِكَ الشُّمِّ الطِّوَالِ السَّوَاعِدِ

فيشيد بخالد وبمآثره الكثيرة التى تزيده شرفا عند الأزمات مما جعل الخليفة يثق بصدقه فى الشدائد والملمات . وهذا القائد فى نظر الشاعر لايستسلم للضيم والظلم لكنه يزداد صلابة وقوة .

ويرسم جرير له صورة بطولية فيشبهه بالليث الذى وقع أعداؤه بين يديه وهو غاضب متوثب فأنى لهم بعد ذلك أن ينجوا منه أو أن يغصبوه على أمره ،وهذا منتهى الشجاعة والاقدام .

ثم يمتدحه بصفة انسانية أخرى تكمن فى أن نفسه تطمئن عندما يستتب الأمن فهو الذائد عن هذا الأمن اذا قامت الاضطرابات حتى يعيده الى نصابه ،وهو الذى يقوم للمعالى ،ويسمو للمكارم ،ويشيد بآبائه الكرام فيقول : (١)

إِذَا عُدَّ أَيَّامُ الْمَكَارِمِ فَافْتَخِرْ ... بِآبَائِكِ الشُّمِّ الطِّوَالِ السَّوَاعِدِ
فَكَمْ لَكَ مِنْ بَانٍ طَوِيلٍ بِنَاؤُهُ ... وَفِى آلِ صَعْبٍ مِنْ خَطِيبٍ وَوَافِدِ
يِسُرّكَ أَيَّامُ الْمُحَصَّبِ ذِكْرُهُمْ ... وَعِنْدَ مَقَامِ الهَدْيِ ذَاتِ القَلَائِدِ
تَمَكَّنْتَ فِى حَيَّيْ مَعَدّ مِنَ الذُّرَا ... وَفِي يَمَنٍ أَعْلَى كَرِيمِ الْمَوَالِدِ
فُرُوعٌ وَأَصْلٌ مِنْ بَجِيلَةَ فِى الذُّرَا ... إِلَى ابْنِ نِزَارٍ كَانَ عَمًّا وَوَالِدِ

وهناك ولاة آخرون مدحهم جرير ،كالمهاجربن عبد الله الكلابى ،وهريم ابن طحمة المجاشعى ،ومحمد بن هبيرة الفزارى وغيرهم كما هو موضح

---

(١) ديوان جرير : ٢/٦٠٥ - ٦٠٦ .

فى الجداول الملحقة بهذا البحث . (١)

أما اذا أردنا دراسة مدح جرير للخلفاء فلا نكاد نجد له ظهورا فى الحياة العامة واتصالا بالخلفاء الا فى خلافة عبد الملك ابن مروان ، وان كانت بعض الكتب تذكر أنه قد اتصل بيزيد بن معاوية أثناء خلافته فقد ورد أنه قال :

(وفدت على يزيد بن معاوية ، وأنا شاب يومئذ فاستؤذن لى عليه فى جملة الشعراء فخرج الحاجب الىّ وقال : يقول لك أمير المؤمنين أنه لا يصل الينا شاعر لا نعرفه ولا نسمع بشئ من شعره وماسمعنا لك بشئ فنأذن لك على بصيرة فقلت له : تقول لأمير المؤمنين أنا القائل :

وَإِنِّى لَعَفُّ الفَقْرِ مُشْتَرِكُ الغِنَىٰ   سَرِيعٌ إِذَا لَمْ أَرْضَ دَارِى انْتِقَالِيَا

فدخل الحاجب عليه وأنشده الأبيات ثم خرج الىّ وأذن لى فدخلت وأنشدته وأخذت الجائزة مع الشعراء فكانت أول جائزة أخذتها من خليفة . وقال لى : لقد فارق أبى الدنيا ومايظن أبياتك التى توسلت بها الىّ الا لى (٢)) ..

وان صحت هذه الرواية فانها تدل على أن جريرا كان حينذاك فى مرحلة الشباب ولم يستو لهفن المديح بعد بالاضافة الى أن الأخطل فى هذه الفترة كان مسيطرا على الوسط الفنى عند بنى أمية أثناء

---

(١) تقدمت تراجم هؤلاء الولاة فى هذا البحث أنظر (١٠٥) .
(٢) الأغانى : ٣٦/٨ .

خلافة يزيد بن معاوية . ومع هذا فنحن لم نجد فى ديوانه المحقق أى شيء يذكر فى مدح يزيد ، ويرجح أن شعرا كثيرا قيل فيه لكنه ضاع بتأثير العوامل السياسية ، كما ضاع المديح الذى أنشده الشعراء فى أبيه معاوية . (١)

وقد بدأت صلة جرير بعبد الملك بن مروان حينما أوفده الحجاج مع ابنه محمد بن الحجاج الى دمشق وقد تردد عبد الملك فى أول الأمر أن يسمع من جرير وأمره الا ينشده الا فى الحجاج وقال له : انما أنت للحجاج ، ولكنه عاد فاستمع اليه بعد الحاح من محمد بن الحجاج واصرار من جرير الا يرحل عن دمشق حتى يأذن له عبد الملك فى الانشاد فأسمعه قصيدته الحائية التى هزت الخليفة وطرب لها حينما سمع قوله : (٢)

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا ... وَأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

وقد توالت بعد ذلك وعلى طول مدة خلافة عبد الملك مدائح جرير له فخصه بأربع قصائد (٣) تتفاوت فيما بينها من حيث القوة والجزالة والفن التصويرى والضعف وندرة المعانى المستحدثة والحاحه فى طلب العطاء واستجداء الممدوح شأنه فى مديح الخلفاء جميعا بخلاف مدائحه فى الولاة التى غلبت عليها الجزالة والقوة ، فأى الحاح فى

---

(١) دراسات فى أدب ونصوص العصر الأموى د . محمد عبد القادر أحمد : ١٠٢ .

(٢) الأغانى : ٨/٦٦ - ٦٧ .

(٣) انظر هذه القصائد فى ديوانه المحقق ١/ ٨٧، ٩١، ٢٩٣، ٢/ ٦٦٠ ومطالعها فى الجدول الملحق رقم (٦) .

طلب العطاء والاستجداء أكبر منه فى قوله عندما مدح عبد الملك بأول قصيدة ينشدها بين يديه : (١)

تَعَزَّتْ أُمُّ حَزْرَة ثم قالت ... رأيتُ المُورِدِينَ ذَوِي لِقَاحِ
تُعَلِّل وَهْيَ سَاغِبَةٌ بَنِيهَا ... بِأَنْفَاسٍ مِنَ الشَّبِمِ القَرَاحِ
سَأَمْتَاحُ البُحُورَ فَجَنِّبِينِي ... أَذَاةَ اللَّوم وَانْتَظِرِي امْتِيَاحِي
ثِقِي بِاللهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ ... وَمِنْ عِنْدِ الخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ
أَغِثْنِي يَافِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ... بِسَيْبٍ مِنكَ إِنَّكَ ذُو ارْتِيَاحِ
فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ عَلَيَّ حَقًّا ... زِيَارَتِي الخَلِيفَةَ وَامْتِدَاحِي
سَأَشْكُرُ إِنْ رَدَدْتَ عَلَيَّ رِيشِي ... وَأَنْبَتَّ القَوَادِمَ فِي جَنَاحِي

وكما يتضح لنا من خلال هذه الأبيات اسراف الشاعر فى الاستجداء وتصوير ما يعانيه من الفاقة والمسغبة ، ومع أن الخليفة لم يأذن — بادىء الأمر لجرير بالدخول عليه ، ولم يرض أن يسمع مديحه فيه بعد أن أذن له بالدخول فلم يسمع منه هذه المدحة الا بعد عناء شديد ، وكنا ننتظر أن تكون خالية من صيغة الطلب والاستجداء المباشر ، وأن يركز الشاعر فيها على صفات الخليفة البطولية وعراقة نسبه وطيب منبته ، وحقه فى الخلافة وأهليته لها لكننا وجدنا سمة طلب العطاء والحرص عليه ديدن الشاعر فى أبيات القصيدة اذا ما استثنينا قوله : (٢)

---

(١) ديوان جرير : ١/٨٨ - ٩٠ .
(٢) ديوان جرير : ١/٨٨ - ٩٠ .

أَلَسْتُم خَيْر مَنْ رِكبَ المطَايَا ... وَأَندى العَالَمِينَ بُطُون رَاحِ
وَقَوْمٌ قَدْ سَمَوتَ لَهُمْ فَدَانُوا ... بِدَهْمٍ فِى مُلَمْلَمَةٍ رَدَاحِ (١)
لَكَم شُمّ الجِبَال مِنَ الرَّوَاسِى ... وَأَعْظَم سَيْل مُعْتلج البطَاحِ (٢)

فان معانى المديح فى هذه الأبيات قوية رائعة ومؤثرة ،طرب لها عبد الملك طربا شديدا واهتزت مشاعره .

ومهما يكن فان جريرا قد أجاد فى رسم صورة مؤثرة لزوجته أم حزرة وهى تسكت بنيها الجائعين وتعللهم بجرعات من الماء مما يذكرنا باستعطاف الحطيئة عمر بن الخطاب فى رائيته المشهورة (٣)

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاخٍ بِذِى مَرَخٍ ... زُغْب الحَوَاصِل لَا مَاءٌ وَلَا شَجَرُ

---

(١) الدهم : الجيش الكثير ، والململة : الكثيرة المجتمعة ،والرداح : الضخمة . دانت له : أى أطاعته .

(٢) اعتلاج الشىء : كثرته وركوب بعضه بعضا .

(٣) انظر ديوان الحطيئة ـ تحقيق د . نعمان طه : ٢٠٨ . والحطيئة : اسمه جرول بن أوس بن جؤية بن مخزوم بن مالك بن غالبة ،وينتهى نسبه فى قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وكنيته أبو مليكة ،وهو شاعر مخضرم ،ومن الهجائين هجا نفسه وأباه وأمه وزوجته وقد سجنه عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ،واشترى منه أعراض المسلمين . انظر ترجمة وافية عنه فى مقدمة ديوانه ـ تحقيق د . نعمان طه : ٤١ ـ ٦٢ .

كما أجاد في تشبيه الخليفة بالبحر . وتشبيه نفسه بالطائر الذى فقد ريشه ، وينتظر من عبد الملك أن يعيد اليه الريش ، ولعل اعجاب عبد الملك بهذه المدحة جاء من وقع الاستفهام التقريرى المؤثر الذى يصور بنى أمية خير الناس جميعا وأكرمهم . ولعمرى لقد وقعت هذه الأبيات من عبد الملك موقعا حسنا وأعجبته أشد الاعجاب مما جعله يعطى الشاعر مائة من الابل وثمانية من الرعاء . (١)

وأهم من هذا كله أنها فتحت باب الخلافة على مصراعيه لجرير لينشد بنى أمية بعد ذلك دون غضاضة أو حرج . ويحظى بأعطياتهم الوفيرة .

يقول في قصيدة أخرى يمدح بها عبد الملك بن مروان . (٢)

لَوْلَا الخَلِيفَةُ والقُرآنُ نَقْرَؤُهُ ... مَا قَامَ لِلنَّاسِ أَحْكَامٌ وَلَا جُمَعُ

أَنْتَ الأَمِينُ أَمِينُ اللَّهِ لَا سَرَفٌ ... فِيمَا وُلِيتَ وَلَا هَيَّابَةٌ وَرِعُ

وَارِى الزِّنَادِ مِنَ الأَعْيَاصِ فِي مَهَلٍ ... فَالعَالِمُونَ لِمَا يَقْضِى بِهِ تَبَعُ

مَا عُدَّ قَوْمٌ بِإِحْسَانٍ صَنِيعَهُمُ ... إِلَّا صَنِيعُكُمُ فَوقَ الَّذِى صَنَعُوا

أَنْتَ المُبَارَكُ يَهْدِى اللَّهُ شِيعَتَهُ ... إِذَا تَفَرَّقَتِ الأَهْوَاءُ وَالشِّيَعُ

فَكُلُّ أَمْرٍ عَلَى يُمْنٍ أَمَرْتَ بِهِ ... فِينَا مُطَاعٌ وَمَهْمَا قُلْتَ مُسْتَمَعُ

إِنَّ البَرِيَّةَ تَرْضَى مَا رَضِيتَ لَهَا ... إِنْ سِرْتَ سَارُوا وَإِنْ قُلْتَ ارْبَعُوا رَبَعُوا

---

(١) الأغانى ٨/٦٧-٦٨ .

(٢) ديوان جرير : ١/٢٩٥ .

وهذه القصيدة رغم تماسك عباراتها نجدها دون (الحائية) من حيث قوة الروح وانطلاق التيار ،ونلاحظ على الشاعر فى هذه الأبيات ابتعاده عن التصوير الموحى ،كما نلاحظ أيضا تكرار المعانى فى بعض الأبيات . ففى قوله هنا مثلا :

وأرى الزّناد من الأعياص فى مَهَل ... فالعالمون لما يقضى به تبعُ
فكلّ أمرٍ على يُمنٍ أمرتَ بِهِ ... فينا مُطاعٌ ومهما قلتَ مستمعُ
إنّ البريّة ترضى ما رضيتَ لها ... إن سرتَ ساروا وإن قلتَ اربعوا ربعوا

نجد هذه الأبيات الثلاثة متقاربة فى المعنى وكأن الشاعر فى حيرة من أمره فى نزارة المعانى أو ضياعها فأخذ يكرر المعنى فى صورة مغايرة للأخرى من حيث اللفظ فقط ،ولذلك أخذ جرير فى هذه الأبيات يدور حول نفسه ،ولا نكاد نجد له فى هذه الأبيات من المعانى ذات الدلالة العميقة والتى تصور الممدوح تصويرا فنيا الا قوله : (١)

تلقى الرّجالَ إذا ما خِيفَ صَولتُهُ ... يمشون هَونًا وفى أعناقهم خَضَعُ
فإنْ عفوتَ فَضَلْتَ النّاسَ عافيةً ... وإنْ وقعتَ فما وقعٌ كما تقعُ

فقد صور الرجال مطاطىء الرؤوس من خيفة عبد الملك يمشون هونا وكأن أعناقهم قد شدت ،ثم يصور هذا الممدوح بأنه أفضل الناس فى العفو وأشدهم وقعا بالأعداء ،وقد قابل هنا بين عفوه وبطشه

---

(١) ديوان جرير : ٢٩٦/١ .

وهى صورة تعبر عن بعض الملامح البطولية لشخصية عبد الملك ، وكان على جرير أن يكثر منها والا يغرق فى المعانى التقليدية المتوارثة عند الجاهلية وأن لا يلح فى طلب العطاء كثيرا .

أما القصيدة الثالثة التى امتدح بها جرير عبد الملك فقد جاءت دون سابقتيها فلم يخصه فيها الا بأربعة أبيات مع أن عدد أبياتها بلغ سبعين بيتا ،يقول فيها : (١)

اللّهُ طَوّقَكَ الخِلافَةَ وَالهُدَى ... وَاللّهُ لَيْسَ لِمَا قَضَى تَبْدِيلُ
إِنَّ الخِلافَةَ بِالّذِى أَبْلَيْتُمُ ... فِيكُمْ فَلَيْسَ لِمُلْكِهَا تَحْوِيلُ
يَعْلُو النَّجِيَّ إِذَا النَّجِى أَضَجَّكُمْ ... أَمْرٌ تَضِيقُ بِهِ الصُّدُورُ جَلِيلُ (٢)
وَلِّى الخِلافَةَ وَالكَرَامَةَ أَهْلَهَا ... فَالمُلْكُ أَفْيَحُ وَالعَطَاءُ جَزِيلُ(٣)

ولا نجد فى هذه الأبيات سوى تقرير المعانى البسيطة والأفكارالمطروقة فالله أعطى الخليفة الخلافة وطوقه بها وهداه ،وقد ثبت الله الخلافة لهم فلا تتحول عنهم ،ولاّهم اياها لأنهم أهل لها فهم يعلون الناس حزما وصرامة رأى وتكاد معانى جرير فى مديح الخلفاء تكون واحدة ،ففى مدائحه لعبد الملك وجدناه يكرر مدحه بأن الله أعطاه الملك ومنحه هذه الخلافة ،وكأن المعانى ضاقت بجرير الا أن يكررها دائما كقوله تكرارا لما سبق من حيث المعنى فى مدح

---

(١) ديوان جرير : ١/ ٩٤ - ٩٥ .
(٢) النَّجيّ : القوم ينتجون . وَأَضَجَّهُمْ : حملهم على الضجاج انظر نقائض جرير والأخطل : ١٨٣ .
(٣) أَفْيَحُ : أى واسع .ونلاحظ على هذا المديح كيف بدا جرير متأثرًا بالسياسة

عبد الملك بن مروان : (١)

فلمَّا تَسَرْبَلْتَ الْخِلَافَةَ أَقْبَلَتْ ... عَلَيْكَ بِأَبْوَابِ الأُمُورِ الجَوَامِعِ

تَبَحْبَحَ هَذا الْمُلْكُ فِي مُسْتَقَرِّهِ ... فَلَيْسَ إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُم بِرَاجِعِ (٢)

وليس هنا من معنى عميق يمكن أن نعثر عليه فى هذه الأبيات سوى أن عبد الملك فى نظر جرير حاكم اليه تنتهى الأمور كلها وأن الملك ارتاح واستلقى بعهده وهو لا يتوق ولا ينزع الى سواه ،غير أن المعنى قد تسامى الى حد مقبول ترتاح له النفس عندما قال : (٣)

أَتَتْكَ قُرَيْشٌ لَا جِئِيْنَ وَغَيْرُهُمْ ... إِلَى كُلِّ دِفْءٍ مِنْ جَنَاحِكَ وَاسِعِ

فان جمال الاستعارة فى الشطر الثانى من البيت قد أكسب المعنى قوة وروعة ،وهى لفتات فنية عند جرير نكاد نفتقدها فى اشعاره خاصة مدائحه فى الخلفاء التى تقل فيها مثل هذه اللفتات الفنية ذات القيمة المعنوية .

ولقد توالت بعد ذلك مدائح جرير لبنى أمية سواء فى الخلفاء أو أبنائهم ،ولا تكاد هذه المدائح تتفاوت بعضها عن بعض من حيث المعانى والأفكار والأخيلة والصور . (٤)

واذا كان جرير يمدح الولاة مدحا قويا بأعمالهم التى تتصل باخماد الثورات والفتن ،ونشر الأمن ،أو التى تتصل بأعمالهم

---

(١) الديوان : ٢ / ٦٦٥ .   (٢) تبحبح : أى توسط .

(٣) ديوان جرير : ٢ / ٦٦٦ .

(٤) لقد قمت باحصاء قصائد المديح التى خص بها جرير بنى أمية كما هو موضح فى الجداول الملحقة رقم (٥ و ٦) .

العمرانية كحفر الأنهار ، وغير ذلك . فان مدحه للخلفاء كان دون ذلك من حيث القوة والجزالة وغاية ماعنده فى مدح الخلفاء أن ينسبهم الى قريش مستطردا فى وصف أصلهم وحسبهم الرفيع (١) .

ومن أجل هذا خلت قصائده فى الخلفاء من تلك المعانى القوية التى تعبر عن العاطفة المتدفقة أصدق تعبير ، يقول فى مدح الوليد ابن عبد الملك : (٢)

وَأَنْتَ ابنُ عِيصِ الأَبْطَحِيْنِ وَتَنْتَمِي ... لِفَرْعٍ صَمِيمٍ لَمْ تَنَلْهُ الزَّعَانِفُ (٣)
نَمَتْكَ إِلَى الْعُلْيَا فَوَارِسُ دَاحِسٍ ... وَصِيدُ مَنَاف الْمُقْرَمَاتُ الْمَطَارِفُ (٤)

ويقول فى نفس الممدوح كذلك : (٥)

إِنَّ الْوَلِيدَ خَلِيْفَة لِخَلِيفَةٍ ... رَفَعَ البِنَاءَ عَلَى البِنَاءِ الأَعْظَمِ
فَعَلَا بِنَاؤُكُمُ الَّذِى شَرفتُمُ ... وَلَكُم أَبَاطِحُ كُلِّ وَادٍ مُفْعَمِ (٦)
إِنَّ الوليد هُوَ الإِمَامُ الْمُصْطَفَى ... بِالنَّصْرِ لُزَّ لِوَاؤُهُ وَالْمَغْنَمِ (٧)

---

(١) جرير حياته وشعره - د . نعمان طه : ٢٣٧ .
(٢) الديوان : ٢ / ٦٨٦ .
(٣) الزَّعانف : هم الأتباع الضعفاء الأذلاء .
(٤) فَوَارِسُ داحس : هم بنو زهير بن جذيمة العبسى .
وَصِيدَ مَنَاف : أراد بهم أشراف مناف .
المُقْرم : الذى قد أقرم للفحلة ولم يمسسه حبل قط ، والمراد به هنا السادة العظماء . انظر المعجم الوسيط : ٢ / ٧٣٠ .
والمَطَارف : من الطرفة ، وهو الحديث المستحسن ، وقد وردت فى بعض الروايات الغطارف : وهم السادة الكرماء .
(٥) ديوان جرير : ١ / ٦٩ - ٧٠ . (٦) المفعم : المملوء .
(٧) لزّ لواؤه : أى أن هذا اللواء لزم النصر دائما ، وقد وردت فى بعض الروايات : هز لواؤه .

ذُو الْعَرْشِ قَدَّرَ أَنْ تَكُونَ خَلِيفَةً ... مُلِّكْتَ فَاعْلُ عَلَى المَنَابِرِ وَاسْلَمِ
وَرِثَ الأَعِنَّةَ وَالأَسِنَّةَ وَانْتَمَى ... فِى بَيْتِ مَكْرُمَةٍ رَفِيعِ السُّلَّمِ
وَرَأَيْتُ أَبْنِيَةً خَوَتْ وَتَهَدَّمَتْ ... وَبِنَاءُ عَرْشِكَ خَالِدٌ لَمْ يُهْدَمِ

ولا نكاد نجد فى هذه الأبيات سوى المعانى التقريرية ، فالوليد خليفة ابن خليفة ،فليس فى المعنى اذا جدة ولا ابتكار ،والوليد هو الامام ،نصره الله ،والله قدر أن يكون خليفة ملك الناس فله أن يعلو المنابر ،وأن تدوم سلامته . ولقد ورث ميراثا عظيما من الملك والخيل والرماح ،ولهذا فهو خليفة وهو قائد حرب .

ونجد جريرا يدور حول كلمة (الأعياص) (١) كثيرا ،فيقول فى نفس القصيدة :

نَزَلَ النَّجَاةَ وَحَلَّ حَيْثُ تَمَنَّعَتْ ... أَعْيَاصُهُ وَلِكُلِّ خَيْرٍ يَنْتَمِي (٢)
عَرَفَ البَرِيَّةَ أَنَّ كُلَّ خَلِيفَةٍ ... مِنْ فَرْعِ عِيصِكَ كَالْفَنِيقِ المُقْرَمِ (٣)

ويقول فى مدح سليمان بن عبد الملك : (٤)

سُلَيْمَانُ المُبَارَكُ قَدْ عَلِمْتُمْ ... هُوَ المَهْدِيُّ قَدْ وَضَحَ السَّبِيلُ
أَجَرْتَ مِنَ المَظَالِمِ كُلَّ نَفْسٍ ... وَأَدَّيْتَ الَّذِى عَهِدَ الرَّسُولُ
وَتَدْعُوكَ الأَرَامِلُ وَالْيَتَامَى ... وَمَنْ أَمْسَى وَلَيْسَ بِهِ حُوَيْلُ (٥)

---

(١) الأعياص أربعة : العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص أبناء أمية بن عبد شمس، وقيل أنهم خمسة : العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص والعويص والأعياص فى اللغة : التفاف أغصان الشجر . وقد دار حولها أيضا الفرزدق والأخطل فى مديحهما لبنى أمية .

(٢) النجاة : العلو والارتفاع . (٣) الفنيق : الفحل ويفنق أى يكرم للضراب.

(٤) الديوان : ٢/٧١٧-٧١٨ . (٥) الحويل : الحيلة والقوة .

وَتَشْكُو المَاشِيَاتُ إِليك جَهْـدًا ... وَلَا صَعْبٌ لَهُنَّ وَلَا ذَلُـولُ
وَأَكْثَرُ زَادُ هُنَّ وَهُنَّ سفْـعٌ ... حُطَامُ الجِلْدِ وَالعَصَبُ المَلِيلُ (١)
وَيَدْعُوكَ المُكَلَّفُ بَعْدَ جَهْـدًا ... وَعَانٍ قَدْ أَضَرَّ بِهِ الكُبُـولُ (٢)
وَمَا زَالَتْ مُعَلَّقَـةً بِشَـدى ... بِذِي الدِّيمَاسِ أَوْ رَجُلٌ قَتِيـلُ (٣)

وهذه الأبيات تفصح عن حقيقة هامة وهى تنكر الشاعر لسيده الحجاج الذى أغدق عليه وفتح له باب الخلفاء ، وهو ان لم يصرح بذكره هنا الا أن فى اشارته لمساوئ العهد السابق لعهد سليمان ايماء بتنكر الشاعر للحجاج واتهامه بالشدة والظلم والتعسف ، ومع هذا فإننا نجد فى هذه الأبيات تصويرا رائعا ، فقد رسم لسليمان صورة المصلح الذى تدارك الله به المجتمع المكبل بقيود الظلم والاستعباد فأصبح ملاذا لليتامى والمعوزين ، الذين أعيتهم الحيلة وضاقت بهم الحال فأتين اليه النساء الأرامل ماشيات على الأقدام يطلبن رفده وعطاءه ، وقد أبدع فى رسم صورة مؤثرة ومعبرة لما يعانينه من الفقر والحاجة ، فذكر أن طعامهن سيور الجلد ، وعصب الميتة المشوى . وهذا لعمرى غاية الفقر المدقع . وبهذا صور المجتمع قبل مجيء سليمان اليه وماحل به من الفقر والعوز والظلم ، وتكليف الناس مالا يطيقون ، وهذه الصورة تغيرت بعد أن تولى

---

(١) السفع : السواد الى الحمرة ، ويريد أنهن يشوين القد وعصب الميتة فيأكلنها من شدة الجوع .
(٢) الكلف : الذى كلف فوق طاقته من عسف الحجاج وظلمه .
(٣) أراد بالديماس : سجن الحجاج .

سليمان الخلافـة :

فَرَجْتَ الْهَمَّ والحلقَاتِ عَنْهُـمْ … فَأَحْيَا النَّاسُ وَالبَلَد المُحُولُ (١)

فيصور هذا المجتمع وقد نما وزالت عنه تلك القيود التى كبلته سنين طويلة ،وقد نجح جرير فى رسم هذه الصورة التى عبرت عن واقع مؤلم وقد نبع جمالها من الكناية التى شملت الدلالة المعنوية (الهم) والحسية (الحلقات) . ونجد لجرير صورا مؤثرة فى النفس كقوله يمدح هشام بن عبد الملك : (٢)

يَاابنَ الخَضَارمِ لاَ يَعِيبُ جِبَاكُمُ … صِغَرُ الحيَاض وَلاَ غَوَائِل فِى الجِبَا (٣)
مَنْ كَانَ يُمْرَضُ قَلْبُهُ مِنْ رِيْبَـةٍ … خَافوا عِقَابَك وَانْتَهَى أَهْلُ النُّهَى
يَاابْنَ الحُمَاة فَمَا يُرَامُ حِمَاهُـمْ … وَالسَّابِقِيْنَ بِكُلِّ حَمْدٍ يُشْتَـرَى
مَازِلْتَ مُعْتَصِمًا بِحَبْلٍ مِنْكُـمْ … مَنْ حَلَّ نَجْوَتَكُمْ بِأَسْبَابٍ نَجَـا
وَإِذَا ذَكَرْتُكُمْ شَدَدْتُم قُوَّتِـى … وَإِذَا نَزَلْتُ بِغَيْثِكُمْ كَانَ الْحَيَـا
فَلَأَشْكُرَنَّ بَلاَءَ قَوْمٍ ثَبَّتُـوا … قَصَبَ الْجَنَاحِ وَأَنْبَتُوا رِيْشَ الغِنَـى
مَلَكُوا البِلاَدَ فَسُخِّرَتْ أَنْهَارُهَا … فِى غَيْرِ مَظْلِمَةٍ وَلاَ تَبَعِ الرِّبَـا
أُوتِيْتَ مِنْ حَدَبِ الفُرَاتِ جَوَارِيًا … مِنْهَا الهَنِيُّ وَسَابِح فِى قَرْقَـرَى
وَالْمَجْدُ للزَّنْدِ الَّذِى أَوْرَيْتُـمُ … بَحْرٌ يَمُدُّ عُبَابُهُ جُوفَ القَنَـا

---

(١) الديوان : ٧١٨/٢ .

(٢) الديوان : ٣٤٤/١ - ٣٤٥ .

(٣) الخضارم : الكرام ،والجبا : الماء المجموع ،والغوائل : شقوق تكون فى الحوض ،تغتال الماء أى تذهب به ،والمراد : أن عطاؤهم لا يبدو نزرا قليلا مهما أعطوا .

وجرير يخاطب هشاما فى هذه الأبيات ويدعوه بابن الكرام الذين لاينضب عطاؤهم مهما أعطوا ولا يبدو نزرا قليلا ، ويمتدحه ببنى قومه ويقول انهم يحمون من يلوذ بهم فلا ينال بأذى ومعروفهم غزير لايجارى يكنى عما يناله منهم وأنه لا يزال معتصما بحبلهم لأن من يحل ديارهم ويصل أسبابه بأسبابهم ينال كل خير وبركة .

ورغم أن جريرا يطلب العطاء الا أن المديح فى هذه الصورة مقبول اذ صور بنى أمية وقد أعادوا للفقراء طعم الحياة وثبتوا الأمور فى نصابها مجسدا تلك الأعمال التى قام بها هشام من خلال اشارته الى النهرين اللذين حفرهما لكى يعم الخير أرض المسلمين .

ويقول فى مدح يزيد بن عبد الملك : (١)

يَاابْنَ الأَرُومِ وَفِي الأَعْيَاصِ مَنْبِتُهَا ... لَا قَادِحٍ يَرْتَقِى فِيهَا وَلَا قَصَفُ (٢)

إِنِّى لَزَائِرُكُمْ وُدًّا وَتَكْرِمَةً ... حَتَّى يُقَارِبَ قَيْدَ المَكْبِرِ الرَّسَفُ (٣)

أَرْجُو الفَوَاضِلَ إِنَّ اللهَ فَضَّلَكُمْ ... يَاقَبْلُ نَفْسِك لَاقَى نَفْسِيَ التَّلَفُ

إِنِّى شَكَرْتُ وَقَدْ جَرَّبْتُ أَنَّكُمُ ... عَلَى رِجَالٍ وَإِنْ لَمْ يَشْكُرُوا عُطُفُ

إِنَّ القَدِيمَ وَأَسْلَافًا تُعَدُّ لَكُمْ ... نِعْمَ القَدِيمِ إِذَا مَاعُدَّ وَالسَّلَفُ

حَرْبٌ وَآلُ أَبِي العَاصِي بَنَوا لَكُمُ ... مَجْدًا تلادًا وَبَعْضُ المَجْدِ مُطَّرَفُ (٤)

وحينما ننظر الى معانى الشاعر هنا وصوره نجد المعانى مستهلكة والصور

---

(١) ديوان جرير : ١/١٧٣-١٧٥ .

(٢) الأرومة : الأصل ، القادح : العفن يكون فى العود ، القصف : الضعف

(٣) الرسف : مشى المقيد يقال : رسف يرسف رسفا ، ورسيفا ورسفانا .

(٤) مطرف : أى مستحدث .

غائبــة ... فيزيد ابن الأصل العريق ، وهو من دوحة كريمة ملتفــة وهو قوى لا يضعف ولا يتداعى يقصده الشاعر طلبا لفضله وقد صــور نفسه تالفة قبل أن يفد اليه ويعيد الى ذهن يزيد أنه قد نــزل برحا به مرارا فلقى منه كل خير ونعمة ، ونجده فى هذه القصيدة - يشير الى عطاء عبد الملك له حينما مدحه أول مرة فأرفده بمائـــة من الابل وثمانية من الرعاء . (١)

أَعْطُوا هُنَيْدَةَ يَحْدُوهَا ثَمَانِيَـــةٌ ... مَافِى عَطَائِهِمُ مَنٌّ وَلَا سَرَفُ (٢)

ويمتدحه بقومه كما نرى فيشير الى حرب وآل أبى العاص كما يمتدحه بأمه فيقول :

يَاابْنَ الْعَوَاتِكِ(٣) خَيْرَ الْعَالَمِينَ أَبًا ... قَدْ كَانَ يُدْفِئُنِى مِنْ رِيشِكُمْ كَنَفُ

وهو لايزال يلح فى الطلب ويعرض به فى كل بيت من أبياته كما نرى وهذه الأبيات وغيرها فى مديح الخلفاء لا تكاد نجد للشاعر فيهـــا عاطفة صادقة ، ولذلك جاء مديحه لهم باهتا فاتر العواطف وان صدقت هذه العاطفة بعض الصدق ، وصدق هو مع نفسه فانما نلمس هــذا الصدق الفنى فى مديحـــه لعمر بن عبد العزيز اذ يقول : (٤)

خَلِيفَةُ اللَّهِ ثُمَّ اللَّهُ يَحْفَظُـــهُ ... وَاللَّهُ يَصْحَبُكَ الرَّحْمَنُ فِى السَّفَرِ

---

(١) الديوان : ١ / ١٧٤ .
(٢) السرف : الخطأ والاعطاء فى غير وجهه ، والمراد بالهنيدة : المائـــة ويحدوها : يسوقها .
(٣) أراد عاتكة بنت يزيد بن معاوية وهى أمه ، انظر الديوان : ١ / ١٧٥ .
(٤) ديوان جرير : ١ / ٤١٤ - ٤١٦ .

إِنَّا لَنَرْجُوا إِذَا مَا الْغَيْثُ أَخْلَفَنَا ... مِنَ الخَلِيفَةِ مَا نَرْجُو مِنَ المَطَرِ
يَا رُبَّ سَجْلٍ مُغِيْثٍ قَدْ نَفَحْتَ بِهِ ... مِنْ نَائِلٍ غَيْرَ مَنْزُوحٍ وَلَا كَدَرِ (١)
خَلِيفَةَ اللّٰهِ مَاذَا تَنْظُرُونَ بِنَا ... لَسْنَا إِلَيكُمْ وَلَا فِي دَارِ مُنْتَظَرِ
أَنْتَ المُبَارَكُ وَالمَهْدِي سِيرَتُهُ ... تَعْصِي الهَوَى وَتَقُومُ اللَّيْلَ بِالسُّوَرِ
أَصْبَحْتَ لِلْمِنْبَرِ المَعْمُورِ مجلسُهُ ... زَيْنًا وَزَيْنَ قِبَابِ الملكِ والحَجَرِ
نَالَ الخِلَافَةَ إِذْ كَانَتْ لَهُ قَدَرًا ... كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ

ومع أن جرير يمدح عمر بن عبد العزيز المعروف بحرصه على أموال المسلمين وعدم تبذيرها فهو لايبذلها الا في وجهها الصحيح (٢) ، الا أن الشاعر لم يتخلص من عقدته المعروفة وهي الحاجه في الطلب، وكأن مرتزقة الوحيد من هذه الطريق ،ولقد امتدح عمر هنا بصفات اسلامية محضة وهي صفات تجلت في هذا الخليفة ،وقد توالت مدائح جرير بعد ذلك في بني أمية فقد امتدح عبد العزيز بن مروان ،وعبد العزيز بن عبد الملك ،والعباس بن الوليد ،وأيوب ابن سليمان بن عبد الملك ،ومعاوية بن هشام بن عبد الملك ، ومسلمة بن هشام بن عبد الملك. (٣) الا أن هذه المدائح تكاد تكون صورة مكررة بعضها من بعض وليس فيها تلك الصور الفنية

---

(١) السجل : العطاء وأصله الدلو فيها ماء . ونضحت به : أي أعطيته والنائل : العطاء ،والمنزوح : أصله من نزحت البئر اذا سقيت كل مافيها - انظر الديوان : ١/٤١٤ .
(٢) ظاهرة التكسب بالشعر العربي - د. درويش الجندي - ٢٢ - ٢٣
(٣) انظر الجدول رقم (٥) وفيه احصاء لمدائحه في بني أمية .

الموحية حتى أننا لنقف أمام القصيدة وقفات طويلة علنا نظفر بفكرة معبرة فلا نجد من ذلك شيئا ،بل تسد أسماعنا عبارات الطلب والاستجداء وكثرة الألفاظ المكررة وبعض الصور المتهافتة التى تدل حقا على نفسية ضعيفة تعكس لنا شخصية جرير المتهافتة فى طلب الرفد والذى يريق ماء وجهه بكل باب من أبواب الخلفاء .

وقد يسأل سائل فيقول : لماذا جاءت مدائح جرير فى الولاة قوية وتفاوتت بالنسبة لخلفاء بنى أمية ؟ ثم لماذا كثر الحاحه فى السؤال عندما يمدح الخلفاء بينما نجده يعرض عن هذا فى مدائحه للحجاج وغيره من الولاة .. ؟

وللاجابة على هذه التساؤلات نقول : أن هناك عدة افتراضات قد يكون بعضها مسئولا عن هذه الظاهرة وقد تكون جميعها . ولعل من أهم هذه الافتراضات ماكان يجده فى رحاب الولاة من الأنس ،وما يحظى به لديهم من التقريب الشيء الذى لم يجده عند الخلفاء . (١)

وتعد مدائحه فى الحجاج أقوى من غيرها سواء مدائحه فى الولاة الآخرين أو الخلفاء والأمراء الأمويين ،ولعل هذا ماأغاض عبد الملك بادىء الأمر فامتنع أن يسمع منه كما رأينا .

ولاشك أن حيوية الشاعر ونشاطه وطموحه كان لها أعظم الأثر فى شاعريته فقد اكتسب ثقة الحجاج وهو فى مرحلة اكتمل فيها

---

(١) جرير حياته وشعره ـ د . نعمان طه ٢٢٧ .

نضجه الفنى واشتد نشاطه الجسمانى اذ كان فوق الأربعين ودون الستين وهى مرحلة النضج والكمال لأغلب الشعراء بالاضافة الى أنه قد بدأ الالتحام مع الفرزدق وغيره من الشعراء فى معارك هجائية فانصرف الى العناية بفنه والارتقاء بمدائحه فى الولاة وبخاصة الحجاج اذ كان أقرب اليه موطنا ، وهو يطمع فى أن يرتفع صيته لأنه فى هذه المرحلة فى حاجة الى الشهرة أكثر من المال ، ولذلك وجدناه لا يلحف فى السؤال ولا يستجدى فى الطلب .

ثم أن شخصية الممدوح لها أثر كبير فى المدحة ومن هذا المنطلق كان اهتمامه بالحجاج ذى الشخصية القوية المتعددة الجوانب هذا بالنسبة لقوة مدائحه فى الولاة .

أما فيما يتعلق بضعف هذه المدائح فى الخلفاء والأمراء من بنى أمية وتفاوتها فان هذا يرجع الى شخصية الممدوح سواء كان خليفة أو أميرا اذ لم يكن بنو أمية يقربون شعراء القيسية (١) فلم يكن لجرير منزلة لديهم ولم يقربوه الا تقريبا ضعيفا لم يصل فى يوم من الأيام لأن يكون شاعر خليفة ، فعبد الملك بن مروان يقرب الأخطل النصرانى ، والوليد بن عبد الملك يقرب عدىّ بن الرقاع العاملى ، وسليمان بن عبد الملك يقرب الفرزدق ويتجافى عن جرير الذى زج بنفسه بينه وبين أخيه الوليد فيما يتعلق بولاية العهد .

وان بقيت لجرير علاقة حسنة مع بعض الخلفاء فهو عمر بن

---

(١) انظر الأغانى : ٨/٦٦ .

عبد العزيز ، ويزيد بن عبد الملك ، وهشام بن عبد الملك ، فقد أجاد في امتداحهم وبخاصة مايتعلق بالكرم والتزلف ، وتصوير سوء الحال .

ولقد كان هشام في مقدمة الخلفاء الذين امتدحهم جرير وعني بهم وله فيه مدائح جيدة ولعل هذا راجع الى العلاقة الحسنة التي تربط بينهما .

وخلاصة القول :

ان مدائح جرير لعبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك وعمر ابن عبد العزيز جاءت مبرزة فيها جودة ، وعذوبة ، وتصوير فني بينما قل حظ بعض المدائح في غير بني أمية من الجودة لأسباب تتعلق بالشاعر نفسه أو أسباب أخرى تتعلق بالممدوح ولابد أن يخضع الشاعر لظروف بيئته ، وما يحيط به من عوامل ، وقد تفاوتت مدائح جرير كما رأينا في بني أمية تبعا لهذه الظروف والعوامل التي أثرت بالسلب والايجاب في شخصية جرير ، فانعكس هذا التأثير على نتاجه الفني من حيث القوة والجزالة ، والضعف ، ولا شك أيضا أن للحالة النفسية دورها في ضعف وقوة القصيدة ، لأن هذه الحالة تتحكم في الشاعر أثناء انشاده لقصيدته فاذا كان معافى في بدنه منشرح الصدر مقبلا على الناس محبا للممدوح كان شعره صدى لهذه الاشراقة النفسية ، وان كان الأمر عكس ذلك جاء شعره باهتا مكرر المعاني مضطرب العبارة متفكك الحديث . (١)

---

(١) جرير ونقائضه مع شعراء عصره ـ د . عبد العزيز الكفراوي ٩٣ .

أمـــا فخر جرير فلم يقدر له أن ينطلق فيه من روافد عظيمة تتصل بآبائه وأجداده وعشيرته الأقربين ،اذ لم يكن شاعر فخـــر من الطراز الأول لأنه ينحدر من أسرة متواضعة لم يكن لها شأن ولكن رمى كثير منهم بالبخل والخمـول ،والضعـة .(١) ولم يـرد لها اسم فى أيام الجاهلية الا فى يوم جدود (٢) حيث أبت أن تساعد بنى ربيع عندما أغارت عليهم قبائل من بكر . ولم يظهر من هـذه القبيلة فوارس يستطيع جرير أن يلهج بذكرهم ليجارى خصميـــه الفرزدق والأخطل . (٣)

ومن هنا ابتعد هـذا الشاعر عن الفخر بآبائه وأجداده وعشيرته الأقربين اذ لابد لأى شاعر يريد أن يفتخر من هذه الناحيةأن يكون للآباء والأجداد والقبيلة التى يتصل بها فى دائرة النسب الصغـرى رصيد من الشرف والمجد القديم ،وأنى لجرير مثل هذا ؟ الا أن دخوله فى معارك هجائية مع معظم شعراء عصره عامة والفرزدق ، والأخطل على وجه الخصوص ،وكلاهما ينتابه شرف ومجـد جعـــل جريرا يطامن من فخر هذين الشاعرين بسخريته اللاذعة ثم أنشــأ

---

(١) انظر جرير دراسة لمحمد ابراهيم جمعة ص ٤٦ .

(٢) هذا اليوم أغار فيه الحارث بن شريك والأبجر العجلى على بنى ربيـع فاستصرخوا كليب بن يربوع فلم يجيبوهم وأجابهم بنو منقر بن عبيـد واستعادوا سبايا بنى ربيع . انظر النقائض بين جرير والفرزدق ٢ / ٣٢ - ٣٤ ،وجرير حياته وشعره ـ د . نعمان طه : ٠/ - ٩١ .

(٣) جرير حياته وشعره ـ د . نعمان طه ١١٤ .

فخرا يستند عليه في نقائضه معهما .

ومع هذا فقد بقي غرض الفخر عنده ضعيفا بالنسبة لأغراض شعره الأخرى (١) .

ولمزيد من الضوء نلقيه على فخر هذا الشاعر ندرس أولا فخره القبلي ومدى توفيقه في هذا الجانب وانتقاء الأشخاص والقبائل في فخره ،ثم نأتي على الجانب الثاني من جوانب الفخر عند جرير وهو الجانب الذاتي أو الشخصي حيث كان لشاعريته الدور الرئيسي في هذا الجانب فقد بزّ الشعراء جميعا ولم يترك لهم مجالا .

××××××××××××××××××

---

(١) جرير حياته وشعره ـ د . نعمان طه : ٣٥٧ .

وأما فخره القبلي فقد نقب شاعرنا عن مآثر عظيمة في قبيلته الدنيا (كليب) لينطلق منها في فخره القبلي فلم يجد واصطدم بمكانة هذه القبيلة الموضوعة بين القبائل ، ولذلك ظهر شاعرنا متذبذبا في هذا الجانب كسيرا نتيجة لافتقار هذه العشيرة التي ينتمي اليها الى المجد وعلو المنزلة ، ولهذا كان يأتي في فخره غالبا بـ (نا) الفاعلين ، وضمير المتكلم (نحن) دون أن يذكر أسماء ليبقى السامع مندهشا لايدرى الى أين ينصرف هذا الفخر كقوله : (١)

أَلَسْنَا نَحْنُ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدّ ... نَمُدُّ مَقَادَةَ اللَّجِبِ(٢) اللُّهَامِ
نُقِيمُ عَلَى ثُغُورِ بَنِي تَمِيمٍ ... وَنَصْدَعُ بَيْضَةَ المَلِكِ الهُمَامِ
وَكُنْتُمْ تَأْمَنُونَ إِذَا أَقَمْنَا ... وَإِنْ نَظْعَنْ فَمَا لَكَ مِنْ مُقَامِ
وَنَحْنُ الذَّائِدُونَ إِذَا جُبِنْتُمْ ... عَنِ السَّبْيِ المُصَبَّحِ (٣) وَالسَّوَامِ

وكذلك قوله أيضا : (٤)

كَذَبَ الفَرَزْدَقُ إِنَّ قَوْمِي قَبْلَهُمْ ... ذَادُوا العَدُوَّ عَنِ الحِمَى فَاسْتَوْسَعُوا (٥)
مَنَعُوا الثُّغُورَ بِعَارِضٍ ذِي كَوْكَبٍ(٦) ... لَوْلَا تَقَدُّمُنَا لَضَاقَ المَطْلَعُ

---

(١) ديوان جرير : ١ / ٢٠٢ .
(٢) اللجب اللهام : الجيش العظيم ذوى الجلبة الذى يلتهم كل شيء .
ومعد : يقصد العرب عامة ، والمقادة : الأرسنة .
(٣) المصبح : الذى فوجيء بغارة في الصباح ، والسّوام : الماشية والابل الراعية
(٤) ديوان جرير : ٢ / ٩١٤ - ٩١٥ . (٥) استوسعوا : أى أخذوا من الأرض السعة
(٦) شبه الجيش بالسحاب لعظمته وكثرة أهله ولأن سلاحه يبرق كما يبرق الكوكب .

مِنّا الفَوارِسُ قَدْ عَلِمْتَ وَرائِـــسٌ ... تَهْدِي قَنابِلَهُ عُقابٌ تَلْمَعُ (١)
هَلّا عَدَدْتَ فَوارِسًا كَفَوارِسِـــي ... يَوْمَ ابْنُ كَبْشَةَ (٢) فِي الحَدِيدِ مُقَنَّعُ
خَضَبُوا الأَسِنَّةَ وَالأَعِنَّةَ إِنَّهُـــمْ ... نَالوا مَكارِمَ لَمْ يَنَلْهَا تُبَّـــعُ

فمن يقصد جرير بهذا الفخر أيقصد " بنى كليب " رهطه الأدنيين فليس فيهم فوارس يذكرون ،أم أنه يقصد يربوعا وخندفا كما هـو الغالب .

وقد يكون اصطنع لنفسه هذا الفخر ليجارى خصمه الفرزدق ، ويناقضه فهو فى هذه القصيدة يهجو الفرزدق وجميع الشعراء. (٣)

ان جريرا لم يقف فى فخره القبلى على أرض صلبة ومن أجل هذا افتخر بيربوع وباهى بشرفهم وبسالتهم ،وعلو كعبهم فى الجاهلية والاسلام وان جاء فخره فى بعض الأحيان بهذه القبيلة قاصرا لم يرق الى درجة فنية عالية لافتقاره الى المعانى القوية والصدق الفنى ولذلك جاء بعض فخره أشبه بقعقعة الألفاظ الخالية من الدليل القوى كقوله : (٤)

أَنَا الذَّائِدُ الحَامِي الذِّمارَ إِذا مَا تَخَمَّطَتْ
عَرانِينُ يَرْبُوعٍ وَصَالَتْ قُرُومُهَا (٥)

---

(١) رائس: أى رئيس ،والقنابل : الجماعات،والعقاب : الراية .
(٢) يعنى يوم ذى نجب .
(٣) انظر ديوان جرير : ٢ / ٩٠٩ .
(٤) ديوان جرير : ٢ / ٩٨٥ .
(٥) عرانين القوم : أشرافهم ،والقروم : الفحول .

وقوله في معرض فخره بهذه القبيلة : (١)

وَتُرْهِبُ يَربُوعٍ وَرَائِي بِالْقَنَـا ... وَذَاكَ مَقَامٌ لَيْسَ يُزْرِي بِهِ فِعْلِي

ويستمر في فخره بهذه القبيلة مشيدا بفوارسها فيقول : (٢)

لَمْ يُخْزَ أَوَّلَ يَربُوعٍ فَوَارِسُهَا ... وَلَا يُقَالُ لَهُمْ كَلَّا إِذَا افْتَخَرُوا

لَوْلَا فَوَارِسُ يَربوعٍ بِذِي نَجَبٍ ... ضَاقَ الطَّرِيقُ وَأَعْيَا الوِرْدُ وَالصَّدَرُ

إِنْ طَارَدُوا الخَيْلَ لَمْ يَشْوُوا فَوَارِسَهَا ... أَوْ وَاقَفُوا عَانَقُوا الأَبْطَالَ فَاهْتَصَرُوا (٣)

وفي معرض فخره بيربوع يعدد بعض فوارسهم : (٤)

لِيَربوعٍ فَوَارِسُ كُلِّ يَوْمٍ ... يُوَارِي شَمْسَهُ رَهَجُ الغُبَارِ

عُتَيْبَةُ وَالأُحَيْمِرُ وَابنُ قَيْسٍ ... وَعَتَّابٌ وَفَارِسُ ذِي الخِمَارِ (٥)

ويفتخر بأيام يربوع فيقول : (٦)

أَنَا ابْنُ الفَوَارِسِ يَوْمَ الغَبِيطِ ... وَمَا تَعْرِفُ العُوذُ (٧) أَمْهَارَهَا .

وَرَايَةِ مُلْكٍ كَظِلِّ العُقَابِ ... ضَرَبْنَا عَلَى الرَّأْسِ جَبَّارَهَا

---

(١) ديوانه : ٢ / ٩٥١ .
(٢) الديوان : ١ / ١٥٢ .
(٣) يشووا : من أشوى السهم أي أخطأ ولم يصب الغرض . وواقفوا : أي وقف في الحرب كل واحد تجاه خصمه . واهتصروا : اجتذبوا .
(٤) الديوان : ٢ / ٨٥٥ .
(٥) هؤلاء فرسان لمعوا في يربوع فافتخر بهم جرير .
(٦) الديوان : ١ / ٢٦٢ .
(٧) العوذ : جمع عائذ وهي الحديثة النتاج من الابل والخيل والغنم

وبقدر افتخاره بيربوع يفتخر كذلك بخندف ، ويخصها بصفات عظيمة مسبغا عليها فيضا من نعوت الجلال والعظمة : (١)

لَنْ تَستَطيعَ إِذَا مَا خِنْدفٌ خَطَرَتْ شُمّ الجِبَالِ وَلُجّ المزْبدِ الجَارِي
تَرْمِي خُزَيْمَةَ مَنْ أَرْمِي وَيَغْضَبُ لِي أَبْنَاءُ مُرّ بَنُو غَرَّاءَ مِذْكَارِ (٢)

وينسب نفسه إلى هذه القبيلة فيقول مفتخرا : (٣)

أَنَا ابْنُ صَرِيحَى خِنْدِفٍ غَيْرَ دَعْوَةٍ يَكُونُ مَكَانَ الْقَلْبِ مِنْهَا مَكَانِيَا

على أن من أجمل معانيه وعباراته الفنية مايكمن في هذه الأبيات التي يفتخر فيها بخندف قائلا : (٤)

وَأَجْدَرُ إِنْ تَجَاسَرَ ثُمَّ نَادَى بِدَعْوَى يَالَخِنْدِفَ أَنْ يُجَابَا
لَنَا البَطْحَاءُ تَغْمِسُها السَّوَاقِي وَلَمْ يَكُ سَيْلُ أَوْدِيَتِي شِعَابَا
فَمَا أَنْتُمْ إِذَا عَدَلَتْ قُرُومِي شَقَاشِقُهَا وَهَافَتَتِ اللُّعَابَا (٥)
تَنَحّ فَإِنَّ بَحْرِي خِنْدِفِيٌّ تَرَى فِي مَوْجِ جَرْيَتِهِ عُبَابَا
بِمَوجٍ كَالْجِبَالِ فَإِنْ تَرُمْهُ تُغَرَّقْ ثُمَّ يَرْمِ بِكَ الجَنَابَا
عَلَوتُ عَلَيْكَ ذِرْوَةَ خِنْدِفِيٍّ تَرَى مِنْ دُونِهَا رُتَبًا صِعَابَا

ولقد وجد جرير في قيس عيلان حليفه مواقف عظيمة ووقائع خالدة فافتخر بها وقرن معها خندف في بعض الأحيان كقوله مناقضا

---

(١) الديوان : ١/ ٢٣٥ .
(٢) يعدد القوم الذين يؤازرونه .
(٣) انظر الروائع - أهاجي ومفاخر - فؤاد افرام البستاني : ٤٥٤ .
(٤) الديوان : ٨٢٤ . (٥) عدلت : يعني مالت رؤوسها فهدرت وهافتت اللعابا : يريد فألقت القروم لعابها أي زبدها .

الأخطـــــل : (١)

قَيس وَخِنْدِف أَهْلُ المَجْدِ قَبلَكُمُ ... لَسْتُمْ إِلَيْهِمْ وَلَا أَنْتُمْ لَهُمْ خَطَرُ
مَاعَدَّ قَومٌ وَإِنْ عَزّوا وَإِنْ كَرُمُوا ... إِلَّا افْتَخَرْنَا بِحَقٍّ فَوقَ مَاافْتَخَرُوا
فَأَحْمَدُ اللَّهَ أَنَّ النَّاسَ قَدْ عَلِمُوا ... أَنْ لَنْ يُفَاخِرَنَا مِنْ خَلْقِهِ بَشَرُ

ويقول كذلك : (٢)

قَيْس وَخِنْدِف إِنْ عَدَدْتَ فعَالَهُمْ ... خَيْرٌ وَأَكْرَم مِن أَبِيكَ فعَالا

وكثيراً مايقرن بين قيس وخندف فيفتخر بهما وبخاصة عندما يناقض الأخطـــل : (٣)

فَلو أَصْبَحَ النَّاسُ حَرْبًا عِدًا ... لِقَيْسٍ وَخِنْدِف مَاضَارَهَا

ويستمر فى فخره بقيس التى كانت لها تلك الأيام والوقائع مع تغلب فيقـول : (٤)

وَالْحَيّ قَيْس بِأَعْلَى المَجْد مَنْزِلَة ... فَاسْتَكْرِمُوا مِنْ فرُوع زَنْدُهَا وَارِ
قَومِي فَأَصْلهُمُ أَصْلِي وَفرعُهُمُ ... فَرْعِي وَعقد هُمُ عَقْدِى وَإِمْرَارِى

وفى فخره بقيس هذه نجده يركز على تلك الحروب والوقائع التى دارت بينهم وبين تغلب وهو يريد أن يذكر الأخطل بتلك الوقائع بصيغة الاستفهام التقريرى كقوله : (٥)

---

(١) الديوان : ١/١٥٧ . (٢) نقائض جرير والأخطل : ٩٢ .
(٣) الديوان : ١/٢٦٤ . (٤) الديوان : ١/٢٣٥ .
(٥) نقائض جرير والأخطل ÷ ٨٩ ، والديوان : ١/٥٣ .

أَنَسِيتَ يَومَكَ بِالجَزِيرَةِ بَعْدَ مَا ... كَانَتْ عَوَاقِبُهُ عَلَيْكَ وَبَـالَا
حَمَلَتْ عَلَيْكَ حُمَاةُ قَيسٍ خَيلَهَـا ... شُعْثًا عَوَابِسَ تَحْمِلُ الأَبْطَـالَا
مَا زِلْتَ تَحْسَبُ كُلَّ شَيءٍ بَعْدَهم ... خَيْلًا تَشُدُّ عَلَيكُمُ وَرِجَـالَا

وقد صور هزيمة تغلب على يدى قيس فوصف هذه الهزيمة وصفا جميلا : (١)

سَرَى نَحوكُم لَيلٌ كَأَنَّ نجومَهُ ... قَنَادِيلُ فِيهِنَّ الذُّبَالُ المُفَتَّـلُ
فَمَا انْشَقَّ ضَوءُ الصُّبْحِ حَتَّى تَعَرَّفُوا ... كَرَادِيسَ يَهْدِيهِنَّ وَرْدٌ مُحَجَّـلُ (٢)
وَمَقْتُولَةً صَبْرًا تَرَى عِنْدَ رِجْلِهَـا ... بَقِيرًا وَأُخْرَى ذَاتَ بَعْلٍ تَوَلْـوَلُ
عُقَابُ المَنَايَا تَسْتَدِيرُ عَلَيهِـمُ ... وَشُعْثُ النَّوَاصِي لُجْمُهُنَّ تُصَلْصِلُ (٣)
وَمَا زَالَتِ القَتْلَى تَمُورُ دِمَاؤُهَـا ... بِدِجْلَةَ حَتَّى مَاءُ دِجْلَةَ أَشْكَـلُ (٤)

ولقد وجد جرير فى تميم التى يجتمع مع الفرزدق فى الانتساب اليها مآثر شتى كانت مددا له فى مفاخرة ، وبخاصة عندما يناقض الأخطل وان لم يكثر من الفخر بهذه القبيلة لعلمه أن الفرزدق لسانها القوى ، وانما فاخر الأخطل بها فى قوله : (٥)

قَومِي تَمِيمٌ هُمُ القَومُ الذين هُمُ ... ينفونَ تَغلبَ عَن بُحْبُوحَةِ الدَّارِ
النَّازِلُونَ الحِمَى لَمْ يُرْعَ قَبلَهُمُ ... وَالمَانِعُونَ بِلَا حِلْفٍ وَلَا جَـارِ

---

(١) ديوان جرير ١/١٤١ - ١٤٣ .
(٢) يريد بالورد المحجل : الجحاف . ويهدين : يتقدمهن .
(٣) المقصود بعقاب المنايا : الراية فقد شبهها بالعقاب .
(٤) تمور : تجرى ، والأشكل : الذى تخالطه حمرة .
(٥) الديوان : ١/٢٣٤ - ٢٣٥ .

ويصور عظمة هذه القبيلة مفتخرا بعلو كعبها بين الناس جميعا فيقول في معرض هجائه للراعي النميري : (١)

إِذَا غَضِبَتْ عَليك بَنُو تَمِيمٍ ... حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا

أَلَسْنَا أَكْثَر الثَّقلين رجْلاً ... بِبَطْنِ مِنًى وأَعظَمهم قِبَابَا

ويذهب في فخره القبلي بعيدا بعض الأحيان فنجده يفتخر بقريش والأنصار وينسبهم الى نفسه : (٢)

إِنَّ الَّذِينَ جَنوا مَجْدًا وَمكرُمَةً ... تِلْكُم قُرَيْشِي وَالْأَنْصَارُ أَنْصَارِي

والحق أن فخره بقريش والاحتكام اليها ونسبتها مع الأنصار اليه انما يرجع ذلك الى احساسه بالأسباب الواهية والبعيدة التي يفتخر بها (٣) فيستند على قريش مستشهدا بها في كثير من مفاخره. (٤)

فَاسْأَل جَحَاجِحَ مِن قُرَيْشٍ إِنَّهم ... تَلْقَى لحكمهمُ هُدًى وَمَنَارَا

ويقول كذلك : (٥)

تَعَالوا نُحاكمكم وَفِي الحَقِّ مقْنَعٌ ... إِلَى الغـرِّ مِنْ آل البطَاح الأَكَارِمِ

ونتيجة لاحساسه العميق بضعفه في فخره لم يكتف بأن يفاخر بقيس وتميم فضلا عن يربوع وخندف حتى خرج كما رأينا الى الفخر

---

(١) الديوان : ٢ / ٨٢٢ .

(٢) الديوان : ١ / ٢٣٥ .

(٣) جرير حياته وشعره ـ د . نعمان طه : ٣٦١ .

(٤) الديوان : ١ / ٥١٧ (٥) الديوان : ٢ / ٩٩٧ .

بقريش كلها ثم بالخلافة أيضا : (١)

إِنَّ الذِى أَعْطَى الخِلَافَةَ أَهْلَهَا ... بَنَىٰ لِيَ فِى قَيْسٍ وَخِنْدِف مَفْخَرَا

ثم يقول مشيرا الى الخليفة : (٢)

هَذَا ابن عَمِّي فِى دِمَشْق خَلِيفَةً ... لَوْ شِئْتُ سَاقَكُمُ إِلَىّ قَطِينَـا

ويقول أيضا : (٣)

وَقَيْس وَالخَلِيفَة مِن بَنِيـهِ ... وَصَاحِبُ عَهْدِهِ المُتَخَيَّرَانِ

وَقَيس يَا فَرزدق مِن تَمِيـمٍ ... مَكَانَ السَّاعدَين مِنَ البَنَانِ

ثم نجده يفتخر بمضر كلها فيقول : (٤)

إِنّى إِذَا مُضَر عَلىّ تَحَدَّبَتْ(٥) ... لَاقَيْتَ مُطَّلَعَ الجِبَال وُعُورَا

مَدَّتْ بُحُورهم فَلَسْتَ بِقَاطِـعٍ ... بَحْرًا يَمُدّ مِنَ البُحُورِ بُحُورَا

إِنَّا لَتَفْضُل فِى الحَيَاةِ حَيَاتُنَا ... وَنَسُودُ مَنْ دَخَل القُبورَ قُبُورَا

اللّهُ فَضَّلَنَا وَأَخْزَى تَغْلِبًـا ... لَنْ تَسْتَطِيعَ لِمَا قَضَى تَغْيِيرَا

وهذه المعانى تتماثل مع قول الفرزدق مفتخرا بمضر كما رأينا (٦) ، ولقد افتخر جرير كثيرا بقيس وبخاصة عندما يناقض الأخطل ، فان

---

(١) الديوان : ١ / ٤٧١ .
(٢) الديوان : ١ / ٣٨٨ .
(٣) الديوان : ٢ / ٥٩٣ .
(٤) الديوان : ١ / ٢٢٩ .
(٥) تحدبت : أى تعطفت .
(٦) انظر ديوان الفرزدق : ١ / ٢٩٧ ، ٢ / ٢٨٦ .

ناقض الفرزدق أو غيره كالراعي مثلا افتخر بيربوع وخندف : (١)

فَلَا وأَبيكَ مالاقيتُ حيّـــا ... كيربوعٍ إذا رفعوا العُقابا
وما وَجَدَ الملوكُ أعزَّ مِنّـا ... وَأَسْرَعَ من فَوَارِسِنَا اسْتِلَابَـا

وان ناقض الأخطل والفرزدق معا في قصيدة واحدة جاء فخره شاملا لتميم وقيس ويربوع وخندف كقوله : (٢)

أَتذكُرُهُمْ وَحَاجَتُكَ ادّكَـارُ ... وَقَلْبُكَ فِي الظَّعَائِنِ مُسْتَعَـارُ
أَخَاكُمْ ياتَمِيمُ وَمَنْ يُحَامِـي ... وَأُم الحرب مجلبـــة (٣) نـوارُ
تُخَاطر مِنْ وَرَاء حِمَايَ قَيْـسٌ ... وَخِنْدِفُ عَزَّمَا حُمِيَ الذّمَـارُ
وَيَعْلَمُ مَنْ يُحَارِبُ أَنَّ قَيْسًـا ... صَنَادِيدٌ لَهَا اللّجَج الغِمَـارُ (٤)

ولقد كان للايام والحروب نصيب من فخر جرير وان كانت أغلب تلك الأيام جاهلية أذكت نار الفخر بها تلك العصبيات القبلية التي ظهرت جذعة في العصر الأموى (٥)

---

(١) ديوان جرير : ٢ / ٨١٥ .
(٢) ديوان جرير : ١ / ١٣٥ .
(٣) المجلبة : الهائجة .
(٤) اللجج الغمار : أى الأمور العظيمة وفي رواية : (لهم لجج غمار) ..
انظر نقائض جرير نالأخطل : ١٣٢ .
(٥) أنظر العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموى - د . احسان النص : ٥٤٤ ومابعدها .

ومن أبرز تلك الأيام يوم " طخفة (١)" حيث افتخر به جرير كثيرا كقوله : (٢)

بِطخفَة ضَاربنَا الملوك وَخَيلنَا ... عَشيَّة بسْطَام جَرين عَلىَ نَحْب

فَيَاربَّ جَبّار وَطِئنَ جَبينَـهُ ... صَريع وَنـهْب قَدْ حَوَين إلِى نَهْب

كما افتخر بيوم (ذى نجب (٣) فقال : (٤)

إنَّا بُطخْفَة أوْ أيَّام ذِى نَجَبٍ ... نِعْم الفَوَارس لَمَّا التَفَّت العذرُ

وقد أكثر جرير من الفخر بهذين اليومين أكثر من غيرهما (٥) ومن الأيام أيضا التى افتخر بها جرير يوم (الوقيط (٦)) يوم تيم اللات

---

(١) يوم " صخفة " ويقال أيضا يوم " خزاز والرخيخ وذات كهف " وفيه انتصر بنو يربوع على المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة وأسر قابوس ابن المنذر ، وحسان أخو المنذر .
انظر أخبار هذا اليوم فى نقائض جرير والأخطل ١١٢ ، وأيام العرب فى الجاهلية - محمد أحمد جاد المولى ورفقاه : ٩٤ .

(٢) نقائض جرير والأخطل : ١١٢ .

(٣) انظر أخبار هذا اليوم فى أيام العرب فى الجاهلية : ٣٦٥ .

(٤) ديوان جرير : ١٥٢/١ .

(٥) انظر جرير حياته وشعره - د . نعمان طه : ٣٥٨ - ٣٥٩ .
وديوان جرير : ١٥٢/١ ، ١٩٥ ، ٣٦٣ ، ٣٦٧ ، ٥٥٩/٢ .

(٦) انظر أخبار هذا اليوم فى أيام العرب فى الجاهلية : ١٧٠ .

فاسأل غمامة بالخيل التي شهدت ... كأنهم يوم تيم اللات غُيّاب [1]
ودعت غمامة بالوقيط فنازعت ... حبل المذلة عشجلاً وضرارا

ومن هذه الأيام أيضا يوم شعب جبلة (يوم الصفا) ويوم (رحرحان [2]) ، كقوله في معرض هجائه للفرزدق : [3]

أنسيت يوم أبيك أيام الصفا ... قتلى أصبت بقتلهم وأسارى
والخيل إذ حملت عليكم جعفرا ... كنتم لهن برحرحان دوارا

ومن الأيام الاسلامية التي افتخر بها جرير يوم (مسعود) أو فتنة مسعود ، وقد حدث في أوائل خلافة مروان بن الحكم بعد موت معاوية سنة ٦٤ هـ فقال مفاخرا بهذا اليوم : [4]

ويوم عبيد الله خضنا برايةٍ ... وزافرة تمت إلينا تميمها

كما افتخر كذلك بيوم « مرج راهط » : [5]

هلا سألت بهم مضر التي نكثت ... أو راهطا يوم يحمي الراية البهم

وقد وجد جرير في الجيش صورا بطولية فافتخر به وصور عظمة تلك الجيوش التي تقودها يربوع وقيس فقال : [6]

---

(١) الديوان : ١/١٩٥ ، ٥١٨ .
(٢) انظر أخبار هذا اليوم في أيام العرب في الجاهلية : ٣٤٤ .
وجرير حياته وشعره ـ د . نعمان طه : ٩٧ .
(٣) الديوان : ١/٥٢٢ . (٤) الديوان : ٢/٩٨٦ .
(٥) انظر أخبار هذا اليوم في العقد الفريد : ٥/١٣٤-١٣٦ .
(٦) الديوان : ٢/٩٦٩ .

وَدَهْمٍ كَجُنْحِ اللَّيل رِزْنَا بِهِ العِدَا ... لَهُ عِثْيَرٌ مما تُثير قَنَابِلُهُ
إِذَا سَوَّموا لَمْ تَمْنَعِ الأَرْضُ مِنْهُمُ ... حَرِيدًا وَلَمْ تَمْنَع حَرِيزًا مَعَاقِلُهُ (١)
تَحُوطُ الحِمَى والخَيْلُ عَادِيَةٌ بِنَا ... كَمَا ضَرَبَتْ فِي يَوْمِ طَلٍّ أَجَادِلُهُ

وبعد استقرائنا لفخر جرير القبلى وجدناه يرتفع فيه الى يربوع التى عرفت بأيامها الكثيرة فى الجاهلية والتى كان لها ردافة ملوك الحيرة . (٢) وقد افتخر بهذا قائلا : (٣)

رَبَعْنَا وَأَرْدَفْنَا الملوكَ فَظَلِّلُوا ... وِطَابَ الأَحَالِيبِ الثُّمَامَ المُنَزَّعَا
أَخَذْنَا عَلَى الخورِ لَوْ تَعْلَمُون ... رِدَافَ الملوكِ وَأَصْهَارَهَا (٤)

وقد ابتعد عن الفخر (بكليب) عشيرته الدنيا اذ لم يكن لها حظ من الأمجاد السالفة وغاية ماعرف أنها ترعى الحمير والغنم ليس الا (٥) وقد افتخر هذا الشاعر أمام خصمه الأخطل بتميم فى أحوال قليلة بينما لم نجده يفتخر بها أمام الفرزدق الا نادرا لما عرف من أن الفرزدق لسان تميم والمدافع عنها (٦) .

---

(١) الحريد: المنتحى ، ولم تمنع حريزا : يعنى لم تقدر الأرض أن تحرز جمعهم فتحصنهم ، اذا سوّموا : يعنى أعلموا الحرب ، ومعاقله : ملاجئه وحصونه .
(٢) المعارف لابن قتيبة : ٦٥١ .
(٣) الديوان : ٢/ ٩٠٨ . (٤) الديوان : ١/ ٢٦١ .
(٥) انظر من نوابغ الفكر العربى جرير - دارسة محمد ابراهيم جمعة : ٢٧ - ٢٨ .
(٦) نقائض جرير والأخطل - دارسة للدكتور عبد السلام المحتسب : ٤٨٧ .

ولقد افتخر بمضر وخندف وفروعهما ،واتخذ من الدين مدارا لفخره ،فخندف أصل مضر ،وقيس مضرية كذلك ،والنبوة والخلافة والأمر والنهى فى مضر ،والأخطل تغلبى ربعى فكان جرير يستغل هذه الناحية ويفخر بها نظرا لأن الدين الاسلامى هو الفيصل بين القبائل .

وقد أخذ عليه النقاد من الناحية الفنية فخره على الأخطل بالدين (١) ورميه تغلب بالنقص لأنها لا تملك مما يعد عند المسلمين من شعائر دينهم فهو يفتخر بأشياء لم تكن موجودة لديهم أصلا وهذا ليس عيبا فيهم . (٢)

هَلْ تَمْلكُونَ مِنَ المَشَاعِرِ مشْعرًا   أَوْ تَنْزِلُونَ مِنَ الأَرَاكِ ظِلاَلاَ .

وكان الأولى به أن يفخر بما بين الناس جميعا كالآباء والأجداد وطيب المحتد ،وماللشخص أو القبيلة من رصيد فى البطولات الحربية والكرم والشجاعة ،كما لوحظ عليه أنه فى فخره بالأيام والحروب لا يعنى الا بتعييرهم بالناحية النسائية وذكر اليوم ولا يتعرض لتفاصيل ماحدث فلا يصور تلك الأحداث تصويرا دقيقا يستغرق تفاصيل الحدث . وهو فى فخره بالأيام والحروب والفرسان من يربوع وغيرها والاحتكام الى قريش وابتعاده عن الفخر " بكليب " يريد أن يتسامى فى فخره الى هذه المعانى الرفيعة التى تفتقر اليها

---

(١) جرير حياته وشعره ـ د . نعمان طه : ٣٦٢ .

(٢) نقائض جرير والأخطل : ٩٢ .

" كليب " فأكثر من الفخر بتلك القبائل وأيامها في الجاهلية والاسلام وفرسانها الذين كانت لهم بطولاتهم التي غيرت مسار تاريخ أمتهم .

××××××××××××××××××××××

وأمـــا فخر جرير بنفسه فقد نحا فيه نحوا يتناسب ومـا قدمنا عن أسرته وقبيلته الدنيا " كليب " ففاخر باستقامته وشهامته وصولة شعره وسيرورته . (١) حيث يرى أنه أدرك الأوائل فيـه وبزّ معاصريه فلم يترك لهم مجالا للشعر ،والى جانب هذا فهـو مقدام شجاع : (٢)

وَقَدْ وَجَدَانِي حِيْنَ مُدَّتْ حِبَالُنَا   أَشَدَّ مُحَامَاةً وَأَبْعَدَ مَنْزَعَـا
وَإِنِّي أَخو الحَرْبِ التي يُصْطَلَى بِهَا   إِذَا حَمَلَتْهُ فَوْقَ حَالٍ تَشَـنَّعَا
وَأَدْرَكْتُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلِي وَلَمْ أَدَعْ   لِمَنْ كَانَ بَعْدِي فِي القَصَائِدِ مَصْنَعَا

ولعل هذه الناحية التي أراحت جريرا كثيرا ففخر بها كصفـة من صفاته العظيمة وهي شاعريته التي حباه الله بها فسلطها علـى أعدائه كالسم القاتل ،واستطاع من خلال شعره أن يهزم الشعـراء جميعا فقد أعد لهم سما قاتلا وصواعق لا تبقي ولا تذر . (٣)

أَعْدَدْتُ لِلشُّعَرَاءِ سَمًّا نَاقِعًا   فَسَقَيْتُ آخرهمَ بِكَأْسِ الأَوَّلِ

وقوله في معرض هجائه للراعي النميري وفخره بشاعريته : (٤)

أَعَدَّ اللّٰهُ لِلشُّعَراءِ مِنِّـي   صَوَاعِقَ يُخْضِعُونَ لَهَا الرِّقَابَـا .

---

(١) انظر " جرير دراسة " لمحمد ابراهيم جمعة ص ٤٦ .
(٢) الديوان : ٢ / ٩٠٤ .
(٣) الديوان : ٢ / ٩٤٠ .
(٤) الديوان : ٢ / ٨١٩ .

ويستمر في فخره بهذه القريحة المتوقدة فيقول :(١)

أَعْدَدْتُ للشعراء كأساً مُرّةً ... عِنْدِي مُخالِطُهَا السّمَامُ المُنْقَعُ

هَلاّ نَهَاهُمْ تِسْعَةٌ قَتَلْتُهُمْ ... أَوْ أَرْبَعُونَ حَدَوْتُهُمْ فاسْتَجْمَعُوا

وقد أضاف جرير الى نفسه صفة الشجاعة ولا يعلم الا الله مدى صدق هذه الصفة عليه، وهو سليل أسرة وضيعة ليس فيها من اتصف بالشجاعة يقول :(٢)

وَلَيْسَ لِسَيْفِي فِي العِظَامِ بَقِيَّةٌ ... وَلَلسَّيْفُ أَشْوَى وَقْعَةً مِنْ لِسَانِيَا

وربما كان هذا كناية عن قوة شاعريته فأراد أن يضخمها ويهولها فشبهها بالسيف هنا مرة وبالصواعق هناك مرة أخرى ، وقد صور نفسه في معرض فخره بشاعريته صورة عظيمة رأى أنها لا تصدق على شاعر سواه حيث يقول مشبها نفسه بالبازى الذى ينقض على غيره من الطير كما شبه الشعراء بالخربان :(٣)

أَنَا البَازِي المُدِلُّ عَلَى نُمَيرٍ ... عَلَى رَغْمِ الأُنُوفِ الرَّاغِمَاتِ

أَنَا البَازِي المُطِلُّ عَلَى نُمَيرٍ ... أُتِحْتُ مِنَ السَّماءِ لَهَا انْصِبَابَا

إِذَا عَلِقَتْ مَخالبه بِقِرْنٍ ... أَصَابَ القلبَ أَوْ هَتَكَ الحِجَابَا

تَرَى الطَّيرَ العِتَاقَ تَظَلُّ مِنْهُ ... جَوَانِحَ لِلكَلاكِلِ أَنْ تُصَابَا

ويقول في معرض اجابته لغسان السليطى مفتخرا بنفسه وشعره :(٤)

---

(١) الديوان : ٢ / ٩١١ .

(٢) الديوان : ١ / ٨٠ .

(٣) الديوان : ٢ / ٨٢٧ ، ٨١٩ . (٤) الديوان : ٢ / ٨٩١ ، ١ / ٥١٩

وَلَمَّا علاكُم صَكَّ بَازٍ جَنَحْتُـمُ ... بِأَسْتَاهِ خربَان تَصرّ صُقُورُهَـا

، خِربَانُ صَيْفٍ نَفَشَتْ أَعْرَافَهَا ... عَايَنَّ أَسْفَعَ مُلْحمًا مِبْكَـارَا

وكما نلاحظ في هذا الفخر فقد صور نفسه بازيا ، وغيره من الشعراء والناس خربانا تظل منه وجلة خائفة .

ويستمر في فخره بشعره فيصفه وصفا رائعا مبينا شدة وقعه على الأنفس وينطلق في هذا الوصف من اعتزازه بنفسه واعجابه بفنه فيقول في أبيات كثيرة منها على سبيل المثال قوله : (١)

رَفَعْتُ لَهُ مَشْبُوبَةً يُهْتَدَى بِهَا ... يَكَادُ سَنَاهَا فِي السَّمَاءِ يَطِيرُ

، وَجَهَّزْتُ فِي الآفَاقِ كُلَّ قَصِيدَةٍ ... شَرُودٍ وُرُودٌ كُلَّ رَكْبٍ تُنَازِعُ

يَجُزْنَ إِلَى نَجْرَانَ مَنْ كَانَ دُونَهُ ... وَيَطْهَرْنَ فِي نَجْدٍ وَهُنَّ صَوَادِعُ

، وأوقدت ناري بالحديد فأصبحت ... لها لهب يصلى بها الله من يصلى

، أَلَمْ أَكُ نَارًا يَتَّقِي النَّاسُ شَرَّهَا ... وَسَمًّا لأَعْدَاءِ العَشِيرَةِ مُمْقَرَا

، إِنِّي لَتُحْرِقُ مَنْ قَصَدْتُ لِشَتْمِهِ ... نَارِي وَيَلْحَقُ بِالغُوَاةِ سُعَارِي

وهو يصور الشعراء بين صعق مصاب نتيجة لاصابته ، وبين آخر منتظر حتفه الذى لا مناص منه فيقول : (٢)

تَرَى الشُّعَرَاءَ مِن صَعِقٍ مُصَابٍ ... بِصَكَّتِهِ وَآخَرَ مُسْتَدِيمِ (٣)

---

(١) الديوان : ٢/ ٨٧٧، ٩٢٢، ٩٥٠/١، ٤٨٤/٢، ٨٩٦ .

(٢) ديوان جرير : ١/ ١١٣ .

(٣) المستديم : المنتظر لصكة أخرى . والصعق : المغشى عليه .

لَقَدْ وَجَدُوا رِشَائِي مُسْتَمِرًّا وَدَلْوِي غَيْرَ وَاهِيَةِ الأَدِيمِ

وهذه صورة فنية عظيمة تجسد حالة الشعراء الوجلة الخائفة وقد صب عليهم جرير صواعقه ثم يكنى عن شاعريته ، وكيف أن هذه الموهبة لديه مستمرة تأخذ صفة الديمومة وأن الجدة والقوة طابعها

ويفخر بمناقبه العظيمة ومزاياه السالفة أيام فتوته وشبابه وكيف أن أحداث الدهر قد أضنته كثيرا وهو وإن أصبح محدودب الظهر ولديه القوة على التصبر عن بعض الرغائب والحاجات الا أنه لا صبر له على القعود عن النجدة فهو سريع اليها كيفما كانت حالته ويصور هذه الأمور في فخر شخصي مميز فيقول مباهيا بهذه الصفات: (١)

إِمَّا تَرَيْنِي وَهَذَا الدَّهْرُ ذُوغِيَرٍ فِي مَنْكِبَيَّ وَفِي الأَصْلَابِ تَحْنِيبُ
فَقَدْ أَمُدُّ نِجَادَ السَّيفِ مُعْتَدِلاً مِثْلَ الرُّدَيْنِيِّ هَزَّتْهُ الأَنَابِيبُ
وَقَدْ أَكُونُ عَلَى الحَاجَاتِ ذَا لَبَثٍ وَأَحْوَزِيًّا إِذَا انْضَمَّ الذَّعَالِيبُ

وهذا الشاعر قد افتخر بنفسه واصطنع لها ضروبا من الشجاعة والكرم ، كما افتخر بشاعريته وأضفى على نفسه من هذه الناحية صورا عظيمة تدل على قوة معانيه الشعرية وتهافت الشعراء أمامه ولكننا لم نجد له فخرا بأبيه عطية ، أما جده " الخطفى" فقد افتخر به في بيتين اثنين فقط : (٢)

---

(١) ديوان جرير : ١/ ٣٤٨ .
(٢) الديوان : ٢/ ٨٩٩ ، ٩٧٠ .

لَمَّا بَنَى الْخَطَفَى رَضِيْتُ بِمَا بَنَى ... وَأَبُو الفَرَزدقِ نَافِخُ الأَكْيَـــارِ
، بَنَى الخَطَفَى حَتَّى رَضِيْنَا بِنَاءَهُ ... فَهَلْ أَنْتَ إِنْ لَمْ يرضِكَ القَيْنُ قَاتِلُهْ

ولئن فخر جرير بنفسه فقط ،واعتمد عليها فى ملاقاة الأعداء وصدهم جميعا بشعره العظيم فان هذا الفخر لم يأت من فراغ ،فجـــرير شاعر عظيم له مقوماته الفنية وشخصيته المتميزة ،والاعتماد علــــى النفس ليس عيبا بل انها الشجاعة بأسمى معانيها ،ولقد اعتمـــد شاعرنا على نفسه وشاعريته ففاق الأقران حتى أن الراعى النميـــرى لما سمع قول جريـــر : (١)

وَعَاوٍ عَوَى مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ رَمَيْتُهُ ... بِقَارِعَةٍ أَنْفَاذُهَا تَقْطر الدَّمَـــا
خَرُوجٍ بِأَفْوَاه الرّواة كَأَنَّهَـــا ... قَرَى هُنْدُوَانيّ إِذَا هُزَّ صَمَّمَـا
فَإِنّى لَهَاجِيكُمْ بِكل غَرِيْبَـــةٍ ... شَرُودٍ إِذَا السَّارِى بِلَيْلٍ تَرَنَّمَا
غَرَائِبَ أُلَّافًا إِذَا حَانَ وِردهَـا ... أَخَذْنَ طَرِيقًا للقَصَائِدِ مُعْلَمَـا

فقال الراعى : لايلام رجل يغلبه قائل هذه الأبيات (٢) ولعمـــرى لقد صدق جرير فى فخره بنفسه وبشاعريته وسيروورتها وقوتهـــــا وتهافت الشعراء أمامه ولم يصمد له الا الفرزدق والأخطل فتربـــع معهما على قمة الشعر العربى فى العصر الأموى حتى عرف هؤلاء الشعراء الثلاثـــة - ان جـاز التعبيـر - باسم المثلث الأمـــوى . ولا تنصرف هذه التسمية الى سواهم .

---

(١) الديوان : ٢/٩٨٠ - ٩٨١ .
(٢) طبقات فحول الشعراء : ١/٤٣٨ .

ولاشك أن نهش الشعراء لجرير وتألبهم عليه وصموده[١] أمامهم وانتصاره عليهم يعد فخرا مابعده فخر له كما رأينا من البحث .

****

---

(١) تاريخ النقائض فى الشعر العربى ـ أحمد الشايب ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٦٦م ص ٢٢٣ .

الباب الثالث

أثر الإسلام في مدح وفخر الشعراء الثلاثة

وفيه مدخل وثلاثة فصول :

مدخل لدراسة هذا الباب ..

الحياة الإسلامية وأثرها في الشعر الأموي .

الفصل الأول :

مدى تأثر الأخطل بالبيئة الإسلامية

الفصل الثاني :

أثر الإسلام في مدح وفخر الفرزدق

الفصل الثالث :

أثر الإسلام في مدح وفخر جرير

مدخـــــل

" " لدراسة هـــــذا البــاب " "

÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷

* * الحياة الاسلامية وأثرها فى الشعـــــــــر الأمــوى * *

لم يكن العصر الأموى بعيدا عن القيم الروحية ، والأخلاق الاسلامية الفاضلة التى انعكست على أدب هذا العصر بصفة عامة والشعر منه بصفة خاصة رغم ظهور أحزاب (١) سياسية مذهبية فى هذا العصـــر كان لها صداها وتطلعاتها فى الحياة .

ولعل قرب هذا العصر من النبع الأول للاسلام ووجود مجموعــة من الصحابة الأجلاء والتابعين (٢) الذين كان لهم شرف الصحبـــة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الكرام قد طبعـــــه بطابع دينى لم يسمح بظهور الأدب الماجن والشعر الساقط كما حدث فيما بعـــد . (٣)

---

(١) التعبير هنا بلفظ (حزب) تعبير يعنى فى اللغة الجماعة من الناس وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب وان لم يلق بعضهم بعضـــا . / انظر الصحاح ، واللسان .
والمنجد فى اللغة والاعلام .
ودائرة معارف القرن العشرين (حزب) .
وانظر الفرق الاسلامية فى الشعر الأموى - د . النعمان القاضى (٣٣٢) .

(٢) انظر البيان والتبيين : ١٩٣/٣ .

(٣) حيث ظهر الغزل بالمذكر ، والخمريات وغيرها من مظاهر الأدب الماجن مما لم نجده فى الأدب الأموى .

غير أننا حينما نتتبع ما كتب عن أدب بنى أمية شعره ونثره بل وما كتب عن بعض الخلفاء أنفسهم من قبل المستشرقين ومن رضى سبيلهم (١) نجدهم يرمون هذا الأدب بالجاهلية والعصبية والحزبية ،ليشوهوه فى أذهان الدارسين ،وينفوا بالتالى أثر الاسلام فى الحياة كما شوّهوا صورة الخلفاء الأمويين (٢) ،ولا ينكر أحد أن الأحزاب السياسية والدينية التى نشأت فى عصر بنى أمية كانت مسرحا لأدب متميز الا أن الجاهلية لم تكن مسيطرة عليه ولم يكن الشعر الأموى جاهليا كما يتصور البعض (٣) لأنه يمثل المسلمين

---

(١) انظر أثر الاسلام فى شعر الفرزدق -د . مصطفى عبد الواحد : ١٢ - ١٣ .
ونضيف أن سيرة خلفاء بنى أمية لم تسلم من التشويه والتجريح انظر أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ - د . ابراهيم شعوط : ٢٤٧ ومابعدها .

(٢) انظر تاريخ الأدب العربى (بروكلمان) : ١/١٨٧ .

(٣) حيث يرى (هاملتون جب) أن الشعر الأموى ظل صورة حية للشعر الجاهلى وأن شعراء هذا العصر كانوا مقلدين للجاهلين فى نهج قصائدهم .
. انظر دراسات فى حضارة الاسلام (هاملتون جب) ترجمة - د . احسان عباس ورفقائه : ٢٩٥ .
(وهاملتون جب) مستشرق انجليزى ولد بالاسكندرية ،يعد من أعلام المستشرقين المعاصرين اشتهر بكتاباته المتعمقة عن الاسلام شغل منصب أستاذ للغة العربية بجامعات لندن ،واكسفورد ، وهارفارد ،ومدير لمركز دراسات الشرق الأوسط .
. انظر ترجمته فى الصراع بين القديم والجديد فى الأدب العربى الحديث للدكتور محمد الكتانى : ٢/١٢٩٠ .

فى فترة من فترات حياتهم قريبة من عهد النبوة والخلفاء الراشدين . الا أننا نرى أن هذا التقليد للجاهلين ان حصل فى بناء القصائد فانه ليس دليلا على جاهلية الأدب الأموى شعره ونثره اذ لايشك عاقل أن الشعراء والأدباء يحترمون المبادئ ، والقيم الروحية السامية ،فالاسلام مازال قويا آنذاك ومتمكنا من نفوس وعقليات الناس ،فكيف يؤخذ أدب هذا العصر بصفة عامة والشعر بصفة خاصة على أنه مرتبط بالقيم الجاهلية دونما محاولة للتمحيص والتحقيق وقياسه بمقياس الاسلام الصحيح بغض النظر عن وجود تلك الأحزاب (١) مادامت ملتزمة فى أدبها بالروح الاسلامى .

ان تاريخ الأدب العربى فى هذه الفترة لم يسلم من الدس والتشويه لأنه مرتبط بتاريخ بنى أمية الذى لم يكتب أغلبه الا فى العصر العباسى (٢) ،ومعلوم أن الدولة الأموية أسقطها العباسيون ، بعد ثورة عارمة فى المشرق قضت عليها (٣) ،فهل أنصف هؤلاء الباحثون الذين دونوا تاريخ هذه الحقبة من الزمن وكتبوا بموضوعية

---

(١) ونقصد بالأحزاب المعتدلة التى لم تفرط فى الغلو ولم تسرف فى التعصب لمذهبها كالخوارج الذين يكفرون مرتكب المعصية وبعض الشيعة الذين يجعلون عليا فى مرتبة الاله ويلعنون الصحابة -رضى الله عنهم - .

(٢) تاريخ الأدب العربى " بروكلمان " : ١ / ١٨٨ .

(٣) سقطت الدولة الأموية فى المشرق سنة ١٣٢ هـ بعد حكم دام تسعين عاما تقريبا . كان حافلا بالفتوحات الاسلامية ونشر الاسلام فى أرجاء المعمورة .

وتجردوا عن الأهواء السياسية والحزبية والنزعة العدائية ؟ أم أن هذه النزعة فرضت نوعا من المغالطات التاريخية والتشويه الأدبي لهذا العصر ؟ (١) .

هذه في الواقع مسئولية الباحثين المنصفين الذين يهمهم تتبع خطوات ومراحل وبيئات الأدب الأموي ووزنه بميزان الدين الاسلامي الحنيف اذ ليس من المعقول أن نحكم على عصر بني أمية بأنه كان عصر العصبيات القبلية ،وأن الاسلام لم يكن له أثر في الشعر النابع من البيئات المختلفة والتي كان لكل بيئة منها ظروفها وملابساتها الخاصة .

ومن هنا فانه يتحتم على الباحث المنصف أن يتتبع خطوات الشعر الأموي من خلال تتبعه للحياة الاسلامية نفسها ليرى مدى تأثير هذه الحياة في الشعر حتى لا يُرْمَى بالجاهلية والعودة الى ما نهى عنه الدين .

واذا كانت الدولة الأموية في بداية عهدها قد انشغلت بالحروب واطفاء نار الفتن ،وتوحيد الأمة الاسلامية فان هذه الدولة المتمثلة في الخلافة قد بلغت قوتها وأخضعت كل الطوائف والأحزاب السياسية التي وجدت نتيجة لهذه الحروب ،وانصهر الجميع تحت

---

(١) اشتهر الأمويون بتعصبهم ضد الموالي ،وبخاصة الفرس الذين ~~كانوا من~~ كان بعضهم المعاول الهدامة التي أطاحت بملك بني أمية ~~وكانوا أيضا في أغلب الظن معولا هدما~~ شوه تاريخ الأمويين اذ كان أغلب الكتاب والعلماء والرواة والشعراء في العصر العباسي من الفرس . وقد لعبت الشعوبية دورا بارزا في التاريخ والأدب .

ظل خلافة واحدة فى بوتقة الاسلام ،وان بقى لهذه الأحزاب ـ شعراؤها الذين سجلوا مرئيات حزبهم للحياة ونظرتهم للخلافة وفلسفتهم للدين كالخوارج والشيعة والزبيريين ،وهى أحزاب لها قيمها واتجاهاتها المذهبية ،الا أن الاسلام كان متمكنا من قلوب الناس . فهناك الوعاظ والزهاد والنساك الذين وجدوا فى العصر الأموى رجالا ونساء (١) فى الحجاز والشام ومصر وغيرها من الأقاليم .

وقد نشأ الشعراء فى عصر بنى أمية وسط هذه البيئة المليئة بالنساك والزهاد ،وتشبعت أنفسهم بهذا التيار الاسلامى فآمنوا بعالم آخر فوق حسهم وشعورهم مما طبع نفوسهم بطوابع العصر التى لم تكن مألوفة فى الجاهلية .(٢) اذ أن القيم الروحية والمثالية الدينية التى نشأ الشعراء فى ظلالها كان لها أثر أىّ أثر فى نفوسهم ! فأصبح الشاعر يعيش فى ظروف نفسية جديدة لم يعد للوثنية والمادية مكان فيها .

ومن هنا كان الشعر الأموى صدى لتلك التطلعات النفسية والدينية التى يراها الشعراء ويؤمنون بها . وعلى الرغم من أن هؤلاء لم يكونوا من النساك ،والزهاد الاأن التيار الاسلامى كان

---

(١) البيان والتبيين ـ الجاحظ : ١/٣٦٢ - ٣٦٦ .
(٢) التطور والتجديد فى الشعر الأموى ـ د . شوقى ضيف : ٦١ - ٦٢ .

يسرى فى عروقهم . ولنضرب مثلا بالفرزدق الذى اتهمه بعض معاصريه وبعض المحدثين بالانسلاخ عن الدين ،فان عبارات كثيرة تنتشر فى شعره وتشهد له باستقرار الاسلام فى أعماقه . اذ ظهرت نفحات الدين الاسلامى فى شعره واضحة جلية ،وبدا ضعيفا أمام الخوف من العذاب ومن هول يوم القيامة .

حتى الأخطل النصرانى قد امتدت اليه ظلال الاسلام فعاش فى كنفه ينطق بمثل مانطق مادحا الوليد . (١) وان لم يؤمن هو بما يقول :

وَقدْ حَلفتُ يَمينًا غَيرَكَاذِبَةٍ ... باللَّهِ رَبِّ ستور البَيْتِ ذِى الحُجُبِ
وَكُلِّ مُوفٍ بنذْرٍ كَانَ يَحْمِلُـهُ ... مُضَرَّجٌ بِدِمَاءِ البُدْنِ مُخْتَضِـبِ
إِنَّ الوليدَ أَمِينُ اللَّهِأَنْقَذَنِى ... وَكَانَ حِصْنًا إِلَى مَنْجَاتِهِ هَرَبِـى

وهناك غيرهما من الشعراء شهد لهم شعرهم بأنهم كانوا أكثر تأثرا بالاسلام وبخاصة هؤلاء الشعراء الذين عرفوا بالعفاف والتدين (٢) . ويلاحظ على مديح الشعراء وهجائهم فى هذا العصر أنهم لا يمدحون ولا يهجون الا وضعوا الصفات الدينية ايجابا وسلبا فى مديحهم وهجائهم فهاهو كثير يمدح عمر بن عبد العزيز بقولـه : (٣)

---

(١) شعر الأخطل : ١/٢٤٤ .
(٢) التطوير والتجديد - د . شوقى ضيف : ٦٣ .
(٣) ديوان كثير : ٣٣٤-٣٣٥ (دار الثقافة بيروت) .

وَصَدَّقْتَ بِالفعل المقَال مَعَ الّذِى — أَتَيْتَ فأَمْسَى رَاضِيًا كُلُّ مُسْلِمِ
وَقَدْ لَبِسَتْ لبسَ الهلُوك ثِيَابهَا — تَرَاءَى لَكَ الدُّنْيَا بِكَفٍّ وَمِعْصَمِ
وَتُومِض أَحْيَانًا بِعَيْنٍ مَرِيضَةٍ — وَتَبْسِمُ عَنْ مِثْلِ الجُمَانِ المُنَظَّمِ
فَأَعْرَضْتَ عَنْهَا مُشْمَئِزًّا كَأَنَّمَا — سقِيتَ مدوفًا مِنْ سَمَامٍ وَعَلْقَمِ

وهذا ابن قيس الرقيات يمدح مصعب بن الزبير بقوله : (١)

إِنَّمَا مصعَبٌ شهَاب مِن اللّـ — ـهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْمَاءُ
مُلكُهُ مُلْكُ قُوَّة لَيْسَ فِيهِ — جَبَرُوتٌ وَلَا بِهِ كِبْرِيَاءُ
يَتَّقِي اللَّهَ فِي الأُمورِ وَقَدْ أَفْـ — ـلَحَ مَنْ كَانَ هَمَّهُ الأَتِّقَاءُ

وقد أَثَّر الإسلام فى أغلب جوانب الشعر العربى فى هذا العصر فظهر ماسمى بالغزل العذرى العفيف (٢) ، وظهر فى هذا العصر مجموعة من الشعراء العذريين الذين جنّوا من الحب فكان شعرهم ترجمة صادقة لما يختلج فى نفوسهم من عواطف وأحاسيس نحو من يحبون ، تأججت تلك العواطف فصورها فى شعر رقيق ينبىء بالضعف أمام تباريح الهوى ولوعة الشوق ، وجفو الحبيب

---

(١) ديوان ابن قيس الرقيات (ط بيروت) : ٩١ .

(٢) يرى بعض الدارسين المحدثين أنه لم يكن هناك مايسمى بالغزل العذرى العفيف . وأطلق على هذا النوع من شعر الغزل" غزل المحرومين " وقد اعتمد على بعض المقاييس النفسية لدى الشاعر . وهذه الرؤية لاتعتمد على دليل علميّ ولم يذهب الى هذا الرأى أحد من النقاد القدامى ولايمكن تطبيق مثل هذه المقاييس على أدبنا العربى انظر الجمود والتطور فى الشعر العربى د . محمد الكفراوى ص ٥٥- ٦٥ .

فأخذوا يستخدمون بعض المعاني والألفاظ الاسلامية في شعرهم كي يؤثروا في قلوب من يحبون ،وسواء أكان هذا الغزل العفيف صدى للبيئة الاسلامية أم صدى للبيئة البدوية أم لكليهما فانه قد امتلأ بسمات اسلامية كثيرة . فهاهو عمر بن أبي ربيعة يقول : (١)

أَلاَ يَا مَنْ أُحِبُّ بِكُلِّ نَفْسِي ۞ وَمَنْ هُوَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ حَسْبِي
وَمَنْ يَظْلِمْ فَأَغْفِرُهُ جَمِيعًا ۞ وَمَنْ هُوَ لَا يَهُمُّ بِغَفْرِ ذَنْبِي

ويقول جميل : (٢)

أَلاَ تَتَّقِينَ اللهَ فِيمَنْ قَتَلْتِهِ ۞ فَأَمْسَى إِلَيْكُمْ خَاشِعًا يَتَضَرَّعُ

ويقول مجنون ليلى : (٣)

عَفَا اللهُ عن ليلى الغَداةَ فَإِنَّهَا ۞ إِذَا وَلِيَتْ حُكْمًا عَلَيَّ تَجُورُ

وقد تأثر شعر الحماسة كذلك بالحياة الاسلامية فهاهو قطري بن الفجاءة يقول : (٤)

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاعًا ۞ مِنَ الأَبْطَالِ وَيْحَكِ لَنْ تُرَاعِي
فَإِنَّكِ لَوْ سَأَلْتِ بَقَاءَ يَوْمٍ ۞ عَلَى الأَجَلِ الَّذِي لَكِ لَنْ تُطَاعِي

---

(١) ديوان عمر بن أبي ربيعة : ٤٨٥ . (طبعة المدني)
(٢) ديوان جميل : ١١٧ .
(٣) الأغاني : ٢/٧٥ .
(٤) ديوان الحماسة لابي تمام : ١/١٦١ .

فَصَبْراً فِى مَجَال الموتِ صَبْرا ... فَمَا نَيْل الخلودِ بِمُسْتَطَاعِ
وَلَا ثوب البَقَاءِ بِثَوبِ عِزٍّ ... فَيُطْوى عَن أَخِى الخَنَعِ اليَرَاعِ
سَبِيلُ المَوْتِ غَايَةُ كُلِّ حَيٍّ ... فَدَاعِيهِ لِأَهْلِ الأَرْضِ دَاعِى

وهكذا ظهرت ملامح الحياة الاسلامية واضحة وجلية فى نتاج الشعراء فى العصر الأموى رغم ظهور العصبيات وتعدد المذاهب والأحزاب الا أن الروح الاسلامية بقيت واضحة جلية . كما سنرى لدى الشعراء الثلاثة فى الفصول التالية . (١)

××××××××××××××

---

(١) لم أترجم للشعراء الذين أوردت لهم نصوصا هنا لشهرتهم ولأنه قام بهذه المهمة باحث آخر . فضلا عن شغلي بهذه الناحية قد يؤدى للتكرار والإطالة.

الفصل الأول

مدى تأثر الأخطل بالبيئة الإسلامية

" " الفصـــل الأول " "

÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷

* * مدى تأثر الأخطل بالبيئة الاســـلاميـــة * *

قبل الحديث عن أثر البيئة الاسلامية في مديح وفخـــر الأخطل يحسن بنا أن نتتبع أصول الايمان في نفسيته ،فقد انحدر من قبيلة تغلب النصرانية التي كانت على مذهب اليعقوبية (١)وظـــل معتنقـا النصرانية حتى مات .

ونستطيع أن نستنبط من أخبار رواها بعض الرواة القدامى أنــه كان متمسكا بدينه مستجيبا لشعائره ومعتقداته . (٢)

وحينما نرجع لديوانه نجد ملامح واضحة للايمان بما تلتقـى فيـه الأديان السماوية ألا وهو الايمان بـالله والاقرار له بالعبوديـــة

---

(١) احدى فرق النصارى الأربع وهم : اليعقوبية ، والنسطورية ،والغولية والملكانية ،وترى اليعقوبية أن الله لم يكن بجسم فتجسّم ولم يكن فـــي مكان فصار في مكان ،متجسدا متناسيا بعد أن كان غير متجسد ولا متناس وهو المسيح ،ودليلهم في ذلك أنهم قالوا : لما كان قادرا علـــى الزيادة في حدثه كان قادرا على الزيادة في ذاته ،ولو لم يقدر علـــى الزيادة في ذاته لكان عاجزا وهو القادر على مايشاء . تعالـــى الله عما يقولون وبرأ نبيه عيسى عليه السلام من ترّهاتهـــم . انظر الحور العين- نشوان الحميرى تحقيق كمال مصطفى - مطبعـــة السعادة ط (١) ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م ص ١٤٥-١٤٦ ،وشعـــراء النصرانية ١٧١-١٧٢ ودائرة المعارف الاسلامية ٥١٦ ،ومواســـم الأدب : ١ / ٢٢٠ .

(٢) الأغاني : ٧/ ١٧٤ .

وأنه تعالى الذى يصرف الأمور ويقدر الأقدار ويعطى مايشاء لمن يشــاء ،يقول مقرا بالعبودية للـــه : (١)

لَهَانَ عَلَيْنَا وَالَّذِى أَنَا عَبْدُهُ   دُعَاؤكَ فِى أَرْمَاحِنَا يَالَ عَامِرِ

ويقول فى موضع آخر مقرا بأنه لا يكون شىء الآ باذن اللــــــــه تعالى : (٢)

فَدَافَعَهَا بِإِذْنِ اللّٰهِ عَنَّــا   شَبَابُ الصِّدقِ مِنَّا وَالكُهُولُ

ويقول فى مدح بنى أمية عندما مدح بشر بن مروان مقرا بـــــأن العطاء من الله وحده : (٣)

أَنْتُم خِيَارُ قُرَيْشٍ عِنْدَ نِسْبَتِهِـمْ   وَأَهْلُ بَطْحَائِهَا الأَثْرَوْنَ وَالفَرَعُ (٤)
أَعْطَاكُمُ اللّٰهُ مَاأَنْتُمْ أَحَقُّ بِـــهِ   إِذَا المُلوكُ عَلَى أَمْثَالِهِ اقْتَرَعُــوا (٥)

ويقول فى مدح بنى أمية : (٦)

قَوْمٌ إِذَا بَسَـطَ الإِلَـهُ رَبِيْعَـهُـمْ   جَادَتْ رَحَاهُ بِمُسْبِلٍ دَرَّارِ

ويرى أنهم منصورون من الله تعالى فيقول : (٧)

أَعْطَاهُمُ اللّٰهُ جَدًّا يُنْصَرُونَ بِهِ   لَا جَدَّ إِلَّا صَغِيرٌ بَعْدُ مُحْتَقَـــرِ

---

(١) شعر الأخطل : ٢ / ٦٥٨ .
(٢) شعر الأخطل : ١ / ٣٧٥ .
(٣) شعر الأخطل : ١ / ٣٦٦ .
(٤) الأثرون : جمع أثرى وهو الكثير الثراء . والفرع: أراد الفرع وهو الشريف العالى النسب . (٥) اقترعو: معناها هنا تضاربوا بالسيوف .
(٦) شعر الأخطل : ٢ / ٤١٤ . (٧) شعر الأخطل : ١ / ٢٠١ .

ويبدو هذا الشاعر مؤمنا بالرسل وقد يخص بعضهم بالذكر ويستعين بما سطروه من أمجاد فى تاريخهم المشرق مستمدا منه العبر ، والعظات فيقول فى معرض فخره بتغلب : (١)

فَقد نَهَضَتْ لِلتَّغْلِبِيِّينَ حَيَّةٌ ... كَحَيَّة مُوسَى يَوم أُيِّدَ بِالنَّصْـــرِ

ويقول فى مديح يزيد بن معاوية : (٢)

جَزَاكَ رَبُّك عَنْ مُسْتَفْرِدٍ وَحَدٍ ... نَفَاهُ عَنْ أَهْلِهِ جُرْمٌ وَتَشْرِيدُ
جَزَاءُ يوسفَ إِحْسَانًا وَمَغْفِرَةً ... أَوْ مِثْلَمَا جُزِيَ هَارُونُ وَدَاودُ
أَوْمِثْلَ مَانَالَ نُوحٌ فِي سَفِينَتِهِ ... إِذِاسْتَجَابَ لِنُوحٍ وَهْوَمَنْجُودُ

والأخطل يرى أن الله قد أيّد نبيه نوحا ـ عليه السلام ـ فـــى الدنيا وجزاه فى الآخرة جنة خالدة فيقول : (٣)

أَعْطَاهُمِنْ لَذَّةِالدُّنْيَا وَأَسْكَنَهُ ... فِى جَنَّةٍ نِعْمَةٌ فِيهَا وَتَخْلِيـــدُ

كما أنه سبحانه وتعالى قد أعطى بنى أمية جنة وأسكنهم فيهـــــا وأسبغ عليهم من نعيمه وخيراته فيشير الى هذا بقوله : (٤)

وإِذْ وَشَى بِيَ أَقْوَامٌ فَأَدْرَكَنِي ... رَهْطُ الذِى رَفَعَ الرَّحْمَنُ فَارْتَفَعُوا
فِى جَنَّةٍ هِىَ أَرْوَاحُ الإِلهِ فَمَا ... يُفَزِّعُ الطَّيْرُ فِى أَغْصَانِهَا فَــزِعُ

---

(١) نقائض جرير والأخطل : ٣٣ .
(٢) شعر الأخطل : ١/ ٩٧ - ٩٨ .
(٣) شعر الأخطل : ١/ ٩٨ .
(٤) شعر الأخطل : ١/ ٣٦٤ - ٣٦٥ .

والملاحظ أن الأخطل مع نصرانيته لم يذكر شيئا عن عيسى ـ عليه السلام ـ فيما وصل الينا من شعره لكنه ذكر الصليب والنصرانية وبعض رهبانهم كقوله يفتخر : (١)

لَمَّا رَأَونَا والصَّلِيبَ طَالِعَا
وَمَارسَرْجِيسَ وَسمًّا نَاقِعَا
وَأَبْصَرُوا رَايَاتنَا لَوَامِعَا
كَالطَّيْرِ إِذْ تَسْتَورِدُ الشَّرَائِعَا

بينما نجده قد ذكر محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأشار الى نبوته كقوله في مدح جرير بن عبد الله البجلي : (٢)

صَافي الرَّسول وَمِنْ قَوم هُمُ ضَمِنُوا   مَالَ الغَرِيبِ وَمَنْ ذَا يَضْمَنُ الأَبَدَا
قَوم يظَلّونَ خشّعًا فِي مَسَاجِدِهِمْ   وَلاَ يَدِينُونَ إِلاَّ الوَاحِدَ الصَّمَدَا

فيشيد بصحبة جرير لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وبمآثر قومه في الخشوع والتوحيد .

ونجده يشير من ناحية أخرى الى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم دون تصريح باسمه عندما يمتن على بني أمية وقوفه معهم حتى أنه هجا الأنصار الذين آووا ونصروا الرسول والمهاجرين (٣)

بَنِي أُمَيَّةَ قَدْ نَاضَلْتُ دُونكُمُ   أَبْنَاءَ قَوْمٍ هُمُ آوُوا وَهُمْ نَصَرُوا .

---

(١) المصدر السابق : ٢/ ٧٤٤ - ٧٤٥ .
(٢) المصدر السابق : ٢/ ٧٢٩ - ٧٣٠ .
(٣) المصدر السابق : ١/ ٢٠٢ .

وذكره للرسول صلى الله عليه وسلم انما يرجع الى شخصيـــات الممدوحين فبنو أمية خلفاء للمسلمين وهم من قريش والنبى محمـد صلى الله عليه وسلم قرشي فلا مناص له من ذكره ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ هذه فى الواقع ملامح الايمان التى يمكن للباحث أن يقف عليها فى شعر الأخطل وهى بلا شك تبدو عامة سطحية ، وكأن الأخطل موزع بين النصرانية ديانته ـ والاسلام دين اللـــه الخالد الذى يحيط ببيئته .

والسؤال الذى يتبادر الى الذهن هو هل تأثر الأخطل فعـلا بالبيئة الاسلامية فانعكس هذا التأثير على شعره بصفة عامة ومديحـه وفخره على وجه الخصوص ؟ . .

ان الأخطل قد حاول أن يجمع بين مايمليه عليه تصوّره للعقيدة النصرانية والواقع الذى يعيش فيه ، ولذلك ظهرت عنده تلك الثنائية التى يبديها فى سماته الدينية فاذا بأشعاره تظهر فيها ملامـــح النصرانية والاسلام اذ نجده يقسم برب النصارى والمسلمين والرهبـان والزهـاد . (١)

إِنِّى وَرَبِّ النَّصَارَى عِند عِيدِهِم ... وَالْمُسْلِمِينَ إِذَا مَاضَمَّهَا الجُمَــعُ
وَرَبِّ كُلِّ حَبِيْسٍ فَوْقَ صَوْمَعَـــةٍ ... يُمْسِى وَلَا هَمُّهُ الدُّنيَا وَلَا الطَّمَعُ

وقد استغل الأخطل السمات الاسلامية التى كانت شائعة فى عصـره فمدح بنى أمية مضفيا عليهم الكثير من النعوت الاسلامية ومزج فـى مدائحه بين الدين والسياسة ، ففرضت عليه هذه السياسة أن يستعمل

---

(١) شعر الأخطل : ١/٣٦٣ - ٣٦٤ .

تعابير معينة لم تعرف الا في الاسلام (كابن الامام ، وأمير المؤمنين ، والخليفة ، وخليفة الله ، وأمين الله ، والبيعة ، والهدايا والمسلمين ، والمسجد ، والجمعة ، والحج ....) كما ردد ذكر أسماء الأماكن المقدسة ليربط بين بني أمية وحمايتهم لها فذكر .. (مكة والكعبة ، والبيت الحرام ، وزمزم ، ويثرب) ، وعرض لمناسك الحج فذكر (النسك ، والتشريق ، والتحليق ، والتنحار) وغيرها وكلها تعابير مرتبطة بحياة المسلمين كقوله في مدح يزيد بن معاوية (١) :

فَلَوْلاَ يزيد بن الإِمَام أَصَابَنِي ... قَوَارِعُ يُجْنِيهَا عَلَيَّ لِسَانِي

وقوله يمدح عبد الملك بن مروان : (٢)

إِلَيْكَ أَمِيرَ المؤمنينَ رَحَلْتُهَا ... عَلَى الطَّائِرِ الميمُونِ وَالمَنْزِلِ الرَّحْبِ
إِلَى مُؤمنٍ تَجْلُو صَفِيْحَةُ وَجْهِهِ ... بَلَابِلَ تَغْشَى مِنْ هُمُومٍ وَمِنْ كَرْبِ

وقوله يمدح الوليد بن عبد الملك : (٣)

إِنَّ الوَليد أَمِينُ اللهِ أَنْقَذَنِي ... وَكَانَ حِصْنًا إِلَى مَنْجَاتِهِ هَرَبِي
خَلِيفَةُ اللهِ يُسْتَسْقَى بِسُنَّتِهِ ... أَلْغَيْثُ مِنْ نَدِّ مَولَى العِلْمِ مُنْتَجِبِ

وقوله كذلك في معرض مديحه ليزيد بن معاوية : (٤)

---

(١) شعر الأخطل : ١ / ٢٩٨ .
(٢) المصدر السابق : ١ / ٤٣ .
(٣) المصدر نفسه : ١ / ٢٤٤ - ٢٤٥ .
(٤) المصدر نفسه : ١ / ١٧١ - ١٧٢ .

إنِّى حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ وَمَا أَضْحَى بِمَكَّةَ مِنْ حُجْبٍ وَأسْتَارِ
وَبِالْهَدِىِّ إِذَا احْمَرَّتْ مَذَارِعُهَا فِى يَوْمِ نُسْكٍ وَتَشْرِيقٍ وَتَنْحَارِ
وَمَا بِزَمْزَمَ مِنْ شُمْطٍ مُحَلِّقَةٍ وَمَا بِيَثْرِبَ مِنْ عُونٍ وَأَبْكَارِ
لَأَلْجَأَتْنِى قُرَيْشٌ خَائِفًا وَجِلاً وَمَوَّلَتْنِى قُرَيْشٌ بَعْدَ إِقْتَارِ

وقوله يمدح الوليد بن عبد الملك : (١)

لَقَدْ حَلَفْتُ بِمَا أَسْرَى الحَجِيجُ لَهُ وَالنَّاذِرِينَ دِمَاءَ البُدْنِ فِى الْحَرَمِ
،حَلَفْتُ بِمَنْ تُسَاقُ لَهُ الْهَدَايَا وَمَنْ حَلَّتْ بِكَعْبَتِهِ النُّذُورُ
لَقَدْ وَلَدَتْ جَذِيمَةُ مِنْ قُرَيْشٍ فَتَاهَا حِيْنَ تَحْزُبُهَا الأُمُورُ

وقوله فى مدح عبد الملك بن مروان وهجاء قيس : (٢)

فَإِنْ تَكُ قَيْسٌ يَا ابْنَ مَرْوَانَ بَايَعَتْ فَقَدْ وَهِلَتْ قَيْسٌ إِلَيْكَ مِنَ الذُّعْرِ
عَلَى غَيْرِ إِسْلَامٍ وَلَا عَنْ بَصِيرَةٍ وَلَكِنَّهُمْ سِيقُوا إِلَيْكَ عَلَى صُغْرِ
٥ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الخِلَافَةَ فِيكُمُ لِأَبْيَضَ لَا عَارِى الخِوَانِ وَلَا جَدْبِ

والأخطل أحيانا يعمد الى بعض شاهد العبادات الاسلامية فيأخذ منها مايلون به معانيه وصوره ليضفى عليها صفة التأثير فهو يشبه الحرباء (٣) وقد انتصبت فى شدة الهاجرة بالمصلى الذى يولى

---

(١) شعر الأخطل : ١/٢٢٢ ، ٢٧٠ .
(٢) المصدر السابق : ١/١٨٩ ، ٤٧ .
(٣) الحرباء : ذكر أم حبين ، دويبة تستقبل الشمس وتدور معها كيفما دارت وتتلون ألوانا وجمعها (حرابى) .
انظر ديوان الأدب ٢/١٢ ، والمصباح المنير مادة (حرب) .

وجهه شطر القبلة مع أن هذا التشبيه ثقيل على النفس ولا تكاد تقبله نظرا لحقارة هذه الدويبة التي يشبهها بالمصلى كقوله في قصيدة يمدح بها خالد بن عبد الله : (١)

أَجَزْتُ إِذَا الحِرْبَاءُ أَوْفَى كَأَنَّهُ ... مُصَلٍّ يَمَانٍ أَوْ أَسِيرٌ مُكَبَّلُ

وهذه الصورة اسلامية فقد (وصورها) ينص فيها على جهة القبلة للمسلمين اذ أن المصلى المسلم في بلاد الشام والعراق تكون قبلته في صلاته ناحية اليمن بخلاف النصارى الذين تكون قبلتهم دائما جهة المشرق حيثما كانوا . (٢)

وقد استمد الشاعر بعض تشبيهاته من القرآن الكريم كقوله في مقدمة قصيدة يمدح بها يزيد بن معاوية : (٣)

كَأَنَّهُ إِذْ أَضَاءَ البَرْقُ بَهْجَتَهُ ... فِي أَصْفَهَانِيَّةٍ أَوْ مُصْطَلِي نَارِ

فَانْصَاعَ كَالكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ مَيْعَتُهُ ... غَضْبَانَ يَخْلِطُ مِنْ مَعْجٍ وَإِحْضَارِ

فهذا التشبيه مأخوذ من قوله تعالى : * (٤) اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ .. * . ولكن ليس معنى هذا أنه قد قرأ القرآن بل ربما رنّ في أذنه صداه من البيئة الاسلامية اذ أن اتصاله

---

(١) شعر الأخطل : ١/ ٢٢ .

(٢) انظر الأخطل الكبير د . فخر الدين قباوة : ٢٤٨ .

(٣) شعر الأخطل : ١/ ١٦٤ - ١٦٥ .

(٤) سورة النور آية (٣٥) .

بالخلفاء كان قويا .

ونجد الأخطل يشيد بانتصار المسلمين على الروم فيقول في مدح عبد الملك بن مروان : (١)

وَفى كُلِّ عَامٍ مِنْكَ لِلرُّومِ غَزْوَةٌ بَعِيدَةُ آثارِ السَّنَابِكِ وَالسَّرْبِ

ويقول في مدح الوليد بن عبد الملك : (٢)

قَتَلْتَ الرّومَ حَتّى شَذَّ مِنْهَا عَصَائِبُ مَا تُحَوِّزُهَا القُصُورُ

وهذه الاشارة ليست نتيجة لتعمق الاسلام وحب المسلمين أصداء نفسه وأغوارها ولكن الأخطل لا يستطيع أن ينسى الصراع الطائفى الذى كان بين الامبراطورية البيزنطية ونصارى العرب . ثم انه مع ذلك كله عربيّ يعتز بعروبته ويشرف بهذا الانتماء فمدحه للمسلمين من هذه الناحية ممثلين فى الخلفاء والقادة وبأنهم انتصروا على الروم انما هو مدح للعرب قاطبة نصارى ومسلمين . ولهذا وجدناه يغفل بوارق فتح الأندلس وشمال افريقيا فلا يمتدح الوليد بهذا الانتصار العظيم . وقد تناساه كذلك كل من الفرزدق وجرير كما سنرى فيما بعد - ان شاء الله - .

ولقد اتخذ هذا الشاعر من البيئة الاسلامية التى عاش فيها مادة خصبة استمد منها الكثير من المعانى والصور دبجها فى مدائحه

---

(١) شعر الأخطل : ١/ ٤٥ .

(٢) شعر الأخطل : ١/ ٢٧١ .

التى خص بها بنى أمية وعمالهم وقد ظهرت تلك المعانى واضحة فى مديحه بينما تضاءلت هذه الملامح الاسلامية فى فخره فلا نكاد نعثر على أى أثر اسلامىّ فى الفخر اذا مااستثنينا بعض الأبيات التى ذكرناها هنا ،وعندئذ لا نجد فخره الا ممعنا فى الجاهلية (١)

ومن هذا المنطلق يمكننا القول بأن تأثر الأخطل بالاسلام ليس عن رضى فقد رفض عندما عرض عليه الخليفة عبد الملك أن يسلم (٢) ولكنه وجد نفسه مضطرا لهذا التأثر حينما يمدح من أحاطوه بنعمتهم وأفسحوا له فى مجالسهم .

وأغلب الظن أن الاسلام قد حدّ من نزوات الأخطل وصار سياجا له يمنعه من أن يقول مايشاء مما يخالف الدين ،ولو ترك له العنان لأفصح عن أشياء كثيرة تدور فى نفسه ضد الاسلام والمسلمين ولاستخف بكثير من القيم الاسلامية فهاهو يعبر عن دواخل نفسه المبغضة للاسلام وأهله والمتمسكة بالنصرانية ساخرا ومستخفا بالعبادات الاسلامية والمسلمين : (٣)

وَلَسْتُ بِصَائِمٍ رَمَضَانَ طَوْعًا ... وَلَسْتُ بِآكِلٍ لَحْمَ الأَضَاحِي
وَلَسْتُ بِزَاجِرٍ عَنْسًا بِكُورٍ ... إِلَى بَطْحَاءِ مَكَّةَ لِلنَّجَاحِ
وَلَسْتُ بِقَائِمٍ كَالْعَيْرِ يَدْعُو ... لَدَى الأَصْبَاحِ حَيَّ عَلَى الفَلَاحِ

---

(١) الهجاء والهجاؤون فى العصر الاسلامى-د . محمد محمد حسين : ١٠٩ .
(٢) الأغانى : ٨/ ٢٩٠ .
(٣) شعر الأخطل : ٢/ ٧٥٥ - ٧٥٦ .

وَلَكِنِّى سَأَشْرَبُهَا شَمُولاً وَأَسْجُدُ عِنْدَ مُنْبَلَجِ الصَّبَاحِ

وخلاصة القول :

أنه لا تكاد تخلو مدحة من مدائح الأخطل من التأثر بالروح الاسلاميّ الذى يعيش فيه . وليس هذا بطبيعة الحال عن طيب خاطر منه ولكنه مزج هذه المدائح بالواقع فكان لزاما عليه كشاعر بلاط أن يمزج أيضا الدين بالسياسة ،وقد فعل .

والحقيقة أن الدين الاسلامى قد طامن من شخصية الأخطل وحدّ من نزواته ولم يبق له سوى الخمر التى يستطيع أن يبوح بها دون رادع فأجاد من خلال مقدماته فى وصفها والتغنى بمفاتنها ،فاذا ماخرج عن طوره الحقيقى وحجمه المعروف اصطدم فورا بشخصيات الخلفاء القوية كما حدث له مع عبد الملك بن مروان عندما أنشده قوله : (١)

فَإِلاّ تُغَيِّرْهَا قُرَيْشٌ بِمُلْكِهَا يكُنْ عَنْ قُرَيْشٍ مُسْتَمَازٌ وَمُزْحَلُ

فقال له عبد الملك (الى أين يا ابن اللخناء ؟) فقال الأخطل متداركا الموقف (الى النار يا أمير المؤمنين) فقال عبد الملك : (لو قلت غيرها لضربت عنقك) .

ومن هنا وقف هذا الشاعر من الاسلام موقفا ليس نابعا عن ايمان راسخ وانما هو استسلام المنافق العاجز الذى تملك

---

(١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام : ١ / ٤٨٠ .

الخوف والذلـة نفسـه فعـرف حجمـه الحقيقـى فى مجتمـع اسـلامى كبير يعطـى هو وقبيلتـه فيه الجزيـة عن يـد وهم صـاغرون .

****

الفصل الثاني

أثر الإسلام في مديح وفخر الفرزدق

" " الفصـــل الثانـــى " "

** أثر الاسلام فى مديح وفخـر الفرزدق ** *

لقد كان للمعارك الهجائية التى نشبت بين الفرزدق وجريـــر أثراً واضحاً فى نهج كثير من الرواة فسردوا أخبارا (١) عن هـــذا الشاعر وتناقلوها دون تمحيص وتحقيق ،ومفاد هذه الأخبار أنه كان مقذعا فى هجائه لايتردد فى التصريح بالأمور المستهجنة غير مكترث بوصف المعاصى التى تتنافى مع أبسط قواعد الدين الاسلامى ،ولـــم تسلم هذه الأخبار التى طبعت فى أذهان كثير من الدارسين عدم تأثره بالاسلام من المبالغة وتضخيم الأمور كما خضعت لكثير مـــن التحريف والتحوير نتيجة لنقلها بالمشافهة .

غير أن المتأمل فى شعر الفرزدق يجد نفسه أمام شخصيـــــة غليظة وراءها أخرى تواقة الى الطاعة ومستشرفـــة الى رحمـــة اللـــه وتوبته . . (٢)

---

(١) ورد كثير من الأخبار عن هذا الشاعر فى طبقات فحول الشعراء لابن سلام (٣٠٦/١ - ٣٧٤) ،كما أورد صاحب الأغـــــانى الكثير من أخبار ابن سلام وزاد عليها أخبارا فيها اجحــــاف بالفرزدق واساءة من الناحية الدينية .
انظر الأغانى : (٣١٧/٢١ - ٣٦١) .

(٢) ديوان الفرزدق : ٢١٢/٢ .

أَلَمْ تَرَنِي عَاهَدْتُ رَبِّي وَإِنَّنِي … لَبَيْنَ رِتَاجٍ قَائِمٍ وَمَقَامِ
عَلَى حَلْفَةٍ لَا أَشْتُمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا … وَلَا خَارِجًا مِنْ فِيَّ سُوءُ كَلَامِ
أَلَمْ تَرَنِي وَالشِّعْرُ أَصْبَحَ بَيْنَنَا … دُرُوءٌ مِنَ الْإِسْلَامِ ذَاتُ حَوَامِ
بِهِنَّ شَفَى الرَّحْمَنُ صَدْرِي وَقَدْ جَلَا … عَشَا بَصَرِي مِنْهُنَّ ضَوْءُ ظَلَامِ
فَأَصْبَحْتُ أَسْعَى فِي فَكَاكِ قِلَادَةٍ … رَهِينَةِ أَوْزَارٍ عَلَيَّ عِظَامِ
أُحَاذِرُ أَنْ أُدْعَى وَحَوْضِي مُحَلَّقٌ … إِذَا كَانَ يَوْمُ الْوِرْدِ يَوْمَ خِصَامِ
وَلَمْ أَنْتَهِ حَتَّى أَحَاطَتْ خَطِيئَتِي … وَرَائِي وَدَقَّتْ لِلدُّهُورِ عِظَامِي
بِتَوْبَةِ عَبْدٍ قَدْ أَنَابَ فُؤَادُهُ … وَمَاكَانَ يُعْطِي النَّاسَ غَيْرَ ظَلَامِ

فحينما نقرأ هذه الأبيات نجد تصويرا وافيا لمشاعر الخوف من الله التى تنتابه من جراء انسياقه فى ظلم الناس وهجائهم فقد ندم عما فعل وأقلع عن ذلك الخطأ الجسيم الذى تمادى فيه ورسف فى محاذيره . وقد بلغ خوفه من عذاب الآخرة مداه اذ أنه لم ينته حتى أحاطت به خطيئته وهو الآن بين يدى الرحمن الرحيم نادما عما فعل ومقلعا عن الخطيئة وقد تضاءلت تلك النفس الغليظة أمام الله والتى طالما وقفت فى وجه الخلفاء والولاة ،وأصبحت صغيرة تعاهد ربها ألا تجهر ولا تسر بسوء من القول ،كما حاصره الندم الشديد على مافرط فى جنب الله ،وجره ندمه هذا الى هجاء ابليس قائلا : (١)

أَطَعْتُكَ يَا إِبْلِيسُ سَبْعِينَ حِجَّةً … فَلَمَّا انْتَهَى شَيْبِي وَتَمَّ تَمَامِي

---

(١) ديوان الفرزدق : ٢ / ٢١٣ .

فَرَرْتُ إِلَى رَبِّي وَأَيْقَنْتُ أَنَّنِي ... مُلاَقٍ لِأَيَّامِ المَنُونِ حِمَامِي
وَلَمَّا دَنَا رَأْسُ الَّتِي كُنْتُ خَائِفًا ... وَكُنْتُ أَرَى فِيهَا لِقَاءَ لِزَامِي
حَلَفْتُ عَلَى نَفْسِي لَأَجْتَهِدَنَّهَا ... عَلَى حَالِهَا مِنْ صِحَّةٍ وَسَقَامِ

الى آخر هذه القصيدة التى تصور فرار الفرزدق الى ربه وعزمه على أن يجتهد فى الطاعة متذكرا أيامه الخوالى التى قاده فيها الشيطان الى الهاوية . (١)

أَلاَ طَالَ مَاقَدْ بِتُّ يُوْضِعُ نَاقَتِي ... أَبُو الجِنِّ إِبْلِيسُ بِغَيْرِ خِطَامِ
يَظَلُّ يُمَنِّيْنِي عَلَى الرَّحْلِ وَارِكًا ... يَكُونُ وَرَائِي تَارَةً وَأَمَامِي
يُبَشِّرُنِي أَنْ لَنْ أَمُوتَ وَأَنَّهُ ... سَيُخْلِدُنِي فِي جَنَّةٍ وَسَلاَمِ

ولكنها أيام الشباب التى فيها مافيها من النزق والطيش ومظاهر الصبوة وقد ثاب الشاعر الى رشده وأقلع فهاهو كما رأينا يصور موقفه مع ابليس فى قصص شعرى رصين ويبين كيف أن الشيطان يزين لأتباعه طرق الضلال وقد تأثر هنا بقول الله عز وجل : * وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ * (٢)

وبحث الجانب الاسلامى فى شخصية الفرزدق سواء من خلال شعره كله أم من خلال مديحه وفخره فقط يتطلب تأملا عميقا ودراسة متأنية كى يعطى هذا الشاعر حقه من الانصاف فى هذه

---

(١) ديوان الفرزدق : ٢ / ٢١٣ .
(٢) سورة ابراهيم الآية (٢٢) .

الناحية ، ولئلا يصبح شعراء المسلمين ضحية للأهواء الخبيثة والدس الرخيص من قبل أعداء تراثنا وثقافتنا - الذين يريدون أن يقطعوا مابين شعرائنا والاسلام من ارتباط وثيق كما فعل " بروكلمان " فقد رمى الفرزدق في خلقه ودينه فاتهمه بالضعف والاستخفاف بالقيم ليعمم بالتالى هذا الحكم على أكثر شعراء العصر الأموى ويوسع من دائرة العصاة والمستخفين بالدين من الشعراء المسلمين . (١)

واذ قد عرفنا حكم هذا المستشرق على أغلب شعراء المسلمين في العصر الأموى فان جريرا والفرزدق يدخلان تحت هذا الحكم وأما الأخطل فان نصرانيته تخرجه من محيط المسلمين وتدرجه قطعا تحت رؤية " بروكلمان " وان كنا قد وجدنا كما مر سابقا أثرا واضحا للاسلام في شعره .

واتجاهه السياسي ، وهذا أقوى دليل على دحض آراء " بروكلمان" وغيره من الحاقدين وضيقي الأفق والتى تقطع زورا بعدم تأثر شعراء العصر الأموى بالاسلام وبقاء شعرهم على النهج الجاهلى .

واذا كان الانسان بطبعه خطاء فان الفرزدق رغم هذا كان متأثرا في شعره بالمعانى الاسلامية يمدح بها ويفتخر وقد استمد من القرآن الكريم كثيرا من معانيه التى عبر بها في أشعاره وقد

---

(١) أنظر تاريخ الأدب العربى (بروكلمان) ١/١٨٧، ٢١١ .
وانظر أثر الاسلام في شعر الفرزدق - د . مصطفى عبد الواحد : ١٢ .

ظهرت صور الايمان واضحة جلية فى مديحه وفخره فضلا عن غيرهما من الأغراض ،فحينما نتأمل نتاجه الفنى نجده يخلو من كل الشوائب التى تتنافى مع العقيدة الاسلامية وليس فيه ماينافض عناصر الايمان (١) التى آمن بها وتحدث عنها كثيرا فى أشعاره .

فهاهو أثر العقيدة واضحا جليا فى قوله يمتدح الحجاج : (٢)

رَأيتُكَ حِينَ تَعْتَـرِكُ المَنَايَا ... إِذَا المَرْعُوبُ لِلْغَمَرَاتِ هَابَـا
وَأَذْلَقَهُ النِّفَاقُ وَكَادَ مِنْـهُ ... وَجِيْبُ الْقَلْبِ يَنْتَزِعُ الحِجَـابَا
تَهُونُ عَلَيْكَ نَفْسُكَ وَهْوَ أَدْنَى ... لِنَفْسِكَ عِنْدَ خَالِقِهَا ثَوَابَـا
فَمَنْ يُمْنُنْ عَلَيْكَ النَّصْرَ يَكْذِبْ ... سِوَى اللّهِ الّذِى رَفَعَ السَّحَابَـا
تَفَرَّدَ بِالبَلَاءِ عَلَيْـكَ رَبٌّ ... إِذَا نَادَاهُ مُخْتَشِـعٌ أَجَابَـا

ويبدو هذا الشاعر صحيح العقيدة صافى الوجدان فى وقت تعددت فيه المذاهب وكثر أعوان الشيطان فيقول مفتخرا . (٣)

لَنَا مَسْجِدَا اللّهِ الحَرَامَانِ وَالْهُدَى ... وَأَصْبَحَتِ الأَسْمَاءُ مِنَّا كَبِيرُهَـا
سِوَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ لَاشَىءَ مِثْلُـهُ ... لَهُ الأُمَمُ الأُولَى يَقُومُ نُشُـورُهَا

فأخذ معناه هذا من قول الله تبارك وتعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىءٌ وَهُوَ السَّمِيْعُ الْبَصِيْرُ ﴾ (٤)

---

(١) انظر أثر الاسلام فى شعر الفرزدق د . مصطفى عبد الواحد : ٣٣

(٢) ديوان الفرزدق : ١ / ٨٣ .

(٣) ديوان الفرزدق : ١ / ٣٦٨ .

(٤) سورة الشورى آية (١١) .

أما ايمانه بالغيب وأنه لا يعلمه الا الله فهذه حقيقة واضحة اعتقدها الفرزدق وآمن بها وقد ظهر هذا واضحا في مديحه لهشام بن عبد الملك : (١)

كَانَتْ خِلَافَتُهَا لِآلِ مُحَمَّدٍ   لِأَبِى الوليدِ تُرَاثُهَا وَهِشَامِ
أَخْلِصْ دُعَاءَكَ تَنْجُ مِمَّا تَتَّقِى   لِلَّهِ يَوْمَ لِقَائِهِ بِسَلَامِ
وَهُوَ الَّذِى ابْتَدَعَ السَّمَاءَ وَأَرْضَهَا   وَرَسُولَهُ وَخَلِيفَةَ الآنَامِ
مَلِكٌ بِهِ قُصِمَ الملوكُ وَعِنْدَهُ   عِلْمُ الغُيُوبِ وَوَقْتُ كُلِّ حِمَامِ

وواضح أن الشاعر مؤمن بالبعث ولقاء الله لا محالة ونلمس في هذه الأبيات تأثره بالقرآن الكريم أيما تأثر .

ولئن بالغ الفرزدق في معاركه الهجائية وأفحش وبالغ أيضا في التعبير بالمثالب والصاق المعايب بالناس وبالغ كذلك الرواة في نقل هذه الأخبار فان الفرزدق قد حاول جاهدا الدفاع عن نفسه وتبرير موقفه من هذه المعارك والانزلاقات : (٢)

فَإِنِّيَ لَوْلَا بَغْيُكُمْ مَا هَجَوْتُكُمْ   وَذُو اللُّبِّ محقوق بأن يتعذرا

وقد أشار الى هذا عندما مدح سعيد بن العاص وقرن بين آيات الله في الكون وتلك النعم التي أنعمها على عباده المسلمين فيقول : (٣)

---

(١) ديوان الفرزدق : ٢ / ٢٨٤ .
(٢) ديوان الفرزدق : ١ / ٢٠٦ .
(٣) المصدر السابق : ٢ / ٧٠ .

وَمَنْ سَمَكَ السَّمَاءَ لَهُ فَقَامَتْ وَسَخَّرَ لِابْنِ دَاوُودَ الشَّمَالَا
وَمَنْ نَجىّ مِنَ الغَمَرَاتِ نُوحًا وَأَرْسَى فِى مَوَاضِعِهَا الجِبَالَا

ثم يقول :

وَلَكِنِّى هَجَوْتُ وَقَدْ هَجَتْنِى مَعَاشِرُ قَدْ رَضَخْتُ لَهُمْ سِجَالَا
فَإِنْ يَكُنِ الهِجَاءُ أَحَلَّ قَتْلِى فَقَدْ قُلْنَا لِشَاعِرِهِمْ وَقَالَا

ويبدو تأثره بالقرآن الكريم فى هذه الأبيات من قوله تعالى : * أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * (١) * فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * (٢) * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * (٣)

وكثيرا مايذكر أسماء الرسل عليهم السلام فيقول فى مدح أيوب ابن سليمان بن عبد الملك : (٤)

فَأَصْبَحْتُمَا فِينَا كَدَاوودَ وَابْنِهِ عَلَى سُنَّةٍ يُهْدَى بِهَا مَنْ يَسِيْرُهَا

وقد يذكر الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه أبا بكر وعمر وعثمان - رضى الله عنهم - ويفتخر بأنه يلتقى فى النسب معه - صلى الله عليه وسلم - : (٥)

---

(١) سورة النازعات من آية (٢٧ - ٢٨)
(٢) سورة ص الآية (٣٦) .
(٣) سورة النازعات الآية (٣٢) .
(٤) ديوان الفرزدق : ١ / ٢٤٧ .
(٥) ديوان الفرزدق : ١ / ٣٢٢ ، ١٥٩ ، ٢ / ٣٨ .

وَمِنَّا رَسُولُ اللّٰهِ أُرْسِلَ بِالْهُدَى ... وَبِالْحَقِّ جَاءَتْ بِالْيَقِينِ نَوَادِرُهْ

وَمِنَّا نَبِيُّ اللّٰهِ يَتْلُو كِتَابَهُ ... بِهِ دُوِّخَتْ أَوْثَانُهَا وَيَهُودُهَا

أَبِي مُضَرٌ مِنْهُ الرَّسُولُ الذِي هَدَى ... بِهِ اللّٰهُ مَنْ صَلَّى بِغَرْبٍ وَمَشْرِقِ

ورغم أن الفرزدق يناصر الأخطل النصرانى ضد جرير الا أنه لا يتردد فى أن يشيد بمواقف الخلفاء ضد النصارى ليفصح بذلك عن تعصبه للاسلام فيقول فى مدح الوليد بن عبد الملك : (١)

فَرَّقْتَ بَيْنَ النَّصَارَى فِي كَنَائِسِهِمْ ... وَالْعَابِدِينَ مَعَ الأَسْحَارِ وَالْعَتَمِ

وَهُمْ مَعًا فِي مُصَلَّاهُمْ وَأَوْجُهُهُمْ ... شَتَّى إِذَا سَجَدُوا لِلّٰهِ وَالصَّنَمِ

وَكَيْفَ يَجْتَمِعُ النَّاقُوسُ يَضْرِبُهُ ... أَهْلُ الصَّلِيبِ مَعَ القُرَّاءِ لَمْ تَنَمِ

ويتراءى لنا الفرزدق زاهدا فى هذه الدنيا وعرضها الزائل بمثل قوله :

لَا يُعْجِبَنَّكَ دُنْيَا أَنْتَ تَارِكُهَا ... كَمْ نَالَهَا مِنْ أُنَاسٍ ثُمَّ قَدْ ذَهَبُوا (٢)

ويشير الى أن الكمال فى هذه الحياة مفقود وأن منغصاتها كثيرة فهى لاتصلح لأحد :

أَمَا تُصْلِحُ الدُّنْيَا لَنَا بَعْضَ لَيْلَةٍ ... مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا عَادَ شَيْءٌ فَأَفْسَدَا (٣)

ومن هنا يبدو واعظا مؤثرا ملما بتقلبات الحياة وما يفسدها .

---

(١) ديوان الفرزدق : ٢ / ٢١٠ .

(٢) انظر أثر الاسلام فى شعر الفرزدق د . مصطفى عبد الواحد : ٤٢

(٣) ديوان الفرزدق : ١ / ١٣١ .

ان أثر الاسلام فى شاعرية الفرزدق بين واضح لايحتاج الا الى استقراء تام لديوانه الضخم الذى وصل الينا مطبوعا فضلا عن مخطوطاته المنتشرة فى كثير من أرجاء العالم ليتبين لنا مدى تأثر هذا الشاعر الكبير بالقيم الاسلامية الصافية ،وليس لقائل أن يقول : أن الفرزدق لم يتأثر بالاسلام ولم يظهر هذا على أشعاره فان هذا التأثر يبدو واضحا فى ألفاظه ومعانيه وصوره ، واذا كان قد ظهر تأثره بالقرآن فلا يستغرب عليه هذا فقد قيد نفسه وجد فى حفظه ،وسواء حفظه كاملا أم لا فهو على الأقل قد ثقف نفسه ثقافة قرآنية وكان يجلس فى حلقة الحسن البصرى يستمع اليه ويتأثر بما يقول (١) ،ويجلس فى شدة البرد القارس فى مسجد البصرة يبكى ويطلب الله الرحمة والغفران حتى يطلع الفجر ، وليس لأى باحث منصف أن يسقط هذا الأثر من شعر الفرزدق وأن يتهمه بعدم دخول الاسلام وتغلغله فى قلبه نتيجة لغلبة الهجاء عليه وانفعاله (٢)

---

(١) انظر العقد الفريد : ١٩٧/٦ .

(٢) من المؤسف أن يصدر مثل هذا الاتهام من باحثين مسلمين كان من الواجب عليهم الانصاف فى هذه المسألة ليكون حكمهم منصفا على شاعر مسلم ظهر تأثره بالقرآن والسنة النبوية واضحا جليا وأن لا ينساقوا وراء تلك الآراء المغرضة التى حيكت حول الفرزدق وغيره من شعراء المسلمين انظر مثلا :الهجاء والهجاؤون- د . محمد محمد حسين : ٢٠٥ ،ودراسات فى أدب ونصوص العصر الأموى د . محمد عبد القادر أحمد : ٣٢٢ .

وقد آثرت الاختصار في هذا الفصل بالذات لأن هناك استاذا فاضـلا قام بدراسة شاملة لأثر الاسلام في شعر الفرزدق ، وهــو الدكتور " مصطفى عبد الواحد " فكان من المفروض عليّ ألا أتعـرض لهذه الناحية لأنها درست دراسة وافية ولولا أن الخطة التـي فرضت عليّ تلزمني بمثل هذه الدراسة لنحيت هذا الفصل جانبـا ولكنني أكتفي هنا بما ذكرت ولمن أراد المزيد فليرجع الى دراسـة الدكتور مصطفى عبد الواحد ليجد طلبته هناك ، فقد وفى الموضـوع حقه واستقصى كل جزئياته ، فجزاه الله عنا خير الجزاء .

****

الفصل الثالث

أثر الإسلام
في
مديح وفخر جرير

" " الفصـل الثالـث " "

÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷

** أثـر الاسـلام فى مدح وفخر جريـر **

لقد تعرض جرير كغيره من شعراء المسلمين للطعن والتجريح فقد اتهم بالبعد عن القيم الدينية والأخلاق الاسلامية السامية.

وليس من عجب أن يصدر هذا الاتهام من باحثين غير مسلمين درجوا على الطعن فى شخصيات اسلامية كان لها صداها الواسع فى المحيط الفكرى لهذه الأمة . وجرير واحد من الذين تعرضوا لمثل هذه التهم كذبا وافتراء .

فقد وصفه بعضهم بقوله : (فان جريرا كان من الشعـــراء الملعونين أو الرجميين وفقا للتعبير الغربى ، وكانت الهنـــات والمقابح والعاهات والعورات تضىء فى ذهنه وتؤنسـه وتحلله مـن عقده المشبوبة فى وجدانه العميق) (١) .

ولا شك أن فى هذا الحكم تعسفا وجورا فان نشأة جريـــر تخالف ماذهب اليه هذا الباحث النصرانى ، فقد نشأ هذا الشاعر فى البادية يكفيه رمق العيش فشب عفيفا مبتعدا عن الخمـــر

---

(١) انظر مقدمة ايليا الحاوى فى شرحه لديوان جرير طبعـة دار الكتاب اللبنانى : ١٢ .

معرضا عن كل مايقربه من المجون يؤدى شعائر دينه فى صفاء وخشوع (١) فتأثر بالاسلام وبه صفت نفسه ورق طبعه وسهل أسلوبه وعذب غزله وتفوقت مراثيه .

ومع هذا فنحن لا ننكر أن تدينه لم يحل بينه وبين نهشه أعراض الناس بهجائه المقذع وذكره لبعض العورات ،الا أن هذا لا يخرجه من دائرة الاسلام (٢) ولا يخول لباحث مهما كان علمه أن يحكم عليه باللعنة كما رأينا ،وانما جرّ هذا الشاعر الى الهجاء ماوقع له من الشعراء الذين كانوا ينهشونه من كل جانب (٣) لذا وجد نفسه مضطرا للدخول فى هذه المعارك الهجائية دفاعا عن نفسه وعشيرته . وقد أنبه الحجاج لشتمه الناس فرد عليه قائلا :
(جعلنى الله فداء الأمير والله ما أظلمهم ولكنهم يظلموننى فأنتصر) (٤)
كما سئل عن قذفه المحصنات فقال : (انهم يبدؤننى ثم لا أعفو) (٥)
ومع هذا فنحن نقول :

ان تعرض الشعراء له وعدم تجاوزه عنهم لا يجيز له أن يتعدى حدود الشرع ويطعن فى أعراض الناس الا أن هذا أيضا لا يخرجه

---

(١) دراسات فى أدب ونصوص العصر الأموى د . محمد عبد القادر أحمد : ٣٢٩ - ٣٣٠ .
(٢) رسائل الجاحظ ـ للجاحظ : ٢ / ٩٢ ومابعدها .
(٣) الأغانى : ٨ / ٨ ، والعصر الاسلامى د . شوقى ضيف : ٢٧٨ .
(٤) الأغانى : ٨ / ١٥ .
(٥) المصدر السابق : ٨ / ٤٤ ، والشعر والشعراء : ١ / ٤٦٦ .

من دائرة الاسلام ،ولا يخول لأحد مهما كان أن يدعو عليه باللعنة وقد عرف عنه أنه اذا انقطع للعبادة نسى نفسه الجانحة ومن حوله وأصبح متفرغا ناسكا همه طلب الرحمة والمغفرة من الله جلت قدرته وقد ورد أن الفرزدق بصر به محرما فأراد أن يفسد عليه حجه فقال له :

فَإِنَّكَ لَاقٍ بِالْمَشَاعِرِ مِنْ منَى   فَخَارًا فَخَبِّرْنِى بِمَنْ أَنْتَ فَاخِرُ

فلم يجبه جرير الا بقوله : لبيك اللهم لبيك . (١)

ولقد استعان فى شعره بالقرآن الكريم والحديث الشريف مستمدا من ذلك عناصر دينية راسخة وظهر أثر ذلك فى ألفاظه ومعانيه فذكر النبوة ،والملائكة ،والخلافة ،والصلاة ،والصوم ،والحج والأبرار ،وكثيرا من ألفاظ المعجم الاسلامى الذى انصهر جرير فى بوتقته .

ويكفى أن هذا الشاعر من حين شب حتى مات وهو فى وسط اسلامى كبير يقوم أفراد مجتمعه بقراءة القرآن وتجويده وتفسيره وتقيم الأمة حياتها على منهاجه القويم . وان لم نجد فيما وصل الينا من أخبار جرير مايدلنا على أنه قد حفظ القرآن ~~أو اطلع عليه~~ . الا أنه كان عفيفا متدينا (٢) ومحافظا على التعاليم الدينية ....

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ : ١٨١/٢ .
(٢) الأغانى ٥/٨ .

وليس كما وصفه بعض الباحثين المحدثين أيضا من أنه كان يتظاهر بالعفة والتدين ليس الا . (١)

ويمكننا رد هذا الكلام من خلال شعره الذى وصل الينا والذى يدل دلالة قاطعة على ثقافة اسلامية ومعرفة بالقرآن الكريم وأحكامه وقد ظهرت ملامح هذه الثقافة فى تعابيره وتضمينه ، فقد يعمد أحيانا الى استغراق معنى آية أو أكثر من كتاب الله ليضمنها بيتا واحدا . وقد تراءت لنا حينما تتبعنا قصائد جرير بعامة ، ومديحه وفخره بخاصة سمات اسلامية تدل على نفس اسلامية متشبعة بالدين فكرا وسلوكا . (٢)

وقد تأثر جرير بالقرآن الكريم تأثرا واضحا اذ نجده يعمد أحيانا الى أن يأتى بمعنى آية أو أكثر فى بيت واحد ويصوغ ذلك فى قالب فنى كقوله يمدح أيوب بن سليمان بن عبد الملك : (٣)

كُونُوا كَيُوسِفَ لَمَّاء جَاء اخْوَتُـهُ ... وَاسْتَعْرَفُوا قَالَ مَافِي اليَوم تَثْرِيبِ

وهذا البيت واضح تأثر الشاعر فيه بقول الله تعالى : ﴿ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِى قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِيْنَ ..... قَالَ لَاتَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ ﴾ (٤)

---

(١) مجلة كلية الآداب جامعة بغداد العدد الخامس ١٩٦٢م ص١٩١ - ٢٠٤

(٢) اقتصرت هنا على مديح جرير وفخره فى تتبع أثر الاسلام عنده وليس معنى هذا أن بقية أغراضه تخلو من هذه الملامح الاسلامية بل ان الباحث يجد أثر الاسلام فى شعر جرير كافة وكذلك الفرزدق .

(٣) ديوان جرير : ١ / ٣٤٩ .　　(٤) سورة يوسف الآيات (٨٩-٩٢)

وقوله يفتخر بحسن العمل : (١)

تَغْشَى الملائكةُ الكرامُ وفاتَنَا ... والتَّغْلِبِيّ جَنَازَةَ الشَّيطَانِ

يُعْطَى كِتَابَ حِسَابِهِ بِشِمَالِهِ ... وكِتَابنَا بِأَكُفّنَا الأَيْمَانِ

فقد تأثر في هذا بقول الله تبارك وتعالى : * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ، وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * (٢)

ويكثر اقتباسه من القرآن الكريم كقوله من قصيدة يمدح فيها معاوية بن هشام بن عبد الملك : (٣)

مَنْ يَهْدِهِ اللّٰهُ يَهْتَدِ لا مُضِلَّ لَهُ ... وَمَنْ أَضَلَّ فَمَا يَهْدِيهِ مِنْ هَادِ

فهذا اقتباس لمعنى الآية : * مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ * (٤)

وقوله يمتدح أحد الخلفاء : (٥)

يُجْزِيكَ رَبُّكَ حُسْنَ قَرْضِكَ إِنَّهُ ... حَسَنُ المعُونة وَاسِعُ المُتَقَرَّضِ

وقوله يمدح هشام بن عبد الملك : (٦)

أَتَمَّ اللّٰهُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ... وَزَادَ اللّٰهُ مُلْكَكُمْ تَمَامَا .

---

(١) ديوان جرير : ٢/١٠١٥ .

(٢) سورة الانشقاق ـ الآيات (٦ : ١١) .

(٣) ديوان جرير : ٢/٧٤٣ .

(٤) سورة الأعراف ـ آية (١٧٨) .

(٥) ديوان جرير : ٢/٦٢٠ . (٦) ديوان جرير : ١/٢٢٤، ٣٤٤

٦ مَنْ كَانَ يُمْرِضُ قَلْبَهُ مِنْ رِيبَـــــةٍ　　　خَافُوا عِقَابَكَ وَانْتَهَى أَهْلُ النُّهَى

وقوله يفتخر باسلامه المتأصـل فى قومه : (١)

قَوْمٌ لَهُمْ خَصَّ إِبْرَاهِيم دَعْوته　　　إِذْ يَرْفَعِ الْبَيْتَ سُورًا فَوْقَ تَأْسِيسِ

فكما نرى تأثره بالقرآن الكريم واقتباسه الكثير من معانيه ففى هــذه الأبيات على التوالى نجده متأثرا بقوله تعالى :

* إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ * (٢) * الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي * (٣) * ... وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ * (٤) * وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ... * (٥)

هذا بالنسبة لتضمينه معنى آية أو أكثر فى بيت واحد مــن أبياته الشعرية . وقد يعمد الى لون آخر فى اقتباسه عن القــرآن الكريم حيث يعمد الى آيات متعددة تتضمن بعض الأفكار التى يربطها معنى واحد فيصوغها فى مجموعة أبيـات ،كقوله فى مدح هشام بــن

---

(١) ديوان جرير : ١/١٢٩ .

(٢) سورة التغابن ـ الآية (١٧) .

(٣) سورة المائدة ـ الآية (٣) ..

(٤) سورة الأنفال ـ الآية (٤٩) .

(٥) سورة البقرة ـ الآية (١٢٧) .

عبد الملك عندما أمر بشق نهر الفرات :[1]

شَقَقْتَ مِنَ الفُرَاتِ مُبَارَكَاتٍ ... جَوَارِيَ قَدْ بَلَغْنَ كَمَا تُرِيدُ
وَسُخِّرَتِ الجِبَالُ وَكُنَّ خُرْسًا[2] ... يُقَطِّعُ فِي مَنَاكِبِهَا الحَدِيدُ
بَلَغْتَ مِنَ الهَنِيءِ[3] فَقُلْتَ شُكْرًا ... هُنَاكَ وَسُهِّلَ الجَبَلُ الصَّلُودُ
بِهَا الزَّيْتُونَ فِي غَلَلٍ وَمَالَتْ ... عَنَاقِيدُ الكُرُومِ فَهُنَّ سُودُ
فَتَمَّتْ فِي الهَنِيءِ جِنَانُ دُنْيَا ... فَقَالَ الحَاسِدُونَ هِيَ الخُلُودُ
يَعَضُّونَ الأَنَامِلَ أَنْ رَأَوْهَا ... بَسَاتِيْنًا يُوَازِرُهَا الحَصِيدُ
وَمِنْ أَزْوَاجِ فَاكِهَةٍ وَنَخْلٍ ... يَكُونُ لِحَمْلِهِ طَلْعٌ نَضِيدُ

وفى هذا المديح الذى يذكر فيه بعض اصلاحات الخليفة العمرانيه نجد جريرا قد تأثر بالآيات التاليات على اختلاف مواقعها فى كتاب الله الكريم : * أَنَّا صَبَبْنَا المَاءَ صَبًّا .... وَفَاكِهَةً وَأَبًّا *[4] * فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ... فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ... فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ *[5] ومثل هذا كثير فى ديوانه .[6]

---

(١) ديوان جرير : ١/٢٩١ .
(٢) الخرس : الخرساء من الصخور الصماء ،يريد أنها جبال صم لا طرق فيها ولا مسالك .
(٣) الهنىء : نهر لهشام .
(٤) سورة عبس الآيات (٢٤ - ٣٠) .
(٥) سورة الرحمن الآيات : (٥١ ، ٦٥ ، ٦٧) .
(٦) انظر ديوان جرير ٢/٧٤٣ مثلا .

والذى نلاحظه على جرير أنه انما يكثر اقتباسه من القــرآن الكريم فى شعر المديح وبخاصة عندما يمدح الخلفاء . والحقيقـــة أن هذا راجع الى شخصيات الممدوحين فهم خلفاء للمسلمين ولهـم صفة دينية اذ هم قوامون على تطبيق أحكام القرآن الكريم بغــض النظر عن الكيفية التى وصلوا من خلالها الى تولى أمر المسلمين . ولكن ينبغى أن لا يغيب عن الباحث أن جريرا يعد من الشعــراء المتكسبين ،وقد وجد بغيته عند الخلفاء فلابد أن يستعين بالقرآن الكريم للرد على حجج أعداء بنى أمية بالأدلة القاطعة ،ومهمـــا يكن من أمر هذا الشاعر فانه قد تأثر بالقرآن كما رأينا فى الكثيـر من معانيه وصوره . ولذلك انبرى يدافع عن بنى أمية ويقرر أن توليهـم الخلافة كان بأمر من الله سبحانه .

يقول فى مدح عبد الملك بن مروان : (١)

اللّهُ طَوّقَكَ الخِلَافَةَ والهُـدَى والله لَيْسَ لِمَا قَضَى تَبْدِيلُ

ويقول فى مدح عمر بن عبد العزيز : (٢)

إِنّ الذِى بَعَثَ النَّبِىّ مُحَمَّدا جَعَلَ الخِلَافَةَ فِى الإِمَامِ العَادِلِ

ولقد وجدنا جريرا عندما يناقض الأخطل يعيره بالكفر ويتخذ مـن نصرانيته مغمزا ولاشك أنه يقابل هذا اعتزاز الشاعر بدينه الاسـلام

---

(١) ديوان جرير : ١/ ٩٤ .
(٢) ديوان جرير : ٢/ ٧٣٧ .

ويفتخر بأنه من قوم لهم مشاعر ومقدسات اسلامية تعد رمزا لوحدة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وأنّى للنصارى مثلها .

فيقـــــول : (١)

هَلْ تَمْلِكُون مِنَ المَشَاعِرِ مَشْعَرًا   أَوْ تَنْزِلُونَ مِنَ الأَرَاكِ(٢) ظِلَالاَ .

فهو ينكر عليهم أن يكون لهم مثل هذه الأماكن المقدسة وينفـــى ذلك عنهم ويفتخر كذلك بأن قومه فرضوا الجزية على النصـــارى .

فيقـــــول : (٣)

الضَّارِبونَ عَلَى النَّصَارَى جِزْيَـةً   وَهُدًى لِمَنْ تَبِعَ الْكِتَابَ وَنُورَا .

ويقوده هذا الى أن يفتخر بأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من قومه فيقول : (٤)

وَمِنَّا رَسُولُ اللّٰه حَقًّا وَلَمْ يَزَلْ   لَنَا بَطْنُ بَطْحَاوَيْ مِنًى وَقِبَابُهَا

ولاشك أن الناحية الدينية تظهر ظهورا بينا فى مديح جرير أكثـر منها فى أى غرض من أغراضه الأخرى التى لم تعدم كذلك من هذه السمات الدينية الا أن ظهورها فى المديح كان أكثـر وهـــــذا

---

(١) نقائض جرير والأخطل : ٩٢ .
(٢) ويقصد أراك عرفة أى أن تغلب لا تحج ولا تحل بأراك عرفـة لأنهم نصـــارى .
(٣) نقائض جرير والأخطل : ١٢٤ .
(٤) ديوان جرير : ٢ / ٦٧٦ .

يجارى طبيعة جرير المتدينة . (١)

ولقد وجدناه يستمد أكثر صوره وتعابيره من القرآن الكريم ولذلك وجدناه فى مدحه للحجاج يشبه المارقين بقوم هود ونوح ، بينما يشبه دعوة الممدوح بدعوة الأنبياء فيقول مادحا الحجاج : (٢)

دُعَا أَهْلَ العِراقِ دُعاءَ هُــود وَقد ضَلّوا ضَلالَةَ قَوْمِ هُــود
، دُعَا الحجَّاجُ مثْل دعاءِ نُــوحٍ فَأَسْمَعَ ذَا المعَارِجِ فَاسْتَجَابَا

وكثيرا مايردد فى مدائحه بأن الممدوح مثبت بنصر الله وأنه يستظل بكتاب الله فيسير على هداه متمسكا بحبل الله الذى لا ينفصم وأن هذا الممدوح أو ذاك مؤيد بملائكة من عند الرحمن (٣) .

كقوله يمدح :

وَلَوْ لَمْ يَرْضَ رَبُّكَ لَــمْ يُنَــزِّلْ مَعَ النَّصْرِ المَلَائِكَةَ الغِضَابَا

وقوله يمدح معاوية بن هشام بن عبد الملك : (٤)

فِيهِمْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَن مَالَــهُمُ سِوَى التَّوكل والتَّسْبيح مِن زَادِ
أَنْصَارُ حَقٍّ عَلَى بُلْقٍ مُسَوَّمَةٍ أَمْدَادُ رَبّك كَانُوا خَيْرَ أَمْدَادِ
لَمَّا أَضَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ قَالَ لَهُمْ أَخْلَفْتكُمْ عِنْدَ أَمْرِ اللهِ مِيعَــادِى

---

(١) جرير حياته وشعره د . نعمان طه ٢٣٩ .
(٢) المرجع السابق : ٢٣٩ .
(٣) المرجع السابق : ٢٣٩ .
(٤) ديوان جرير : ٢/٧٤٣ .

وواضح أن جريرا قد استمد صوره وتعابيره فى هذا من قوله تعالى : ﴿ فَأَنْزَلَ اللّٰهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ﴾ (١) ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴾ (٢)

ويقول فى امتداح العباس بن الوليد بن عبد الملك : (٣)

أَللّٰهُ أَعْطَاكَ تَوْفِيقًا وَعَاقِبَةً   فَزَادَ ذُو العَرْشِ فِى سُلْطَانِكُمْ مَدَدَا
مُثَبَّتٌ بِكِتَابِ اللّٰهِ مُجْتَهِدٌ   فِى طَاعَةِ اللّٰهِ تَلْقَى أَمْرَهُ رَشَدَا

وقوله فى مدح هشام بن عبد الملك : (٤)

وَحَبْلُ اللّٰهِ يَعْصِمُكُمْ قُوَاهُ   فَلَا تَخْشَى لِعُرْوَتِهِ انْفِصَامَا

فقد نظر فى هذا المعنى الى قوله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (٥)

وقد وجدت عنده ألفاظا لم تعرف الا فى الاسلام كالخليفة ،القرآن ذو العرش ،أمير المؤمنين ،الامام ،ولى العهد ،الخلافة ، السلطان البيعة ، ناكث البيعة ،المنافق ،المبتدع فى الدين ،البدع أهل الضلالة ،المرجف ،الأمة ،الرعية ،المؤمنون ،المنبر ،جنود

---

(١) سورة التوبة الآية (٤٠) .
(٢) سورة الأحزاب الآية (٩) .
(٣) ديوان جرير : ٣٩٥/١ ،وفى رواية أخرى : (. . . .وعافية) .
(٤) ديوان جرير : ٢٢٥/١٠ .
(٥) سورة آل عمران : آية (١٠٣)

الله ،الشهيد ،ثغور المسلمين ،اقامة الحد ،اتباع الكتاب ، المساجد وغيرهذا من ألفاظ المعجم الاسلامى .

كقوله يمدح هشام بن عبد الملك : (١)

أَمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ جَمَعْتَ دِيْنًا ... وَحِلْمًا فَاضِلاً لِذَوِي الحلُومِ

وقوله يمدح الخليفة عبد الملك : (٢)

لَوْلاَ الخَلِيفَة والقُرْآن نَقْرَؤُهُ ... مَاقَامَ لِلنَّاسِ أَحْكَامُ وَلَا جمَعُ

أَنْتَ الأَمِينُ أَمِيْنُ اللّهِ لاَسِرِفُ ... فِيْمَا وَلِيْتَ وَلاَ هَيَابَةٌ وَرِعُ

وقوله يمدح الوليد بن عبد الملك : (٣)

ذُو العَرْشِ قَدّرَ أَنْ تَكُونَ خَلِيفَة ... مُلِّكْتَ فَاعْلُ عَلَى المَنَابِرِ وَاسْلَمِ

وقوله يمدح الحجاج : (٤)

تَرَى نَصْرَ الأَمَامِ عَلَيكَ حَقًّا ... إِذَا لَبِسُوا بِدِينِهِمُ ارْتِيَابَا

وقوله يمتدح أيوب بن سليمان بن عبد الملك : (٥)

إِنَّ الأَمامَ الّذِى ترجَى نَوَافِلُهُ ... بَعْدَ الأُمَامِ وَلِيُّ العَهْدِ أَيوبِ

وقوله يمتدح الحجاج كذلك : (٦)

مَنَعَ الرُّشَا وَأَرَاكُمُ سُبُلَ الهُدَى ... واللِّصَّ نَكَّلَهُ عَنِ الأَدْلاَجِ

---

(١) ديوان جرير : ١/ ٢١٧ .

(٢) ديوان جرير : ١/ ٢٩٥ .

(٣) ديوان جرير : ١/ ٧٠

(٤) ديوان جرير : ١/ ٢٤٤

(٥) ديوان جرير : ١/ ١٤٨ .

(٦) ديوان جرير : ١/ ١٣٨ ، ٢/ ٧٢٧ - ٧٢٨ .

يَارُبَّ نَاكِثِ بَيْعَتَيْنِ تَرَكْتَهُ ... وَخِضَابُ لِحْيَتِهِ دَمُ الأَوْدَاجِ
كَأَنَّ المُرْجِفِينَ وَهُمْ نَشَاوَى ... نَصَارَى يَلْعَبُونَ غَدَاةَ عِيدِ
تَرَى نَفْسَ المُنَافِقِ فِي حَشَاهُ ... تُعَارِضُ كُلَّ جَائِفَةٍ عَنُودِ

وقوله في مدح المهاجر بن عبد الله : (١)

وَلَقَدْ حَكَمْتَ فَكَانَ حُكْمُكَ مُقْنِعًا ... وَخُلِقْتَ زَيْنَ مَنَابِرٍ وَمَسَاجِدِ

وقوله يمدح هشام بن عبد الملك : (٢)

يَعُمُّ البَرِيَّةَ مِنْكَ فَضْلٌ ... وَتُطْرِقُ مِنْ مَخَافَتِكَ الأُسُودُ
وَإِنْ أَهْلُ الضَّلَالَةِ خَالَفُوكُمْ ... أَصَابَهُمُ كَمَا لَقِيَتْ ثَمُودُ

ويقول في مدح بني مروان من قصيدة يمدح فيها معاوية بن هشام ابن عبد الملك : (٣)

إِنَّا حَمِدْنَا الَّذِي يَشْفِي خَلِيفَتُهُ ... مِنْ كُلِّ مُبْتَدِعٍ فِي الدِّيْنِ صَدَّادِ

وقوله يمدح خالد بن عبد الله القسري : (٤)

حَمَيْتَ ثُغُورَ المُسْلِمِينَ فَلَمْ تَضَعْ ... وَمَا زِلْتَ رَأْسًا قَائِدًا وَابْنَ قَائِدِ

ونجده في فخره يذكر أسماء بعض الأنبياء كما يذكر القبلة فيقول : (٥)

---

(١) ديوان جرير : ٢/ ٦٣٨ .
(٢) ديوان جرير : ١/ ٢٩٠ .
(٣) ديوان جرير : ٢/ ٧٤٤ .
(٤) ديوان جرير : ٢/ ٦٠٦ .
(٥) ديوان جرير : ١/ ٤٧٣ - ٤٧٤ .

أَبونَا أَبُو إِسْحَق يَجْمَعُ بَيْنَنَــا أَبٌ كَانَ مَهْدِيًّا نَبِيًّــا مُطَهَّرَا
وَمِنَّا سُلَيمَان النَّبِيّ الذِى دَعَا فَأُعْطِيَ بُنْيَانًا وَمُلْكًا مُسَخَّـــرا
وَمُوسَى وَعِيسَى الّذِى خَرّ سَاجِدًا فَأَنْبَتَ زَرْعًا دَمْعُ عَيْنَيْهِ أَخْضَرا
وَيَعْقُوبُ مِنَّا زَادَهُ اللّهُ رِفْعَـــةً وَكَانَ ابن يَعْقُوب أَمِيْنًا مُصَوَّرَا
فَيَجْمَعُنَا وَالْغُرّ أَوْلَادَ سَـــارَة أَبٌ لَا نُبَالِي بَعْدَهُ مَنْ تَعَـذَّرَا
أَبُونَا خَلِيْلُ اللّهِ واللّهُ رَبُّنَـــا رَضِيْنَا بِمَا أَعْطَى الأِلَهُ وَقَــدَّرَا
بَنَى قِبْلَةَ اللّهِ الّتِي نَهْتَدِى بِهَا فَأَوْرَثَنَا عِزًّا وَمُلْكًــا مُعَمَّـــرَا

ونلاحظ أن هذه الألفاظ التى وردت فى الأبيات السابقة تتصل اتصالا وثيقا بالدولة والسياسة ،وهذا مايؤكد انتماء جرير السياسى الى بنى أمية بعد أن استطاع الولوج الى أبوابهم ، وبخاصة فى مديح الخلفاء ،أما المفردات والعبارات التى تتصل بالحياة الدينية الصرفة فانها أكثر من أن نأتى عليها هنا ولكننا سنذكر على سبيل الاجمال بعض هذه المفردات التى وردت على لسان جرير كثيرا والتى تؤكد بدون شك تأثره بالاسلام .

ومن هذه المفردات :

(الله ،ذو العرش ،الرحمن ،القهار ،الغفار ،النبوة ، النبىّ ، رسول الله ، القرآن ،الكتاب المنزل ،المفصل ،السور ،دين المسلمين ،الاسلام ،دين الهدى ،دين الحق ،سبل الهدى مسجد الله الحرام ،البيت العتيق ،قبلة الله ،الأذان ،صلاة الوتر ،خرّ ساجدا ،التسبيح ،التوكل ،التقى ،الهدى ،الحلال الحرام ،حدود الله ،الفرائض ،الجهاد ،الشهداء ،الأبرار

الملائكة ،الحواريون ،أتباع ابليس ،الصراط ،جنة الفردوس ، . . . . . الى آخر هذه الألفاظ المستمدة من الحياة الاسلامية والتى وجدت فى شعره كله ليس فى المديح والفخر وحدهما ،فلقد أحدث القرآن هزة فى الفكر والأدب فكان صدى هذا واضحا فى أساليب الشعراء والأدباء وكان جرير يعيش منذ طفولته وسط هذا الجمع الكبير من المسلمين فتأثر بالاسلام تأثرا عميقا لا يدع مجالا للتهم والدس وان جنح فى شعره أحيانا الى اعطاء بنى أمية أكبر من حقهم وصب عليهم النعوت الاسلامية التى قد لاتصدق على بعضهم فانما كان ذلك نتيجة متوقعة منه لأن عواصف السياسة قد مالت بهذا الشاعر الى الارتماء فى أحضان الأمويين ،ولهذا جاءت ألفاظه متلائمة مع الاتجاه الذى سلكه الأخطل والفرزدق من قبل . على أن جريرا كان يحسن به ألا يصف لكل خليفة وكل ممدوح بالدين ليكون صادقا فى قوله ،بل كان يجب عليه أن يلتزم الصدق مع نفسه ومع ممدوحيه من هذه الناحية لأن الدين ليس سلوكا اختياريا للمسلم بل هو التزام وعقيدة فلابد للمادح أن يصف المتدين بالدين حقا ،وأن يضرب المثل بالمتدينين لمن لم يكونوا ملتزمين فى دينهم وسلوكهم ،وهذا مافعله الفرزدق حينما مدح بنى أمية وهى بادرة تسجل للفرزدق اذ ذكر الشيطان فى مواضع عدة من شعره للموعظة والتنبه . (١)

---

(١) انظر جرير حياته وشعره د . نعمان طه : ٢٤١ .

ومهما يكن فان جريرا قد عاش حياته في صراع مستمر مع نفسه وطموحاته ثم اصطدم بالشعراء الذين نهشوه من كل جانب واشتبك مع خصمين عنيدين الأخطل والفرزدق زهاء نصف قرن من الزمن في مهاجاة حامية خلفت للأدب تراثا ضخما يتمثل في شعر النقائض ،ومع هذا كله فان هذه المعارك لم تشغل الشعراء عن الجانب الروحي ،فقد تأثر الفرزدق وجرير بالاسلام تأثرا كبيرا ظهر أثر ذلك في الكثير من نتاجهما الفني (١) ، كما رأينا مدى تأصل هذه العقيدة في وجدان كل منهما فنلمح صورا كثيرة لم تعرف الا في الاسلام تأتي في قول كل منهما ،.

وما أحسب جريرا بعد هذا الاستعراض اليسير لأثر الاسلام في مديحه وفخره فقط الا شاعرا اسلاميا تعمق الاسلام نفسه وتشبع به وجدانه . فظهر أثر هذا واضحا في قوله ،وزاد من رقته ، فأصبح يتكلم بلسان المسلم الذي لم يرض بغير الاسلام دينا .يعتز بهذا الانتماء ويشيد به في شعره أني وجد لذلك مناسبة .

****

---

(١) انظر الاسلام والجاهلية في شعر بني أمية د . شوقي عبد الحليم حمادة : ١٣٨،١٣٩ - ١٤١ ، ١٤٩ - ١٥١ .

الباب الرابع

دراسة فنية للغرضين عند الشعراء الثلاثة

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول :

دراسة الفن التعبيري عند الأخطل

الفصل الثاني :

دراسة الفن التعبيري عند الفرزدق

الفصل الثالث :

دراسة الفن التعبيري عند جرير

الفصل الأول

دراسة الفن التعبيري
عند
الأخطل

" " الفصـــل الأول " "

+ + + + + + + + + + + + + + +

* * دراسة الفن التعبيرى عند الأخطل * *

اتخذ الأخطل نهجا من الفن والبيان عرف فى الشعر الجاهلى وبخاصة عند عبيد الشعر وأصحاب الحوليات ،وقد أصبح تأثره بهذا النهج الجاهلى سمة مميزة لأسلوبه مما حدا بأبى عمرو بن العـــلاء الى هذه المقولة المشهورة : (لو أدرك الأخطل يوما واحدا مـــن أيام الجاهلية ماقدمت عليه أحدا .[1])

وكان من أهم هذه السمات المميزة لفنه اطالته المفرطة فـــى مقدمات قصائده عامة ومدائحه خاصة . فقد نجد أن المقدمـــــة الطللية وحدها تستغرق أحيانا أكثر من نصف القصيدة وربما ثلثيهـــا وهذه السمة وان وجدت عند صاحبيه الا أن حظهما دونه من حيث الاطالة عموما ،والتفنن فى وصف الصهباء التى أكثر من ذكرهــــا والتغنى بها . فمثلا بلغت نونيته [2]

أَلَا يَا اسْلَمَا عَلَى التَّقَادُمِ والبِلَى ... بِدُومَةِ خَبْتٍ أَيُّهَا الطَّلَلَانِ

أربعين بيتا خص منها المقدمة الغنية بستة وعشرين بيتا ،وداليتـــه

بَانَتْ سُعَادُ فَفِى العَيْنَيْنِ تَسْهِيدُ ... وَاسْتَحْقَبَتْ لُبَّهُ فَالْقَلْبُ مَعْمُودُ [3]

---

(١) الأغانى : ٢٨٥/٨ .
(٢) شعر الأخطل : ٢٩٢/١ .
(٣) شعر الأخطل : ٩٣/١ .

بلغت خمسين بيتا منها ثلاثة وأربعون بيتا للمقدمة الطللية ،أما رائيته :

تَغَيَّرَ الرَّسْمُ مِنْ سَلْمَى بِأَحْفَارِ وَأَقْفَرَتْ مِنْ سُلَيْمَى دِمْنَةُ الدَّارِ (١)

فقد بلغت تسعة وأربعين بيتا ظفرت المقدمة منها بواحد وثلاثين بيتا ،وقافيته : (٢)

يَا مِيَّ هَلاَّ يُجَازَى بَعْضُ وُدِّكُمُ أَمْ لاَ يُفَادَى أَسِيرٌ عِنْدَكُمْ غَلِقُ (٣)

بلغت واحد وأربعين بيتا منها خمسة وثلاثون بيتا للمقدمة ،وعينيته

قَدْ كَشَّفَ الحِلْمُ عَنِّي الجَهْلَ فَانْقَشَعَتْ
عَنِّي الصَّبَابَةُ لاَ نُكْسٌ وَلاَ وَرَعُ (٤)

بلغت أبياتها تسعة وثلاثين واستغرقت مقدمتها أربعة وعشرين بيتا بينما بلغت لاميته : (٥)

عَفَا وَاسِطٌ مِنْ آلِ رَضْوَى فَنَبْتَلُ فَمُجْتَمَعُ الحُرَّيْنِ فَالصَّبْرُ أَجْمَلُ

ثمانية وستين بيتا ظفرت المقدمة منها بخمسين بيتا ،أما بائيته

أَلَمْ تَعْرِفْ فَتَسْأَلَ آلَ لَهْوٍ وَأَرْوَى وَالمُدِلَّةَ وَالرَّبَابَا (٦)

فقد بلغت سبعة وثلاثين بيتا خص المقدمة منها بثلاثين ،بينما

---

(١) شعر الأخطل : ١٦١/١ . (٢) شعر الأخطل : ٦٠٢/٢

(٣) غلق : من قولهم : غلق الرهن اذا تم استحقاقه ولم يستطع صاحبه تخليصه من يد المرتهن في الموعد المشروط . ويقصد الشاعر مساءلة محبوبته عما اذا كانت ستثيبه عما يكنه لها من مودة فلاتدعه أسيرا في حبها فكأنه صار رهنا بين يديها . المعجم الوسيط مادة (غلق) .

(٤) شعر الأخطل : ٣٥٦/١ . (٥) المصدر السابق : ١٤/١ .

(٦) المصدر السابق : ٣٢٥/١ .

بلغت بائيتـــه :

عَفَا وَاسِطٌ مِنْ أَهْلِهِ فَمَذَانِبُـهْ فَرَوضُ القَطَا صَحْرَاؤُهُ وَنَصَائِبُهْ (١)

ثلاثة وثلاثين بيتا استغرقت المقدمة منها تسعة عشر بيتا ، وبائيتـه (٢)

حَيِّ المَنَازِلَ بينَ السَّفْحِ وَالرُّحَبِ لَمْ يَبْقَ غيرُ وُشُومِ (٣) النَّارِ وَالحَطَبِ

بلغت واحدا وخمسين بيتا تضمنت المقدمة منها ستة وثلاثين بيتـــا وبائيتـــه :(٤)

خَلِيْلَيَّ قُومَا لِلرَّحِيلِ فَإِنَّنِـــي وَجَدْتُ بَنِي الصَّمْعَاءِ (٥) غَيْرَ قَرِيْبِ

تقع فى ستة وعشـــرين بيتا استغرقت المقدمة نصفها .

وعلى الرغم من أنه قد يضطر فى بعض الأحيان الى اطالـــة المديح مجاراة لما يقتضيه المقام ، ومايقتضى هذه الاطالة من جهـــد فان هذا لم يكن ليحول بينه وبين العناية بهذه المقدمات والابـــداع فيها ، ففى اداليتـــه :

حَلَّتْ صُبَيْرَةُ أَمْوَاهَ العِدَادِ وَقَدْ كَانَتْ تَحُلُّ وَأَدْنَى دَارِهَا ثُكُـدُ (٦)

يقدم لها بعشرين بيتا بينما يقدم باثنى عشر بيتا لداليته .

---

(١) شعر الأخطل : ١ / ٢٨٤ . (٢) شعر الأخطل : ١ / ٢٣٩ .

(٣) وشوم : الوشم : نقش بالابرة كانت نساء الجاهلية يستعملنه للزينة حيث يحشى بنوع من الكحل أوماليه فيترك أثرا ، والمراد هنا أنه لم يبق من هذا الطلل الا أثر النار والحطب . من فحم ورماد . المعجم الوسيط (وشم)

(٤) شعر الأخطل : ١ / ٢٦٠ . (٥) وهم جماعة عمير بن الحباب .

(٦) شعر الأخطل : ٢ / ٤٣٣ .

صَحَا القَلْبُ إِلَّا مِنْ ظَعَائِنَ فَاتَنِى بِهِنَّ أَمِيرٌ مُسْتَبِدٌّ فَأَصْعَدَا (١)

أما رائيتـه :

صَدَعَ الخَلِيطُ فَشَاقَنِى أَجْوَارِى وَنَأَوْكَ بَعْدَ تَقَارُبٍ وَمَزَارِ (٢)

فيفرد للمقدمة فيها أحد عشر بيتا بينما يخص المقدمة أيضا في رائيته الأخرى ;

عَفَا مِمَّنْ عَهِدْتُ بِهِ حَفِيرُ فَأَجْبَالُ السَّيَالَى فَالعَوِيرُ (٣)

بعشرين بيتا .

أما رائيته الثالثة :

أَلَا يَا اسْلَمِى يَا أُمَّ بِشْرٍ عَلَى الهَجْرِ وَعَنْ عَهْدِكِ المَاضِى لَهُ قِدَمُ الدَّهْرِ (٤)

فيقدم لها بثلاثة وعشرين بيتا .

وهكذا بقية قصائده لاتكاد تجد شيئا منها دون احتفال باطالة هذه المقدمات الطللية .

واذا كان ثمة من تعليل لهذه الظاهرة الأسلوبية فانه

(١) شعر الأخطل : ١ / ٣٠٢ .
(٢) شعر الأخطل : ٢ / ٤١٠ .
(٣) شعر الأخطل : ١/ ٢٦٧ .
(٤) شعر الأخطل : ٢ / ٤٤٩ .

بالاضافة الى تعلق الشاعر بنهج الجاهليين نجد أن سلطان الخمر مسيطر على مزاجه اذ صارت معشوقة له ،تشكل عنده موضوع الهوى والغزل فيجيد في وصفها ،ويتفنن في عرض محاسنها لديه وقد جعلته ديانته النصرانية في حل من أمره يتحدث عن الخمر ويتغزل فيها كما يشاء وامتد به حبه لها الى أن ينكر على الناس شرب الماء واللبن والعسل ،وأن يمتنع عن الاسلام عندما عرضه عليه عبد الملك بن مروان الا أن يبيح له الافطار في رمضان وشرب الخمر .(١)

فلا غرابة اذا في أن يطيل مقدماته الغزلية وأن يختص ابنة الحان بنصيب كبير منها .

ولقد ظهر تأثر الأخطل بالجاهليين في أساليبهم واضحا وبخاصة من عرف منهم بالمديح وهم النابغة ،والأعشى ،وزهير . وبعض الشعراء الفحول كامرئ القيس ،وحسان بن ثابت ،وعدى بن زيد ،وكعب بن زهير وغيرهم .(٢)

وقد أدرك النقاد القدامى حقيقة هذا التأثر ،وعليه فقد يكون الأخطل في أحيان كثيرة من الشعراء غير المطبوعين (٣)

---

(١) انظر الاغاني : ٨/ ٢٩٠ ،ومقدمة القصيدة العربية في العصر الأموى د . حسين عطوان (طبعة دار المعارف) : ٢٨-٢٩ .

(٢) انظر الشعر والشعراء : ١/ ٤٨٣ ، والأخطل شاعر بني أمية د . سيد غازى : ٢٢٠-٢٣٠ .

(٣) دائرة المعارف الاسلامية : ٥١٧ .

الذين يكدون فى نظم أشعارهم . بل كان حوليا يستغرق منه النظم وقتا طويلا يعود عليه بالتهذيب والتنقيح . وقد اعترف هو بهذه الظاهرة عندما قال لعبد الملك :

(ياأمير المؤمنين زعم ابن المراغة أنه يبلغ مدحتك فى ثلاثة أيام ،وقد أقمت فى مدحتك " خف القطين " سنة فما بلغت ماأردت . [1]) .

وقال أبو عبيدة :

(الأخطل أشبه بالجاهلية ،وأشدهم أسر شعر وأقلهم سقطا [2])

وقد روى الأصمعى أن الأخطل يقول تسعين بيتا ثم يختار منها ثلاثين بيتا فيطيرها بين الناس . [3]

ولقد استفاد الأخطل من روائع الشعر الجاهلى فى أشعاره وتأثر بها فى أسلوبه وموضوعاته . [4] ففى قصيدته الرائية :

تغير الرسم من سلمى بأحفار ... وأقفرت من سليمى دمنة الدار

التى يمتدح بها يزيد بن معاوية نجده متأثرا بالنابغة فى قصيدته الرائية التى يقول فيها : [5]

عوجوا فحيوا لنعمى دمنة الدار ... ماذا تحيون من نؤى وأحجار

---

(١) الأغانى : ٨/٢٨٧-٢٨٨ ،والموشح : ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٢) الأغانى : ٨/٢٨ . (٣) الأغانى : ٨/٢٨٤ .

(٣) الأخطل شاعر بنى أمية د. سيد غازى : ٢١٧ .

(٤) ديوان النابغة (المكتبة الثقافية بيروت) : ٤٨ .

ولو تتبعنا القصيدتين لوجدنا تشابها عجيبا في الصور الفنية وبخاصة في المقدمة حينما يذكر النابغة مايتعلق بمشهد حيوانات الفلاة وما كان من الثور والكلاب وقد اختط الأخطل نفس النهج (١) .

وقد تأثر الأخطل كذلك بالأعشى واستمد من شعره لفتات فنية وحوّر في بعض صوره فزاد فيها وأجاد .

واذا كان النابغة في بعض مدائحه يذكر فضائل الممدوح ومايحدث بعد موته من بلاء على الناس ،فان الأخطل قد ترسم هذا الأسلوب (٢) .

كما أفاد من امرىء القيس وحسان بن ثابت ،وعدى بن زيد فيما يتعلق بوصف الخمر والوقوف على الأطلال والتشبيب بالنساء ووصف الظعن وارتحال الركب ،ووصف السحاب ،والمطر ،والبرق ، والناقة والاستطراد منها الى وصف الحمار أوالثور كما تأثر بهم في بناء القصيدة ،واصطناع الحركة في تصويره . (٣) بيد أن الأخطل قد تأثر بأسلوب زهير أكثر من غيره ،ولا شك أن زهيرا سليل مدرسة متصلة الجذور بثلاثة من شعراء الجاهلية المعروفين (٤) ،وقد

---

(١) ديوان النابغة : ٥٢-٥٤ ،وشعر الأخطل : ١/١٦٣-١٦٧ .

(٢) انظر الأخطل شاعر بني أمية ـ للدكتور سيد غازى : ٢١٧- ٢٢٥ .

(٣) انظر الأخطل شاعر بني أمية د . سيد غازى : ٢٢٦-٢٣١ .

(٤) انظر في قضايا الأدب واللغة د . عبده بدوى ـ (الكويت ،مؤسسة الصباح ط (١) ١٤٠١هـ - ١٩٨١م) : ٣٨٢ .

ظهر هذا التأثر واضحا في قول الأخطل : (١)

صَحَا القَلْبُ عَنْ أَرْوَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُه ... وَعَادَ لَهُ مِنْ حُبِّ أَرْوَى أَخَابِلُه

فقد أخذه من قول زهير : (٢)

صَحَا القَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُه ... وَعُرِّيَ أَفْرَاسُ الصِّبَا وَرَوَاحِلُه

وقد امتدت هذه المحاكاة لزهير الى ابنه كعب ،فالأخطل في قصيدته اللامية : (٣)

بَانَتْ سُعَادُ فَفِي العَيْنَيْنِ مَلْمُول

مِنْ حُبِّهَا وَصَحِيحُ الجِسْمِ مَخْبُول

انما يحاكي فيها كعبا في لاميته المشهورة : (٤)

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُولُ ... مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ

وتقليد الأخطل للجاهليين وبعض الاسلاميين كما نرى لم يقف عند وزن القصيدة فحسب بل تجاوز ذلك الى المعاني والألفاظ كما رأينا هنا ،وقد يورد بعض الصور الفنية التي وردت من قبل وطرقها الشعراء فهاهو يتأثر النابغة في صورة من صوره عندما قال في مدح النعمان بن المنذر الغساني . (٥)

---

(١) شعر الأخطل : ١/ ٣٣٨ .

(٢) شعر زهير بن أبي سلمى ـ بتحقيق فخر الدين قباوة (بيروت ـ دار الآفاق الجديدة ط(٣) ١٩٨٠م) : ٤٥ .

(٣) شعر الأخطل : ١/ ٥٤ .

(٤) انظر شرح قصيدة كعب بن زهير ـ لابن هشام الأنصاري (تحقيق د . محمود أبوناجي ـ طبع الوكالة العامة للتوزيع ـ دمشق) : ٢٣ .

(٥) ديوان النابغة : ٣٦ .

فَمَا الفُرَاتُ إِذَا هَبَّ الرياحُ لَـهُ ... تَرمِي أَوَاذِيُّهُ العِبْرَيْنِ بِالزَّبَـدِ
يَمُدُّهُ كُلُّ وادٍ مُتْرَعٍ لَجِـبٍ ... فِيْهِ رُكَامٌ مِنَ اليَنْبُوتِ وَالخَضَـدِ
يَظَلُّ من خوفِهِ المَلاَّحُ مُعْتَصِمًا ... بِالخَيْزُرَانَةِ بَعْدَ الأَيْنِ وَالنَّجَدِ
يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ سَيْبَ نَافِلَـةٍ ... وَلاَ يَحُولُ عَطَاءُ اليَومِ دُونَ غَـدِ

ولقد ذهب الأخطل غير مرة الى هذا المعنى فقال في داليتـه (فأصعدا) والتي يمتدح فيها يزيد بن معاوية : (١)

وَمَا مُزْبِدٌ يَعْلُو جَزَائِرَ حَامِـزٍ ... يَشُقُّ إِلَيْهَا خَيْزُرَانًا وَغَرْقَـدَا
تَحَرَّزَ مِنْهُ أَهْلُ عَانَةَ بَعْدَ مَـا ... كَسَا سُورَهَا الأَعْلَى غُثَاءً مُنَضَّدَا
يُقَمِّصُ بِالمَلاَّحِ حَتَّى يَشُقُّهُ الـ ... حِذَارُ وَإِنْ كَانَ المُشِيحَ المُعَوَّدَا
بِمُطَّرِدِ الآذِيِّ جَوْنٍ كَأَنَّمَـا ... زَفَى بِالقَرَاقِيرِ النَّعَامَ المُطَـرَّدَا
كَأَنَّ بَنَاتِ المَاءِ فِي حُجُرَاتِـهِ ... أَبَارِيقُ أَهْدَتْهَا دِيَافُ لِصَرْخَـدَا
بِأَجْوَدَ سَيْبًا مِنْ يَزِيدَ إِذَا غَدَتْ ... بِهِ بُخْتُهُ يَحْمِلْنَ مُلْكًا وَسُـؤْدَدَا

وقد تكررت هذه الصورة عند الأخطل أكثر من مرة فهو يقول فـي رائيتـه المشهورة " خف القطين " عندما مدح عبد الملك : (٢)

وَمَا الفُرَاتُ إِذَا جَاشَتْ حَوَالِبُـهُ ... فِي حَافَتَيْهِ وَفِي أَوْسَاطِهِ العُشَـرُ
وَذَعْذَعَتْهُ رِيَاحُ الصَّيْفِ وَاضْطَرَبَتْ ... فَوْقَ الجَآجِئِ مِنْ آذِيِّهِ غُـدُرُ

---

(١) شعر الأخطل : ١/ ٣٠٢ - ٣١١ .
(٢) شعر الأخطل : ١/ ١٩٧ - ١٩٨ .

مُسْحَنْفِراً[1] مِنْ جِبَالِ الرُّومِ يَسْتُرُهُ   مِنْهَا أَكَافِيفُ فِيهَا دُونَهُ زُوَرُ
يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ حِينَ تَسْأَلُـــهُ   وَلَا بِأَجْهَرَ مِنْهُ حِينَ يُجْتَهَـرُ

وهذا الأسلوب جاء عند الأخطل كثيرا فقد جاءفى داليته (ثكـــد) التى مدح بها عبد الله ويزيد ابنى معاوية ،كما جاء فى رائيتـــه (قدم الدهر [2]) التى يمدح فيها عكرمة الفياض [3] وغير ذلـــك من القصـائد التى لم نذكرها هنا . ولكن هذا لايعنى أن يعـد الأخطل مقلدا فى كل نتاجه فهو واحد من الشعراء العرب الذيـن تأثروا بمن قبلهم فى فنهم ،وأساليبهم ،وليس التقليد للآخرين واردا عند الأخطل فحسب فقد قلد الحطيئة زهيرا [4] قبل الأخطل .

ولاشك أن الحياة الاسلامية التى عاش فيها رغم نصرانيتـــــه تفرض عليه نوعا من الابداع الفنى حتى يتفوق على غيره من الشعـراء فعبد الملك الخليفة غير النعمان بن المنذر ،وأين يقع ملـــــك الغســاسنة والمناذرة من الخلافة الاسلامية [5] ؟ كل هذه الأمـــور لابد من أخذها بعين الاعتبار فى شاعرية الأخطل ،وان كان التقليد قد ملك عليه نفسه فى بعض الأحيان وظهر أكثر وضوحا فى أيـــام

---

(١) المسحنفر: الشديد . انظر الطرائف الأدبية / عبد القاهر الجرجانى تصحيح وتخريج الأستاذ / عبد العزيز الميمنى : ١٠٤ .
(٢) شعر الأخطل : ٢/ ٤٣٣، ٤٤٩ .
(٣) عكرمة الفياض بن ربعى بن عمير بن صبيح ابن لاى بن موألة بن عامر بـن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عكابة . من ربيعة / المحبر : ١٥٤ .
(٤) انظر ديوان الحطيئة : ٥٨- ٦٠ .
(٥) من تاريخ الأدب العربى د . طه حسين : ١/ ٦١٧- ٦١٨ .

شبابه الا أنه ما ان تقدمت به السن حتى أصبح شاعرا مميز الشخصية الفنية .

وقد غدا اهتمامه بشعره وتنقيحه وتهذيبه وتجويده من أهم صفاته الأسلوبية ،فهو يعنى أشد العناية بألفاظه وينقحها وقد ظهرت عند الأخطل أساليب من الفن والبيان كالاستطراد فى معرض التشبيه فانه حينما يعرض له معنى من المعانى أو صورة من الصور يستطرد فى التشبيه بين أطرافها موغلا فى ذلك حتى يستوفى مايريد من المعنى ففى داليته (ثكد (١)) التى يمدح بها عبد الله بن معاوية وأخاه يزيد أراد أن يصور كرم عبد الله فشبهه بالنهر جودا وسخاء :

كَأَنَّهُ مُزْبِدٌ رَيَّانُ مُنْتَجِعٌ ... يَعْلُو الجَزَائِرَ فِى حَافَاتِهِ الزَّبَدُ
حَتَّى تَرَى كُلَّ مُزْوَرٍّ أَضَرَّ بِهِ ... كَأَنَّمَا الشَّجَرُ البَالِى بِهِ بُجُدُ
تَظَلُّ فِيهِ بَنَاتُ المَاءِ أَنْجِيَةً ... وَفِى جَوَانِبِهِ اليَنْبُوتُ وَالحَصَدُ (٢)
سَهْلُ الشَّرَائِعِ تَرْوَى الحَائِمَاتُ بِهِ ... إِذَا العِطَاشُ رَأَوا أَوْضَاحَهُ وَرَدُوا

وقد هيأ له هذا التشبيه صورا فأبدع فيها وأطال ،ورسم لها أبعادا مختلفة فصور النهر ريان مزبدا تضرب أواذيه الشطئان كما صوره هائجا مائجا يقتلع الأشجار ،وصوره قويا عارما تظل فيه أنجية بنات الماء ومع ذلك كله فقد صوره بشير خير وبركة يحيى الموات ويروى العطاش

---

(١) شعر الأخطل : ٢ / ٤٤٣ - ٤٤٤ .

(٢) الأنجية : الجماعة . والحصد : نوع من الشجر المعروف .

وبهذا الاستطراد الفنى الجميل يجسم كرم الممدوح ، وقد وردت مثل هذه الصورة صور أخرى كثيرة عند الأخطل . (١)

ونجد من الأساليب الفنية التى اتخذها الأخطل فى تنمية مديحه وتجويده (الاستدارة (٢)) .

وتأتى الاستدارة فى معرض المفاضلة كما تأتى فى معرض التوكيد (٣) وقد اعتمد الأخطل فى تعبيره الناحيتين معا فمثال الاستدارة فى معرض المفاضلة قوله فى مدح عبد الملك : (٤)

وَماالفُرَاتُ إِذَا جَاشَتْ حَوَالِبُهُ ... فِى حَافَتَيْهِ وَفِى أَوْسَاطِهِ العُشَرُ
وَذَعْذَعَتْهُ رِيَاحُ الصَّيْفِ وَاضْطَرَبَتْ ... فَوْقَ الجَآجِىءِ مِنْ آذِيِّهِ غُدَرُ
مُسْحَنْفِرًا مِنْ جِبَالِ الرُّومِ تَسْتُرُهُ ... مِنْهَا أَكَافِيفُ فِيهَا دُونَهُ زَوَرُ
يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ حِينَ تَسْأَلُهُ ... وَلَا بِأَجْهَرَ مِنْهُ حِينَ يُجْتَهَرُ

---

(١) انظر شعر الأخطل : ٢٩/١ ، ٣٠ ، ٣١ .

(٢) وهى جملة متوسطة الطول تشتمل على فاتحة وخاتمة وتتألف من فواصل ترتبط باحكام ، وتحمل كل فاصلة من فواصل الخاتمة جزءا من المعنى بحيث لا يتم الا بذكر الجملة الأخيرة وهى الخاتمة . انظر دفاع عن البلاغة / محمد حسن الزيات (عالم الكتب الطبعة الثانية) : ١٢٦-١٢٧ .

(٣) الاستدارة فى معرض المفاضلة هى أن يرى الشاعر وجه شبه بين صورتين مختلفتين فيقابل بينهما ويفضل احداهما على الأخرى مبتدئا بالمفضول منفيا لينتهى بالمفضل مثبتا . أما الاستدارة فى معرض التوكيد فمؤداها أن يحس الشاعر الحاجة الى تقرير معنى من المعانى أو موقف من المواقف فيلجأ الى القسم مقررا به مايريد فى مجموعة من الأبيات متلاحمة الأجزاء يبدأ بالقسم مقررا به مايريد لينتهى بجوابه الذى يقرر من خلاله المعنى أو الموقف .

(٤) شعر الأخطل : ١٩٧/١-١٩٨ .

فقد استعان بالاستدارة هنا فى تنمية موضوعه كما اتخذ من فيضان النهر مادة غنية بالصور ينتقى منها مايليق بغرضه ويوافق مراده اذ صور الشطآن وقد غمرها الماء ، والأمواج وقد اكتسحت فى طريقها الأشجار ، وصور السفن مضطربة أشد الاضطراب والملاحين فوقها . وقد تملكهم الخوف الى آخر هذه الصورة الفنية وغرضه المفاضلة بين هذه الصور المحسوسة وبين كرم الممدوح . ومثل هذا الكثير عند الأخطل . (١)

ومثال الاستدارة فى معرض التوكيد :

كقوله فى مدح يزيد بن معاوية : (٢)

إِنِّي حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ وَمَا ... أَضْحَى بِمَكَّةَ مِنْ حُجْبٍ وَأَسْتَارِ
وَبِالْهَدِيِّ إِذَا احْمَرَّتْ مَذَارِعُهَا ... فِي يَوْمِ نُسْكٍ وَتَشْرِيقٍ وَتِنْحَارِ
وَمَا بِزَمْزَمَ مِنْ شُمْطٍ مُحَلِّقَةٍ ... وَمَا بِيَثْرِبَ مِنْ عُونٍ وَأَبْكَارِ
لَأَلْجَأَتْنِي قُرَيْشٌ خَائِفًا وَجِلًا ... وَمَوَّلَتْنِي قُرَيْشٌ بَعْدَ إِقْتَارِ

فقد استعان الأخطل بهذا الاسلوب ، واتخذ من الحلف وسيلة يؤكد بها للممدوح اخلاصه وولاءه أو شكره وثناءه ، وقد وردت مثل هذه الصور عند الأخطل كثيرا ، كما وردت من قبل عند النابغة. (٣)

وقد اعتمد الأخطل كذلك فى بعض مدائحه وبخاصة التى خص بها بنى أمية على الوصف القصصى لتكون تلك القصائد لوحات فنية

---

(١) شعر الأخطل : ١ / ٣١٠ ، ٣١١ .
(٢) شعر الأخطل : ٠ / ١٧١ ، ١٧٢ .
(٣) انظرشعرالأخطل : ١ / ٢٢٢ ، ٢٤٤ ، ٢٧٠ وديوان النابغة : ١٠ .

قريبة الى النفس ،فاستعان به كثيرا فى المقدمات الطللية عندما يستطرد فى الوصف ،كما استعان به فى الفخر كقوله مخاطبا عبد الملك بن مروان : (١)

وَقَدْ نُصِرْتَ أَمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ بِنَا ... لَمَّا أَتَاكَ بِبَطْنِ الغَوْطَةِ الخَبَرُ
يُعَرِّفُونَكَ رَأْسَ ابْنِ الحُبَابِ(٢) وَقَدْ ... أَضْحَى وَلِلسَّيْفِ فِي خَيْشُومِهِ أَثَرُ
لَا يَسْمَعُ الصَّوتَ مُسْتَكًّا مَسَامِعُهُ ... وَلَيْسَ يَنْطِقُ حَتَّى يَنْطِقُ الحَجَرُ
أَمْسَتْ إِلَى جَانِبِ الحَشَّاكِ جِيْفَتُهُ ... وَرَأْسُهُ دُونَهُ اليَحْمُومُ وَالصَّوَرُ
يَسْأَلُهُ الصَّبْرُ مِنْ غَسَّانَ إِذْ حَضَرُوا ... وَالحَزْنُ كَيْفَ قَرَاكَ الغِلْمَةُ الجَشَرُ (٣)

فهو لا يكتفى بالبيت الواحد أو البيتين عندما يصور موقفا من المواقف لكنه يصطنع الاطالة فى تصويره معتمدا على الوصف القصصى الذى يجيد من خلاله التجسيم والدقة فى التشبيه .

وقد اعتمد الأخطل هذا الاسلوب فى أغلب أغراض شعره فلم يقتصر فيه على غرض معين . (٤)

---

(١) شعر الأخطل : ١/٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(٢) عمير بن الحباب قتلته بنو تغلب ،وكان الحباب أبوه من أغربة العرب . .
أنظر نقائض جرير والأخطل : ١٦١ .

(٣) الغلمة : أدنى عدد الغلام . والجشر : الذين جشروا بأموالهم غابوا بها فى الرعى فلم يرجعو الى منازلهم ليلا ولا نهارا ،
انظر نقائض جرير والأخطل : ١٦٢ .

(٤) انظر الأخطل شاعر بنى أمية د . سيد غازى : ١٦٣ .

والأخطل في أسلوبه كثيرا مايعتمد على التصوير الحركي في مقاطعه الفنية فيجعل منها صورا متتابعة في حركة مستمرة تمثلها هذه الأفعال المتوالية التي ينتقل بها من صورة الى أخرى .

فعندما يشيد بممدوحه مثلا لا يقتصر على تعداد مافيه من خصال بل يتابع مايدور في مخيلته من معان . فيصف المحبوبة مرتحلة والناقة متنقلة والثور مقاتلا ،والحمار جاريا ،والصهباء متداولة والممدوح محاربا ،والخيل متدافعة ،والنهر فائضا والسحاب متحلبا ،والعدو هاربا . (١)

ولذلك جاءت مقاطعه دائما تنبض بالحركة والحياة وهذه الحركة التي اصطنعها الأخطل فيتصويره والتي يتميز بها في أسلوبه تتجلى في قصائده فتضفي عليها طابعا فنيا مميزا . ففي رائيته (غير) مثلا نرى الفرات الذي يفوقه الممدوح جودا ،وقد " جاشت " حواليه " وذعذعته " رياح الصيف " واضطربت " من آذيه غدر " مسحنفرا " من جبال الروم ". يستره " منها أكافيف فيها دونه زور . .

بينما نرى لاميته (أجمل) السحاب الذي يدعو لممدوحه أن يسقي أرضه قد بانت عزاليه " تسحل " واذا " طعنت " في فروجه " تحلب " واذا " زعزعته " " جر " ذيوله كأنها عوذ ثقال . " تطفل " فلما " انتحى " نحو اليمامة قاصدا " دعته " الجنوب ، " فانثنى " و " سقى " لعلعا والقرنتين فلم يكد " يتحمل " ثم " غادر"

---

(١) المرجع السابق : ١٦٣ - ١٦٥ .

الأكم " تطفو " و " حل " بالمعرسانيات و " أرزمت " منه مطافيل حفل . (١)

وهناك نماذج كثيرة من شعر الأخطل تتميز بهذا الأسلوب(٢) ونتيجة لهذا التصوير الحركى جاءت مقاطعة دائما نابضة بالحركة والحياة .

ولقد كانت للأخطل صور جزئية تتمثل فى البيت الواحد أو البيتين وتكثر هذه الصور الجزئية فى مدائحه فتكسبها قوة وجمالا يتجلى هذا فى قوله يمدح بنى أمية : (٣)

قَوْمٌ إِذَا بَسَطَ الأَلَهُ رَبِيْعَهُمْ ... دَارَتْ رَحَاهُ بِمُسْبِلٍ دَرَّارِ
وَإِذَا أُرِيدَ بِهِمْ عُقُوبَةُ فَاجِرٍ ... مُطِرَتْ صَوَاعِقُهُمْ عَلَيْهِ بِنَارِ

وقوله فى مدح معاوية : (٤)

تَسْمُو العيونُ إِلَى إِمَامٍ عَادِلٍ ... مُعْطَى المَهَابَةِ نَافِعٍ ضَرَّارِ
وَتَرى عَلَيهِ إِذَا العيونُ لَمَحْنَهُ ... سِيمَا الحَلِيمِ وَهَيْبَةَ الجَبَّارِ

ومن سمات أسلوبه اعتماده على التشبيه فى توضيح صوره مما يشد القارئ اليه وقد اعتمد على التشبيهات الحسية فى أغلب الأحيان مما يؤكد انتماءه لمدرسة الصنعة التى يتخذ شعراؤها من التشبيه

---

(١) انظر الأخطل شاعر بنى أمية د . سيد غازى : ١٦٣-١٦٦ .

(٢) انظر شعر الأخطل : ١/١٩٧، ١٩٨، ٣١٠، ٣١١، ١٩٩ .

(٣) شعر الأخطل : ٢/٤١٤ .

(٤) العقد الفريد : ١/٣٨ .

الحسى وسيلة لعرض صورهم (١) ففى لاميته (..أجمل) التى يمتدح فيها" خالد بن عبد الله بن أسيد " يشبه البرق فى نواحى السحاب الدائم المطر (الذى شبه به الممدوح) بمصابيح كما يشبه حركة هـــذا البرق بحركة خواصر الخيل البلق وهى مجفلة ،وهذه الصورة الحسية متمثلة فى التشبيه الحسى الحركى عندما يقول : (٢)

مُلِحٌ كَأَنَّ البَرْقَ فِى حَجَرَاتِــهِ مَصَابِيحُ أَوْ أَقْرَابُ بُلْقٍ تُجَفِّلُ (٣)

كما يشبه هيئة خروج قومه "تغلب" على أعدائهم بسباع تســـير خببا وهى تقصد الماء فى الجبل فيقول مفتخرا (٤) :

يَخْرُجْنَ مِنْ ثَغْرِ الكُلاَبِ إِلَيكُمُ خَبَبَ السِّبَاعِ تُبَادِرُ الأَوْشَالاَ (٥)

ثم يقول مستطردا فى فخره ومشبها جريرا وقد استجمع عليه الوادى بفرعى وائل قوم الشاعر بالقذى الذى يقذف به السيل العظيـــم فيتحرك مضطربا فى غير اتجاه معين . فيقول (٦) :

وَإِذَا سَمَا لِلْمَجْدِ فَرْعَا وَائِــلٍ وَاسْتَجْمَعَ الوَادِى عَلَيْكَ فَسَالاَ
كُنْتَ القَذَى فِى لُجِّ أَكْدَرَ مُزْبِـدٍ قَذَفَ الأَتِيُّ بِهِ فَضَلَّ ضَـــلاَلاَ

---

(١) انظر نقائض جرير والأخطل دراسة للدكتور عبد المجيد المحتسب : ٤٣٢ .
(٢) نقائض جرير والأخطل لأبى تمام : ٦٠ .
(٣) حجراته : نواحيه . والأقراب : جمع قرب وهو جانب السرة . وتجفل : أى تسرع . (٤) المصدر السابق : ٧٥ .
(٥) ثغر الكلاب : اسم موضع . والثغر مطلع فى الجبل مثل الثنية ومنه اشتق قولهم للفم ثغر ،والأوشال : جمع وشل وهو الماء القليل يكون فى الجبل ينحدر انحدارا . (٦) نقائض جرير والأخطل : ٨٢ ومابعدها .

وفي معرض فخره يعتمد التشبيه وسيلة للنيل من خصمه جرير فيشبه نساء يربوع وقد سيقت يوم الكلاب الأول بالابل المجلوبة الى المصر لبيعها فيقول : (١)

يَوْمَ الكُلاَبِ وَقَدْ سَيْقَتْ نِسَاؤُكُمُ سَوْقَ الجَلاَئِبِ مِنْ عُونٍ وَأَبْكَارِ

وليس التشبيه وحده من سمات فن الأخطل التعبيرى فالى جانبه توجد الاستعارة التى اتخذها لتثبيت صوره وعرضها عرضا شيقا دقيقا فقد اعتمد الاستعارة المكنية فى قوله يمدح عبد الملك بن مروان : (٢)

فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ مُلْكٍ رَأَيْتُهُ أَتَاكَ بلاَ طَعْنِ الرِّمَاحِ وَلاَ ضَرْبِ .

فقوله " أتاك الملك " فيه استعارة مكنية . ويقول فى معرض فخره : (٣)

أَذَاقُونَا أَسِنَّتَهُمْ وَذَاقُوا فَكَيْفَ رَأَيْتَنَا صِرْنَا وَصَارُوا

كما اتخذ من الكناية سبيلا لتحقيق مايرمز اليه فى صوره من معنى فنيّ فيقول مادحا خالد بن عبد الله : (٤)

أَخَالِدُ مَأْوَاكُمْ لِمَنْ حَلَّ وَاسِعُ وَكَفَّاكَ غَيْثٌ لِلصَّعَالِيكِ مُرْسَلُ

ففى الشطر الأول كناية عن الجود والكرم والعطاء الوفير يؤكده التشبيه

---

(١) نقائض جرير والأخطل : ١٣٦ .
(٢) شعر الأخطل : ١/ ٥٠ .
(٣) نقائض جرير والأخطل : ١٢٨ .
(٤) المصدر السابق : ٥٧ .

فى الشطر الثانى ،وقوله فى نفس الممدوح : (١)

هُوَ القَائِدُ المَيْمُونُ والْمُبْتَغَى بِهِ   ثَبَاتُ رَحًى كَانَتْ قَدِيْمًا تُزَلْزَلُ

فهنا كناية عن ثبات قواعد الملك والحكم الذى كان مضطربا قبل مجيئه . وقوله فى نفس الممدوح كذلك : (٢)

أُولَئِكَ عَيْنُ المَاءِ فِيْهِمْ وَعِنْدَهُمْ   مِنَ الخِيْفَةِ المَنْجَاةِ وَالمُتَحَوَّلُ

كناية عن النفع ،وقوله فى معرض الفخر بقومه : (٣)

خُزْرَ العُيونِ إِلَى رِيَاحٍ بَعْدَمَا   جَعَلَتْ لِضِبَّةَ بِالسُّيُوفِ ضِلَالَا

كناية عن العداوة الشديدة لهؤلاء القوم .

ويقول مفتخرا كذلك : (٤)

فَضَلْنَا النَّاسَ أَنَّ الجَارَ فِيْنَا   يُجِيْرُ وَأَيُّ جَارٍ يُسْتَجَارُ

ففيه مافيه من الكناية عن القوة والمنعة والعزة ،وتوجد عند الأخطل لفتات نفسية فى مقاطعه الفنية تضفى على تصويره صدقا وحيوية حيث يعنى باختيار الألفاظ المعبرة التى يصور بها الموقف تصويرا ينبض بالايحاء والدلالة .

فعندما يمدح يزيد فانه يصور ضعف نفسيته ازاء الموقف الحرج الذى وقع فيه من جراء هجاء الأنصار فيقول : (٥)

---

(١) المصدر السابق : ٥٨ .
(٢) المصدر السابق : ٥٩ .
(٣) المصدر السابق : ٧٧ .
(٤) المصدر السابق : ١٢٨ .
(٥) شعر الأخطل : ١/٣٠٦ .

وَبَاتَ نَجِيًّا فِى دِمَشْقَ لِحَيَّــةٍ ... إِذَا عَضَّ لَمْ يَنَمِ السَّلِيمُ وَأَقْصَدَا
يُخَفِّتُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا إِذَا رَأَى ... مِنَ الْوَجْهِ إِقْبَالًا أَلَحَّ وَأَجْهَدَا

فقوله " وبات نجيا " يوحى بخطورة الموقف ثم انّ ذكره هذه " الحية التى تعض " يوحى بشدة الفتك والبطش الى آخر هذه الصور التى تنطق بخلجات نفسية الأخطل الضعيفة أمام هول الموقف وشــــدة المصيبة لولا تدارك يزيد له .

والأخطل من الشعراء العرب الذين عاشوا فى الصحراء وعشقوها فألفوا مافيها من مظاهر وكانت مددا لهم فى أشعارهم يستمدون منها كثيرا من الصور الفنية التى يستعينون بها فى مدائحهم بل وفـــى فخرهم كذلك . وقد استمد الأخطل من البيئة البدوية كثيرا مــن الصور ،فوصف الصحراء المقفرة ومايلاقيه فيها المسافر من أهوال ومتاعب وأبدع فى وصف الأطلال وأجاد فى تصوير ماخلفه المرتحلون فيهــا من آثار تتمثل فى الأثافى ،والرماد ،والأوتاد ومافعلته الريح بهــا من نسف وطمس . ووصف حيوان الفلاة بجميع أشكالها وأجناسهــا كما وصف النهر العظيم فى فيضانه بما فيه من سفن تقاوم الرياح ، والأمواج . وقد تأثر فى تصويره بذوق البادية وطبائع أهلها فجاءت ألفاظه فخمة جافية تملأ الآذان والفم ،ولذلك جاءت صوره وتشبيهاته مشتقة فى أغلبها من البادية فاتسمت مدائحه بذوق البدوى وطبائع الصحراء ،وجاء فخره تقليدا للفخر الجاهلى منطلقا من نفسية لــم تتشبع بالاسلام ولم تتخذه دينا لأن نصرانيته كانت ~~تخصه من ذلك~~ ديانته الوحيدة التى يعتقدها .
وقد اعتمد فى مدائحه وفخره على الأسلوب الجاهلى فى تنميتهـــا

وتجويدها وقد أفاد كما رأينا من أساليب الجاهليين ، وتأثر بهم وبخاصة الفحول الذين لهم طابعهم في الشعر الجاهلي وبعض شعراء الاسلام . وقد نهج الأخطل أسلوبهم وترسم خطاهم ، وعارض أشعارهم . ولذلك غدت مدائحه ومفاخره مميزة أشد التميز بالطابع الجاهلي في صورها وأخيلتها ، ومعانيها وألفاظها .

xxxxxxxxxxxxxxxxx

أما الموسيقى الخارجية والداخلية عند الأخطل فلقد تبين من استقرائنا لبحور الشعر التى نظم عليها أن الطويل فى مقدمتها وقد أتى بعده البسيط فالوافر ثم الكامل . (١)

ولم يستخدمها الأخطل الا تامة شأنه فى ذلك شأن غيره من شعراء الجاهلية الكبار وشعراء طبقته كالفرزدق وجرير . ولا يكاد يوجد له نظم على غير هذه الأوزان ،وهى فى الحقيقة الأكثر استخداما فى الشعر العربى خاصة عند الشعراء الفحول من الجاهليين والمخضرمين ،ومن نهج نهجهم فى العصور التالية .

والأخطل حينما اتخذ هذه الأوزان ونظم عليها أو حينما قادته ملكته الشعرية الى النظم فى أيها فانه لم يكن بدعا فى هذا لأنه كما رأينا من قبل يعد من الشعراء المحافظين على تقاليد الجاهليين فقد حاكاهم فى كثير من صورهم الفنية ،وهو لا يتخذ الوزن المعين فينظم عليه وانما يترك ذلك لسليقته وبديهته الشعرية فيقول البيت مفتتحا به القصيدة ثم يتمها على نهجه ولا يكاد يفضل بحرا منها

---

(١) البحر الطويل أحد البحور الشعرية الثمانية التفاعيل (فعولن — مفاعلين . . . .) مكررة مرتين فى كل شطر ،وله عروض واحدة مقبوضة وثلاثة أضرب صحيح ومقبوض ومحذوف .
أما البحر البسيط فهو من البحور الثمانية أيضا ويتألف من (مستفعلن - فاعلن . . .) مكررة مرتين فى كل شطر وله أربع أعاريض وسبعة أضرب (يرجع لها فى مظانها) .
. انظر العروض تهذيبه واعادة تدوينه - جلال الحنفى : ١٦١، ١٨٥ .

على غيره لأن المهم هو أن يستوفى غرضه الذى يريد فيتحرك مع أفاعيل نفسه واضعا نصب عينيه نتاج سابقيه من الشعراء فيقلده وربما سطا على بعضه ،وقد اعترف بسرقات الشعراء فقال :

(نحن معاشر الشعراء أسرق من الصاغة) (١)

ولعل هذا يكون تفسيرا واضحا للتأثر الواعى الذى نلمسه لدى الشعراء والذى قد يسمى سرقة شعرية متى كان نتاج هذا مطابقا لذاك لفظا ومعنى أو مايسمى محاكاة وتقليدا حينما يتفقان فى الصور الفنية ،والوزن والقافية .

ومن المسلم به أن القصائد ذات الوزن الواحد لها طابع مشترك يتمثل فى الوزن الموحد فى صورته المجردة ولكن هذه القصائد تختلف فى النغمات كما وكيفا (٢) ،وليس اتفاق الشعراء فى الوزن الواحد سرقة ولا تقليدا فقد ينظم شاعر قصيدة فى الفخر والحماسة على الطويل ويأتى آخر بقصيدة فى المدح أو الرثاء على نفس الوزن .

وبحور الأخطل التى نظم عليها تصلح لكل موضوعات الشعر وقد طرقها الأخطل ولكنه كان مكثرا فى أغلب الأحيان من الوصف أثناء مقدماته الفنية والتى كان لها نصيب كبير من كل قصيدة . ويستغرق فى هذه الناحية عندما يستطرد فى وصف الخمر التى ملكت عليه نفسه.

---

(١) الموشح : ٢٢٥ ،والأخطل الكبير ـ فخر الدين قباوة : ٣٣٦ .

(٢) انظر التفسير النفسى للأدب د . عز الدين اسماعيل و بيروت ـ دار العودة) : ٥٩ .

وأوزانه تعبير تعبيرا صادقا عن عاطفته الموغلة فى التقليد والمتمسكة بنهج الجاهليين الذين ظهرت آثار نتاجهم لديه كثيرا وكذلك كان تأثره بمن عاصره من الشعراء المبدعين ،وقد أضاف هو الى هذه القصائد من تجاربه وابداعه الفنى ،وصاغ ذلك فى قالب ذاتى يمثل شخصيته الفنية أصدق تمثيل .

أما حروف القافية التى اتخذها الأخطل رويّا ونظم عليها فترتيبها حسب درجة التواتر عنده كما يلى :

(الراء - اللام - الميم - الباء - الدال - العين - النون القاف - الحاء - والسين - (1)) .

وبقية الحروف لم يتجاوز مانظمه على كل حرف منها الثلاث ما بين قصيدة ومقطوعة وربما لم يبلغ ذلك الا بيتا واحدا أوأبياتا معدودة ،وهذه الحروف هى (التاء - الثاء - والصاد - والضاد والكاف - والياء -) وبعضها لم ينظم عليه شيئا البتة ،وقد أهمله أو ربما أنه كانت له قصائد على هذه الحروف لكنها لم تصل الينا فيما وصل من شعر الأخطل . وهذه الحروف هى :

(الألف - الجيم - الخاء - الذال - الشين - الطاء - الظاء الغين - الفاء - الهاء - الواو) .

---

(1) اعتمدت فى هذا الاحصاء على ماورد فى ديوان الأخطل الذى حققه د . فخر الدين قباوة حيث تتبعت كل قصائده الموجودة فى هذا الديوان وخرجت بهذه النتيجة .

انظر فهرس شعر الأخطل المحقق : ٢/٧٨٩ - ٧٩٤ .

وقد ظهر من البحث أن الأخطل ميال في قوافيه الى الكسر اذ نجده يستخدم القافية المكسورة في أغلب الأحيان يلي ذلك الضم فالفتح . وقوافي الأخطل غالبا جميلة الجرس لذيذة النغم سهلة المتناول لأنه اعتمد فيها على الاطلاق فجاءت في أغلب حالاتها من القافية المطلقة . وقد كثر نظمه على قافية (الراء - واللام والميم - والباء - والدال - والعين - والنون - والقاف - والهمزة) وهذه الحروف ذات رنة في الأذن وصدى في النفس متى كانت رويّا ينتهي الى كل واحد منها آخر مقطع في أبيات القصيدة .

وفيما يتعلق بالموسيقى الداخلية وهي التي تتجاوز الشكل العام الى الاسلوب[1] فلقد كان لعبودية الأخطل الشعرية أثر في رزانة شعره وجزالته ونتيجة لهذا جف منه بعض ماء الطلاوة ، وبهاء الرونق ، ولم تكن في ألفاظه تلك الومضات البراقة التي تؤثر في النفوس بجمالها الفنيّ . ومن أجل هذا كان هناك فارق فنيّ بينه وبين خصمه جرير اذ لم يقدّر لشعره مانال شعر جرير من السيرورة والشهرة والشعبية تلك التي نفذ بها الى نفوس الأدباء والشعراء والعامة . ومن أجل هذا كثيرا ماامتعض الأخطل قائلا للفرزدق :

(والله انك واياي لأشعر منه " يعني جرير " ولكنه أوتي من سير الشعر مالم نؤته) [2]

ومع ذلك فانه لايمكن ادراج شعر الأخطل كله تحت هذا الحكم

---

(١) رحلة مع النقد الأدبي / للدكتور فخري الخضراوي : ١٧٠ .

(٢) الأغاني : ٨/٣١٨

اذ من الاجحاف أن نسمه جلّه بالجفاف والخلو من التمكن فى النفس البشرية لأن الباحث يجد فيه كثيرا من النغمات الموسيقية التى تطرب لها النفس وتهز الوجدان ولقد استجاد النقّاد من قبل بعض روائعه وأشادوا بها وأشاروا اليها لما تتمتع به من قوة فى المعنى وجرس فى النغم المتلاحق . فقد أعجب الخليفة عبد الملك عندما سمع قصيدة (خف القطين) واهتزت لها نفسيته وطرب ومازال يتطاول لها حتى قال :(١)

(هذه المزمرة والله لو وضعت على زبر الحديد لأذابتها ، ويحك ياأخطل أتريد أن أكتب الى الآفاق أنك أشعر العرب) وكلنا نعرف ذوق عبد الملك واحساسه المرهف .

وقد تمثلت عناية الأخطل باختيار ألفاظه فى نوع من الموسيقى الداخلية فى اللفظ الذى يصطنعه فى بعض الأبيات فيضفى على مقاطعه جمالا فنيا تستريح له النفس وتتمتع بجمال جرسه وحسن ايقاعه ، وقد يظهر هذا التوافق الايقاعى فى غزل أبى مالك ووصفه كثيرا مما لا يعنينا هنا (٢) على أن الباحث لايعدم هذه الموسيقى اللفظية فى مديحه وفخره فنجده يمدح بنى أمية بأبيات تثير الوجدان ويطرب لها القلب :(٣)

---

(١) الأغانى : ٢٨٨/٨ ، ٣٠٧٠ .
(٢) لأن غاية هذا البحث تتبع هذه الموسيقى فى مديحه وفخره فقط
(٣) شعر الأخطل : ٢٥٢/١ .

بِيضٌ مَصَالِيتُ لَمْ يُعْدَلْ بِهِمْ أَحَدٌ ... بِكُلِّ مُعْظِمَةٍ مِنْ سَادَةِ العَرَبِ
الأَكْثَرِينَ حَصىً وَالأَطْيَبِينَ ثَرىً ... وَالأَحْمَدِينَ قِرىً فِي شِدَّةِ اللَّزَبِ

فان المقاطع الصوتية فى هذه الأبيات تتناسب مع بعضها فى مسافات متقاربة ترتاح لها النفس عند الانشاد وتتناغم مع الأذن فى جرس موسيقى متميز ومثله قوله كذلك فى مدح بنى أمية : (١)

حُشْدٌ عَلَى الحَقِّ عَيَّافُو الخَنَا أُنُفٌ ... إِذَا أَلَمَّتْ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا
شُمْسُ العَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ ... وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا
بَنِي أُمَيَّةَ قَدْ نَاضَلْتُ دُونَكُمُ ... أَبْنَاءَ قَوْمٍ هُمُ آوَوا وَهُمْ نَصَرُوا

وتظهر هذه الموسيقى من استحداثه اسم الفاعل الجمعى فى بداية كل شطر من كل بيت كقوله فى مدح بنى أمية كذلك : (٢)

البَاسِطُونَ بِدُنْيَاهُمْ أَكُفَّهُمُ ... وَالضَّارِبُونَ غَدَاةَ العَارِضِ الشَّبِمِ
وَالمُطْعِمُونَ إِذَا مَا أَزْمَةٌ أَزَمَتْ ... وَالمُقْدِمُونَ عَلَى الفَارَاتِ بِالجِذَمِ

والايقاع عند الأخطل يتولد من صياغة العبارة نفسها ففى قوله يمدح (٣) عبد الملك :

إِلَى امْرِئٍ لَا تُعَرِّينَا نَوَافِلُهُ ... أَظْفَرَهُ اللهُ فَلْيَهْنِئْ لَهُ الظَّفَرُ
الخَائِضُ الغَمْرَ وَالمَيْمُونُ طَائِرُهُ ... خَلِيفَةُ اللهِ يُسْتَسْقَى بِهِ المَطَرُ
وَمَا الفُرَاتُ إِذَا جَاشَتْ حَوَالِبُهُ ... فِي حَافَتَيْهِ وَفِي أَوْسَاطِهِ العُشَرُ

---

(١) شعر الأخطل : ١/٢٠١ - ٢٠٢ . (٢) شعر الأخطل : ١/٢٢٤-٢٢٥ .
(٣) شعر الأخطل : ١/١٩٦ - ١٩٧ .

نجد هذا الايقاع متولدا من الهاء المضمومة فى نهاية الأشطر الثلاثة الأولى ،وقد يتولد هذا الايقاع أحيانا من الهاء المفتوحة فى نهاية الأشطر الأولى كقوله : (١)

فِى نَبْعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَعْصِبُونَ بِهَا　　مَا إِنْ يُوازَى بِأَعْلَى نَبْتِهَا الشَّجَرُ
تَعْلُو الهِضَابَ وَحَلّوا فِى أَرُومَتِهَا　　أَهْلُ الرَّبَاءِ وَأَهْلُ الفَخْرِإِنْ فَخَرُوا

وقد يتولد هذا الايقاع أيضا من حرف غير الهاء ينتهى عنده الشطر الأول من كل بيت كقوله يمدح سلم بن زياد . (٢)

إِلَى امْرِئٍ لَا تَخَطَّاهُ الرِّفَاقُ وَلَا　　جَدْبِ الخُوَانِ إِذَا مَااسْتُبْطِئَ المَرَقُ
صَلْبِ الحَيَازِيمِ لَاهَذْرِالكَلَامِ إِذَا　　هَزَّ القَنَاةَ وَلَا مُسْتَعْجِلٌ زَهِقُ

وكقوله يفتخر أيضا : (٣)

إِنَّا لَنَقْتَادُ الجِيَادَ عَلَى الوَجَى　　نَحْوَ العِدَا بِمَسَاعِرٍ أَبْطَالِ
نَقْتَادُ كُلَّ طِمِرَّةٍ رَأْدَ الضُّحَى　　وَعِنَانُهُ كُلَّ مُجَلْجِلٍ صَهَّالِ
فَتُرِكْنَ قَدْ قَضَّيْنَ مِنْ حَمْسِ الوَغَى　　وَطَرًا وَجُلْنَ هُنَاكَ كُلَّ مَجَالِ

وقد لاحظنا أن هذا النغم الموسيقى قد يتولد من تكرار حرف بعينه وبنفس الحركة فى آخر الشطر الأول من كل بيت . غير أننا كذلك نجد أن هذا الايقاع قد يتولد أيضا من تقطيع الجملة فى

---

(١) شعر الأخطل : ١ / ٢٠٠ .
(٢) شعر الأخطل : ٢ / ٦١٠ .
(٣) شعر الأخطل : ٢ / ٦٩٤ .

الأشطر أو الأبيات عند الأخطل كقوله يمدح عبد الملك : (١)

وَمَا الْفُرَاتُ إِذَا جَاشَتْ حَوَالِبُهُ ... فِي حَافَتَيْهِ وَفِي أَوْسَاطِهِ الْعُشَرُ

وَذَعْذَعَتْهُ رِيَاحُ الصَّيْفِ وَاضْطَرَبَتْ ... فَوْقَ الْجَآجِئِ مِنْ آذِيِّهِ غُدُرُ

يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ حِينَ تَسْأَلُهُ ... وَلَا بِأَجْهَرَ مِنْهُ حِينَ يُجْتَهَرُ

يَغْشَى الْقَنَاطِرَ يَبْنِيهَا وَيَهْدِمُهَا ... مُسَوَّمٌ فَوْقَهُ الرَّايَاتُ وَالْقَتَرُ

ففي قوله : (في حافتيه وفي أوساطه ـ يبنيها ويهدمها) وغيرها من الجمل الموجودة ايقاع موسيقي متولد من تقطيع هذه الجمل في مسافات وأزمنة متساوية .

ومثل هذا قوله : (فرعها وأصولها ـ أمجادها وحفيلها) عندما مدح همام بن مطرف التغلبي بقوله : (٢)

نَمَتْهُ الذُّرَى مِنْ مَالِكٍ وَتَعَطَّفَتْ ... عَلَيْهِ الرَّوَابِي فَرْعُهَا وَأُصُولُهَا .

أَجَادَتْ بِهِ سَادَاتُهَا فَتَرَغَّبَتْ ... لِأَخْلَاقِهِ أَمْجَادُهَا وَحَفِيلُهَا .

ومن مظاهر هذه الموسيقى الداخلية كثرة الحروف المشددة وتكرر الحرف الواحد في البيت كقوله يفتخر : (٣)

وَإِنِّي لَحَلَّالٌ بِيَ الْحَقُّ أَتَّقِي ... إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ أَنْ أَتَجَهَّمَا

إِذَا لَمْ تَذُدْ أَلْبَانُهَا عَنْ لُحُومِهَا ... حَلَبْنَا لَهُ مِنْهَا بِأَسْيَافِنَا دَمَا

---

(١) شعر الأخطل : ١/١٩٧-١٩٨ .

(٢) همام بن مطرف بن معقل بن عبد شمس بن عمرو بن عامر بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ـ انظر شعر الأخطل : ٢/٦١٦ .

(٣) شعر الاخطل : ٢/٦٠٠ .

ففى البيت الأول شدد : اللام - والقاف - والتاء ، والهاء (حلّال - الحقّ - أتّقى - اتجهّما) .
فضخمت المعنى فى نفس السامع وقرعت الأذن بموسيقاها الصاخبة بينما كرر حرف الهاء أربع مرات فى البيت الثانى (ألبانها - لحومها له - منها) وقد يتكرر حرفان فى جملتين متقاربتين فى البيت الواحد كقوله يفتخر : (١)

إِذَا الأَصْيَدُ الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ   أَقَمْنَا لَهُ مِنْ خَدِّهِ المُتَصَاعِرِ
بِضَرْبَةِ سَيْفٍ أَوْ بِنَجْلَاءَ ثَرَّةٍ   إِذَا نَشَجَتْ مَجَّتْ دَمَاءَ الأَبَاهِرِ

فاننا نلاحظ تكرار " الجيم والتاء " فى جملتين متقاربتين (نشجت مجت) .

ومن مظاهر الموسيقى الداخلية عند الأخطل تكرار جملة فعلية مختلفة من حيث الزمن فى بيت واحد كقوله يفتخر على قيس : (٢)

وَنَحْنُ مَنَعْنَا مَاءَ دِجْلَةَ مِنْكُمُ   وَنَمْنَعُ مَا بَيْنَ العِرَاقِ إِلَى البِشْرِ

فمع أن الفعل من باب الثلاثى (منع) الآأنه جاء فى الشطر الأول ماضيا (منعنا) ، وفى الشطر الثانى مضارعا (نمنع) .
والأخطل فى صوره الفنية يعبر بألفاظ تكسب المعنى حركة فتتحرك له نفسية السامع كما مر معنا فى مديحه لعبد الملك وتشبيهه اياه

---

(١) شعر الأخطل : ٢/٦٥٨ .
(٢) شعر الأخطل : ٢/٦٦٩ .

بالفرات وكقوله يمدح خالد بن أسيد :(١)

سَقى اللهُ أرْضًا خالِدًا خَيْرُ أهْلِهَا ... بِمُسْتَفْرِغٍ بَاتَتْ عَزَالِيهِ تَسْحَلُ

إذَا طَعَنَتْ رِيحُ الصَّبَا فِي فُرُوجِهِ ... تَحَلَّبَ رَيَّانُ الأَسَافِلِ أَنْجَلُ

إذَا زَعْزَعَتْهُ الرِّيحُ جَرَّ ذُيُولَهُ ... كَمَا زَحَفَتْ عُوذٌ ثِقَالٌ تُطَفِّلُ

هُوَ القَائِدُ المَيمونُ والمُبْتَغَى بِهِ ... ثَبَاتُ رَحًى كَانَتْ قَدِيمًا تَزَلْزَلُ

وكقوله يمدح سلم بن زياد :(٢)

وَأنْتَ خَيْرُ ابْنِ أُخْتٍ يُسْتَطَافُ بِهِ ... إذَا تَزَعْزَعَ فَوقَ الفَيْلَقِ الخِرَقُ

وقوله في مقدمة قصيدته التي يمدح بها همام بن مطرف التغلبي :(٣)

تَسَلْسَلَ فِيهَا جَدْوَلٌ مِنْ مُحَلِّمٍ ... إذَا زَعْزَعَتْهَا الرِّيحُ كَادَتْ تُمِيلُهَا

فان هذه الألفاظ (جاشت - ذعذعته - اضطربت - زعزعته - جر ذيوله - ثبات رحى - كانت قديما تزلزل - تسلسل - زعزعتها الريح) وغيرها توحي بايقاع موسيقى حركى يضفى على صور الشاعر الفنية لونا من الحركة والاضطراب . فتترامى الى الأذن بجرسها الموسيقى المتحرك .

ولاشك أن هذه الثنائية فى الألفاظ توحى بلغة شعرية تبعث الاحساس بالحركة فتتفاعل معها نفس السامع فكأن الصورة التى عبر

---

(١) شعر الأخطل : ١/ ٢٧ - ٣٠ .

(٢) شعر الأخطل : ٢/ ٦١٠ .

(٣) شعر الأخطل : ٢/ ٦١٥ .

عنها وسمها للفرات والسحاب ، والجيش ، والنخل ، والرحى ماثلة أمامنا بكل أبعادها لأنها مثلت بموسيقاها الداخلية فى خلجاتنا واستوعبتها أسماعنا .

واذا كانت الموسيقى الداخلية عند الأخطل تتميز بصرامة وحدة وصخب ورتابة فانه قد اعتمد فى شعره كله وفى مديحه وفخره على الصيغ الانشائية فاستخدمها كأداة للتعبير علها تخرج العبارة من سياق الرتابة المتكررة وتبث فيها روح الحركة والحياة على الرغم من أنه لم ينصرف الى هذه التعابير الانشائية الا فى مقاطع قليلة بالنسبة الى نتاجه كله ولذلك اعتمد فى بعض مدائحه على الاستفتاح والنداء ، فالاستفتاح يأتى غالبا فى مطالع القصائد كقوله : (١)

أَلاَ يَاٱسْلَمِي يَاهِنْدُ هِنْدَ بَنِي بَدْرٍ وَإِنْ كَانَ حَيَّانَا عِدًى آخِرَ الدَّهرِ

أما النداء فيأتى فى المديح المباشر وغيره كقوله فى مدح يزيد بن معاوية : (٢)

---

(١) شعر الأخطل : ١/ ١٧٩ .

(٢) يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية ، الخليفة ، أبو خالد القرشى الأموى الدمشقى ، أرسله أبوه لغزو القسطنطينية وعقد له بولاية العهد من بعده فتولى الخلافة عقب موت أبيه سنة (٦٠هـ) ، وله ثلاث وثلاثون سنة وكانت خلافته أقل من أربع سنين وكان شاعرا متذوقا للأدب . انظر سير أعلام النبلاء : ٤/ ٣٥ - ٤٠ ، وشعر الأخطل : ١/ ٣٠٦ .

أَبَا خَالِدٍ دَافَعْتَ عَنِّي عَظِيمَـــةً   وَأَدْرَكْتَ لَحْمِي قَبْلَ أَنْ يَتَبَــدَّدَا

وقوله في مدح عبد اللـه بن معاوية : (١)

يَاابْنَ القَرِيْعَيْنِ لَوْلَا أَنَّ سَيْبَكُــمُ   قَدْ عَمَّنِي لَمْ يُجِبْنِ دَاعِيًا أَحَــدُ

وقوله في مدح خالد بن يزيد : (٢)

أَخَالِدُ مَابوّابكُــمْ بِمُلَعَّـــــنٍ   وَلَا كَلْبُكُمْ لِلْمُعْتَفِي بِعَقُــورِ
أَخَالِدُ إِيَّاكُمْ يَرَى الضَّيفُ أَهْلَـــهُ   إِذَا هَرَّتِ الضِّيفَانُ كُلَّ ضَجُورِ
أَخَالِدُ أَعْلَى النَّاسِ بَيْتًا وَمَوْضِعًـــا   أَغِثْنَا بِسَيْبٍ مِن نَدَاكَ غَزِيــرِ

وقد وقع الأخطل هنا النداء في نوع من الايقاع الذى يضفى لونـــا نفسيا معينا في تناغم صوتي يدل على أنه نحـــا فيه منحى الحديث والنداء المباشرين تارة والالحاف والرجا تارة أخرى ،وفي النداء ملحظ فنيّ رائع اذ يوحي بالتقارب بين الشاعر ومن يناديه .

ومن التعابير الانشائية التي اعتمدها الأخطل في تدبيج مدائحـــه

---

(١) عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان كان يلقب بالمبقّت أى الأحمق ولم يكن له دراية بالحكم والسياسة كما لم يكن من المتذوقيـــن للشعر . / انظر شعر الأخطل : ٢ / ٤١٠، ٤٤٠ .
القريع : السيد الرئيس وأراد القريعين : معاوية وأبا سفيان .

(٢) خالد بن يزيد بن معاوية .. كان موصوفا بالعلم وقول الشعـر وقيل انه كان يعرف الكيمياء وصنّف فيها ثلاث رسائل وكان يجيـز الشعراء وهو من صالحي الأمة . توفي سنة (٨٥هـ) .
انظر سير أعلام النبلاء : ٤ / ٣٨٢-٣٨٣ وشعر الأخطل : ١ / ٦٤-٦٥ .

وقد أضفت على تلك المدائح لونا من الموسيقى الداخلية المؤثرة ،الأمر والتحضيض فعندما يمدح الخليفة عبد الملك بن مروان ويستجديه العطاء يقول : (١)

أَعِنِّي أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ بِنَائِلٍ ... وَحُسْنِ عَطَاءٍ لَيْسَ بِالرَّيِّثِ النَّزِرِ

، إِلَى امْرِئٍ لَا تُعَرِّينَا نَوَافِلُهُ ... أَظْفَرَهُ اللهُ فَلْيَهْنِئ لَهُ الظَّفَرُ

ويقول في مدح بشر بن مروان : (٢)

فَلَا تَجْعَلَنِّي يَا ابْنَ مَرْوَان كَامْرِئٍ ... غَلَتْ فِي هَوَى آلِ الزُّبَيْرِ مَرَاجِلُهْ

، فَلَا تُطْعِمَنْ لَحْمِي الأَعَادِي إِنَّهُ ... سَرِيعٌ إِلَيكُمْ مَكْرُهَا وَنَمِيمُهَا

وقوله : (٣)

فَسَائِلْ بَنِي مَرْوَانَ مَابَالَ ذِمَّةٍ ... وَحَبْلٍ ضَعِيفٍ لَا يَزَالُ يُوَصَّلُ

ونلاحظ أن الشاعر قد نزع في هذه الأبيات نزعة ابداعية اذ بث فيها من انفعاله الشعري فلم تجر على وتيرة واحدة بل كانت تعتمد على نوع من الحركة الضمنية .

ويعتمد الأخطل على التضعيف والتوكيد في بعض أبياته لتقرع بجرسها المؤثر أذن السامع فيقول في مدح عبد الله بن معاوية : (٤)

---

(١) شعر الأخطل : ١٨٩/١ ، ١٩٦ .

(٢) شعر الأخطل : ٣٥٠/١ ، ٣١٩ .

(٣) شعر الأخطل : ٣٢/١ .

(٤) شعر الأخطل : ٤١٣/٢ .

لأُحَبِّرَنْ لِابْنِ الخَلِيفَةِ مِدْحَةً ... وَلَأَقْذِفَنَّ بِهَا إِلَى الأَمْصَارِ

ويقول في مدح عكرمة : (١)

لَأُغَلْغِلَنَّ إِلَى كَرِيمٍ مِدْحَةً ... وَلَأُثْنِيَنَّ بِنَائِلٍ وَفَعَالِ

ويقول : (٢)

فَلَا تُخْلِفَنَّ الظَّنَّ إِنَّكَ وَالنَّدَى ... حَلِيفَا صَفَاءٍ فِي مَحَلٍّ قِيَامِ

****

---

(١) شعر الأخطل : ١ / ١٤٠ .

(٢) شعر الأخطل : ٢ / ٤٩٢ .

الفصل الثاني

دراسة الفن التعبيري
عند
الفرزدق

" " الفصل الثـــانى " "

÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷

* * دراسة الفن التعبيرى عند الفرزدق * *

نعنى بالفن التعبيرى الأسلوب الذى يتميز به المتفنن ، ويرى أغلب النقاد أن الأسلوب هو الشخصية ، ويؤكد صدق هذه النظـــرة شعر الفرزدق الذى يعد صورة حية لشخصيته . (١)

فحينما ندرس فن هذا الشاعر أو أسلوبه فاننا لانعدو الحقيقة اذا قلنا : أن مديح الفرزدق وفخره فضلا عن شعره كله زاخــران بالمعانى والصور والألفاظ التى تشكل أسلوبا جزلا قويا شديـــــد التلاحم والارتباط بشخصية الشاعر .

واذا كان الاسلوب يهبط أحيانا ويشتد أخرى تبعا لاختلاف النص وملابسات الحال فان أسلوب الفرزدق ظل شديدا قويّـــــــا لم يعتره ضعف ولم ينتبه غموض الا فى طوره الأخير عندما سرت فــى جسده الشيخوخة فأضعفت قريحته ، وتراجعت شاعريته بعض التراجــع لارتباطها بقواه العقلية والسمعية والبصرية .

ولقد درج الباحثون والنقاد على أن اسلوب الفرزدق يتميــز بالتعقيد والغرابة ، ومخالفة القياس النحوى . وهذه قضية لم تحـــظ

---

(١) انظر الفرزدق ـ للدكتور شاكر الفحام :
ومقدمة فى النقد الأدبى د . محمد حسن عبد الله : ٢٣١

بالتدقيق والتمحيص لمعرفة مدى صدقها على نتاج شاعر كبير ثـــر الألفاظ غزير المعاني متنوع الصور ، ولم يحاول أحد من قبل تحديد الأسباب الكامنة وراء هذا التعقيد ، وهذا الغموض . وانما اكتفـــى الباحثون بأن جعلوا ذلك ناتجا من كثرة التقديم والتأخير الـــذى اشتهر به ، وان كان بعض الباحثين المحدثين يعزو هذه الظاهرة الى أسباب نفسية واجتماعية تتعلق بحياة الفرزدق . (١)

والحقيقة التي يجب أن تقال ان جملة من تقديمه وتأخيـــره لايشكلان تعقيدا ولا غموضا بل قد تكسب التعبير قوة . وأن مخالفة القياس النحوى ليس عيبا بل ربما اقتضته لغة الشاعر ، وتطلبــــــه المعنى .

ولكى يكون حكمنا مبنيا على أسس علمية ودراسة متأنية فانـــه لابد من دراسة هذه الظاهرة الأسلوبية طالما نحن بصـــــــدد دراسة فن الشاعر ، وهذا لايعنى أن أتتبع هذه القضية فى شعره كله لأن موضوع البحث ينحصر فى غرضى المديح والفخر ولعل باحثاً آخر أن يتتبع هذه الظاهرة فيما بقى من أغراض .

والواقع أنه من خلال تتبعى لهذا وجدت أن مداخلة الكلام ومغايرة النسق المألوف يتفاوت من ناحية المعنى قوة وضعفا ، وليس من الانصاف أن ينعت النقاد كلما فيه تقديم وتأخير بالتعقيـــــد

---

(١) انظر الفرزدق ـ للدكتور شاكر الفحام : ٤٤٥ - ٤٤٦ .

وماتنطوى عليه هذه اللفظة من معنى .

انني لا أجد مبررا لمن يصم كل تقديم الفرزدق وتأخيره بالتعقيد والغموض لأن الدراسة المتأنية تدفعنا الى القول : بأن هذا التعقيد وتداخل الكلام لايتسم به الا القلة القليلة من نتاجه (١) بينما الكثرة تبرأ من هذا الحكم ولقد جاءت صوره غاية فى الدقة واستغراق الحدث الشعرى فى أسلوب واضح يتسم بالرصانة والابداع ولقد نجد أن هذا التقديم والتأخير الذى لا يلتزم بقواعد النحاة أحيانا يعد ميزة للفرزدق ترقى به الى أعلا درجات الجودة لأنها سمة لا يقوى عليها الا الشعراء المتمكنون من اللغة والمحيطون بأسرارها ،فأى غموض وعدم وضوح فى قوله يمدح الوليد بن عبد الملك : (٢)

حَلَفْتُ بِأَيْدِى البُدْنِ تَدْمَى نُحُورُهَا ... نَهَارًا وَمَاضَمَّ الصِّفَاحُ وَكَبْكَبُ
لَأُمٌّ أَتَتْنَا بِالْوَلِيدِ خَلِيفَةً ... مِنَ الشَّمْسِ لَوْكَانَ ابْنُهَا البَدْرُ أَنْجَبُ

ان هذا التقديم والتأخير فيه من المعنى الجمالى مايقربه الى نفس السامع والذى ماكان ليتم لو أن الألفاظ بنيت على غير هذا النسق .

---

(١) وليس هذا مما يحط من قيمة الفرزدق الفنية لأن هذه القلة لاتشكل الا نسبة يسيرة من شعره القوى الممتاز ،وماكان هذا القليل النزر ليطغى على ماخلده الفرزدق من فحولة وابداع .

(٢) ديوان الفرزدق : ١ / ٧٩ - ٨٠ .

ومثله قوله في مدح سليمان بن عبد الملك : (١)

فَحُبُّكَ أَغْشَانِى بِلادًا بَغِيْضَــــةً   إِلَىَّ وَرُوميًّا بِعَمَّانَ أَقْشَــــرَا

فَلَوْكُنْتُ ذَا نَفْسَيْنِ إِنْ حَلَّ مُقْبِلاً   بِإِحْدَاهُمَا مِنْ دُونِكَ الْمَوْتُ أَحْمَرَا

حَيِيْتُ بِأُخْرَى بَعْدَهَا إِذْ تَجَرَّمَــتْ   مَدَاهَا عَسَتْ نَفْسِى بِهَا أَنْ تُعَمَّرَا

ففي هذا التركيب اللفظي المتألف منه هذا البناء الشعري من الأسرار الجمالية التي تضفي على أسلوب الفرزدق قوة وجزالة مالا يتم بغيره مهما تعددت الألفاظ وتنوعت التراكيب .

والفرزدق في أسلوبه يعني باللمسات الجمالية الكامنة وراء التقديم والتأخير فيدل بذلك على معان ثانوية وراء المعنى العام كقوله في مدح الوليد : (٢)

رَأَوْنِى فَنَادَوْنِى أَسُوقُ مَطِيَّتِــــى   بِأَصْوَاتِ هُلاَّكٍ سِغَابٍ حَرَائِــرُهْ

فَقَالوا : أَغِثْنَا إِنْ بَلَغْتَ بِدَعْــوَةٍ   لَنَا عِنْدَ خَيْرِ النَّاسِ إِنَّكَ زَائِــرُهْ

فمع أن في هذا الكلام تقديما وتأخيرا لكنه مقبول اذ أن تقديمه الفعل (نادوا) بدلا من وضعه بعد جملة (أسوق مطيتي) يدل هذا التركيب على ما آلت اليه حالهم من ضنك ، وقدرة الشاعر كذلك على رسم صورة واضحة عن هذه الحالة (٣) ثم زاد الصورة توضيحا عندما أردف بصيغة المبالغة (هلاك) بعد (الصوت) ليبين أنه

---

(١) المصدر السابق : ١٩٧/١ .

(٢) المصدر السابق : ٢٤٨/١ .

(٣) وقد يكونون رأوه فنادوه يسوق مطيته وبذلك ينتفي التقديم والتأخير هنا .

صادر من هلكى سغاب فأكـد المعنى بهذه المبالغة .

وبهذا الترتيب للألفاظ كان المعنى قويا واضحا لا غموض فيه ولا تعقيد .

ونلاحظ أن هذا التقديم والتأخير قد يأتى فى بيت واحد بحيث يتقدم بعض الألفاظ على بعض فى نفس البيت ، وأحيانا تتسع الفكرة فى نفسه وتتزاحم المعانى لديه فلا يستطيع استيفاء معناه فى البيت الواحد فيعمد الى تأخير بعض الألفاظ التى لا يتم المعنى فى البيت الأول بدونها الى أول البيت الثانى وهى ظاهرة تكاد تكون شائعة عنده من مثل قوله فى مدح عبد الله بن عبد الأعلى الشيبانى : (١)

لَقَدْ زَادَنِى وُدًّا لِبَكْرِ بنِ وَائِلٍ ... إِلَى وُدِّهَا المَاضِى وَحُسْنِ ثَنَائِهَا
بَلاءُ أَخِيهِمْ إِذْ أُنِيخَتْ مَطِيَّتِى ... إِلَى قُبَّةٍ أَضْيَافُهُ بِفِنَائِهَا

فقد أخر الفاعل (بلاء) الى بداية البيت الثانى ولم يزد المعنى الا سهولة ووضوحا ، كما نجده أيضا قد أخر الجار والمجرور الى بداية البيت الثانى عندما قال فى نفس الممدوح أيضا : (٢)

جَزَى اللَّهُ عَبْدَ اللَّهِ لَمَّا تَلَبَّسَتْ ... أُمُورِى وَجَاشَتْ أَنْفُسٌ مِنْ ثَوَائِهَا
إِلَيْنَا فَبَاتَتْ لَا تَنَامُ كَأَنَّهَا ... أُسَارَى حَدِيدٍ أُغْلِقَتْ بِدِمَائِهَا

---

(١) عبد الله بن عبد الأعلى بن أبى عمرة (الشاعر) الشيبانى وجده من سبايا عين التمر وهو مولى لشرحبيل بن حسنة . توفى حوالى سنة (١٢٥هـ) وهو من المعدحين . انظر الطبرى : ٣ / ٢٧٧ - ٧ / ٢٠٩ .

(٢) ديوان الفرزدق : ١ / ١٠ .

ومع هذا فاننا لا ننكر أن تمرد الفرزدق وعنفه قد جعلاه يجنح الى هذه الظاهرة دون أن يستطيع منها فكاكا وهذا هو الذى وسم أسلوبه فى بعض الأحيان بالتعقيد والغموض ،وهو ما أخذه عليه النقاد واللغويون ،فأطلقوا حكمهم بصفة العموم ،ولعل السبب فى كثرة تصيد اللغويين لما وقع فيه الفرزدق من مخالفة للقياس النحوى يعود الى اعجابهم به . (١) ولذلك فان أبياته التى تندرج تحت حكم التعقيد وعدم الوضوح - نتيجة لما اعتراها من تقديم وتأخير - تكاد تكون معدودة أشار اليها من اهتموا بالاستشهاد من أشعار العرب وهم أصحاب اللغة . (٢)

ومن هذه الأبيات قوله فى مدح أيوب بن سليمان بن عبد الملك : (٣)

وَقَوْمٍ أَحَاطَتْ لَوْ تُرِيدُ دِمَاءَهُمْ ... بِأَعْنَاقِهِمْ أَعْمَالُهُمْ لَوْ تُثِيرُهَا
عَلَيْهِمْ رَأَوا مَا يَتَّقُونَ مِنَ الَّذِى ... غَلَتْ قِدْرُهُمْ إِذْ ذَابَ عَنْهَا صُيورُهَا

وقوله فى مدح بنى مروان (٤):

وَكَمْ مِنْ يَدٍ عِنْدِى لَكُمْ كَانَ فَضْلُهَا ... عَلَىَّ لَكُمْ يَا آلَ مَرْوَانَ ضَاعِفِ

---

(١) ذكر ابن سلام أنه كان يداخل الكلام وكان ذلك يعجب أصحاب النحو. انظر طبقات فحول الشعراء : ١/ ٣٦٤- والعقد الفريد :٢/ ١٨٢ - ٣/ ٥٣ .

(٢) صبقات فحول الشعراء : ١/ ٣٦٤ - ٣٦٨

(٣) ديوان الفرزدق : ١/ ٢٤٧ .

(٤) المصدر السابق : ٢/ ١٨ .

وقوله في مدح أبان بن الوليد البجلي : (١)

وَكُنْتُمْ لِهَذَا النَّاسِ حِينَ أَتَاهُمُ ... رَسُولُ هُدَى الآيَاتِ ذَلَّتْ رِقَابُهَا

لَكُمْ إِنَّهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ دَوَّخَتْ ... لَكُمْ مِنْ ذُرَاهَا كُلَّ قَرْمٍ صِعَابُهَا

وقوله يمدح ابراهيم بن هشام المخزومي : (٢)

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلاَّ مُمَلَّكاً ... أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهْ

وقوله يفتخر : (٣)

فَنَلْ مِثْلَهَا مِنْ مِثْلِهِمْ ثُمَّ لُمْهُمُ ... عَلَى دَارِمِيٍّ بَيْنَ لَيْلَى وَغَالِبِ

وقوله في مدح بلال بن أبي برده : (٤)

وَقَدْ خَبَطَتْ رَحْلِي عَلَيْهَا مَطِيَّتِي ... إِلَيْكَ وَلَمْ تَعْلَقْ قَلُوصِي بِصَاحِبِ

فَقُلْتُ لَهَا زُورِي بِلاَلاً فَإِنَّهُ ... إِلَيْهِ انْتَهَى فَأْتِيهِ بِي كُلُّ رَاغِبِ

---

(١) ديوان الفرزدق : ٥٨/١ ، وأبان بن الوليد البجلي من بني يزيد ابن الغوث كان من أشراف بجيلة في العراق وهو من الولاة الممدحين مدحه الفرزدق وغيره من شعراء عصره توفي حوالي سنة (١٢٥هـ) . انظر الأعلام : ٢٧/١ .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ٣٦٤/١-٣٦٥ . والممدوح هو : ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي القرشي : أمير المدينة المنورة وخال هشام ابن عبد الملك وقد ولي المدينة ومكة والطائف عزله هشام سنة (١١٥هـ) ولعله مات في هذه السنة . / الاعلام : ٧٨/١ .

(٣) طبقات فحول الشعراء : ٣٦٦/١ .

(٤) ديوان الفرزدق : ٦٥/١ . والممدوح هو: بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري أمير البصرة وقاضيها كان راوية فصيحا أديبا توفي نحو سنة (١٢٦هـ) . الأعلام : ٧٢/٢ .

فان هذا التقديم فى هذين البيتين قد أخل بالمعنى حيث قدّم فى الأول الجملة الحالية (رحلى عليها) بينما أخر الفاعل والمضاف اليه فى البيت الثانى (كل راغب) فأشاع بذلك اضطرابا فى المعنى وهكذا كان تقديمه وتأخيره فيما مرّ معنا من أبيات والتى أشار اليها العلماء من قبل . . ومع هذا فاننا لو قسنا الأبيات التى فيها غموض وعدم وضوح ومخالفة للقياس النحوى ببقية شعره الذى تلوح عليه سمة التقديم والتأخير فانها لا تشكل الانسبة ضئيلة جدا لاتشكل عيبا فى أسلوب الفرزدق . ومن الطبيعى جدا حينما يتغير نظم الكلام عن وجهه أن يبدو غامضا يشبه الألغاز على تفاوت فى الاغراق من حيث التعقيد الذى لم تظهر بوادره واضحة الا فى أشعاره الأخيرة بعد أن تقدمت به السن فغمضت معانيه وتعقد أسلوبه ، واضطرب تعبيره .

ولو قدّر لهذا الشاعر أن يتجافى عن همته العالية وتنحسر عنه نفسيته القوية لربما استطاع أن ينظم فى غير عسر ، ولكن نفسيته الشامخة دائما هى التى كانت تحول بينه وبين النظم المرن الميسر ، فانطبع فى أذهان الدارسين الذين لم يفحصوا عن شعره كله ولم يستقرؤوه أنه يتسم بالغموض والتعقيد ، وبالتالى ابتعدوا عن دراسته وتحقيقه ولم يحظ ديوانه بالتحقيق الى الآن . ولعل هذه الظاهرة من الأسباب التى حالت بينهم وبين العناية بتحقيق شعره .

وقد يعثر الدارس لشعر الفرزدق على أبيات فيها اقواء من

مثل قولـه : (١)

إِذَا دُعِيَتْ عَيْنَـاءُ أَيْقَنْتُ أَنَّنِـي بِشَرْبَةِ رِيٍّ لَا مَحَالَـةَ شَـارِبُ
وَمَا ذَاكَ مِنْ عَيْنَـاءَ سَرْوٌ عَلِمْتُـهُ وَلَكِنَّ مَوْلَاهَـا كَرِيمُ الضَّـرَائِبِ

وليس الاقواء مما وقع فيه الفرزدق وحده بل وقع فيه بعض من الشعراء الفحول وغير الفحول كالنابغة وغيره . (٢)

ولقد انبهر اللغويون والنحاة ،وأصحاب المعانى وعلماء البلاغة بطريقة الفرزدق فى نظم الكلام وتأليفه . وحظى شعره بالاهتمام والتمحيص بسبب هذه الظاهرة . ولذلك فلا يستغرب أن يخرج لنا النحاة وأصحاب اللغة أبياتا فيها تعقيد وغموض ومخالفة للقياس النحوى (٣) ،فلربما كانت فى شعر سواه أكثر لكنهم لم يهتموا بهم كاهتمامهم بشعر الفرزدق وقد أكثر هذا الشاعر من التقديم والتأخير ،والفصل بين أجزاء الكلام حتى غدا ذلك صفة مميزة لـه .

وبذلك لفت الأنظار اليه غير أن هذا التقديم والتأخير ومايترتب على ذلك من معنى واضح أو غامض سهل أو معقد نابع فى رأينا من اقتدار الفرزدق على الشعر واعتداده بنفسه ولربما

---

(١) ديوان الفرزدق : ١/ ٣٥ .
(٢) انظر الشعر والشعراء : ١/ ٩٥ والموشح للمرزبانى : ٢١٠ .
(٣) أكثر النحاة من الاستشهاد بأشعاره وكانت لهم عليه مآخذ عديدة ولكنها قليلة بالنسبة لغزارة نتاجه وقد أورد المرزبانى كثيرا من هذه المآخذ . انظر الموشح : ١٥٦-١٨٦ .

كان يرى أنه أكبر من أن يعود لقوله فيرتب ألفاظه ويقرب بعيده مما جعله يتمرد على نظم الجملة فيعكس بالتالى صدى تمرد نفسه وزهوه وغطرسته من خلالها .

ولعل احساسه أنه وريث الجاهلية فى فضائلها وخلقها العربى الأصيل وبيانها جعله يأبى أن يعود لما يقول فيهذبه وينقحه

وعليه فانه يمكننا القول :

ان التعقيد فى شعر الفرزدق يعد صدى لتلك النفس المتعالية المتمردة بل المتعجرفة التى باتت تحس الغربة فى مجتمعها ، وليس تعملا أو تصنعا منه بل ان التقديم والتأخير من الأساليب التى تعد سمة من سمات اللغة الأدبية عند الشاعر ، وقد مثل هذا أصدق تمثيل فكان أسلوبه متميزا من هذه الناحية حتى غدا تعبيره الشعرى ذا خصائص فنية توضح للدارس المتعمق مذهب الفرزدق ، وطريقته فى الأداء فهو ينطلق فى مديحه وفخره من معان كثيرة تخطر بباله ، وتتنوع عندما يقول فتتزاحم ألفاظها فى فكره وبالتالى يفسح لخياله أن يختار اللفظ المناسب له . والذى يتمشى مع ذوقه وطبعه ليضعه فى الموضع الذى يراه ولا يلقى بالا الى مايقوله النقاد والنحاة طالما أنه مقتنع بالفكرة وذهنه مستوعب للمعنى .

والمتأمل لاسلوب الفرزدق يجد أن الشاعر يعتنى بالصور فهو من الشعراء المصورين الذين تحتل الصورة عندهم مكانا رحبا لتصبح هذه الصورة وسيلة لنقل المادة وتوصيلها الى الأذهان . وبذلك فان الصلة وثيقة جدا عنده بين المادة والصورة . وقد يعبر عنها

باللفظ والمعنى أو الصورة والمضمون . (١) يوضح هذا قوله في مدح الحكم بن أيوب : (٢)

كَادَ الفُؤَادُ تَطِيرُ الطَّائِرَاتُ بِهِ ... مِنَ المَخَافَةِ إِذْ قَالَ ابْنُ أَيّوبِ

فِى الدَّارِ إِنَّكَ إِنْ تُحْدِثْ فَقَدْ وَجَبَتْ ... فِيكَ العُقُوبَةُ مِنْ قَطعٍ وَتَعْذِيبِ

فِى مَحْبَسٍ يَتَرَدَّى فِيهِ ذُو رِيَبٍ ... يُخْشَى عَلَىَّ شَدِيدِ الهَوْلِ مَرهُوبِ

فَقُلْتُ هَلْ يَنْفَعَنِّى إِنْ حَضَرْتُكُمُ ... بِطَاعَةٍ وَفُؤَادٍ مِنْكَ مَرْعُوبِ

مَا تَنْهَ عَنْهُ فَإِنِّى لَسْتُ قَارِبَهُ ... وَمَا نَهَى مِنْ حَلِيمٍ مِثْلُ تَجْرِيبِ

وَمَا يَفُوتُكَ شَىءٌ أَنْتَ طَالِبُهُ ... وَمَا مَنَعْتَ فَشَىءٌ غَيْرُ مَقْرُوبِ

فهو لا يمدحه مدحا مباشرا ولكنه يصور عظمته في أسلوب قوى يوضح فيه حالته الخائفة الوجلة بعد أن توعده ابن أيوب بالعقوبة ان استمر في هجاء الناس ويصور ممدوحه في غاية القوة والعظمة وأنه لايفوته شيء يطلبه ولا يستطيع أحد أن يقترب من حماه .

وهذا الطبع المصور عند الشاعر قد أعانه على أن يأتى بتشبيهاته حية موحية تبين كيف أن الشاعر يحسن انتزاع هذه التشبيهات .

يقول في مدح الوليد بن عبد الملك : (٣)

---

(١) أصول النقد الأدبى ـ أحمد الشايب : ٢٤٦ .

(٢) ديوان الفرزدق : ١ / ٢٦ .

(٣) ديوان الفرزدق : ١ / ٢٥١ .

وَأَنْ لَوْ رَكِبْتُ الرِّيحَ ثُمَّ طَلَبْتَنِي   لَكُنْتُ كَشَيءٍ أَدْرَكَتْهُ مَقَادِرُهْ

فأى أسلوب أقوى من هذا الأسلوب ،وأى تصوير أبلغ من هـذا التصوير ،جعل الممدوح مهيمنا على المجتمع لايفوته صغيرة ولا كبيرة وليس المعنى بعيدا عن قول النابغة الذبيانى فى مدح "النعمان ابن المنذر الغسّانى " .

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الذِى هُوَ مُدْرِكِى   وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ المُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ

والفرزدق ابن البادية المرتبط بها المتطلع الى حياتها أبدا لا يتردد فى أن يستمد الكثير من صوره وأساليبه من تلك الحياة البدوية فأصبح شعره مرتبطا بحياة الناس وممتزجا بثقافاتهم وقد أضافت هذه الصلة الوثيقة بين الشاعر والبادية على نتاجه سمة الجمال والتأثير والاغراق فى البدواة بعض الأحيان فاستمد من الحبل والدلو صورة الكرم والأمان ، ومن الشجرة وشموخها صورة المجد والشرف ومن الغيث النازل على الأرض فيحييها صورة الكرم والفضل ،ومن الخيل مشدودة صورة الشجاعة والقوة الى غير ذلك من مظاهر البادية فى شعره فهو يقول فى مدح بلال بن أبى بردة (٢)

---

(١) النعمان بن المنذر بن امرىء القيس اللخمى أبو قابوس من أشهر ملوك الحيرة فى الجاهلية كان داهية مقداما مدحه النابغة الذبيانى وحسان ابن ثابت الأنصارى وحاتم الطائى ملك الحيرة سنة (٥٩٢م) وكانت تابعة للفرس فأقره عليها "كسرى" توفى نحو سنة (١٥ ق هـ) .
انظر الأعلام : ٤٣/٨ ،وديوان النابغة : ٨١ .

(٢) ديوان الفرزدق : ٦٩/١ .

سَرِيعٌ إِلَى كَفَّيْ بِلَالٍ إِذَا دَعَا ... مِنَ اليَمَنِ الشُّبَّانُ مِنْهَا وَشِيبُهَا
وَمَا دَعْوَةٌ تَدْعُو بِلَالاً إِلَى القِرَى ... وَلَا الطَّعْنِ يَوْمَ الرَّوعِ إِلَّا يُجِيبُهَا
وَجَدْنَا لَكُمْ دَلْواً شَدِيداً رِشَاؤُهَا ... تَضِيمُ دِلَاءَ المُسْتَقِينَ ذَنُوبُهَا

ويقول فى مدح عبد الله الشيبانى : (١)

وَأَنْتَ امْرُؤٌ مِنْ آلِ شَيْبَانَ تَسْتَقِي ... إِلَى دَلْوِكَ الكُبْرَى عَظِيمُ دِلَائِهَا
لَكُمْ أَثْلَةٌ مِنْهَا خَرَجْتُمْ وَظِلُّهَا ... عَلَيْكُمْ وَفِيكُمْ نَبْتُهَا فِي ثَرَائِهَا

وقوله فى مدح بنى أمية : (٢)

فَقَالَ لِيَ الَّذِي يَعْنِيهِ شَأْنِي ... نَصِيحَةَ قَوْلِهِ سِرًّا وَقَالَا
عَلَيْكَ بَنِي أُمَيَّةَ فَاسْتَجِرْهُمْ ... وَخُذْ مِنْهُمْ لِمَا تَخْشَى حِبَالَا

وقوله فى مدح الجراح بن عبد الله : (٣)

وَمَنْ تَعْقِدْ لَهُ بِيَدَيْكَ حَبْلاً ... فَقَدْ أَخَذَتْ يَدَاهُ لَهُ الخِيَارَا

وقوله فى مدح أسد بن عبد الله القسرى : (٤)

---

(١) المصدر السابق : ١/١١ .
(٢) المصدر السابق : ٢/٦٩ - ٧٠ .
(٣) الجراح بن عبد الله الحكمى أبو عقبة أمير خراسان وأحد الأشراف - الشجعان ولى البصرة للحجاج ثم خراسان وسجستان لعمر بن عبد العزيز . وقد استشهد غازيا سنة (١١١هـ) بمرج أردبيل فى خلافة هشام بن عبد الملك .
انظر الأعلام : ٢/١١٥ ، وديوان الفرزدق : ١/١٩٣ .
(٤) أسد بن عبد الله القسرى البجلى أمير من الأجواد الشجعان تولى خراسان سنة (١٠٨هـ) كانت له وقائع مع الترك انتهت بهزيمتهم =

يَقُودُ أَبُو الأَشْبَالِ رَيْعَانَ خَيْلِهِ بِدَارِ المَنَايَا بَادِيَاتٍ وَعُوَّدَا
عَلَى كُلِّ مِذْعَانِ السُّرَى غَيْرِ مُجْمِرٍ تُقَادُ إِلَى الأَعْدَاءِ مَثْنَى وَمَوْحَدَا

وقوله في مدح العباس بن الوليد بن عبد الملك :(١)

حَتَّى تُنَاخَ إِلَى جَزْلٍ مَوَاهِبُهُ مَازَالَ مِنْ رَاحَتَيْهِ الخَيْرُ مُبْتَدَرَا
قَرْمٍ يُبَارِي شَمَاطِيطُ الرِّيَاحِ بِهِ حَتَّى تَقَطَّعَ أَنْفَاسًا وَمَافَتَرَا
وَمَا يَجُودُ أَبَا الأَشْبَالِ مِنْ شَبَهٍ إِلَّا السَّحَابُ وَإِلَّا البَحْرُ إِذْ زَخَرَا
كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ غَيْرُ مُخْلِفَةٍ تُزْجِي المَنَايَا وَتَسْقِي المُجْدِبَ المَطَرَا

وهكذا فان شعر الفرزدق ملىء بالألفاظ المأخوذة من البادية يضعها في أماديحه وفخره . وظل أمينا على مظاهر البادية في أسلوب جزل متلاحم تجلت فيه مقدرته على الايجاز وتضمين المعنى الكثير في اللفظ القليل المعبر ، وقد أصبح بذلك من أكثر الشعراء بيتا مقلدا(٢). وقد برع الفرزدق في اختيار الألفاظ بحيث جاءت ألفاظه محكمة قوية تدل على المعنى الذى يريد ولا يتردد في اختيار اللفظ الذى يكون له جلجلة وصدى لدى السامع ويعتمد أحيانا كثيرة على السالغة والتهويل فيضفي بذلك على المعنى تفخيما وقوة . فاذا ماائتلفت الصورة الفنية مع التهويل والتقريع كانت المعاني مهيبة مرسومة تؤكد العبقرية الشاعرية لديه في أسلوب قوى غني بالصور

(=) وتوفي سنة (١٢٠هـ) . الأعلام : ١/ ٢٩٨ ، وديوان الفرزدق : ١٤٥/١ .

(١) ديوان الفرزدق : ١/ ٢٢١ .

(٢) البيت المقلد هو المستغني بنفسه المشهور الذى يضرب به المثل : انظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام : ١/ ٣٦١ .

والايحاء . فأى صورة أبلغ من قوله فى الحجاج :[١]

وَقَدْ خِفْتُ حَتَّى لَوْ أَرَى المَوْتَ مُقْبِلاً لِيأْخُذَنِى وَالْمَوْتُ يُكْرَهُ زائِرُهْ
لَكَانَ مِنَ الْحَجَّاجِ أَهْوَنَ رَوْعَةً إِذَا هُوَ أَغْضَى وَهْوَ سَامٍ نَوَاظِرُهْ

وهى صورة تملأ النفس رعبا من هذا الرجل . وقد حدث ذلك بالفعل للفرزدق فهو يرى أن الموت أهون من الحجاج فدقق فى اختيار الألفاظ ليتم الصفة ويكمل الصورة لئلا يوهم اذا أخل بشىء منها فأغرق فى المعنى اغراقا باهتا اذ ليس هناك مبالغة فى الوصف أكثر من هذا حيث وصفه عند اغضائه بالموت فكيف به ناظرا متأملا يقظا ثم نزهه عن الاغضاء فقال (.. وهو سام نواظره[٢]) ، فأى توفيق فى تحديد جوانب المعنى أكبر من هذا وأى أسلوب أقوى من هذا الأسلوب . ونتيجة لهذا التدقيق عند الشاعر فى المعانى واستيفائه لها أصبحت أبياته مرتبطة ببعضها لايتم المعنى ان فصل بعضها عن بعض فى مثل قوله يمتدح بشر بن مروان :[٣]

فَقُلْتُ لِلنَّفْسِ هَذِى مُنْيَةٌ صَدَقَتْ وَقَدْ يُوَافِقُ بَعْضَ المُنْيَةِ القَدَرَا
كُنَّا أُنَاسًا بِنَا اللَّأْوَاءُ فَانْفَرَجَتْ عَنْ مِثْلِ مَرْوَانَ بِالْمِصْرَيْنِ أَوْ عُمَرَا
مُشَمِّرٌ يَسْتَضِىءُ الْمُظْلِمُونَ بِهِ يَنْكِى العَدُوَّ وَنَسْتَسْقِى بِهِ المَطَرَا
مَا النِّيلُ يَضْرِبُ بِالْعِبْرَيْنِ دَارِئُهُ وَلَا الفُرَاتُ إِذَا آذِيُّهُ زَخَرَا

---

(١) ديوان الفرزدق : ١/ ٢٥١ .
(٢) الفرزدق ـ شاكر الفحام : ٤٦٨ .
(٣) ديوان الفرزدق : ١/ ٢٣٢ .

يَعلُو أَعَالِيَ عَانَاتٍ بِمُلْتَطِـم ... يُلْقِي عَلَى سُورِهَا الزَّيْتُونَ وَالعُشَرَا
تَرَى الصَّرَارِيَّ وَالأَمْوَاجُ تَلْطِمُـهُ ... لَوْ يَسْتَطِيعُ إِلَى بَرِّيَّةٍ عَبَـرَا (١)
إِذَا عَلَتْهُ ظِلاَلُ المَوْجِ وَاعْتَرَكَـتْ ... بِوَاسِقَاتٍ تَرَى فِي مَائِهَا كَـدَرَا
بِمُسْتَطِيعٍ نَدَى بِشْرٍ عُبَابُهُمَـا ... وَلَوْ أَعَانَهُمَا الزَّابُ إِذَا انْحَـدَرَا

فان هذه الأبيات جميعها تشكل صورة فنية بحيث لو حذف أحدها لم يتم المعنى لأنها مترابطة ومتداخلة فى اللفظ والمعنى فى صورة مركبة بديعة ، وردت من قبل عند غيره من الشعراء كالأعشى والنابغة (٢) ، وقد أشاد النقاد وعلماء البلاغة بوهبة الفرزدق وما يتمتع به احساسه وقدرته على انتقاء اللفظ المصور . (٣) مما كان له الأثر فى صقل موهبته الشعرية واعطائه القدرة على الايحاء والتعبير عن المعانى بأوجز الكلام .

ولقد كان للمحسنات البديعية أثر واضح فى شعر الفرزدق بصفة عامة ومديحه وفخره بصفة خاصة مما يدل على مهارته وحسن اصطناعه هذه الألوان التى تضفى على شعره رواء بهجة وتساعده على الايحاء بالصورة التى يريد أن يثيرها فى خيال قارئه ، وهى سمة من سماته التعبيرية تسعفه فى ايجاد تلاؤم تعبيرى يبعث فى النفس تطلعا الى المزيد من نتاجه . وهذه المرئيات البديعية التى يطالعنا بها الشاعر لايعمد اليها عمدا وانما تأتى لديه عرضا - وان كان يتعب نفسه فى انتقاء ألفاظه - وقد مكنته لغته

(١) الصرارى : جمعصار وهوالملاّح ومعنى الشاعر أن هؤلاءالملاحين لويستطيعون العبورخارج النهر لفعلوامن شدة ماتفعلهبهم الأمواج المتلاطمة .
(٢) انظرديوان الأعشى : (بتحقيق الدكتور محمد محمد حسين) : ٣٨٩ .
وديوان النابغة : ٣٦ . (٣) انظر نقد الشعر : ٤٨ .

الشعرية وتمكنه من فنه أن يركب القافية الصعبة وينظم عليها مما يدل على تمكنه وقدرته .

ونجد في شعر المديح والفخر لديه بعض التكرار وهو تكرار محمود خصوصا في أول الأمر ولم يتطرق اليه ذم الا في أيامه الأخيرة - كما أسلفنا - وعلى هذا الأساس فان أسلوب الفرزدق صدى لشخصيته العنيفة المتمردة ،فهو صلب خشن الألفاظ غليظ المعاني في أغلب الأحيان ثقيل في الآذان ،وصوره بدوية جافية . (١)

ولعل احساسه المضنى بأنه لم يبلغ في قبيلته مبلغ آبائه ولم يتح له أن يفعل فعالهم نتيجة لاصطباغ الأمور بقواعد الاسلام الصافية التي تضع الحدود وتقنن القوانين لحياة الانسان اذ لم يعد في الاسلام شبيه له في الجاهلية ،كل هذا زاد من غربة الفرزدق واحساسه العميق بأنه لابد وأن يتشبث بمجده التليد في شعره وأن يطوعه ليكون مرآة لتلك الحياة .

وما من شك أنه قد تأثر في أسلوبه بالمعاني الاسلامية المستمدة من القرآن الكريم . ولقد أعجب النقاد القدامى بهذا الشاعر المجيد صاحب الروائع العظيمة صورا وأسلوبا وعاطفة وابداعا فنيا متوقدا وخيالا متوثبا . لكن عجبهم كان أكبر أن يصدر منه مثل هذا السقط من القول المتمثل في بعض التعقيد والغموض(٢)

---

(١) أنظر أدب العرب - مارون عبود (بيروت دار الثقافة - ١٩٦٠م) : ١٣٨ .

(٢) انظر الفرزدق : د . شاكر الفحام : ٤٤٦ .

ولكنهم لو دققوا لوجدوا أن هذا ليس غريبا عليه لأنه نابع من نفسية متمردة متغطرسة ترى أن صاحبها سليل مجد تليد وشرف عريق نما به الى أشرف بيت في مجاشع ، ولهذا كان أسلوبه في بعض الأحيان ملتويا معقدا يصور أغوار تلك النفس الجامحة المتباهية المتطلعة الى مجدها السالف والتي لم تصل اليه وهي سليلة له وكأني به يجيب من يأخذ عليه المآخذ اجابة أبي تمام المشهورة : (ولماذا لاتفهمون مايقال ؟)[1] دون أن ينزل هو الى مدارك الناس ، وما ألفوه من نظم . أو كما قال عندما سأله بعض أهل الأدب عما يرد في شعره من غموض : (عليّ أن أقول وعليكم أن تحتجوا .)[2]

اننا حينما نتتبع مظاهر الفن التعبيري عند الفرزدق نجد أنفسنا أمام مشاعر خاصة وصور عظيمة وأساليب قوية في نسق معين من الكلام لايمكن ترويضه وكأن الشاعر صانع يحكم الصنعة أو بان يجيد رصّ الأحجار ، فأي تغيير في ذلك يفقد هذه الصنعة وهذا البناء ما أراده من جمال .[3]

ولقد كان اللفظ عند الفرزدق مرتبطا أشد الارتباط بالمعنى فأصبح معناه صدى لتلك الألفاظ القوية الصلدة في نسق تعبيري مؤلف من كلمات وتراكيب وفقر وعبارات حقيقية ومجازية ، كما كان

---

(١) الموشح للمرزباني : ٤٩٩ .
(٢) الشعر والشعراء : ١ / ٨٩ .
(٣) انظر أصول النقد الأدبي ـ أحمد الشايب : ٢٤٧ .

لاتساع معرفته وعلمه وحفظه مالم يحفظ غيره ، وفهمه لأسرار العربيــــة والثراء اللفظى لديه أن مكنه ذلك من التفنن والمقدرة على فنـــــون التعبير .

××××××××××××××××××

أما الموسيقى الخارجية عند الفرزدق فقد نظم كثيرا من الطويل ، والكامل (١) ، والوافر (٢) ، والبسيط ، ويحظى الطويل بأكبر نسبة .. اذ نظم عليه في مديحه وفخره مائة وثمان وخمسين مابين قصيدة ومقطوعة بلغت أبياتها ألفين وسبعمائة واثنين وتسعين .
ويليه مرتبة الكامل ونظم عليه احدى وعشرين قصيدة ومقطوعة بلغت جملة الأبيات فيها خمسمائة وستة وستين .

أما الوافر فيأتي في المرتبة الثالثة وقد نظم عليه ستا وعشرين قصيدة ومقطوعة بلغ عدد أبياتها أربعمائة وثلاثة وأربعين ، ويليه البسيط اذ بلغت جملة الأبيات التي نظمها على هذا الوزن أربعمائة واثنين وثلاثين .

وهذه الأوزان لم يستخدمها الفرزدق الا تامة ليكون بذلك صورة حية لشعراء الجاهلية الذين لاتكاد أشعارهم تتعداها الا في القليل النادر كما أشار الى هذا بعض النقاد القدامى والمحدثين . الذين يرون أن جمهور أشعار الجاهلية أتت من أوزان الطويل والكامل والوافر والبسيط ، وأرجعوا الأوزان القصار الى العصر الاسلامي (٣) . ولئن صحت هذه الرؤية فانها شاهدة بأمانة الفرزدق

---

(١) البحر الكامل من الأبحر السداسية ويتكون من (متفاعلن) ست مرات وله ثلاث أعاريض وتسعة أضرب وهو من أكثر الأبحر أضربا .

(٢) أما الوافر فهو من الأبحر السداسية أيضا ويتكون من (مفاعلتن ـ مفاعلتن فعولن) في كل شطر وله عروضان وثلاثة أضرب الأولى تامة مقطوفة وضربها مثلها والثانية مجزوءة صحيحة ولها ضربان . صحيح ومعصوب .

(٣) انظر الفصول والغايات ـ لأبي العلاء المعري : ١٧٥ =

على تقاليد الجاهليين الشعرية بالنسبة للأوزان ،وفى نظرى أنها كذلك فان الجاهليين نظموا كثيرا على هذه الأوزان ولايكاد يذكر لهم نظم على سواها الا فى القليل النادر كاستخدامهم وزن الرجز فى الحداء ومنازلة الأقران وقد جعلوه وزنا شعبيا عاما لاتصاله بالحركة والعمل ،ولم يستخدمه الفرزدق الا فى بيتين اثنين فقط فى المديح دون الفخر . (١)

ولم يكن الفرزدق يتخير الوزن المعين فينظم عليه لأن القصيدة تظل تجربة وفكرة متخمرة فى ذهنه لتخرج الى النور كاملة بوزنها وقافيتها وكل أركانها بعد أن يكتمل نموها ويتم نضجها . ومن المعروف أن الشاعر حينما يريد أن يقول شعرا لايحدد وزنا معينا وانما يتحرك مع خلجات نفسه ،وبالتالى يخرج نتاجه بالوزن الذى يتراءى له حسب ذوقه ومقدرته الفنية .

ومن هنا فان الفرزدق يسير بفطرته العربية فى ركاب الجاهليين فى ألفاظه نتيجة لنفسيته المتعالية وارتباطه بحياة البادية كما رأينا من قبل عندئذ قادته ملكته القوية وتجربته الناضجة الى النظم على هذه الأوزان التى ارتبطت بعاطفته ونفسيته الضاربة فى الأصالة العربية ،ولذلك كانت العلاقة قوية بين موسيقى الأوزان عند الفرزدق وبين عاطفته المتأججة العميقة الجذور فى الشعر ومن هنا

(=) وأصول النقد الأدبى ـ أحمد الشايب: ٣٢٢ .

(١) ديوان الفرزدق : ١ / ٢٧ .

وانظر النقد الأدبى الحديث ـ محمد غنيمى هلال : ٤٦٩ .

كان من المستحيل فصل ايقاع الوزن عند الفرزدق عن التأثيرات العاطفية لديه ،ومن هنا أيضا كثر نظمه على البحر الطويل الذى جاء يتلاءم مع الموضوعات الحماسية الجادة كالفخر والمديح ،ثم الكامل الذى يصلح لأكثر الموضوعات ،فالوافر ثم البسيط في الدرجة الرابعة عند الفرزدق .

ونستطيع القول : ان لكل عاطفة أو معنى نغمة خاصة في الموسيقى والغناء وهى أليق وأقدر على التعبير عن صاحبها لأنها صوته الطبيعى وصورته الحسية الدقيقة . (١)

وقد عبرت الأوزان التى استخدمها الفرزدق فى مديحه وفخره عن عاطفته أصدق تعبير .

أما قوافى هذا الشاعر فمن خلال استقرائنا لشعره الذى وصل الى أيدينا حتى الآن تبين أن أكثر الحروف التى اتخذها رويّا مرتبة حسب درجة التواتو عنده هى : (ر،م ،ل ،ب ،د ع ،ن ،ق ، ف) أما بقية الحروف فلم يتجاوز مانظمه على كل واحد منها خمسا مابين قصيدة ومقطوعة ،وبعضها لم ينظم عليه البتة ،أو ربما نظم شيئا وضاع فلم يصل الينا أو لعله ضمن احدى المخطوطات التى لم تطبع حتى الآن ،وهذه الأحرف هى : (ش، خ ،ذ ،غ ،ط ،ظ) . ونجد قوافى هذا الشاعر فى أغلب حالاتها من القوافى المطلقة ،ولذلك كان شعره أوضح فى السمع

---

(١) أصول النقد الأدبى ـ أحمد الشايب : ٣٢٢ ومفهوم الشعردراسة فى التراث النقدى / للدكتور جابر أحمد عصفور ٣٦٧ ومابعدها .

وأشد أسرا للأذن لأن الروى عنده فى أغلب الأحيان يعتمد على حركة بعده قد تستطيل فى الانشاد فتشبه حرف المد ، ومن المعلوم أن حروف المد أوضح فى السمع أكثر من غيرها . (١)

ويعد الروى من أدق مقاييس الشعر وقد اهتدى الفرزدق الى اختيار الروى المناسب لقصائده ولم يكن ليعجز عن النظم على أىّ قافية شاء فقد نظم ملحمته الشهيرة والتى مطلعها : (٢)

عَزَفْتَ بِأَعْشَاشٍ وَمَا كِدْتَ تَعْزِفُ ... وَأَنْكَرْتَ مِنْ حَدْرَاءَ مَا كُنْتَ تَعْرِفُ

على "الفاء" مع أنه من حروف الروىّ الصعبة العسيرة النظم لكنه بلغ بها الذروة وأبدع فى ذلك فبلغت هذه الملحمة مائة وثلاثة عشر بيتا مابين مقدمة وهجاء وفخر ومديح ، وقد تجلى فيها طول نفس الشاعر فلم تعجزه القافية ، ووفق فى اختيار الألفاظ الدالة على المعانى فى جرس موسيقى مؤثر . ولاشك أن المسار الشعرى لديه يحدد له طرائق المعنى فتسهل له اللغة وتنساب كلماتها فى معان عميقة وألفاظ قوية مقبولة ومحببة للنفس ، فعندما يقول مفتخرا : (٣)

وَإِنِّى لَمِنْ قَوْمٍ بِهِمْ تُتَّقَى الْعِدَى ... وَرَأْبُ الثَّأَى وَالْجَانِبُ الْمُتَخَوَّفُ
وَلَا نَسْتَجِمُّ الْخَيْلَ حَتَّى نُعِيدَهَا ... غَوَانِمَ مِنْ أَعْدَائِنَا وَهْيَ زُحَّفُ

---

(١) موسيقى الشعر ـ ابراهيم أنيس : ٢٤٦ .
والنقد الادبى الحديث ـ محمد غنيمى هلال : ٤٧٠ .
(٢) ديوان الفرزدق : ٢ / ٢٣ . (٣) المصدر السابق : ٢ / ٢٩ .

نجد أن المعنى الذى يريده الشاعر يقتضى هذه القافية فهى مجلوبة من أجل المعنى وليس العكس ،فالفرزدق من قوم حظهم فى هـــذه الحياة صد الأعداء وكفاية الناس شرهم ،فهم سد حصين يمنع دخول الأعداء من أى جانب ولذلك فان لفظة " المتخوف " جاءت فـــى مكانها تماما ولايمكن أن تعبر لفظة أخرى عن المعنى المقصود هنا . أما قافية البيت الثانى فقد جاءت مطابقة للمعنى تمام المطابقـــة فان الخيل حينما يتعبها الكر والفر تحتاج الى الراحة ولكن خيـــل الفرزدق وقومه لا تعرف للراحة سبيلا ،لأنها دائما فى حركة مستمرة تخوض المعارك فتغنم وتظفر ولا تنتهى من معركة حتى يعيدوهـــا للأخرى فتعود وهى متعبة فجاء بلفظ " زحّف" ليعبر عن هـــذا التعب وهذا الاعياء أصدق تعبير .

ومعنى هذا أن الفرزدق يأتى بالقافية لتخدم المعنى فجـــاء شعره قويّـــا ومعانيه عميقة ،ولقد بلغ من انسجام النظم عنده وترابط أجزاء الكلام أننا حينما نقرأ الشطر الأول من البيت تترامى الـــى أسماعنا القافية قبل أن نصل اليها ،وهذا لايؤتاه الا شاعـر حباه الله قدرة عظيمة على الافتنان فى التعبير وحسن اصطناع الكلام - كقوله :(١)

أَلَمْ تَرَنِي عَاهَدْتُ رَبِّي وَإِنَّنِي ... لَبَيْنَ رِتَاجٍ قَائِمٌ وَمَقَامِ
عَلَى حَلْفَةٍ لَا أَشْتُمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا ... وَلَا خَارِجًا مِنْ فِيَّ زُورُ كَلَامِ

---

(١) ديوان الفرزدق : ٢ / ٢١٢ .

ولقد عبرت قوافى الفرزدق عن معانيه أبلغ تعبير كقوله يفتخر : (١)

وَجَدْنَا أَعزَّ النَّاسِ أَكْثَرَهُمْ حَصَىً ... وَأَكْرَمَهُمْ مَنْ بِالْمَكَارِمِ يُعْرَفُ

وَكِلْتَاهُمَا فِينَا إِلَى حَيْثُ تَلْتَقِى ... عَصَائِبُ (٢) لَاقَى بَيْنَهُنَّ الْمُعَرَّفُ

مَنَازِلُ عَنْ ظَهْرِ الْقَلِيلِ كَثِيرُنَا ... إِذَا مَادَعَا فِى الْمَجْلِسِ الْمُتَرَدِّفُ (٣)

قَلَفْنَا الْحَصَى عَنْهُ الَّذِى فَوقَ ظَهْرِهِ ... بِأَحْلَامِ جُهَّالٍ إِذَا مَا تَغَضَّفُوا (٤)

وقد لحظ بعض الدارسين أن الفرزدق ميّال فى قوافيه الى الضم وعلل ذلك أن الضمة حركة تشعر بالأبهة والفخامة ، وأن شعراء الفخامة يميلون اليها فهى تدل على التمكن والاقتدار لأنها أساس ودعامة فى بناء الجملة .

والفرزدق من شعراء الفخامة لاشك فى هذا ، ولكن من استقرائنا لشعره كله وجدناه يميل فى قوافيه الى الكسر (٥)

---

(١) المصدر السابق : ٢ / ٣٠ - ٣١ .

(٢) العصائب : من اعصوصب القوم أى اجتمعوا وصاروا عصائب الصحاح (مادة عصب) .

(٣) المتردف : الذى يردفه من الشر شئ بعد شئ .

(٤) قلفنا : من قولهم قلف الشجرة اذا ألقى عنها لحاءها ومراد الشاعر : أى ألقينا . الصحاح : (قلف) .
تغضفوا : أى تعطفوا .
الصحاح (مادة قلف ، عطف) .

(٥) يؤيد ماذهبنا اليه بعد الاستقراء أن الفرزدق تميمى وتميم تميل فى لغتها الى الكسر كثيرا .

وليس الضم ، فقد بلغت قصائده ذات القافية المكسورة مائتين وتسعا وثمانين مابين قصيدة ومقطوعة ، أما تلك التى قافيتها مضمومة فقد بلغت مائتين وعشرا مابين قصيدة ومقطوعة يلى هذا القافية المفتوحة حيث بلغ نظمه عليها اثنتين وتسعين مابين قصيدة ومقطوعة ، ولا أدرى كيف أصدر هذا الدارس حكمه دون استقراء لنتاج الشاعر كله . (١) .

ونخلص من هذا الى :

أن الحروف التى اتخذها الفرزدق فى أشعاره رويّا ونظم عليها كثيرا هى : (ر ، م ، ل ، ب ، د) ، وقد حظيت هذه الحروف بأكبر نسبة من أشعاره ، ولعل استخدام بعض شعراء العربية ومنهم الفرزدق لهذه الحروف رويّا يكمن فى كثرة الألفاظ على كل حرف منها وغزارة المعانى ، فيجد الشاعر فيها مبتغاه ، وتتسع معه تلك الألفاظ باتساع المعانى .

وتلى هذه المجموعة كثرة عند الفرزدق : (ع ، ق ، ف) ؛ وهى أقل نصيبا من سابقتها ، تليها بنسبة أقل حروف (الهمزة الألف ، التاء ، الجيم ، الزاء ، السين ، الشين ، والصاد ، والضاد والكاف ، والهاء) .

ثم تلك الحروف التى لم نجدها رويّا عند الفرزدق وهى (ث خ ، ذ ، غ ، ط ، ظ) فلم نعثر له فى ديوانه المطبوع على شئ

---

(١) انظر - الفرزدق - دراسة الدكتور شاكر الفحام : ٥٠٤ .

يذكر على هذه الحروف (١) .

وأما موسيقاه الداخلية فقد ارتبطت بعاطفته الصلدة التي تنبع من نفسه القوية ،هذه العاطفة التي تشبه البحر المتلاطم الأمواج .. ومن هنا جاء شعره صدى لتلك النفسية القوية . وقد وجد أصحاب اللغة في نتاج الفرزدق مادة غزيرة لهم فأكثروا من الاستشهاد به بخلاف علماء البلاغة وخاصة علم البديع الذي يشكل جزءا هاما من الموسيقى الداخلية في الشعر لم يكن له من الشواهد في شعر الفرزدق تلك الكثرة التي تطغى على نتاجه كله ،ولكن ليس معنى هذا أن ننفى عن الشاعر وجود ألوان من المحسنات البديعية - فقد تناثرت في شعره وبخاصة مديحه وفخره سمات بديعية تدل على مهارته وحسن اختياره لهذه الألوان التي ساعدت على ايحاء الصور المعبر عنها . ولقد كان للطباق نصيب كبير في المدح والفخر كقوله في مدح سليمان بن عبد الملك مقابلا بين عدله وظلم الحجاج : (٢)

وَإِلَى سُلَيْمَانَ الذي سَكَنَتْ ... أَرْوَى الهِضَابِ بِهِ مِنَ الذُّعْرِ
فَلقد عَزَزْنَا بَعْدَ ذِلَّتِنَا ... بِكَ بَعْدَ مَا نَأْبَى عَنِ القَسْرِ
أَحْيَيْتَ أَنْفُسَنَا وَقَدْ هَلَكَتْ ... وَجَبَرْتَ مِنَّا وَاهِيَ الكَسْرِ
فَلَئِنْ نَعَشْتَهم لَقَدْ هَلَكُوا ... وَاليُسْرُ يَفْرُجُ لَزْبَةَ العُسْرِ

---

(١) اعتمدت في هذا الاحصاء على حصر شامل للقصائد والمقطوعات الموجودة في ديوانه المطبوع .

(٢) ديوان الفرزدق : ١/٢٦٢ - ٢٦٧ .

وقوله يفتخر كذلك : (١)

لَنَادُونَ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ عَلَيهِمُ … مِن النَّاسِ طُرًّا شَمْسُهَا وَبُدُورُهَا
أَخَذْنَا بِآفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيهِمُ … لَنَا بَرُّهَا مِنْ دُونِهِم وَبُحُورُهَا
لَنَا الجِنُّ قَدْ دَانَتْ وَكُلُّ قَبِيلَةٍ … يَدِينُ مُصَلُّوهَا لَنَا وَكُفُورُهَا

وقوله في معرض فخره بالكرم كذلك : (٢)

وَقَدْ رِفَثْأْنَا غَلْيَهَا بَعْدَ مَاغَلَتْ … وَأُخْرَى حَشَشْنَا بِالْعَوَالِي تُؤَثَّفُ
وَجَهْلٍ بِحِلْمٍ قَدْ دَفَعْنَا جُنُونَهُ … وَمَاكَانَ لَوْلاَ حِلْمُنَا يَتَزَحْلَفُ

ومن أجمل ماقاله مفتخرا :

وَإِنِّي سَفِيهُ النَّارِ لِلْمُبْتَغِي القِرَى … وَإِنِّي حَلِيمُ الكَلْبِ لِلضَّيفِ يَطْرُقُ

فقد أعجب الجاحظ بهذا البيت واستحسنه (٣) وغير هذا من ألوان الطباق . (٤)

وقد اصطنع الفرزدق الجناس وسار وراء أسهله وأقله كلفة ، وقد أكثر منه وكأنه معجب بهذا التلاقي الصوتي بين الاسم ومشتقه

---

(١) ديوان الفرزدق : ١ / ٢٢٣ .
(٢) المصدر السابق : ٢ / ٣٠ - ٣١ .
(٣) انظر سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون (تحقيق أبو الفضل ابراهيم - القاهرة - مطبعة المدني - ١٣٨٣هـ) : ٣٩٤ .
(٤) للمزيد من الأمثلة يرجع لديوانه مثلا : ١ / ٢٢٩ ، ٧٠ ، ٨٣ ، وغيرها من صفحات ديوانه الضخم .

كقوله يمدح كثير بن سيار التميمي : (١)

إِنَّ كَثِيرًا كَثِيرٌ فَضْلُ نَائِلِهِ ... مُرْتَفِعٌ فِي تَمِيمٍ مُوقِدَ النَّارِ (٢)

وقوله يفتخر بقومه : (٣)

وَنَعْرِفُ حَقَّ المَشْرَفِيَّةِ كُلَّمَا ... أطار جناة الحرب يوما مطيرها

وَفِي أَسَدٍ عَادِيٌّ عِزٌّ وَفِيهِمُ ... رَوَافِدُ مَعْرُوفٍ غَزِيرٍ غَزِيرُهَا

وقوله يمدح العباس بن الوليد بن عبد الملك : (٤)

تَرَاهُمْ إِذَا لَاقَاهُمُ يَوْمَ مَشْهَدٍ ... يَغُضُّونَ أَطْرَافَ العُيُونِ الطَّوَارِفِ

وقوله يمدح عبد الملك بن مروان : (٥)

قَوْمٌ أَبُوهُمْ أَبُو العَاصِي أَجَادَ بِهِمْ ... قَرْمٌ نَجِيبٌ لِجرَّابٍ مَنَاجِيبِ

وقوله يمدح مالك بن المنذر بن الجارود : (٦)

وَمَنْ يَكُ جَارُ ابنِ المُعَلَّى فَقَدْ علا ... عَلَى النَّاسِ لَا يَخْشَى وَلَا يُتَهَضَّمُ

---

(١) كثير بن سيار التميمي مولى بني سعد وأصلهم من بلاد فارس ، ثم نزلو تشترفا دعتهم بنو سعد فأبوا .

(٢) ديوان الفرزدق : ١ / ٢٢٥ .

(٣) ديوان الفرزدق : ١ / ٢٢٣ .

(٤) ديوان الفرزدق : ٢ / ١٤ .

(٥) ديوان الفرزدق : ١ / ٢٦ .

(٦) مالك بن المنذر بن الجارود العبدي من بني عبد القيس ،أمّره خالد ابن عبد الله القسري على شرطة البصرة ،وولاه مصعب بن الزبير على بني عبد القيس ،سجنه هشام بن عبد الملك وتوفي سنة (١١٠هـ) انظر الكامل لابن الأثير : ٤ / ١٠٤ . وديوان الفرزدق : ٢ / ٢٤٩

وتطالعنا كتب البلاغة بطائفة من أشعاره استشهد بها العلماء على بعض ألوان البديع ،ويعد الطباق والجناس من أكثرها . (١)

وبقدر مانجد هذه الموسيقى الداخلية فى المحسنات البديعية والتى لم تكن من الكثرة بحيث تطغى على شعره كله نجدها كذلك نابعة من الكلمات ذاتها كتكراره بعض الألفاظ بنفسها لتأكيد المعنى فتبعث في النفس تشوقا وتطلعا الى ماوراء هذه الألفاظ من معان موحية كقوله يفتخر : (٢)

تَرَى النَّاسَ مَاسِرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا ... وَإِنْ نَحْنُ أَوْمأْنَا إِلى النَّاسِ وَقَّفُوا (٣)
أُلُوفُ أُلُوفٍ مِنْ دُرُوعٍ وَمِنْ قَنًا ... وَخَيْلٌ كَرَيْعَانِ الجَرَادِ وَحَرْشَفُ (٤)
وَبَيْتَانِ بَيْتُ اللّهِ نَحْنُ وُلاَتُهُ ... وَبَيْتٌ بِأَعْلَى إِيلِيَاءَ مُشَرَّفُ

وقوله يمدح عمر بن عبد العزيز : (٥)

إِلَيكَ ابْنَ لَيْلَى يَاابْنَ لَيْلَى تَجَوَّزَتْ ... فَلاَةً وَدَاوِيًّا دِفَانًا مَنَاهِلُهُ

وقوله كذلك يمدح عبد الله بن أبى بكرة : (٦)

أَبَا حَاتِمٍ مَاحَاتِمٌ فِى زَمَانِهِ ... وَلاَ النِّيلُ تَرْمِي بِالسَّفِينِ غَوَارِبُهْ
بِأَجْوَدَ عِنْدَ الجُودِ مِنْكَ وَلاَ الّذِى ... عَلاَ بِغُثَاءٍ سُورَ عَانَةَ غَارِبُهْ

---

(١) انظر الصناعتين : ٣١٣-٣١٤ . والعمدة : ١/٩٩ .
(٢) ديوان الفرزدق : ٢/٣٢ .
(٣) يرى بعض النقاد القدامى أن هذا البيت من شعر جميل بن معمر العذرى الشعر والشعراء : ١/٤٤٣ .
(٤) الحرشف : جماعة الجراد .
(٥) ديوان الفرزدق : ٢/٨١ .
(٦) المصدر السابق : ١/٥٤- ولم أعثر لهذا الممدوح على ترجمة .

وقوله يمدح الوليد بن يزيد بن عبد الملك : (١)

بِحَقِّ وَلِيٍّ بَيْنَ يُوسُفَ عِيصُهُ ... وَبَيْنَ أَبِى العَاصِى وَبَيْنَ بَنِى حَرْبِ

فقد كرر ظرف الزمان ثلاث مرات فى مقاطع صوتية متوازية .

وبقدر مايكرر اللفظ بعينه يكرر الحرف الواحد كذلك اما فى كلمة واحدة .. كقوله يمدح الورد الجنفى : (٢)

وَلَمَّا رَأوا بِالأبرَقِين كَتِيبَةً ... مُلَمْلَمَةً تَحْمِى الذِّمَارَ وَتَغْضَبُ .

أو يكرره وحده منفردا فى البيت الواحد .. كقوله يمدح سليمان بن عبد الملك : (٣)

جَلَوعَنْ عُيونٍ قَد كَرِينَ كَلاَ وَلاَ ... مَعَ الصُّبْحِ إِذْ نَادَى أَذَانُ المُثَوِّبِ

وقد يأتى تكرار الحرف الواحد فى عدة مقاطع صوتية كقوله يمدح - الوليد بن يزيد بن عبد الملك : (٤)

هُوَ المُصْطَفَى بَعْدَ الصَّفِيينَ لِلْهُدَى ... وَفى العِيصِ مِنْ أَهْلِ الخِلاَفَةِ وَالقُرْبِ
وَعَاوٍ عَوَى حَتَّى اسْتَثَارَ عُوَاؤُهُ ... أَبَا اثْنَيْنِ فِى عِرِّيسِ مَأْسَدَةٍ غُلْبِ

فقد كرر حرف " الصاد " فى البيت الأول ثلاث مرات بينما كرر حرف " العين " فى البيت الثانى أربع مرات ،وكتكراره كذلك حرف "الجيم"

---

(١) المصدر السابق : ١ / ٧٨ .
(٢) الورد بن عبد الله بن حبيب السعدى من تميم وهو من الرجال الممدحين لم أقف على تاريخ وفاته / انظر الطبرى : ٦ / ٦٠١ ،وديوان الفرزدق : ١ / ٧٣ .
(٣) ديوان الفرزدق : ١ / ٢٠ . (٤) المصدر السابق : ١ / ٧٩ .

خمس مرات وكذلك حرف " الحاء " في قوله يمدح ابن هبيرة[(١)] :

أَغَرّ من الحُو الجيادِ إذا جـــرَى ... جُرْىَ جَرْى عُريانِ القَرَا غير أفْحَجَـا

وَما احْتـالَ مُحْتَالٌ كَحِيلَتِـهِ التـي ... بِهَا نَفْسُه تَحْتَ الضَّرِيحَـةِ أَوْلجَـا

وقوله يفتخر كذلك[(٢)] :

وكُنْتُ إذا عَادَيْتُ قَوماً حَمَلتُهُمْ ... عَلَى الجَمْرِ حَتَّى يَحْسِم الدَّاءَ حَاسِمُهْ

وَجَيش رَبَعْنَاهُ كَأَنّ زُهَـــاءَهُ ... شَمَارِيخُ طَوْدٍ مُشْمَخِرّ مَخَارِمُـــهْ

كَثِيرِ الحَصَى جَمّ الوَغَى بَالعَزالِعِدَى ... يُصِمّ السَّمِيعَ رِزُّهُ وَهَمَاهِمُـــهْ

فالحاء" تكررت ثلاث مرات في الشطر الثاني من البيت الأول ، بينما تكررت الشين ثلاث مرات في البيت الثاني ، أما المقطع الأول من البيت الثالث فقد تكرر فيه حرف المد " الألف " ثلاث مرات في تناسب صوتي منتظم . ونلحظ في هذه الأبيات وغيرها من شعر الفرزدق - ناحية هامة لها دور بارز في موسيقى الفرزدق الداخلية وهي أن الشاعر كثيرا ماتراه يتبع بعض قوافيه " بالهاء " الساكنة ، كما هو الحال في الأبيات السابقة وهذه الهاء تساعد على انشاد الشعر والتطاول فيه ، وهي ظاهرة تطالعنا كثيرا في شعر الفرزدق .

ونراه يعبر بصيغ المبالغة كثيرا ، واسم الفاعل الجمعي ليصب المعنى في أذن السامع صبا في جرس موسيقي مؤثر ومعبر عن مقصوده أصدق تعبير .. كقوله يفتخر بأبيه[(٣)]

---

(١) ديوان الفرزدق : ١/١١٧-١١٨ .

(٢) ديوان الفرزدق : ٢/٢٠٨ .

(٣) المصدر السابق : ١/٢٩ .

إِذَا مَا رَأَوا نَاراً يقولون لَيْتَهَا ... وَقَدْ أخْصرَتْ أيديهِمُ نَارُ غَالِبِ

إِلَى نَارِ ضَرَّابِ العَرَاقِيبِ لَمْ يَزَلْ ... لَهُ مِنْ ذَنَابِيء سَيْفِهِ خيرُ حَالِبِ

وكقوله مفتخرا بتميم وانتسابه اليها : (١)

أَنَا ابنُ تَمِيمٍ والذِي لِيَ عِزُّهَا ... عَلَى النَّاسِ بَذّاخٌ مِنَ العِزِّ مُدْسَرُ

وَإِنَّا لَضَرَّابونَ لِلْهَامِ فِي الوَغَى ... إِذَا لَمْ يَكُنْ غَيرَ الأَسِنَّةِ مَفْخَرُ

وقوله يمدح زياد بن الربيع : (٢)

فَتَى غَيْرُ مِفْرَاحٍ بِدُنْيَا يُصِيبُهَا ... وَمِنْ نَكَبَاتِ الدَّهْرِ غيرُ جَزُوعِ

وقوله يفتخر بتميم كذلك : (٣)

الضَّارِبون إِذَا الكتيبةُ أحْجَمَتْ ... والنَّازلونَ غَدَاةَ كُلِّ نِزَالِ

والضَّامِنونَ عَلَى المنيةِ جَارَهُم ... والمُطْعِمُونَ غَدَاةَ كُلِّ شَمَالِ

وكقوله يمدح يزيد بن المهلب : (٤)

فَوَارِسُ ضَرَّابونَ والخَيْلُ يَلْتَقِي ... عَلَيْهَا عَبِيطُ الثَّائِرِ المُتَلَهِّبِ

---

(١) المصدر السابق : ٣٠٢/١ .

(٢) زياد بن الربيع بن زياد بن كعب كان واليا على هجر . ديوان الفرزدق : ٣٩٥/١ .

(٣) ديوان الفرزدق : ١٦١/٢ .

(٤) يزيد بن المهلب بن أبى صفرة ، ولى المشرق بعد أبيه ثم ولى البصرة لسليمان بن عبد الملك ثم عزله عمر بن عبد العزيز ويشتهر بالسخاء والشجاعة توفي قتيلا سنة (١٠٢هـ) . انظر سير أعلام النبلاء : ٤/ ٥٠٣-٥٠٦ ، والأعلام : ١٨٩/٨ ، وديوان الفرزدق : ٤٣/١ .

وهذه الأساليب من صيغ المبالغة واسم الفاعل الجمعي كما نلاحظ في هذه الأبيات كثيرا عند الفرزدق ،وكأنه يريد أن يؤكد معناه ويهول مايريد ،وأحيانا تنبع الموسيقى الداخلية عند هذا الشاعر من استعماله لفظا بعينه فيوحي ذلك اللفظ بالمعنى المقصود كقوله يمدح الحجاج : (١)

لَقَدْ ضَرَبَ الحجَّاجُ ضَرْبَةَ حَازِمٍ   كَمَا جُنْدُ إِبليسٍ لَهَا وتَضَعْضَعُوا

فان التعبير بجملة " تضعضعوا " يوحي بالمعنى الذى يريد وهو الفرق الشديد من قبل المنافقين الذين كانوا في العراق والذين وصفهم الشاعر " بجند ابليس " لما ضرب الحجاج ضربته تفرقوا شيعا وأحزابا خوفا منه ،فاللفظ في ذاته يوحي بهذا المعنى ولا يمكن أن يعبر عنه غيره بهذا الوضوح والدقة ،فانه بموسيقاه الصاخبة دل على هيبة الحجاج وضعف أعدائه أمام جبروته .

ولاشك أن الايقاع الموسيقى فيما تقدم من نصوص ناتج عن المطابقة الموحية والجناس السهل ،والتكرار المحمود ،وصيغ المبالغة التي جاءت بكثرة وفي بعض التقديم والتأخير ومطابقة اللفظ لمقتضى وغير هذا من مظاهر الأسلوب قد تعمقت أصداء ذلك أنفسنا لأنه ينبيء عن عاطفة متدفقة بالمعاني تدل دلالة قاطعة على امتلاء نفس الشاعر بالفكرة وتشبعه بالمعنى ممايثير الخيال ويضفي على شعره قوة وجزالة وبخاصة أن هذا التلاقي الصوتي بين

---

(١) ديوان الفرزدق : ٤١٧/١ .

الألفاظ يؤكد انسجام اللفظ والمعنى ويعطى لشعر الفرزدق رنـــــة موسيقية غير تلك التى تكمن فى الأوزان والقوافى .

وهذه الموسيقى الداخلية التى كان حظ الفرزدق منها عظيما فيما رأينا من ألوان البديع واصطناعه طرائق جميلة فى التعبيـــــر وفى العلاقة بين الدال والمدلول قد أضفت على ألفاظه قـــــوة وجمالا وعلى معانيه عذوبة وعمقـــــا .

****

الفصل الثالث

دراسة الفن التعبيري
عند
جرير

" " الفصل الثالث " "

÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷

* * دراسة الفن التعبيرى عند جرير * *

لقد اعتمد جرير فى مديحه وفخره على أساليب من الفن والبيان (١) لايضاح صوره وعرضها عرضا شيقا ،وكان يميل الى الطبع وعدم التكلف كما عرف عنه سرعة البديهة ،والرقة والحلاوة والسهولة فى أشعاره كلها ،سواء نقائضه مع الأخطل والفرزدق أو فى أشعاره الأخرى التى انثالت منه فى أسلوب ميسور واضح المعانى متدفق الصور كالنهر السلسل الرقراق ،ولا يعنينا هنا من هذا النتاج الغزير الا ماتحن بصدد دراسته ،وهو غرضا المديح والفخر ومافيهما من سمات فنية تدل حقا على شاعرية قوية تنبع من نفسية ليست بالصلدة ولا بالمغرقة فى متاهات الغرابة المتمردة على بعض قواعد اللغة العربية . فلقد ابتعد جرير فى مديحه وفخره عن الألفاظ الحوشية ،والمعانى المعقدة والعبارات المتماظلة . ومن هنا

---

(١) لم أتعرض فى دراسة فن جرير التعبيرى لمقدماته لأن تلك المقدمات لم تكن هى التى تميز أسلوب جرير ،ولأن الحديث سيأتى عنها فى موضع آخر من هذا البحث بخلاف الأخطل فقد كانت مقدماته من أهم الأمور المميزة لفنه التعبيرى ولذلك تحدثت عنها . أما الفرزدق فلم تكن مقدماته تستحق الوقوف عندها فكثيرا ماهجم على غرضه دون مقدمة .

كان اعجاب أهل البادية والشعراء بشعره [١] ، لأنه يخلو من التكلف سهل المعانى والأفكار فهو شاعر الطبع . ومن هنا قالوا : ان جريرا يغرف من بحر [٢] .

ولقد عاش حياة الدعة ،وألفت نفسه حب البادية وبساطتها فصيغت هذه النفس ببساطة أهلها وصنعت على عينها . أما ما يلفها من حسب هين فكان يتوارى خلف تلك الثقة التى التحمت مع شاعريته فزادته صفاء وبعدا عن كل ماحوشى سواء من حيث اللفظ أو الخلق أو الأسلوب .

ولعلنا لا نغالى اذا زعمنا أنه كان يرتفع أحيانا الى مستوى خصميه فى المديح والفخر[٣] من حيث المعانى والأفكار ،أما التعبير عنهما فيقتضى جزالة لم تسنح الا للفرزدق والأخطل اذ كانت تسرى فى طبعهما وتتدفق فيه وهذا ماجعلهما يسموان عنه فى التعبير عن هذين الغرضين فى كثير من الأحيان .

ولقد نجد جريرا فى مدائحه ومفاخره ينحو نحو البساطة ويتصيد الألفاظ السهلة فلا يعتمد أسلوبه فى هذه المدائح والمفاخر على جلجلة الألفاظ وقوتها ولايمعن فى المبالغات التى تعد روح الشعر . [٤]

---

(١) انظر طبقات فحول الشعراء : ١/٣٧٥ .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ١/٤٥١ .

(٣) المصدرالسابق : ١/٣٧٩ .

(٤) انظر جرير حياته وشعره د. نعمان طه : ٣٨٠ .

وغاية ماهنالك أننا نجده يعتمد أساليب من البيان لايضاح صوره وعرضها وان لم يقصد الى هذه الأساليب قصدا فلقد استمد من البيئة عناصر تشبيهاته ولم يخرج فى هذه التشبيهات عن تقليد الشعراء الأقدمين ،فمن هذه التشبيهات مثلا قوله فى مدح عمر ابن عبد العزيز - رضى الله عنه - مصورا له حال البائسين من النساء والرجال : (١)

كَمْ بالمواسم من شَعْثَاءَ أرملةٍ وَمِنْ يَتيمٍ ضَعِيفِ الصَّوتِ والنَّظَرِ
يدعوك دعوة ملهوف كأنَّ بــه خَبْلاً من الجنِّ أو خبلا من النَّشَرِ(٢)
مِمَّنْ يَعُدّكَ تكفى فَقْدَ والده كالفَرْخِ فى العُشِّ لم يَدْرُجْ ولم يطرِ

وبهذا الأسلوب أثر جرير فى نفس عمر بن عبد العزيز لأنه رسم له صورة واضحة للضعفاء والمساكين من النساء والرجال والأطفال ولعلل سماحه لجرير بالدخول عليه ومنعه جميع الشعراء (٣) كان نتيجة لصدق عواطف هذا الشاعر وبخاصة عندما يصور حال البائسين من الناس لأنه هو ذاته واحد منهم فهو يعانى نفس المعاناة التى يحسها الفقراء والمعوزون فى المجتمع . ومن هنا كان تأثر عمر -

---

(١) ديوان جرير : ١/ ٤١٥ .
(٢) النشر : الكلأ اليابس اذا أصابه مطر ينشر أى يحيا فيخرج منه شيء كهيئة الحلمة وذلك داء للغنم . وقال الجوهرى : النشر الكلأ اذا يبس ثم أصابه مطر فى دبر الصيف فاخضر وهو ردئ للراعية يهرب منه الناس بأموالهم / الصحاح (نشر) .
(٣) انظر البداية والنهاية : ٩/ ٢٦٣ .

رضى الله عنه ـ بهذا الأسلوب بالاضافة الى الأسباب الأخرى . (١)

وقد أكثر جرير من هذه التشبيهات فقد شبه الخليفة هشام ابن عبد الملك بالبدر بينما شبه من سواه بسائر الكواكب الأخرى فقال في مدحه له (٢) :

إلى المَهْدِيّ نفزع إِنْ فَزِعنا ونستسقى بِغُرته الغَمَاما
وماجعل الكواكبَ أو سُهَيْلاً كضوءِ البَدْرِ يجتابُ الظَّلاما

وقد شبه خيل قيس بهيئة الطير التى تبادر مسرعة الى أوكارها فيقول فى معرض فخره على الأخطل : (٣)

وَإِذَا الدُّعاءُ علَا بقيسٍ أَلْجَمُوا شُعْثًا عَوابِسَ كالقَنِيِّ ذُكُورَا
عَايَنْتَ مُشْعِلَةَ (٤) الرَّعِيلِ كأَنَّهَا طيرٌ تُبَادِرُ فى شَمَامَ وُكُورَا

كما يشبه بنى رفاعة بالصقور فيقول مادحا لهم (٥) :

وَإِنَّ بَنِى رفاعة مِنَّ تَمِيمٍ هم اللَّجَأُ المؤمَّلُ والنَّصيرُ
هم الأَخْيَار مَنْسَكة وهَدْيًا وفى الهَيْجا كَأَنَّهُمُ الصُّقُورُ

ويفتخر بقومه فيشبههم بالليوث قائلا (٦) :

---

(١) المصدر السابق : ٩ / ٢٦٣ ·
(٢) ديوان جرير : ١ / ٢٢٥ ·
(٣) نقائض جرير والأخطل : ١٢٤ ·
(٤) مشعلة الرعيل : أى الخيل المتفرقات .
(٥) ديوان جرير : ١ / ٤٦٢ ·· (٦) ديوان جرير : ٢ / ٧٥٦ ·

وَالغُرّ من سَلَفَيْ سعد وإِخوتهم عمر كُهُولٌ وَشُبّان بَهَالِيلُ
اذا دَعا الصّارخُ المَلْهُوفُ هِجْتُ بِهِ مثل الليوثِ جَلَا عن غُلْبِهَا الغِيلُ

ويقول في مدح الوليد (١) :

وَبَنُو الوليد مِنَ الوليدِ بِمَنْزِلٍ كالبدرِ حُفَّ بواضحات الأَنْجُمِ

فقد شبه كما نرى الوليد بالبدر وأبناءه بالنجوم وهكذا يكثر التشبيه المستمد عناصره من البيئة في شعر جرير ، ولكن هذه التشبيهات تتفاوت فيما بينها من حيث القوة والضعف تبعا للممدوح فتشبيهات جرير في مدح الولاة أقوى منها في مديح الخلفاء اذ أننا لانجد لصور تشبيهاته في مدح الحجاج وغيره من الولاة مايماثلها في مديح الخلفاء . فأين قوة التشبيه حينما يقول في مدح عبد الملك : (٢)

أَنْتَ الأَمينُ أَمين اللّهِ لا سَرِفٌ فيما وَلِيْتَ وَلَا هَيَّابَةٌ وَرَعُ
مِثْلُ المهند لم تُبْهَرْ ضَرِيبَتُهُ لَمْ يَغْشَ غَرْبَيْهِ تَفْلِيلٌ ولا طَبَعُ

منها حينما يقول في مدح المهاجربن عبد الله الكلابى : (٣)

يُقَصِّرُ دُونَ باعك كُلُّ بَاعٍ وَيَحْصَرُ دون خُطْبَتك الخطيبُ
وندعو أَنْ تُصَاحَبَ كُلُّ فجر وَنَفْرَح بالإِياب اذا تَؤُوبُ (٤)
كَأَنّ البدرَ تحملهُ المهارَى غواربهن والصَّفحاتُ شيبُ

---

(١) ديوان جرير : ٧١/١ .
(٢) ديوان جرير : ٢٩٥/١ ، والسرف : المخطىء ، والهيابة : الجبان
(٣) ديوان جرير : ٤١١/١ .
(٤) في بعض الروايات : " كل مجر " والمجر المراد به الجيش.

فعبد الملك أمين الله مثل السيف الذى تصيب ضرباته ولاتنبو ولكن المهاجر بن عبد الله فى نظر جرير أكرم الناس وأفصحهم فهو لايعيا وهو مصاحب للجيش فى كل معاركه يؤوب بالنصر دائما وهو كالبدر حسنا وبهاء .

ونلاحظ على جرير أنه يعمد الى أسلوب التفضيل كثيرا فيأتى بصيغ سهلة ميسورة يستطيع كل انسان أن يأتى بها فضلا عن الشعراء وذلك كاستعماله اسم التفضيل كثيرا كقوله يفتخر : (١)

أَلسْنَا نَحْنُ قَدْ عَلِمَتْ مَعَــدٌّ ... غَدَاةَ الرَّوْعِ أَجْدرُ أَنْ نَغَــارَا
وأَضْرَبَ بالسيوف اذا تلاقَــتْ ... هوادى الخيل صَادِيةً جِــرَارا
وأَطْعَنَ حين تَخْتَلِفُ العوالــى ... بمَأْزُولٍ إذَا مالنَّقْعُ ثَــارَا
وأَحْمَدَ فى القِرَى وأعزَّ نَصْــرًا ... وأَمْنَعَ جَانِبًا وأَعَــزَّ جَــارَا

وكقولـــه يفتخر : (٢)

فَلَنَحْنُ أَكْرَمُ فى المنازلِ مَنْــزِلاً ... منكم وأَطْولُ فى السَّماءِ جِبالا

ونلاحظ على جرير أنه يستخدم صيغ التفضيل فى معرض فخره غالبا كما رأينا فى الأبيات السابقة وكقوله أيضا يفتخر : (٣)

وَمَا وَجَدَ الملوكُ أَعَــزَّ مِنَّــا ... وَأَسْرَعَ مِنْ فَوَارِسِنَا استِلابَا

والواقع أن هذا الفخر يخلو أحيانا من القيمة الفنية لأن المفاضلة بالعمل وبيض الفعال وليست بالكلام المصطنع فسهل على أى انسان

---

(١) ديوان جرير : ٢ / ٨٨٨ .
(٢) ديوان جرير : ١ / ٦٢ .
(٣) ديوان جرير : ٢ / ٨١٥ .

أن يقول : أنا أكرم الناس وأعزهم ولكنه من الصعب عليه أن يخترع لنفسه أفعالا وبطولات لم تكن من سجاياه ولا من سجايا قبيلته وهذا في حقيقة الأمر مايفتقده جرير وعشيرته ،فيلجأ كما نرى الى المبالغات والمفاضلة التي لايسندها دليل من واقع الشاعر .

ومن هنا جاء فخره باهتا يعتمد على قعقعة الألفاظ أكثر مما يعتمد على المضمون التاريخي الحقيقي . ولذلك فلا يستغرب عليه أن يأتي بكثير من المؤكدات في مديحه وفخره كقوله يفتخر : (١)

مَصَاليتُ يوم الروعِ تَلْقَى عِصِيَّنَا ... سُرَيْجِيَّةٌ يَخْلِينَ ساقاً وَمعصمَا (٢)

وإِنَّا لَقَوَّالُونَ للخيلِ أقْدِمِي ... اذَا لم يَجِد وُغْلُ(٣) الفوارسِ مُقْدَمَا

فقد أكد هذا الفخر باسمية الجملة وصيغة المبالغة (قوالون) واذا مامدح خليفة فانه في ضياع العاطفة الصادقة يعمد أحيانا الى المفعول المطلق فيؤكد به مديحه كقوله يمدح الوليد بن عبد الملك : (٤)

ولقد سموتَ إِلى النَّصَارى سَمْوَةً ... رَجَفَتْ لِوَقْعَتِها جِبَالُ الدَّيلَمِ

واذا كان المجاز كما يقول الجاحظ(٥) مفخر العرب في لغتهم وبه

---

(١) ديوان جرير : ٢/٩٨٢

(٢) مصاليت : أي ماضون . والريجية : نسبها الى بني سريج، وكانوا قيونا ويخلين : يقطعن .

(٣) الوغل : الضعيف . (٤) ديوان جرير : ٧١/١ .

(٥) انظر الحيوان ـ للجاحظ : ٥/٤٢٥-٤٢٦ (مطبعة الحلبي ـ الطبعة الثانية) .

وبأسبابه اتسعت ،فان جريرا قد اعتمده فى مديحه وفخره وان لم يكن مكثرا من هذا الفن ولعل منه قوله فى معرض حديثه عن نفسه : (١)

وَلَقَدْ عجبتُ الديارِ وأَهْلِهَا والدَّهْرِ كيف يُبَدِّلُ الأَبْدالَا
وَرَأَيْتُ رَاحِلَةَ الصِّبَا قَدْ أَقْفَرَتْ بَعْدَ الوَجِيفِ وَمَلَّتِ التَّرْحَالَا

ويقول فى معرض فخره على الأخطل : (٢)

نَحْنُ اجتَبَيْنَا حِيَاضَ المَجْدِ مُتْرَعَةً مِنْ حَوْمَةٍ لم يُخَالِطْ صَفْوَهَا كَدَرُ

وحياض(٣) المجد هنا انما يريد بها الأفعال والمواطن التى يبنى بها المجد وكأن جريرا قد جرد الأخطل وقومه من هذه الصفات

وقد أتى على الاستعارات ولكنه لم يغرق فيها فجاءت قريبة حسنة لايتعب القارئ فى اجرائها وقد ساعدته هذه الاستعارات فى تحديد ملامحه الأسلوبية وقيمه التعبيرية التى ميزته عن غيره كما كانت عونا له فى توضيح صوره واخراجها فى أسلوب سهل مقبول مع أنه لم يعتمد الاكثار منها ومن هذه الاستعارات قوله فى مدح الخليفة عبد الملك بن مروان : (٤)

---

(١) ديوان جرير : ١/٤٨ . (٢) ديوان جرير : ١/١٥٣ .
(٣) وفى نقائض جرير والأخطل : ١٦٩ ورد البيت بالرواية التالية :
نحن احتضرنا حياض المجد قبلكم والمجد دون لثام الناس محتضر
(٤) ديوان جرير : ١/٩٤ ، ونقائض جرير والأخطل : ١٨٣ .
(٥) ديوان جرير : ٢/٧٥ ، ونقائض جرير والأخطل : ١٩٤ .

اللّهُ طَوّقَكَ الخلافَةَ والهُـــدَى   واللّهُ ليْسَ لِمَا قَضَى تَبْدِيْـــلُ

وقوله في معرض فخره بنفسه وانتسابه الى خندف : (١)

تَوَاضَعَتِ القُرُومُ(٢) لِخِنْدِفِـــيٍّ   إِذَا شِئْنَا تَخَمَّطَ ثُمَّ صَـــالا

وكقوله في مدح الخليفة يزيد بن عبد الملك : (٣)

بَدْرٌ عَلاَ فَأَنَارَ لَيْسَ بِآفِـــلِ   نُورُ البَرِيَّةِ مالَه استِتَـــارُ

وكقوله أيضا في نفس الممدوح : (٤)

كَمْ مِن عَدُوٍّ فَجَذَّ اللّهُ دَابِرَهُـــمْ   كَادُوا بمكرهم فارْتَدَّ فِي بُورِ (٥)

وفي هذا البيت استعارة في قوله "جذ" كما أن في الشطرالثاني كناية عن فشلهم أي فشل أعداء يزيد وذلك في قوله : (فارتـــد في بور) وتعد الاستعارة والتشبيه من أكثر الكيفيات الفنيـــة استعمالا عند جرير ومن هذه الاستعارات أيضا قوله في مديـــح يزيد : (٦)

وَعُرُوقُ نَبْعَتِكم(٧) لَهَا طِيبُ الثَّرَى   والفرعُ لاَ جَعْـدٌ وَلاَ خَـــوَّارُ(٨)

---

(١) ديوان جرير : ٢/٧٥٠ ، نقائض جرير والأخطل : ١٩٤ .
(٢) القروم : جمع قرم وهو الفحل من الابل الذى لم يمسه حبل ولا حمل علیـــه .
(٣) ديوان جرير : ٢/٦٤٦ .
(٤) ديوان جرير : ١/١٤٩ .
(٥) دابرهم : أى أفناهم عن آخرهم . وجذ : أى قطع أى أنهم تآمروا على الخليفة فباءت مؤامرتهم بالفشل .
(٦) ديوان جرير : ٢/٦٤٦ . (٧) النبعة : المراد بها هنا الأصل والجعد : القصير . (٨) الخوار : الضعيف .

ومن الفنون البلاغية التي اعتمدها جرير في مديحه وفخره الكناية كقوله في مدح آل منظور : (١)

إِنَّ النَّدَى فِي بَنِي ذُبْيَانَ قَدْ عَلِمُوا والمَجْدَ فِي آلِ مَنْظُورِ بن سَيَّارِ
الماطِرِينَ بِأَيْدِيهِم نَدًى دِيَمًا بِكُلِّ غَيْثٍ من الوَسْمِيِّ مِبْكَارِ

وكقوله يفتخر أيضا بمضريته : (٢)

إِنِّي امرؤٌ مُضَرِيٌّ في أَرُومَتِهَا مَشْهُورَةٌ غُرَّتِي فِيهِمْ وَتَحْجِيلِي
الأَثْقَلُونَ حَصَاةً فِي نَدِيِّهِمِ والأَرْزَنُونَ إِذَا خَفَّ المَجَاهِيلُ

ففي البيت الأول استعارة في قوله (أرومتها) وأما الكناية فهي في البيت الثاني كناية عن علامات المجد الفارقة وكثرة عددهم ورجاحة عقولهم ورزانتها ، ومن هذه الكنايات قوله يمتدح المهاجر بن عبد الله الكلابي : (٣)

إِنَّ المُهَاجِرَ حِينَ يَبْسُطُ كَفَّهُ سَبْطُ البَنَانِ طَوِيلُ عَظْمِ السَّاعِدِ .

كناية عن الكرم وقد كان للطباق دور في مديح جرير وفخره ، ومن هذا الجنس البلاغي قوله يمدح عمر بن عبد العزيز : (٤)

لِتَنْعَشَ اليوم رِيشِي ثُمَّ تُنْهِضُنِي وتنزل اليُسْرَ مني مَوضعَ العُسْرِ

---

(١) ديوان جرير : ٢/٧١٥ .
(٢) ديوان جرير : ٢/٧٥٧ .
(٣) ديوان جرير : ٢/٦٣٧ .
(٤) ديوان جرير : ١/٤١٧ .

ولا أريد أن أتتبع كل ماورد فى مديح جرير وفخره من هــذه الفنون البلاغية سواء منها التشبيه والاستعارة أو الكناية والمجـــاز والطباق أو غيرهذا مما لم نأت عليه هنا ، وانما قصدت التمثيل ليس الا . ولقد جاءت هذه الأدوات التعبيرية سهلة واضحة ميسورة ،فلم يكن يتكلفها ،وانما تأتى عنده بين آونة وأخرى دون أن يقصدهـــا قصـدا فجاءت عذبة رقيقة أضفت على شعره حلاوة وعذوبة ولم يخـــرج عن مظاهر البيئة العربية ،فاستمد منها صوره وعناصر تشبيهاتـــــه ومعانيه كلها مما اتصل به من مظاهر بيئته فسرت أشعاره فى نفوس الناس سريان الماء فى الأحياء ،ولئن قصر مديحه وفخره عن أغراضه الأخرى فان هذين الغرضين لم يعدما الكثير من مظاهر التفنـــن التعبيرى عنده ،فلم يبعد بخياله بعيدا ،بل سبح فى رحاب الكون الرحب فقدم هذه السمات الفنية بأسهل مايمكن من معنى وبأرق مـا تجيش به من مشاعر ،وليس غرضنا فى دراسة فن جرير التعبيرى تصيد هذه الألوان البديعية والبيانية وماتضمنه فنه مما احتواه علم المعانى بقدر مانبحث عن الملامح التى ترقى بشعر هذا الشاعر الى درجـــة الفحولة والقوة مع احتفاظه بطابع السهولة واللين والرقـــة والعذوبـة فلقد كان جرير سريع الوصول الى المعانى ،يريدها فتسرع اليه فلـم تمر عليه لحظـــة تعثرت فيها المعانى واستعصت عليه ،ولم يكن خلـع ضرس عنده أهون عليه من قول بيت شعر كما هو الحال بالنسبـــة للفرزدق . لأن جريرا يجد المعانى سهلة منقادة اليه ،ولأنـــــه ابتعد عما تعســـر أو تقعر من الألفاظ [1]

---

(١) انظر رحلة الشعر د . مصطفى الشكعة : ٤٢-٤٨ (عالم الكتب بيروت)

ومن هنا سهل على الناس حفظ أشعاره وروايتها لأنه كان لسان المجتمع الناطق الذى يعبر عن السواد الأعظم من جمهورهم فينزل بأسلوبه اليهم مراعيا افهامهم وقدراتهم ،ولا يعنينا هنا من نتاجه الا المديح والفخر ،فقد كان لهما نصيب وافر من السهولة والوضوح والقوة والضعف حسب مايقتضى الحال من الشاعر ،وقد انعكست عاطفة جرير على مديحه وفخره فكانت صورة لخبايا نفسه تجاه من يمدح وتجاه من يفتخر بهم حتى ولو كان الذى يفخر به نفسه وشاعريته .

واذ قد عرفنا هذا فلا غرابة فى تميز أسلوب جرير بالسهولة والرقة وحلاوة الشعر وسيرورته حتى غدا هذا من أبرز سمات فنه التعبيرى . ولقد كانت صوره الفنية بسيطة فلم يعتمد فى مقاطعه الفنية على التصوير الحركى كما فعل الأخطل ،وانما كان يتصيد الصور اليسيرة التى يعطى من خلالها للممدوح وجها مشرقا لقضية من القضايا الاجتماعية . كتصويره نساء مجتمعه وضعفائهم لعمر بن عبد العزيز أو كتصوير نفسه للخليفة عبد الملك بن مروان حيث بدا فى صورة متناهية من الضعف والاستكانة :

سَأَشْكُرُ إِنْ رَددتَ إِلىَّ رِيشى ... وَأَنْبَتَ القَوادِمَ فى جَنَاحِى

ولم يقارن ممدوحه بالفرات أو النيل ،وانما اكتفى بتشبيهه بالبحر فى بيت واحد :

سَأَمْتَاحُ البُحُورَ فجنبينى ... أَذَاةَ اللَّومِ وانتظرى امتِيَاحِى

ولعل ماثبت عنه من أنه كان يقصر المديح فلا يطيله قد حد من

اغراقه في كثير من الصور الفنية التي تعطى للمعنى قوة وجـــلالا ، ومن هنا قصر حقا عن الفرزدق والأخطل من هذه الناحية ،وغايـــة مايمكننا قوله عن فن جرير التعبيرى : أنه سهـل المأتى غير ممعـن في اصطياد الشوارد ومايترتب عليه من مظاهر الجمال الفنى فـــى المضمون ،ومن هنا كانت التقدمة لصاحبيه فى هذين الغرضين .

××××××××××××××××××××××

أما فيما يتعلق بالموسيقى الخارجية والداخلية عند جرير فقد وجدت أثناء تتبعى لأوزانه أنه قد ولع بالطويل والوافر ،والكامل والبسيط ،يلى هذه الأوزان الرجز والمتقارب . (١) وان لم ينظم على هذين الوزنين الأخيرين الا ثمانى مقطوعات قصار ،أما بقية الأوزان المتعارف عليها فى الشعر العربى المتمثلة فى بحور الخليل فلم نجد فى ديوانه المحقق أى أثر يذكر فى النظم عليها .

ولقد أشار بعض الباحثين المحدثين (٢) الى أن جريرا كان أكثر ولوعا فى نظمه على الوافر .

والواقع أنه قد نجح فى النظم على هذا الوزن نجاحا بهر النقاد اذ جاءت قصائده التى قالها على هذا البحر قوية مؤثرة . الا أنه من خلال استقراء قصائده وجدت أنه نظم على الطويل كثيرا وهو مما يلى الوافر كثرة ثم يعقبه الكامل والبسيط . وقد استوفى جرير غرضه الذى يريد سواء أكان مديحا أم فخرا على أى وزن شاء من هذه الأوزان التى لم يخرج فى أشعاره كلها عنها ،ولقد تناغمت أوزانه مع عاطفته الصادقة فجاء شعره صورة حية لنفسيته ومايختلج فيها من عواطف وأحاسيس حتى غدا الشعر بالنسبة له كالسيل الجارف الذى لا يقف فى طريقه عائق اذ قد بلغ هذا الفن فى عصر جرير قمة

---

(١) الرجز ويتألف من تكرار (مستفعلن) ست مرات . وأما المتقارب : فهو أحد البحور الثمانية التفاعيل . وتفاعيله من نوع واحد (فعولن) .

(٢) انظر جرير حياته وشعره د . نعمان طه : ٣٨٦ .

النضج بعد أن التهبت العصبية القبلية ، واتخذت النقائض أسلوبا متميزا في الشعر ، فكان جرير واحدا من فرسان هذه النقائض التي اقتضت منه أن ينظم شعره على هذه الأوزان القوية كما فعل الفرزدق والأخطل ليتسنى له نقض أشعارهما . هذا مايختص بالوزن عند جرير.

أما القافية التي ولع بها : فهي قافية (الراء ، الميم اللام ، الدال ، الباء) ولعل الراء كانت أكثر القوافي استهواء لحاسته الفنية فكانت الأكثر استعمالا تليها الحروف الأخرى فكانت أكثر الحروف رويا عند جرير يليها المجموعة الثانية وهي : (النون ، العين ، القاف ، الحاء) ثم تعقبها مجموعة ثالثة قل نظمه عليها وهي : (الهمزة ، الكاف ، الجيم ، الضاد ، التاء الخاء ، الألف اللينة ، الصاد ، الطاء ، الهاء ، الفاء ، السين ، الثاء)

ولم يزد نظم جرير فيها على ست مقطوعات ، ثم هناك حروف لم ترد رويا من خلال استقرائنا لديوانه المحقق وهذه المجموعة هي (الذال ، الزاي ، الشين ، الظاء ، الغين) (1) .

وجرير في قوافيه يميل الى حركة الكسر كثيرا يلي ذلك الضم فالفتح ، ثم السكون نادرا . هذا من ناحية الوزن والقافية ، وهذا مايعرف بالموسيقى الخارجية .

أما موسيقى جرير الداخلية فقد كثرت في شعره غير مستثنين مديحه وفخره ، اذ تميزا بموسيقية الألفاظ المتجاوبة مع بعضها والتي يحسها القارئ وهي ترن في أذنيه بجرسها الأخاذ وقد أعجب

---

(1) اعتمدت في هذا الاحصاء على فهرس القصائد المرتبة وفق رويها في فهرس القوافي في ديوانه المحقق : ٢ / ١١١ - ١٣٤ .

عبد الملك بن مروان بمدحته الحائية (بطون راح) عندما طرق أذنه مافيها من موسيقى رائعة حتى اذا ماوصل الى ذلك الاستفهام التقريرى الذى هز وجدان عبد الملك :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايا ... وَأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

زالت موجدته وانحسر غضبه وبدأ يهش لـه .

وما من شك فى أن الاستفهام من أقوى الأساليب فى اللغة العربية ،وبخاصة عندما يخرج عن معناه الى معان بلاغية ثانوية كما هو الحال فى هذا البيت . ولقد كانت موهبة جرير الشعرية خير هاد له فى اختيار الألفاظ المناسبة وحسن تنسيقها ووضعها بازاء معانيها مما أتاح له فرصة التأثير فى نفوس سامعيه .

وكما نلاحظ فى البيت السابق فان الاستفهام التقريرى قد زاد من حلاوة اللفظ وقوة تأثيره وتمكنه بمعناه فى الذهن فكان لهذا الأسلوب تأثير عظيم فى نفس الممدوح وقد يقف الانسان متأملا متعجبا لحلاوة ألفاظ جرير وجمال جرسها وعمق معانيها فى مثل قوله يفتخر : (١)

إِمَّا تَرَيْنِي وَهَذا الدَّهْرُ ذُو غِيَرٍ ... فى مَنْكِبَيَّ وفى الأَصْلابِ تحنيبُ

فقد أَمُدُّ نِجَادَ السَّيفِ مُعْتَدِلاً ... مثل الرُّدَيْنِيِّ هزته الأنابيبُ

وَقَدْ أَكُونُ على الحَاجَاتِ ذا لَبَثٍ ... وَأَحْوَذِيّاً إِذَا انْضَمَّ الذَّعالِيبُ

فهو يصور حاله بعد أن أصابته أحداث الدهر بويلاتها فأصبح

---

(١) ديوان جرير : ٣٤٨/١ .

محدودب الظهر الا أنه يفتخر بأنه والحالة هذه كان يشهر سيفه معتدل القامة كالرمح اذا اهتز . وهو وان كان يقوى على التصبر عندما تتعذر عليه بعض الرغائب والحاجات الا أنه لا صبر له على التخلي عن النجدة فهو يسرع فيها ويشمر لها وسواء صدقت هذه المعاني على جرير أم لم تصدق فانها حقا تتميز بصدق العاطفة وجمال النغم مما أضفى على هذا الفخر جرسا موسيقيا عذبا أسهم في ايجاد تناغم صوتي مؤثر يتهادى المعنى بين ألفاظه فيطرب النفس وتريح الوجدان ،وكأن جريرا رسام موسيقى معا يجيد رسم الصورة البسيطة المعبرة التي لا تكلف فيها وقد سرت فيها موسيقاه التي تنعش بنغماتها الآذان بل الأبدان ،فهو يكيف تعابيره حسب ذوقه الخاص واحساسه المرهف .

وحينما نتتبع مظاهر هذه الموسيقى في مديحه وفخره نجدها تنبع من أشياء عدة في تركيبة الجملة ،وأول مانلاحظ موسيقية الألفاظ بوجه عام فهذه الموسيقى لا تظهر في حرف بعينه من أول وهلة بقدر ظهورها في الألفاظ بعامة وتجاوب تلك الألفاظ مع بعضها فتحدث انسجاما صوتيا مؤثرا نشتم فيه عذوبة المعنى ودقته بعيدا عن التكلف والتعقيد ،وتتجلى هذه الرشاقة في اللفظ والمعنى واضحة في مثل قوله يمتدح الخليفة هشام بن عبد الملك ،ويسترفده مبينا أنه قد أنقذه وزوجته وأبناءه من ويلات الجوع والاملاق : (١)

---

(١) ديوان جرير : ١/٣٤٣ - ٣٤٤ .

لولا ابنُ عائشةَ المبارَكُ سَيْبُـهُ ... أبْكَى بَنِيَّ وَأمَّهُمْ طُولُ الطـوَى
إِنَّ الرُّصَافَةَ مَنْزِلٌ لِخَلِيفَـةٍ ... جمع المكارِمَ والعزائِمَ والتُّقَـى
مَاإِنْ تَرَكْتَ من البلادِ مَضِلَّـةً ... إِلاَّ رَفَعْتَ بِهَا مَنَاراً للهُـدَى
أُعْطِيتَ عَافِيَةً وَنَصْراً عَاجِـلاً ... آمينَ ثُمَّ وُقِيتَ أَسْبَابَ الـرَّدَى
الحمدُ للّهِ الذِى أَعْطَاكُـمُ ... حُسْنَ الصَّنَائِعَ والدَّسَائِعَ[1] والعُلَى

ففى هذه الأبيات ألفاظ سهلة أجاد الشاعر بناءها بعضها مع بعض فى جمل غاية فى السهولة فغدت متجاوبة بعضها مع بعض أبلغ تجاوب وأصبح لها من الوقع الصوتى والتأثير المعنوى مالا ينكره ذوق . وان كانت كلها ألفاظا سهلة ليس فيها تقعر ولاتعقيد ولا غموض ،وليست غريبة أو حوشية ،ولكن عذوبتها تكمن فى قوة جرسها وحلاوته وانسيابها دونما تعب أو كبير تأمل ولا شك فى أن هذا شان شعراء الطبع [2] الذين ينأون بشعرهم عن التكلف والاغراق فى الصنعة اللفظية التى قد تذهب بجمال المعنى وتفقده الكثير من الجرس الموسيقى ومثل هذه المعانى والألفاظ فى السهولة والرقة والجمال الموسيقى قوله كذلك يمتدح الخليفة عبد الملك بن مروان [3]:

اللّهُ طَوَّقَكَ الخِلاَفَةَ وَالْهُـدَى ... واللّهُ لَيْسَ لِمَا قَضَى تَبْدِيـلُ
تَعْلُو الرِّجَالَ إِذَا النَّجِيُّ أَضَجَّهُمْ ... أَمْرٌ تَضِيقُ به الصُّدُورُ جَلِيـلُ
وَلَّى المَكَارِمَ والخِلاَفَةَ أَهْلَهَـا ... فَالملكُ أَفْيَحُ[4] والعَطَاءُ جَزِيـلُ

---

(١) الدسائع : أى المكارم . (٢) انظر الأغانى : ٢١ / ٣٩٤ .
(٣) ديوان جرير : ١ / ٩٤ .
(٤) الأفيح : مفرد فيح وهو الواسع ،انظر المعجم الوسيط مادة (فاح) .

فانظر هنا الى وقع لفظة (طوقك) التى تروع السامع أو القارئ بما تحويه من صورة رائعة استمدت روعتها من ذى الجلالة والاكرام - سبحانه وتعالى - ومن جمال جرس اللفظة ومن احاطتها أى الخلافة بعنقه فلعل هذه الصورة أقوى ماتوضع فيه الخلافة منسوبة الى بشر يحمل أثقالها والى الخالق العظيم يحمل البشر مسئوليتهم .

وانظر الى حلاوة لفظ (أفيح) الذى يستمد حلاوته من اجتماع الفاء والحاء فى هذه الفظة ،والى مجيئها على صيغة " أفعل " التى هى من صيغ التهويل والتعظيم ،وأخيرا جمال الصورة التى تكمن فى جملة (الملك أفيح) ومثل هذا قوله كذلك فى معرض فخره : (١)

مَاعَضَّ نَابِىَ قَوْماً أَوْ أَقُولُ لهم ... إِيَّاكُمُ ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَإِيَّانَا

إِنِّى امْرُؤٌ لَمْ أُرِدْ فِيمَنْ أُنَاوِئُهُ ... لِلنَّاسِ ظُلْماً وَلَا لِلْحَرْبِ إِدْهَانَا

أَحْمِى حِمَاىَ بِأَعْلَى المَجْدِ مَنْزِلَتِى ... مِنْ خندفٍ والذُّرَا مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَا

ولاينازع أحد فى سهولة هذه الألفاظ وحلاوة نغمها الموسيقى الناتج من جمال المعنى وبعض التكرار وتنسيق الألفاظ مما أتاح جمال رنين لدى السامع ،وان أردت مزيد تفصيل فاقرأ الشطرالثانى من البيت الأول وتأمله طويلا .

هذه هى الألفاظ مجتمعة وماتكونه من موسيقى داخلية عذبة

---

(١) ديوان جرير : ١٦٦/١ .

وهو الجانب الأكثر وضوحا فى موسيقى جرير .

وقد نجد لهذه الموسيقى مظاهر أخرى غير اجتماع الألفاظ وذلك فى التكرار[1] الذى يكسب المعنى قوة وجمالا . وهذا التكرار اما لحرف بعينة أو لفظ بعينه أو جملة تامة فتكرار الحرف الواحد قد يأتى فى عدة أبيات متتابعة كقوله يمدح أيوب بن سليمان بن عبد الملك[2]

إِنَّ الإِمَامَ الَّذِى تُرْجَى نَوافِلُهُ ... بَعْدَ الإِمَامِ وَلِيَّ العَهْدِ أيوبُ

أَنْتَ الخَلِيفَةُ لِلرَّحْمَنِ يَعْرِفُهُ ... أَهْلُ الزَّبورِ وفى التَّوراةِ مَكْتُوبُ

كُونُوا كَيُوسفَ لَمَّا جَاءَ إِخْوَتُهُ ... واسْتَعرفوا قَالَ مافِى اليَوْمِ تَثْرِيبُ

اللّهُ فَضَّلَهُ واللَّهُ وَفَّقَهُ ... تَوْفِيقَ يُوسفَ إِذْ وَصَّاهُ يَعقُوبُ

فقد كرر (الهاء) المضمومة فى عروض كل بيت من هذه الأبيات ليعطى بذلك صوتا متميزا مع أن تكرار الحرف الواحد بعينه قد يأتى فى البيت الواحد عدة مرات كقوله يفاخر بشاعريته[3] :

وَسَيَّرْنَا قَوافِىَ آبِدَاتٍ ... غَلَبْنَ مُهَلْهِلاً وأَبَا دُوَادِ

وَجِنَّ الخَافِقَين يُسُرْنَ فِيهِم ... سِرَاعَ السَّيْرِنَازِحَةَ المعَادِ

فقد كرر حرف (السين) فى البيت الثانى ثلاث مرات وهكذا .

وبقدر مايكرر الحرف الواحد فقد يكرر كذلك اللفظ الواحد وماعهدنا

(١) والتكرار قد يكون محضا ، وقد يكون لتقوية النغم ، وقد يأتى لتقوية المعانى الصورية . أنظر : المرشد الى فهم أشعار العربوصناعتها / عبد الله الطيب : ٢/ ٤٩٥ - ٥٢٠ .

(١) ديوان جرير : ١/ ٣٤٨ - ٣٤٩ .

(٢) المصدرالسابق : ٢/ ٦٩٢ .

بما أشرنا اليه من تكرار فى قوله : (...... اياكم ثم اياكم وايانا) ببعيد ، وكذلك قوله يمدح عمر بن عبد العزيز : (١)

تَزَوَّدْ مِثْلَ زَادِ أَبيكَ فِينَا ... فَنِعْمَ الزَّادُ زَادُ أَبِيكَ زَادَا

فجاء فى أول البيت بالفعل " تزود " ثم كرر لفظ " الزاد " أربع مرات كما نرى ، وكأن هذه المادة تدور حول معنى التزود بالخير والعدل ، وقد أعطى هذا التكرار فى البيت صفة صوتية متزامنة مع مقاطع الكلمات فزاد المعنى قوة وثباتا ، ومثل هذا قوله كذلك يفتخر بقومه الشجعان الذين دافعوا العدى وأنهم شعث الشعر : (٢)

مَنَعْنَاكُمُ حَتَّى ابْتَنَيْتُمْ بُيُوتَكُمْ ... وَأَصْدَرَ رَاعِيكُمْ بِفَلْجٍ وَأَوْرَدَا

بِشُعْثٍ عَلَى شُعْثٍ مَغَاوِيرَ بالضُّحَى ... إِذَا ثَوَّبَ الدَّاعِى لِرَوْعٍ وَنَدَّدَا

فقد كرر الصفة (شعث) مرتين فى شطر واحد لتكثيف المعنى وزيادة تمكينه فى النفس ، ولقد نجد جريرا يكرر الجملة الفعلية بعينها كقوله يمدح هلال بن أحوز المازنى : (٣)

أَلاَ رُبَّ سَامِى الطَّرْفِ مِنْ آلِ مَازِنٍ ... إِذَا شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الحَرْبُ شَمَّرَا

فقد كرر الفعل الماضى (شمر) مرتين وكان لهذا التكرار أثر فى توكيد المعنى ووصف ممدوحه بالشجاعة المتناهية .

---

(١) ديوان جرير : ١/١١٨ .

(٢) المصدر السابق : ٢/٨٥٢ .

(٣) المصدر السابق : ١/٤٧٠ .

وقد نحس هذه الموسيقى من التكرار بالتشديد لبعض الحروف في البيت الواحد كقوله يفتخر :(١)

أَنَا ابنُ الثَّرَى أَدْعُو قُضَاعة نَاصِرِي ... وَآلَ نِزَارٍ مَا أَعَدَّ وَأَكْثَرَا

عَدِيدًا مَعَدِّيًّا لَهُ ثَرْوَة الحَصَى ... وَعِزًّا قُضَاعِيًّا وَعِزًّا تَنَزَّرَا

فقد كثرت الحروف المشددة في هذا البيت كما نرى حتى بلغت حركات التشديد ست حركات (معدّيا ،عزّا ، قضاعيّا ، عزّا ،تنزّرا)

وقد يكرر الاسم الواحد في بيتين كقوله يفتخر بقيس :(٢)

وَقيسٌ هُمُ الكَهْفُ الذى نَسْتَعِدُّه ... لِدفْعِ الأَعادِى أَوْ لحمل العظائِمِ

بَنُو المَجْد قيسٌ والعَوَاتِك مِنْهُمُ ... وَلَدْنَ بُحورًا للبحورِ الخَضَارِمِ

ان هذا التكرار سواء أكان للحروف بعينها أو للأسماء والأفعال أو غير هذا مما ورد في مديح وفخر جرير يوشح نتاجه بنغمات موسيقية متفاوتة من حيث الانفعال النفسي ،ويتفاوت هذا الانفعال تبعا لتفاوت هذه الموسيقى الداخلية ومدى ارتباطها بالغرض الشعرى ،فتارة تأتى هذه الموسيقى عذبة تسرى في النفس كما في بعض مدائحه وفخره ،وبخاصة في مديح الولاة وفخره بشاعريته وأحيانا تأتى خافتة لا تأثير فيها ولا جدة . وليس ثمة شك في أن موسيقى جرير الداخلية جاءت صورة معبرة عن نفسه وطباعه وقد أشار الى هذا الدكتور " نعمان طه " (٣) حيث يرى أن هذه

---

(١) ديوان جرير : ٤٧١/١ - ٤٧٢ . (٢) المصدرالسابق : ١٠٣/٢ - ١٠٤ . (٣) جرير حياته وشعره . د . نعمان طه : ٣٨٦ .

الموسيقى الداخلية الهادئة والألفاظ الرقيقة السهلة قد ناسبت نفسه الهادئة اللينة ،وكذلك خياله الذى يرسم الصورة فى ألوان غير صارخة وكذلك شكل القصيدة الذى يتركب من الوزن الخارجي والقافية .

****

الباب الخامس

النقد حول الشعراء الثلاثة

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول :

آراء النقاد القدامى في الشعراء الثلاثة ومناقشتها .

الفصل الثاني :

دراسة المحدثين حول الشعراء الثلاثة

الفصل الثالث :

موازنة بين الشعراء الثلاثة في ضوء النقد الحديث .

" " البـاب الخامس" "

÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷

* * النقد حول الشعراء الثلاثـة * *

تربع الأخطل والفرزدق وجرير على قمة الشعر العربى فى العصر الأموى ونشبت بينهم معارك هجائية كان فيها الأخطل والفرزدق خصمين لجريـــر ،واستمرت هذه الخصومة زهاء نصف قرن من الزمن . (١)

لقد ملأ هؤلاء الشعراء الثلاثة الدنيا وشغلوا الناس ،فكان من الطبيعى أن تكثر حولهم الآراء النقدية قديما ،وأن تتعدد الدراسات الأدبية حديثا ،وسنحاول عند تناولنا لهذا الباب أن نستعرض بقدر الامكان أهم هذه الآراء التى دارت حولهم قديما ثم نناقشها ،وبعـــد هذا نردف باستعراض لدراسات المحدثين (٢) ثم نوازن بين الشعـــراء الثلاثة فى ضوء النقد الحديث .

---

(١) لج الهجاء بين جرير والفرزدق ،فطلب بشر بن مروان من الأخطل وكانوا جميعا فى مجلسه أن يحكم بينهما فقال الأخطل :الفرزدق ينحت من صخر وجرير يغرف من بحر ،فلم يرض جرير بهـــــذا الحكم فكان هذا سبب الهجاء بينهما بالاضافة الى الأسبـــاب الأخرى . انظر : طبقات فحول الشعراء : ١ /٤٧٤ ،٤٥٢ .

(٢) أطلقت عليهم دارسين ولم أقل نقادا لأنهم فى الواقع قاموا بالنقد والدراسة فكانت هذه الصفة أشمل من كلمة " نقاد " .

الفصل الأول

آراء النقاد القدامى في الشعراء الثلاثة ومناقشتها

" " الفصل الأول " "

آراء النقاد فالقدامى فى الشعراء الثلاثة ومناقشتها

+*****************

* * آراء النقاد القدامى فى الأخطل * *

اختلف النقاد القدامى فى هذا الشاعر مابين متعصب له وعليه ،وتعددت الآراء حوله فوصل بعضها الى حد الغلو اذ جعلته أشعر شعراء العرب قاطبة (١) ،وكان بعض هذه الأراء أقرب الى الاعتدال ،وأبعد عن التطرف والغلو ،بينما وجدنا آراء أخرى للمتقدمين تجعله دون صاحبيه ،وأقل منهما شاعرية .

وسنرى فى هذا الفصل ماكان من هذه الآراء مفرطا فى غلوائه وماكان منصفا معتدلا ثم تلك التى كانت على الأخطل لا له . محاولين فى هذا الاستقصاء قدر الامكان .

قال يونس بن حبيب المتوفى سنة ١٨٢هـ(٢) : الأخطل أشعر الثلاثة ،وقد روى هذا عن عيسى بن عمر (ت: ١٩٤ هـ) ،وأبى اسحاق الحضرمى (ت: ١١٧هـ) ،وأبى عمرو بن العلاء (ت: ١٥٤هـ) وعنبسة الفيل (ت: ١١٧هـ) ،وميمون الأقرن (٣) .

---

(١) انظر الأخطل الكبير د . فخر الدين قباوة : ٢٧١-٢٧٢ .

(٢) أمالى اليزيدى : ٨٠ ،والأغانى : ٢٨٣/٨ .

(٣) انظر تراجم هؤلاء الرواة فى كتاب نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ محمد الطنطاوى : ٥٧- ٦٣ .

(٤) لم أعثر على تاريخ وفاته ،وانظر ترجمته فى أنباه الرواة على أنباه النحاة - للقفطى : ٣٣٧/٣ .

وسئل حماد الراوية (ت : ١٥٥هـ) عن الأخطل فأجاب :
ماتسألوني عن رجل قد حبب شعره الى النصرانية .[١]

وورد عن يونس قوله : اجمعت العلماء على الأخطل وفضلوه بأنه كان أكثرهم عدد قصائد طوال جياد ليس فيها فحش ولا سقط[٢] .

وقال عيسى بن عمر في مجلس تذاكروا فيه الشعر والشعراء وأيهم أفضل ؟ : أشعر الناس الأخطل حيث يقول :

ونجى ابن بدر ركضه من رماحنا … ولينة الأعطاف ملهبة الخصر[٣]

ثم قال : لله دره كيف يتنخل شعره[٤] .

ولكننا نلحظ أن هذا الحكم الجزئي ليس دليلا على تفوق الأخطل تفوقا كليا في جميع ماقاله من شعر .

وكان أبو عمرو بن العلاء معجبا بشعر الأخطل ولا يرى له مثيلا في الجودة والفحولة الا أن تأخره حال دون تفضيله على الشعراء القدماء ولهذا قال :[٥]

" لو أدرك الأخطل يوما واحدا من الجاهلية مافضلت عليه أحدا " .[٦]

---

(١) الأغاني : ٢٨٥/٨ ، ٢٨٧ .
(٢) هذا الرأي مردود لأني استقرأت شعر الفرزدق فوجدت له قصائد كثيرة طوال جياد قد لايجاريه فيها أحد .
(٣) لينة الأعطاف : أي الفرس .
(٤) جمهرة أشعار العرب : ١٠٢-١٠٣ ، ومعنى يتنخل شعره : أي يختار كلماته اختيار .
(٥) الأغاني : ٢٨٥/٨ .
(٦) ولاشك أن في هذا تعصبا أعمى لهذا الشاعر .

وقد شبهوه من شعراء الجاهلية بالنابغة لصحة شعره . (١)
كما ورد عن أبي عبيدة (ت : ٢٠٧ هـ) قوله :

" شعراء الاسلام : الأخطل ثم جرير ثم الفرزدق " (٢) .

وقد بلغ من اعتداد الأخطل بنفسه أنه اذا سئل عن أشعر الناس أجاب : " أنا " . وسئل فيم فضل الشعراء ؟ فقال : في المديح والهجاء والنسيب بما لا يلحق بى فيه . (٣)

وفضله بعض النقاد بأنه كان أشدهم تهذيبا للشعر (٤) ،كما تعصب بعض العلماء له فقدموه على صاحبيه .

قال الصولى :" وقدم الأخطل عليهما خلق من العلماء " (٥)

وهذا القول كما نرى غير محدد ولكن بعض الروايات ذكرت أسماء من فضلوا الأخطل ،ومنهم حماد بن الزبرقان الذى قال : (٦)

" أشعر العرب شيخا وائل الأعشى في الجاهلية ،والأخطل في الاسلام " .

---

(١) الشعر والشعراء : ١ / ٢٨٣ .
(٢) الأغانى : ٨ / ٢٨٦ .
(٣) الشعر والشعراء : ١ / ٤٦٧ ،ولاشك أن فى هذه الاجابة كثيرا من التجاوز اذ أن جريرا فاقه دون شك فى النسيب كما نعلم .
(٤) الأغانى : ٨ / ٢٨٣ .
(٥) أخبار أبى تمام : ١٧٤ .
(٦) شعر الأخطل ـ صنعة السكرى : ١ / ١٣ .

وقال ابن سلام : سمعت سلمة بن عياش يقول : (١)
" تذاكرنا جريرا والفرزدق والأخطل فقال قائل : من مثل الأخطل ان فى كل بيت له بيتين " .

وقد كان جرير الشاعر يقول : لقد أعنت عليه بكفر وكبر سن ومارأيته الا خشيت أن يبتلعنى ،وقال : ان الأخطل يجيد نعت الملوك ويصيب صفة الخمر ،ثم قال أيضا : الأخطل أشدنا اجتراء وأرمانا للفرائص . (٢)

وحينما سئل ابن سلام عن بيتى جرير والأخطل :

أَلَسْتُمْ خَيْرُ مَنْ ركبَ المَطَايَا ... وَأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ
شُمْسُ العَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ ... وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا ،

أجاب : بيت جرير أحلى وأسير ،وبيت الأخطل أجزل وأوزن وهكذا كانا فى نفسيهما عند الخاصة والعامة . (٣)

وسئل جرير عنه مرة أخرى فقال : (قاتل الله نصرانى بنى تغلب فما أنقى شعره وأبين فضله) .

وقيل لأبى العباس أمير المؤمنين : (أن رجلا شاعرا قد مدحك فتسمع منه ؟) قال : (وماذا عساه أن يقول فىّ بعد قول

---

(١) طبقات فحول الشعراء : ٤٨٨/١ .
(٢) طبقات فحول الشعراء : ٤٨٧/١ ، ٤٨٨ ،والأغانى : ٢٨٤/٨
ومعنى أرمانا للفرائص : أى للهدف فيصيب المقتل .
(٣) طبقات فحول الشعراء : ٤٩٤/١ - ٤٩٥ .

ابن النصرانية فى بنى أمية) .[(١)]

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاما اذا قدروا

ولعل اعجاب أبى العباس يرجع الى مافى بيت الأخطل من تعبير عن السيطرة فهو يريد شاعر يعبر عن سيطرة الحاكم كما عبر الأخطل فى هذا البيت عن سيطرة بنى أمية .[(٢)]

وحينما سئل عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - عن الأخطل وجرير قال[(٣)] : ان الأخطل ضيق عليه كفره القول ، وأن جريرا أوسع عليه اسلامه قوله وقد بلغ منه الأخطل حيث رأيت ففضل الأخطل . وهذا يؤيد قول جرير بأنه أعين عليه بكفره وكبر سنه .

وقد سأل عبد الملك بن مروان الفرزدق عن أشعر الناس فى الاسلام فأجابه[(٤)] : كفاك بابن النصرانية اذا مدح ، وقال الفرزدق أيضا : الأخطل أمدح العرب .

وفضله اسحاق بن مرار الشيبانى قائلا :[(٥)] الأخطل أشعر الثلاثة .

وجاء فى كتاب الأغانى قول أبى الفرج : (ومحله فى الشعر أكبر من أن يحتاج الى وصف)[(٦)] .

---

(١) الموشح : ٢٠٧ .
(٢) الأغانى : ٨ / ٣٠١ .
(٣) الأغانى : ٨ / ٣٠٦ .
(٤) الأغانى : ٨ / ٣٠٦ .
(٥) المصدر السابق : ٨ / ٢٨٧ . (٦) المصدر السابق : ٨ / ٢٨٢ .

هذه فى الواقع أهم الآراء النقدية التى دارت حول الأخطل قديما والتى كانت كما رأينا اما مفرطة فى تفضيله مطلقا ، واما مفضلة له فى بعض شعره كالمديح والوصف والتشبيب . الا أن هناك آراء نوردها كانت مخالفة لما مضى حيث جعلته دون صاحبيه بما لا يلحقهما أبدا .

قال ابن سلام (١) : سألت بشارا العقيلى الأعمى ، فقلت : يا ابا معاذ أى الثلاثة أشعر جرير أو الفرزدق أو الأخطل ؟ ، وكان بشار عالما بصيرا فقال : لم يكن الأخطل مثلهما ، ولكن ربيعة تعصبت له ، وأفرطت فيه .

وروى المرزبانى (٢) عن الأصمعى قوله : سألت بشار بن برد العقيلى .. أى الشعراء أشعر فى الاسلام ؟ قال : جرير والفرزدق قلت : فمابالهم جعلوا الأخطل ثالثا ؟ قال : تعصبت له ربيعة فقالت لمضر : الحقوا لنا شاعرا فألحقوه وليس هناك .

وقال أبو الفرج الأصفهانى (٣) : فأما قدماء أهل العلم والرواة فلم يسووا بينهما وبين الأخطل ، لأنه لم يلحق شأوهما فى الشعر ولا له مثل مالهما من فنونه ، ولا تصرف كتصرفهما فى سائره . وزعموا أن ربيعة أفرطت فيه حتى ألحقته بهما .

---

(١) طبقات فحول الشعراء : ١/ ٤٥٦ .
(٢) الموشح للمرزبانى : ٢٢٠- ٢٢١ .
(٣) الأغانى : ٢١/ ٣٩٤ ، معجم الأدباء : ١٩/ ٣٠٠ .

وقال الأصفهانى كذلك[1] : وهو وان كان له فضله وتقدمه فليس نجره من نجار هذين فى شيء .[2]

على أن هناك آراء متفرقة فى مصادر الأدب القديمة تشمل الشعراء الثلاثة معا سأعرض لها فى حينها - ان شاء الله - لان تلك الآراء لا تفرق بين الشعراء الثلاثة من حيث أيهم أفضل من صاحبه مطلقا ، بل كانت تبين مواطن المفاضلة بين بينهم فى بعض الأغراض الا أنها أيضا كانت أحكاما جزئية كما سنرى .

××××××××××××××××××××××

---

(١) الأغانى : ٨ / ٤ .
(٢) والنجر : الأصل والحسب يريد أنه ليس من معدنهما .

* * آراء النقـاد القدامى فى الفرزدق * *

الفرزدق شاعر فحل لولا شعره لضاع ثلث اللغة كما يقول :[1] يونس ابن حبيب ويكفيه قول الجاحظ : (وان أحببت أن تروى من قصار القصائد شعرا لم يسمع بمثله فالتمس ذلك فى قصار قصائـد الفرزدق فانك لم تر شاعرا قط يجمع التجويد فى القصـار والطـوال غيره) [2] .

وقال خصمه جرير الشاعر[3] : (نبعة الشعر الفرزدق)[4] وفضله على نفسه والأخطل ،وكان يونس يقدم الفرزدق بغير افـراط وكان المفضـل (ت : ١٦٨ هـ) يقدمه تقدمة شديدة .

روى ابن سلام أن الحطيئة الشاعر فضل الفرزدق على نفسـه وغيره من الشعراء عندما سمعه ينشده مدحته فى سعيد بن العـاص

---

(١) الأغانى : ٢١/٣٩٥ ،البيان والتبيين : ١/٣٢١ .

(٢) الحيوان - للجاحظ : ٣/٩٨ .

(٣) طبقات فحول الشعراء : ١/٦٥، ٢٩٩ .

(٤) النبعة : وجمعها النبع : شجر ينبت فى قمة الجبل تتخذ من أعواده القسى ،وعودها أصفر رزين ثقيل فى اليد ،واذا تقادم - احمر . وكل القسى اذا ضمت الى قوس النبع كرمتها قوس النبـع وفضلتها لأنها أجمع القسى فى الشدة .
وجرير يعنى : أن فضل شعر الفرزدق على الشعر كقوس النبع فى فضلها على سائر القسى .
أنظر اللسان (نبع) وطبقات فحول الشعراء ١/٦٥ الحاشية .

فقال الحطيئة : (هذا والله هو الشعر لا ماتعلل به منذ اليوم أيها الأمير)[١] . فقال له كعب بن جعيل وكان حاضرا : (فضله على نفسك ولا تفضله على غيرك) ،فقال الحطيئة : (بل والله أفضله على نفسي وعلى غيرى)[٢] .

وقيل للمفضل الضبى : الفرزدق أشعر أم جرير ؟ . .
قال[٣] : الفرزدق لأنه قال بيتا هجا فيه قبيلتين ومدح قبيلتين وأحسن في ذلك وهو قوله :

عَجِبتُ لعجل إذْ تُهَاجِي عَبِيدها ... كمَا آل يربوعٍ هجوا آلَ دَارِمِ

وفضله سليمان بن عبد الملك على جرير ،وعدى بن الرقاع العاملى بأبياته التى يفتخر بها والتى منها قوله :

وَلَو رفع السَّحابُ إليه قَوْمـًا ... عَلَوْنا فى السَّماءِ إلى السَّحَابِ

فقال سليمان : لا تنطقوا فوالله ماترك لكم مقالا[٤] .

---

(١) طبقات فحول الشعراء : ١/٣٢١-٣٢٢ ،الأغانى : ٢١/ ٣٢٢ - ٣٢٣ .
(٢) جاء تفضيل الحطيئة للفرزدق بعد أن سمع القصيدة التى يقول فيها :

تَرَى الغُرَّ الجَحَاجِحَ من قُرَيْشٍ ... إذا ما الأَمْرُ فى الحَدَثَانِ عَالَا
بَنِي عَمِّ الرَّسولِ وَرَهْطُ عمرو ... وَعُثْمَانَ الأُلَى غَلَبُوا فِعَالا
قِيَامًا يَنْظُرُونَ إلَى سَعِيدٍ ... كَأَنَّهُمُ يَرَوْنَ بِهِ هِلَالا

(٣) الأغانى : ٢١/ ٢٨٤ .
(٤) المصدر السابق : ٢١/ ٣٢٧ .

وقد امتعض جرير من صمود الفرزدق له وعبر عن هذا الامتعاض بقوله [١] : مادهاني الا أنني هاجيت كذا وكذا شاعرا وأنه تفرد لي وحده .

وكان المبرد (ت : ٢٨٥ هـ) يفضله على جرير ، ويقول : [٢] الفرزدق يأتي بالبيت وأخيه وجرير يأتي بالبيت وابن عمه [٣]

وذكر ابن سلام أن الفرزدق كان أكثرهم بيتا مقلدا وأنه كان يداخل الكلام [٤] وكان ذلك يعجب أصحاب النحو .

وقال أبو الفرج : [٥]

(والفرزدق مقدم على الشعراء الاسلاميين هو وجرير والأخطل ومحله في الشعر أكبر من أن ينبه عليه بقول أو يدل على مكانه بوصف ، لأن الخاص والعام يعرفانه بالاسم ، ويعلمان تقدمه بالخبر الشائع علما يستغنى به عن الاطالة في الوصف ، وقد تكلم الناس في هذا قديما وحديثا وتعصبوا واحتجوا بما لا مزيد فيه .

---

(١) الأغاني : ٢١ / ٢٨٦ .
(٢) الموشح : ١٩٢ .
(٣) أي أن شعر الفرزدق متساوى القيمة والصيغة الفنية أما أبيات جرير فتنتفي عنها هذه الناحية .
(٤) يقصد بالمداخلة هنا ماورد في شعر الفرزدق من التقديم والتأخير .
(٥) الأغاني : ٢١ / ٣٩٣ - ٣٩٤ .

قال ابن قتيبة[١] : (وكان الفرزدق معنا مفنا[٢] يقول في كل شيء وسريع الجواب) .

يقول المرزباني عن البحترى[٣] : (لا أرى أن أكلم من يفضل جريرا على الفرزدق ولا أعده من العلماء بالشعر) فقيل له : (وكيف وكلامك أشد انتسابا لجرير منه الى الفرزدق ؟) قال : (كذا يقول من لا يعرف الشعر . لعمرى أن طبعي بطبع جرير أشبه ولكن من أين لجرير معاني الفرزدق ، وحسن اختراعه ؟ ، جرير يجيد النسيب ولا يتجاوز هجاء الفرزدق بأربعة أشياء : القين وقتل الزبير وجعثن والنوار ، والفرزدق يهجوه بأنواع هجاء يخترعها ويبدع فيها)[٤] .

وقال أحمد بن عبيد الله بن عمار[٥] : كان الفرزدق وهو فحل شعراء الاسلام يأتي بالاحالة وينظم في شعره أهجن كلام فمن ذلك قوله لابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي ، خال هشام ابن عبد الملك :

---

(١) انظر الشعر والشعراء : ١/ ٤٧٣ - ٤٧٤ .
(٢) معن : ذو عنن واعتراض ، أي أنه فصيح يدخله في كل شيء .
مفن : يفتن في الكلام أي يشتق في فن بعد فن يأتي بالأفانين ، وكلاهما بكسر أوله وفتح ثانيهما وتشديد النون .
(٣) الموشح : ١٩٧ .
(٤) ولكن هذا الرأى في نظرنا غير دقيق لأن البحترى لم يستطع أن يصل الى رقة جرير .
(٥) الموشح : ١٦٤ - ١٦٥ .

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكًا ... أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهْ

فأتعب أهل اللغة والنحو بشرحه .

وكان أبو عمرو بن العلاء يشبه الفرزدق من شعراء الجاهلية بزهير (١) .

××××××××××××××××××××××

---

(١) انظر الشعر والشعراء : ١ / ٤٧٦ .

* * آراء النقاد القدامى فى جرير[١] * *

قال ابن سلام : وسألت الأسيدى - أخا بنى سلامة[٢] - عنهما فقال : بيوت الشعر أربعة فخر ، ومديح ، ونسيب ، وهجاء . وفى كلها غلب جرير .

وقد فضل بعض النقاد جريرا على الفرزدق وقال[٣] : كانت لجرير ضروب من الشعر لا يحسنها الفرزدق . ولما سمع الفرزدق قول جرير :

لَئِن عَمَرَتْ تَيمٌ زَمَانًا بِغِـرَّةٍ ... لَقَدْ حُدِيَتْ تَيمٌ حُدَاءً عَصَبْصَبَا[٤]

فَلَا يَضْغَمَنَّ اللَّيثُ عُكْلاً بِغِـرَّةٍ ... وَعُكْلٍ يَشُمُّونَ الفَرِيسَ المُنَيَّبَـا

قال : قاتله الله اذا أخذ هذا المأخذ لا يقام له .[٥]

---

(١) يرى بعض المؤرخين القادمى أن جريرا أشعر من الفرزدق والأخطل وأنه كان خيرا منهما . البداية والنهاية (٩ : ٢٦٠) .

(٢) وهو من بنى سلامة بن غوى بن جردة بن أسيد بن عمرو بن تميم . انظر جمهرة الأنساب : ٢١٠ .

(٣) طبقات فحول الشعراء : ١/ ٣٧٨ - ٣٧٩ .

(٤) الحداء : زجر الابل من خلفها وسوقها والغناء لها لحثها على السير ، والعصبصب : الشديد . يريد جرير هنا : أنهم سيقوا سوقا شديدا وعنف بهم .

(٥) طبقات فحول الشعراء : ١/ ٣٧٦ - ٣٧٧ .

وقد استجاد الجاحظ في بيانه هذه الأبيات وقال : انها من جيد شعر جرير [١] .

وقال ابن قتيبة : كان جرير من فحول شعراء الاسلام ، ويشبه من شعراء الجاهلية بالأعشى [٢] .

وقال ابن سلام : وأهل البادية والشعراء بشعر جرير أعجب [٣] .

وروى محمد بن زياد قال [٤] : كنت أختلف بينهما يومئذ فكأن جرير كان يومئذ أظفرهما .

وسئل أبو محجن من أشعر العرب فقال [٥] : أخو بني تميم يعني جريرا .

وقد سئل عبيدة بن هلال اليشكري عن جرير والفرزدق أيهما أشعر ؟ قال [٦] : من يقول :

وَطَوَى القِيَادُ مع الطِّرادِ بُطُونَهَا طَيَّ التِّجَارِ بِحَضْرَمَوتَ بُرُودَا

قالوا : جرير قال : هو أشعرهما . وقال الأخطل عندما سئل عن جرير [٧] : دعوا جريرا أخزاه الله فانه كان بلاء على من صب عليه ، ثم ذكر قوله يفتخر بشاعريته [٨] :

مَاقَامَ مِنْ عَرَبٍ إِليَّ جَوَادُ هُمْ إِلاَّ تَرَكْتُ جَوَادَ هُمْ مَحْسُورَا

أَبْقَتْ مراكَضَتِي الرِّهَانَ مُجربًا عِند المَواطِن يرزق التَّيسِيرَا

---

(١) البيان والتبيين : ٣/٢٢٢-٢٢٣ . (٢) الشعر والشعراء : ١/٤٦٥ .
(٣) طبقات فحول الشعراء : ١/٣٧٥ . (٤) المصدر السابق : ١/٤٠٧
(٥) المصدر السابق : ١/٤٠٨ . (٦) المصدر السابق : ١/٣٨٢ ،
الأغاني : ٨/٤٣ . (٧) المصدر السابق : ١/٣٧٥-٣٧٦
(٨) ديوان جرير : ١/٢٢٨ .

ولما سمع عبد الملك بن مروان مدحة جرير الحائية (بطون راح) استجادها وطرب لها وأجازه عليها مائة من الابل وثمانية من الرعاء [1] .

وقال الراعي النميري [2] لما سمع قول جرير :

وعاوٍ عوى من غير شيءٍ رميتـه ... بقافيةٍ أنفاسها تقطر الدما

خروج بأفواه الرواة كأنهـا ... قرا هندوانيّ إذا هزّ صمما

: ويحكم الام أن يغلبني مثل هذا ؟ .

وقال أبو عبيدة [3] : ويحتج من يقدم جريرا بأنه كان أكثرهم فنون شعر وأسهلهم ألفاظا وأقلهم تكلفا وأرقهم نسيبا .

وروى حماد الراوية عن بعض الرواة قوله [4] : كان جرير ميدان الشعر ،ومن لم يجر فيه لم يرو شيئا . وكان من هاجى جريرا فغلبه جرير أرجح عندهم ممن هاجى شاعرا غير جرير فغلب .

وقيل لبعض الشعراء من أشعر الناس ؟ قال [5] : النابغة اذا رهب وزهير اذا رغب وجرير اذا غضب . وفي رواية أخرى وجرير اذا رغب .

---

(١) طبقات فحول الشعراء : ١/ ٤١٨- ٤٢٠ ،الشعر والشعراء: ١/ ٤٦٨ العقد الفريد : ١/ ٢٧٨ .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ١/ ٤٣٨ .

(٣) انظر الأغاني : ٨/ ٥ .

(٤) المصدر السابق : ٨/ ٩ .

(٥) انظر العقد الفريد : ٦/ ١٠٥ - ١٥٢ .

وكان جرير يقول (١) : أنا مدينة الشعر والفرزدق نبعته .

وروى أن عبد الملك فضل جريرا عندما اجتمع الثلاثة فى مجلسه وكان بين يديه كيس فيه خمسمائة دينار فقال لهم(٢) ليقل كل واحد منكم بيتا فى مدح نفسه ،فأيكم غلب فله الكيس ،فبدر الفرزدق قائلا :

أَنَا القَطِران والشّعَرَاء جَرْبَى وَفِي القَطِرانِ لِلجُرْبى شفَاءُ

فقال الأخطل :

فإن تَكُ زِقَّ زَاملةٍ فَإنّى أَنَا الطَّاعُونُ ليسَ لَهُ دَوَاء .

فقال جرير :

أَنَا الموتُ الذى آتى عليكُم فَليسَ لِهارِبٍ مِنّى نَجَاءُ .

فقال عبد الملك : خذ الكيس فلعمرى ان الموت يأتى على كل شىء .

وقيل أن رجلا سأل جريرا : من أشعر الناس ؟ ،فأخذه بيده وجاء به الى أبيه عطية ،وكان دميما رث الهيئة بخيلا ثم قال للسائل أتعرف هذا ؟ انه أبى . ثم قال : أشعر الناس من فاخر بمثل هذا ثمانين شاعرا وقارعهم به فغلبهم جميعا (٣) .

---

(١) المصدر السابق : ٦/١٠٦ .
(٢) انظر ذيل ديوان جرير المحقق : ٢/١٠٢ . ومجانى الأدب - لويس شيخو : ٣/١٦٢ ، (مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت ١٩٣٦م) .
(٣) الأغانى : ٨/٤٩ .

هذه الآراء النقدية المتقدمة التى عرضنا لها فى كل شاعر من الشعراء الثلاثة ليست كل ماقيل عنهم فهناك آراء أخرى تشملهم جميعا أو تختص بجرير والفرزدق . وقد أوردها النقاد على شكل موازنة ، ولعلها أقرب الى الاعتدال والدقة . اذ أنها لاتطلق الأحكام عامة ، وانما تحصرها فى فنون شعرية أو مقطوعات وقصائد تفاضل فيها بين الشعراء الثلاثة وسنعرض لهذه الآراء هنا تتمة لهذا المبحث .

لقد جعلهم ابن سلام مع الراعى النميرى أول طبقات الاسلاميين وقال : (١)

فاختلف الناس فيهم أشد الاختلاف ، وأكثره وعامة الاختلاف أو كله فى الثلاثة ومن خالف فى الراعى قليل كأنه آخرهم عند العامة .

ثم قال : سمعت يونس بن حبيب يقول (٢) : ماشهدت مشهدا قط ذكر فيه جرير والفرزدق فأجمع أهل ذلك المجلس على أحدهما .

وقال بعض الرواة عن الثلاثة (٣) : هم عندى كأفراس ثلاثة أرسلتهن فى رهان ، فأحدها سابق الدهر كله ، وأحدها مصل وأحدها يجئ أحيانا سابق الريح وأحيانا سكيتا (٤) وأحيانا متخلفا فأما السابق فى كل حالاته فالأخطل ، وأما المصلى (٥) فى كل حالاته

---

(١) طبقات فحول الشعراء : ١/ ٢٩٩ .
(٢) المصدرالسابق : : ١/ ٢٩٩ .
(٣) المصدرالسابق : ١/ ٣٧٤- ٣٧٥ ، الشعر والشعراء ÷ ١/ ٤٨٣ .
(٤) السكيت : آخر الخيل فى الرهان .
(٥) والمصلى : الذى يجئ بعد السابق وقبل السكيت .

فالفرزدق ، وأما الذى يسبق الريح أحيانا ويتخلف أحيانا فجرير .

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول [١] عن جرير والفرزدق : هما بازيان يصيدان مابين العندليب الى الكركى .

وقال ابن سلام عنهما أيضا [٢] : ولج الهجاء نحوا من أربعين سنة لم يغلب أحد منهما على صاحبه .

وقال أبو عمرو بن العلاء : سئل الأخطل أيكم أشعر ؟ قال [٣] : أنا أمدحهم للملوك وأنعتهم للخمر والحمر - يعنى النساء وأما جرير فأنسبنا وأشبهنا ، وأما الفرزدق فأفخرنا .

وقال أبو عبيدة [٤] : كان الشعراء فى الجاهلية من قيس وليس فى الاسلام مثل حظ تميم فى الشعر ، وأشعر تميم جرير والفرزدق ، ومن بنى تغلب الأخطل .

وقال ابن سلام : وسئل ابن دأب عنهما فقال [٥] : الفرزدق أشعر عامة وجرير أشعر خاصة .

وقال حماد الراوية [٦] : أنشدنى الفرزدق يوما شعرا له ثم

---

(١) الشعر والشعراء : ١/٤٦٥ .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ١/٣٨٩ .

(٣) الشعر والشعراء : ١/٤٦٧ .

(٤) الأغانى : ٢١/٢٨٤ .

(٥) صبقات فحول الشعراء : ١/٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٦) الأغانى : ٢١/٢٨٥ - ٢٨٦ .

قال : أتيت الكلب ؟ يعني جريرا ،قلت : نعم . قال : فأنا أشعر أم هو ؟ قلت : أنت في بعض وهو في بعض . قال : لم تناصحني . قال : قلت هو أشعر منك اذا أرخى خناقه ،وأنت أشعر منه اذا خفت أو رجوت . قال : قضيت لي والله عليه وهل الشعر الا في الخير والشر ؟ .

قال أبو الفرج [١] : واختلفوا بعد اجتماعهم على تقديم هذه الطبقة في أيهم أحق بالتقدم على سائرها .... أما من كان يميل الى جزالة الشعر وفخامته وشدة أسره فيقدم الفرزدق ،وأما من كان يميل الى أشعار المطبوعين والى الكلام السمح السهل الغزل فيقدم جريرا .

وروى أبو عبيدة ومحمد بن سلام ،والأصمعي قول أحمد بن عبد العزيز عن عبد الرحمن بن شيبة قال [٢] : اتفقت العرب على أن أشعر أهل الاسلام ثلاثة جرير والفرزدق والأخطل . واختلفوا في تقديم بعضهم على بعض .

وقال أبو عبيدة [٣] : كان أبو عمرو يشبه جريرا بالأعشى والفرزدق بزهير والأخطل بالنابغة .

وقال ابن خلكان [٤] : أجمعوا على أنه ليس في شعراء الاسلام

---

(١) انظر الأغاني : ٢١/٣٩٣ - ٣٩٤ .
(٢) المصدر السابق : ٨/٤-٥ .
(٣) المصدر السابق : ٨/٥ .
(٤) شذرات الذهب في أخبار من ذهب - لابن العماد الحنبلي : ١/١٤ .

مثلهما والأخطل ، وفضل جرير ببيوته الأربعة الفخر والمديح والهجاء والتشبيب .

وروى الجاحظ عن أبى عبيدة(١) : أن الشعراء الاسلاميين الذين هجوا فوضعوا من قدر من هجوه ، ومدحوا فرفعوا من قدر من مدحوا ، وهجاهم قوم فردوا عليهم فأفحموهم، وسكت عنهم بعض من هجوه مخافة التعرض لهم ، وسكتوا عن بعض من هجاهم رغبة بأنفسهم عن الرد . هم جرير والفرزدق والأخطل .

وقال أبو عبيدة أيضا (٢) : أجمع الناس على أن أشعر الناس فى الاسلام ثلاثة وهم : الفرزدق وجرير والأخطل وذلك أنهم أعطوا حظا فى الشعر لم يعطه أحد فى الاسلام .

وفضلهم ابن الأثير على شعراء العرب أولا وآخرا فقال :(٣)

(والمذهب عندى فى تفضيل الشعراء أن الفرزدق وجريرا والأخطل أشعر العرب أولا وآخرا ، ومن وقف على الأشعار ووقف على دواوين هؤلاء الثلاثة ، علم ما أشرت اليه ....) .

ولعل خير ماننهى به هذه الآراء قول خالد بن صفوان عندما

---

(١) البيان والتبيين : ٨٣/٤ .
(٢) جمهرة أشعار العرب : ٩٩ .
(٣) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير : ٢٧٤/٣ (مكتبة نهضة مصر - الطبعة الأولى - ١٣٧٩هـ) .

طلب منه هشام بن عبد الملك أن يصف له جريرا والفرزدق والأخطل فقال (١) :

" يا أمير المؤمنين أما أعظمهم فخرا وأبعدهم ذكرا وأحسنهم عذرا وأسيرهم مثلا وأقلهم غزلا وأحلاهم عللا ،البحر الطامي اذا زخر والحامي اذا ذعر والسامي اذا خطر ،الذى اذا هدر جال واذا خطر صال ،الفصيح اللسان الطويل العنان .. فالفرزدق .

وأما أحسنهم نعتا وأمدحهم بيتا وأقلهم فوتا الذى ان هجا وضع ،وان مدح رفع .. فالأخطل .

وأما أغزرهم بحرا وأرقهم شعرا وأكثرهم ذكرا ،الأغر الأبلق الذى ان طلب لم يسبق وان طلب لم يلحق .. فجرير .

وكلهم ذكى الفؤاد رفيع العماد وارى الزناد .. " .

وقد استجاد مسلمة بن عبد الملك هذه الموازنة اللطيفة التى تنم عن معرفة بأحوال الشعراء الثلاثة فأصدر هذا الناقد حكمه بحيث استطاع أن يبين فى شيء يسير من التفصيل بعض المزايا الفنية لكل شاعر .

××××××××××××××××

---

(١) انظر زهر الآداب : ٢ / ٦٣٤ .

* * مناقشة آراء النقاد القدامى فى الشعراء الثلاثة * *

لقد كانت آراء النقاد القدامى كما رأينا فى الشعراء الثلاثة متباينة ،فمثلا نجدها فى الأخطل : اما مفضلة له عمن سواه من شعراء العرب قاطبة تفضيلا مطلقا ،أو فى بعض الأغراض ،أو تجعله أشعر طبقته أو مساويا لصاحبيه ،وتأتى أخبار أخرى تنقض السابقة فتجعله دون جرير والفرزدق (١) . وتضطرب هذه الأخبار أيضا بالنسبة للفرزدق وجرير فلا تجمع على أيهما أفضل أو دون صاحبيه ، أو تجعلهم مع الأخطل فى درجة واحدة .

وهذه الآراء التى أوردناها ليست كل ماقيل عن جرير والفرزدق والأخطل ،فهناك آراء مبثوثة فى كتب الأدب بلغت من الكثرة بحيث لا نستطيع أن نأتى عليها هنا ،وقد تجاوزنا ذكرها لأنها لاتخرج فى مضمونها عما ذكرنا باختلاف فى الرواية أحيانا من حيث اللفظ ،ولذلك آثرت ايراد أهم الآراء التى دارات قديما حولهم

لاشك أن تقويم الشعراء والمفاضلة بينهم كل هذا يحتاج الى دراسة مستفيضة تشمل كل ماقالوه من شعر فى الأغراض المختلفة ،فلقد اختلف المتقدمون وتباينوا فى مسألة التقويم وجاءت فى هذا الموضوع

---

(١) انظر مثلا : جمهرة أشعار العرب: ١٠٢/١-١٠٣ ،والأغانى : ٢٩١/٨ ،والشعر والشعراء : ٢٨٣/١ ،طبقات فحول الشعراء : ٤٨٨/١، ٤٥٦ ،الموشح : ٢٠٧ ،معجم الأدباء : ٣٠٠/١٩ .

أحكام مختلفة متناقضة تجعل هذا الشاعر أو ذاك من الثلاثة أشعر العرب لايدانيه أحد من الشعراء ولا يجاريه ،وحينا آخر تجعله دون الفحول من أقرانه ،وحينا تضعه فى الطبقة الأولى من شعراء عصره ،وهذا التضارب العجيب فى هذه الآراء يبين لنا حقيقة المسار النقدى اللماح آنذاك . وربما أن نقل هذه الأخبار بالمشافهة قبل تدوينها فى الكتب قد خضع فى الفهم والأداء للأهواء فنالها شيء من التحوير والتبديل (١) . وقد حس النقاد بهذا فرفض بعضهم أن يوازن بين الثلاثة بالنثر وانما ضمن موازنته فى أبيات من الشعر لئلا تتعرض للتحوير والتصحيف فقال عندما طلب منه الحكم على الشعراء الثلاثة (٢) :

ذَهَبَ الفَرَزْدَقُ بالفَخَارِ وإنَّمَا حُلْوُ الكَلَامِ وَمُرُّهُ لِجَرِيرِ
ولقَدْ هَجَا فَأَمَضَّ أَخْطَلُ تَغْلِبٍ وَحَوَى اللُّهَى بِمَدِيحِهِ المَشْهُورِ
كُلُّ الثَّلَاثَةِ قد أَجَادَ فمدحُهُ وَهِجَاؤُهُ قَدْ سَارَ كُلَّ مَسِيرِ

وليس ثمة من شك فى أن هذا التضارب والتباين فى الآراء النقدية القديمة يجعل الباحث المنصف يقف وقفة متأنية كى يدرس هذه الآراء فى محاولة لمناقشتها . لأن نقادنا القدامى تركوا لنا ارثا نقديا زاخرا بالأحكام المتباينة والمتناقضة (٣) والتى يصعب معها

---

(١) انظر الأخطل الكبير للدكتور فخر الدين قباوة : ٢٩١ .
(٢) طبقات فحول الشعراء: ٣٧٨/١، وصاحب هذه الموازنة هو: مروان بن أبى حنيفة .
(٣) لقد بلغ من تناقض هذه الآراء أننا نجد حمادا الراوية معجبا بالأخطل ومقدما له على صاحبيه فى مواضع ثم نجد رواية أخرى فيها حماد الراوية
=

الخروج بنتيجة مرضية . وهذه الآراء وان كانت تضع لنا ملامح نقدية فنية يمكن من خلالها وضع الأسس الفنية للحكم على النتاج الشعرى الا أنها ملامح موجزة مختزلة لا تنظر للشاعر من حيث غزارة شعره وتدفق معانيه وتحسس مواطن الضعف والاجادة لاصدار الحكم ،ولذا كانت هذه الآراء فى مجملها الى العموم والسطحية أكبر منها الى العمق والاستقصاء .

والنقاد القدامى كما رأينا أيضا لم يعنوا بدراسة الشعر كله وتتبعه واستقصائه ،ولم يعقدوا الموازنات الشاملة التى يمكننا أن نتبين من خلالها صدق هذا الحكم أو ذاك على أيٍّ من شعرائنا الثلاثة .

ومن هنا كانت آراؤهم تحمل طابع النقد اللماح المركز الذى يكتفى بالاشارة ويبتعد عن التفصيل (١)

ومع تقديرنا لهذه الآراء وأصحابها ،والاعتراف بجهودهم اذ من خلالها استطاع النقد فيما بعد أن يتوصل الى نتائج جيدة فى الحكم على الأثر ،وكانت هذه الآراء نواة للنقد الأدبى بمفهومه الواسع فى العصور اللاحقة (٢) .

(=) تجعل الأخطل دون جرير والفرزدق .
انظر أمالى اليزيدى : ٨٠ ،الأغانى : ٢٨٣/٨ .

(١) الأخطل شاعر بنى أمية د . سيد غازى : ٢١٢ .

(٢) كانت هناك عوامل كثيرة أثرت فى النقد اللغوى وساعدت على ازدهاره لعل من أهمها الرواية والتعصب للقديم والتطور اللغوى ومن هنا ازدهر النقد فى القرن الرابع الهجرى وكان النقد اللغوى نواة لهذا الازدهار . انظر النظرية النقدية عند العرب د . هند حسين طه : ٩٨- ٩٩ .

نقول : ان نقادنا القدماء لم يفصلوا القول ،ولم يعمدوا الى تحليل النصوص تحليلا أدبيا يمكننا من الوقوف على خصائصها الدقيقة وأسرارها الفنية . ومايكمن فيها من جمال فنى ،ولم يقابلوا النصوص بعضها ببعض بل اكتفوا بالاشارة الدالة والرأى الشخصى لكل ناقد فجاء نقدهم فى رأينا جزئيا فى أغلب حالاته مبنيا على الفطرة والذوق لا على تحليل النصوص والوقوف على خصائصها (١) . وكان المسار اللغوى للنقد آنذاك سمة بارزة فعمد اللغويون الى تتبع سقطات الشعراء النحوية كما فعلوا مع الفرزدق ،ومن ثم كانت تبنى بعض الأحكام فى المفاضلة بين أصحاب الفن مما أثار جدلا بين النحاة والشعراء(٢) وأصبحت مسألة التفاضل بين أرباب الشعر مسألة خاضعة للرأى الجزئى واصدار الحكم من خلال بيت أو أبيات معدودة أعجب بها هذا الناقد من زاوية معينة حتى أن الشاعر نفسه أصبح لا يتردد اذا سئل من أشعر الناس أن يقول أنا (٣) .

فقد سئل الأخطل ذات مرة من أشعر الناس فأجاب أشعر الناس رجل فى قميصى (٤) .

ولقد كانت للنقاد القدامى لفتات جزئية فى النقد ،فقد سئل ابن سلام عن بيتى جرير والأخطل فى مدح عبد الملك كما رأينا

---

(١) انظر أسس النقد الأدبى عند العرب د . أحمد أحمد بدوى : ٥-٦ .
(٢) انظر نظرية اللغة فى النقد العربى د . عبد الحكيم راضى : ٩-٢٣ .
(٣) جمهرة أشعار العرب: ١٠٢ ، ١٠٣ ،الأغانى : ٨/٢٩٣-٢٩٤ ، ٣٠٣ .
(٤) الأغانى : ٨/٢٨٧ .

فأشار الى حلاوة وسيرورة بيت جرير ورصانة وجزالة بيت الأخطل وسئل الفرزدق من أشعر الناس؟ فقال : أنا وقال جرير أيضا أنا مدينة الشعر(١) ،وأخذوا على الأخطل بعض السقطات الفنية كقوله فى مدح سماك بن حمير الأسدى(٢) :

نعم المجير سماك من بنى أسد ... بألطف اذ قتلت جيرانها مضر

قد كنت أحسبه قينا وأنبؤه ... فاليوم طير عن أثوابه الشرر

وكان يقال لرهطه القيون ،وهذا مدح كالهجاء . وقد حدث عكس هذا عندما أراد أن يهجو سويد بن منجوف فقال (٣) :

وماجذع سوء خرب السوسوسطه ... لما حملته وائل بمطيق

فقال سويد : هجوتنى بزعمك فمدحتنى لأنك جعلت وائلا حملتنى أمرها . .

كما أخذوا على الفرزدق أنه يأتى بالاحالة فى شعره وينظم أهجن كلام ويتعب بذلك أهل النحو ومنهم سيبويه شيخ النحاة(٤) .

وأخذوا على جرير كذلك أن فى شعره كثيرا مما جاد لفظه وحسن فاذا فتشت عن المعنى لم تجد شيئا ذا فائدة(٥) .

---

(١) الأغانى : ٢١/٣٦٦ ، ٨/٥٣ .

(٢) الشعر والشعراء : ١/٤٨٧- ٤٨٨ .

(٣) الشعر والشعراء : ١/٤٨٨ .

(٤) الموشح : ١٦٤ - ١٦٥ .

(٥) الشعروالشعراء : ١/٦٦-٦٨ ولعل ابن قتيبة من أكثر النقاد القدامى انصافا وعمقا وقد ألقت مواقفه عن كاهل النقد بعض الأثقال التى لا صلة لها بالعمل الفنى وقيمه .

وهكذا كانت آراء القدامى فى مجملها تميل الى الاجتزاء ، والتعميم والحكم من خلال أبيات معدودة لا ينبغى للناقد الحصيف أن يحكم على شعراء لهم ثراء شعرى يتسم أغلبه بالقوة والجزالة من خلال بيت واحد ، ويقارن مقارنة لا ترقى الى درجة النقد الواعى . سواء كانت هذه المقارنة من حيث الجودة أم من حيث المآخذ وعدم الاستحسان . وهذا ماوقع فيه النقاد القدامى اذ لم يفصلوا القول فى مواطن هذه الاجادة أو تلك السقطات الفنية ولكنهم اكتفوا بالبيت الواحد للشاعر أو الرأى الموجز للناقد يحكمون به على أن هذا أشعر العرب أو أمدح العرب أو أشعر شعراء طبقته أو دونهما أو يتهمون الشاعر بالسرقة وانتحال شعر غيره كما حدث للفرزدق حينما اتهموه بأنه كان يغير على شعر غيره فينسبه لنفسه وهكذا . (١)

وخلاصة القول حول هذه الآراء النقدية للقدماء أنها كانت أحكاما جزئية قصيرة تعمد الى التركيز الجزئى أكثر من التوسع فى الاستقراء واصدار الحكم ولم تكن صادرة نتيجة استقراء تام ولم يكشفوا عن مواطن الجمال الفنى لدى الشاعر أو يبينوا الأثر الذى لايرقى الى درجة الجودة والاستحسان . وقد كان الجانب اللغوى مسيطرا على اتجاه النقد فاهتموا بالجانب النحوى وتتبعوا سقطات الشعراء النحوية (٢) وابتعدوا عن التحليل المفصل فلم يبينوا خصائص ومقومات

---

(١) انظر الموشح : ١٦٧ .

(٢) انظر الطراز الموشى فى صناعة الانشاء ـ محمد النجار : ٢-٣ .

كل شاعر ولم يتعرضوا للتيارات الاجتماعية التى أثرت فى فن الشعراء الثلاثة ، وقد أغفلوا الجوانب السياسية والظروف النفسية لكل شاعر والتى مامن شك فى أن لها دورها فى موهبة الشعراء كما رأينا من قبل (١) .

بقيت لنا ملحوظة هى أن بنى أمية من أمثال عبد الملك بن مروان وابنه الوليد ، وسليمان وغيرهم من الخلفاء والأمراء كانت آراؤهم فى الشعراء الثلاثة تحمل شيئا من التأثر السياسى ففضلوا الأخطل بادئ الأمر ثم تجافى له الوليد وقرب ابن الرقاع كما قرب سليمان بن عبد الملك الفرزدق ، وهكذا ..

ومن هنا فان آراء هؤلاء يمكن أن يشوبها شيء من التعصب السياسى ، وبالتالى ينبغى للباحث المنصف أن يأخذ هذه الأقوال بحذر حين الاستعانة بها كما فعل بعض الدارسين المحدثين عندما تحدث عن الأخطل (٢)

××××××××××××××××

---

(١) انظر الباب الأول من هذا البحث .

(٢) انظر الأخطل الكبير د . فخر الدين قباوة : ٢٩١ ، والموازنة بين الشعراء د . زكى مبارك : ١٦-٢٠ (مصطفى الحلبى الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ) .

الفصل الثاني

دراسات المحدثين
حول الشعراء الثلاثة

" " الفصل الثانـى " "

÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷

* * دراسات المحدثين حول الشعراء الثلاثـــة * *

لقد كان من الطبيعى أن تقوم فى العصر الحديث حول الشعراء الثلاثة دراسات متعددة نظرا لما يمثلونه فى الأدب العربى من قيم فنية ،وما خلفوه للدارسين من نتاج يحتاج الى البحث والاستقـــراء ، وكان لابد لهذه الدراسات أن تتعمق ،وأن تكون أكثر تخصصا مـــن ذى قبل ،وأن تستفيد من آراء القدامى ودراساتهم فى عملية التقويم.

وقد تناول مؤرخوا الأدب فى العصر الحديث جريرا والفرزدق ، والأخطل بالدراسة ولكنهم كانوا يميلون فى دراساتهم هذه الـــــى الاختصار لأنهم انما يؤرخون للأدب ورواده فلا يتقصون كل جوانـــب شخصية الشاعر أو الأديب ،وما يتعمق نفسه ،وانما يقومون بجمـــع النصوص وترتيبها وتوزيعها على عصور الأدب المختلفة ،ويقسمون الشعراء والأدبـاء والنصـــوص الى مــــــدارس ومــــــــذاهب

---

(١) انظر على سبيل المثال : تاريخ الأدب العربى " بروكلمان " ،تاريخ الأدب العربى ـ عمر فروخ ،تاريخ الأدب العربى ـ حنا الفاخـورى ومن تاريخ الأدب العربى ـ د . طه حسين ،تاريخ الأدب العربى فى العصر الاسلامى ـ د . يوسف خليف ،تاريخ آداب اللغـــة العربية ـ جرجى زيدان ، وتاريخ الأدب العربى ـ العصرالاسلامى د . شوقى ضيف ،موسوعة " فؤاد سزكين " ،تاريخ التراث العربـــى المجلد الثانى الجزء الثالث من الطبعة العربية (جامعة الامام) وكلهم مع غيرهم تحدثوا عن الشعراء الثلاثة باقتضاب .

وأغراض(١) الا أنها ظهرت في هذا العصر دراسات أكثر تخصصا تناولت بالتفصيل كل شاعر على حدة وحلل هؤلاء الدارسون كثيرا من النصوص وأصدروا بذلك أحكامهم التى جاءت تتلاءم وطبيعة الدراسة المتأنية ولن أتناول هنا كتب تاريخ الأدب ومافى حكمها كدائرة المعارف الاسلامية وبعض الكتب الأخرى التى تناولت الشعراء الثلاث ككتاب " الهجاء والهجاءون للدكتور محمد محمد حسين " ، و" دراسات فى أدب ونصوص العصر الأموى " للدكتور محمد عبد القادر أحمد ،و" أدب السياسة فى العصر الأموى " للدكتور أحمد الحوفى ودراسة " نقائض جرير والأخطل " للدكتور عبد المجيد المحتسب وغيرها من الكتب المؤلفة فى العصر الحديث .

وسأقتصر على الدراسات المتخصصة بشىء من البيان والايضاح - باذن الله - .

××××××××××××××××××

---

(١) انظر تاريخ نشأة علوم البلاغة وأطوارها للدكتور عبد العزيز عرفة ص ١٣) (دار الطباعة المحمدية بالأزهر - الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ) .

لقد قامت حول الأخطل دراسات عديدة في العصر الحديث نظرا لما له من قيمة فنية في الشعر العربى ،وقد انبرى بادئ ذى بدء الأب (أنطون صالحانى اليسوعى)[1] فأكب على دراسة شعر الأخطل منذ عام (١٨٩١م وحتى عام ١٩٣٨م)[2] . وبقيت آثار الأب صالحانى هذه عمدة الدارسين لهذا الشاعر فيما بعد ،وقد أصبح العثور عليها مع مرور الزمن من الصعوبة بمكان نظرا لنفادها .

---

(١) انطون بن عبد الله الصالحانى الدمشقى كاهن أديب من الآباء اليسوعيين سريانى كاثوليكى ولد بدمشق وتعلم فى لبنان وهو من المؤلفين الذين اشتهروا بذلك . توفى حوالى سنة (١٣٦٠هـ) .
انظر الاعلام : ٢ / ٢٨ .

(٢) حيث أصدر عام (١٨٩١م) شعر الأخطل عن نسخة بطرسبرج ، وفى العام (١٩٠٥م) أصدر شعر الأخطل عن نسخة بغداد ،واستمر فى نشر نتاج هذا الشاعر فأصدر شعر الأخطل عن نسخة اليمن عام (١٩٠٧م) وملحق ديوان الأخطل فى عام (١٩٠٩م) ،ونقائض جرير والأخطل عام (١٩٢٢م) وذيل ديوان الأخطل عام (١٩٢٥م) والشذر الذهبى فى شعر الأخطل التغلبى عام(١٩٢٥م) والتكملة لشعر الأخطل عن نسخة طهران عام (١٩٣٨م) .
وقد تخلل ذلك كله مقالات ودراسات نشرها فى مجلة المشرق ، تحدث فيها عن كل مايتعلق بالأخطل من حيث نشأته وشعره وحياته انظر مقدمة ديوان شعر الأخطل تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة : ١ / ٣ ومجلة المشرق الأعداد : ٦/ ٤٣٣، ٧/ ٤٧٥، ٨/ ٩٧، ١٤/ ٨٣٣ ، ٢١/ ٧٧، ٣٥/ ٢٣٩ . وكل اصدارات الصالحانى هذه كانت تصدر من بيروت .
انظر تاريخ الأدب العربى " بروكلمان " : ٢ / ٢٠٨ .

وفى عام (١٩٥٠م) قام الدكتور " سيد غازى " بدراسة شاملة تحت عنوان (الأخطل شاعر بنى أمية) (١) اعتمد فيها على دراسة " صالحانى " فيما يتعلق بالنصوص الشعرية . وقد تناول فى هذه الدراسة حياة الشاعر الأولى قبل اتصاله بالأمويين اذ تحدث عن بيئة الأخطل ونشأته وركز على الجوانب التاريخية والسياسية ،وأشار الى اتصال الأخطل ببنى أمية أول مرة فى خلافة معاوية كما أشار الى تلك الأسباب التى خدمت هذا الشاعر حتى أوصلته الى قمة المجد الذى يتوق اليه ،وأخرجته من حيز القبيلة والبادية الى بلاط الخلفاء وعلية القوم(٢) .

وقد أحصى قصائد المديح عنده احصاء مجملا من خلال حديثه عن شعره فى بنى أمية وبين بعض القيم الفنية فى هذه المدائح ، ثم تحدث عن الأهاجى وركز على الجانب السياسى الذى كان من أدق العوامل فى اذكاء نارها ،وقد ذكر أقوال القدامى فى الأخطل ليخلص الى الحكم بأن السبق فى المديح للأخطل دون جرير والفرزدق . وذلك من خلال موازنته بين الشعراء الثلاثة من حيث الخصائص الفنية .

---

(١) هذه الدراسة بحث نال به المؤلف درجة الماجستير فى الآداب من جامعة الاسكندرية وطبع بدار المعارف فى نفس العام فى كتاب يقع فى (٢٦٥) صفحة .

(٢) انظر هذه الدراسة : ١٤٧- ١٤٩ .

وعلى الرغم من أن هذه الدراسة قد ألقت الضوء على جوانب كثيرة من شخصية الأخطل الفنية .. الا أن هناك بعض الجوانب الهامة قد أغفلها هذا الباحث لعل من أهمها أنه أخذ آراء السابقين دون محاولة منه لمناقشتها اذ سلم بها وعليها بنى حكمه وكان الأولى به أن يتعرض لتلك الآراء بالمناقشة والدراسة فلعل فيها بعض المبالغة أو النقص ،كما أنه أغرق اغراقا في الجوانب التاريخية فأطال في دراسة هذه الناحية اطالة مفرطة حتى ليخيل للقارئ أن هذه الدراسة تاريخية وليست أدبية ،وان كان المنهج التاريخي من أهم المناهج الأدبية ،الا أن الاغراق في دراسة الجوانب التاريخية واهمال الجوانب الفنية قد ينأى بالباحث أحيانا عن ابراز الوجه الحقيقي للشخصية الأدبية . هذا مانظنه عيبا يؤخذ على الدكتور سيد غازي في دراسته عن الأخطل .

وفي عام (١٩٦٧م) قام الدكتور " فخر الدين قباوة " باعادة تحقيق وطبع ديوان الأخطل ونشره في جزئين وأظهره في حلة قشيبة ثم أتبع ذلك دراسة وافية عن الأخطل بعنوان (الأخطل الكبير .حياته وشخصيته وقيمته الفنية [1]) وتتضح أهمية هذه الدراسة من عنوانها حيث تعد أوفى وأشمل من دراسة الدكتور سيد غازي وبخاصة فيما يتعلق بعرض آراء القدامى فقد عرضها ثم ناقشها مناقشة علمية

---

(١) دراسة كاملة تقع في (٣٦٥) صفحة عن الأخطل بالاضافة الى تحقيق شعره في جزئين بلغ حجمها (٩٣٩) صفحة ،والدراسة والتحقيق من منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت - عام ١٣٩٩هـ .

وبين مافيها من تضارب في بعض الأحيان ومن تعصب أعمى في أحيان أخرى فجاءت هذه الدراسة أكثر تخصصا اذ ترجم للشاعر ترجمة وافية تعرض فيها لاسمه وكنيته وأسرته وقبيلته ،وتاريخ مولده ،وكيف وصل الى مكانة سامية أصبح فيها شاعر بني أمية بلا منازع ،ثم درس بشيء من التفصيل انحسار شاعريته عندما تقدمت به السن وداهمته الشيخوخة . كما تحدث عن سماته الخلقية والعقلية والسياسية والدينية على أن الجانب الأكثر أهمية في هذه الدراسة هو الجانب الفني المتمثل في القيمة الفنية لهذا الشاعر ،فقد أشار هذا الدارس أولا الى مايعترض الباحث في تقويم شعر الأخطل من مشكلات في دراسة العمل الفني وتقويمه لوجود آراء متباينة ومتضاربة للنقد القديم يصعب معها الخروج برأى فصل الا بعد تدقيق وتمحيص .

ومن هنا كانت دراسته لفن الأخطل الشعرى وتقويمه حيث بدأ باستعراض لآراء النقاد القدامى حول هذا الشاعر سواء منها ماكان له أم عليه أم ماكان معتدلا دون الافراط والتفريط ،ومن ثم قوم هذه الآراء وناقشها وخرج بنتيجة مؤداها أنه لم يبق للأخطل من الأغراض التي أجاد فيها سوى المديح ووصف الخمر . وقد بين بعض السمات الفنية لهذا الشاعر فأشار الى أنه من عبيد الشعر وناقد له وبالمقابل فقد أشار الى بعض السقطات الفنية التي أخذت عليه ،ثم ختم هذه الدراسة بالحديث عن تأثره وتأثيره بالنسبة للشعراء السابقين والمعاصرين له(١) .

---

(١) انظر هذه الدراسة : ٢٦٥ - ٣٦٣ .

ولكن هذا الدارس لم يتوج دراسته هذه بعقد موازنة فنية بين الأخطل وصاحبيه فجاءت ناقصة من هذه الناحية حيث اكتفى بايراد آراء النقاد القدامى في الأخطل وبعض الآراء النقدية القديمة التي كانت تجمع الثلاثة في موازنة مقتضبة ينقصها الاستقراء التام لكل شاعر(١) . فلو قام بها الدكتور " فخر الدين قباوة " لجاءت دراسته هذه من أوفى ماكتب عن الأخطل في العصر الحديث .

وعلى أي حال فانها وفت ببعض ماقصرت فيه دراسة السابقين عن هذا الشاعر .

وفي عام (١٩٧٩م) صدرت لايليا حاوى دراسة عن الأخطل بعنوان (الأخطل في سيرته ونفسيته وشعره(٢)) ولكنها لم تكن في مستوى دراسة الدكتور قباوة فهو وان تحدث عن موطن الشاعر وقبيلته وأسرته ونشأته الى غير ذلك الا أنه أسرف في التحليلات النفسية في أثناء تناوله للنص ، وقد ينأى التحليل النفسي عن مفهوم النقد الأدبي السليم في بعض الأحيان فلا يعتمد على منطلقات فنية ثابتة تتعلق بالأثر لا بالشاعر ، ولكن هذا الدارس اهتم في دراسته هذه بظواهر الانفعال النفسي أكثر من اهتمامه بالقيم الفنية حتى اذا ماجاء ليدرس بعض النصوص دراسة فنية تخبط يمينا وشمالا لينفي العلاقة

---

(١) انظر الأخطل الكبير حياته وشخصيته وقيمته الفنية د . فخرالدين قباوة :- ٢٧٨-٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ وغيرها .

(٢) تقع هذه الدراسة في (٦٦٠) صفحة وهي مع ضخامتها تقل جودة عن سابقتها للأسباب المشار اليها هنا . وقد صدر هذا الكتاب في بيروت في طبعته الثانية عام ١٩٨١م .

بين اليد والعطاء وهو مايعرف فى البلاغة العربية بالكناية فقد قال محللا لقول الأخطل فى مدح خالد بن أسيد :

أخالد مأواكم لمن حل واسع وكفاك غيث للصعاليك مرسل

فيقول معلقا على هذا البيت[1] :

" ... ان نسبة الغيث الى اليد لا تستقيم اذ لا علاقة حسية ممكنة بينهما بالرغم من العلاقة الذهنية الافتراضية .. لكن نسبة اليد الى الغيث مباشرة جعلت للتشبيه مؤدى ذهنيا ينطوى على اختلال فعلى ،وتلبث له فضيلة التعبير الصورى الذى يكاد الأخطل لا يكف عنه ... " .

وبمثل هذه التعابير الغامضة التى تنأى عن الذوق العربى والسليقة العربية يمضى " هذا الدارس " فى تحليل كثير من نصوص الأخطل الشعرية التى تناول من خلالها دراسة فن الأخطل ولكن قيمة هذه الدراسة تكمن فى الجزء التاريخى منها حينما تحدث عن تغلب قبيلة الشاعر ثم اسمه ونسبه وولادته وفتوته وديانته واتصاله بالخلفاء . أما الجانب الفنى فلم يوفق هذا الدارس فيه . فقد تحدث عن مدائح الأخطل باختصار ثم اكتفى بشرح وتحليل مدحة واحدة وهى رائيته (خف القطين) فى مديح عبد الملك ثم أردف بالحديث عن الأهاجى والمفاخر والوصف كما قام بجمع شعر الأخطل فى ديوان وشرح بعض مفرداته وأبياته شرحا مقتضبا . ولم يقم

---

(١) الأخطل فى سيرته ونفسيته وشعره ـ ايليا حاوى : ١٧٠- ١٧١ .

بعقد موازنة بين الأخطل وصاحبيه ،فلم يتعرض لجرير والفرزدق الا في صفحة واحدة عندما أراد أن يذكر أن الأخطل قد وضع معهما في طبقة واحدة وقد تعصب -لنصرانيته - للأخطل ففضله على جرير والفرزدق في حديث مقتضب لا يرقى الى درجة الموازنة الدقيقة (١) ، حيث اعتمد على الآراء التي تفضل الأخطل على صاحبيه فأوردها دون مناقشة ،ولعله مؤمن بها على عواهنها .

وفي سلسلة من الروائع قام " فؤاد البستاني " بانتخاب بعض المدائح والخمريات والأوصاف وغيرها من الأغراض في شعر الأخطل ، وشرحها بايجاز ،ولكن هذا الشرح لم يصل الى درجة النقد الأدبي الذي يبين من خلاله مواطن الجمال الفني لدى الشاعر ومواطن الابداع التي أجد فيها .

أما الفرزدق فلم يحظ بمثل ما حظى به الأخطل وجرير من الاهتمام والدراسة فديوانه الضخم لم يحقق حتى الآن رغم قيمته الفنية ومادته اللغوية الغزيرة . وانما صدر في طبعات غير محققة فيها كثير من النقص لشروط النشر السليم (٢)

---

(١) انظر هذه الدراسة : ٥١- ٥٥ .

(٢) باستعراض موجز لطبعات ديوان الفرزدق نجد المستشرق الفرنسي " ريتشارد بوشيه " قد قام بطبع جزء منه وترجمه للفرنسية سنة (١٨٧٠م) وفي عام (١٩٠٠م) قام المستشرق الألماني" يوسف =

أما الدراسات المتخصصة التي قامت حول الفرزدق فكان من أهمها وأشملها دراسة الدكتور " شاكر الفحام " في كتابه (الفرزدق) الذى أصدره سنة (١٣٩٧هـ) في دمشق [1] ،وقد تناول في هذه

(=) هل " باصدار الجزء الثاني في " ميونخ " وبقى هذا العمل مرجع الباحثين في شعر الفرزدق في العصر الحديث بالاضافة الى ماقام به السيد " أمين بن عمر زيتونة " في مصر عام (١٨٧٦م) حينما أصدر ديوان الفرزدق ضمن خمسة دواوين لشعراء مختلفين ،وفي مصر عام (١٩٣٦م) أصدر الأستاذ عبد الله الصاوى ديوان الفرزدق في جزءين ،وظل مرجع للدارسين حتى الآن رغم ظهور آخر طبعة مصورة للديوان عن طبعة الصاوى في بيروت والتي أصدرتها دار صادر عام (١٩٦٠م) وهي معتمدة على طبعة الصاوى بعد أن - اختصرت منها بعض المقدمات النثرية للقصائد .
وصدرت طبعة أخرى عن دار بيروت للطباعة والنشر عام ١٤٠٠هـ . .
كما قام كذلك " ايليا الحاوى " بشرح ديوان الفرزدق عام (١٩٨٣م) ومع هذا كله فلم يحقق حتى الآن .
انظر تاريخ التراث العربي د . فؤاد سزكين (٣/٧٧- ٧٩ . (ترجمة د . محمود فهمي حجازى طبع جامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية ١٤٠٣هـ) .

(١) طبع الكتاب في بيروت ويقع في (٥٣٠) صفحة من منشورات دار الفكر وهو رسالته التي نال بها درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة (١٩٦٣م) .

الدراسة بيئة الشاعر وحياته فتحدث عن المظاهر السياسية والاجتماعية والدينية والفكرية والأدبية ثم تحدث عن قبيلته وأسرته ونشأته وشبابه ورحلته الى الحجاز فارا من " زياد " فى خلافة معاوية ،وصلاته بالولاة والخلفاء وأيام شيخوخته ،وقد خص شعر الفرزدق بجزء من هذه الدراسة فتحدث عن الديوان وتوثيقه ونقائض الفرزدق مع جرير صورتها وأغراضها وخصائصها الفنية كما تحدث عن الهجاء والفخر قبل الأغراض الأخرى التى تكلم عنها كذلك ،وهى الغزل والوصف والمدح والرثاء ،وختم هذه الدراسة بالحديث عن الظواهر اللغوية والنحوية وأخيرا خصائصه المعنوية واللفظية .

وتعد هذه الدراسة أشمل ماكتب عن الفرزدق فى العصر الحديث لأن الكاتب عاش مع شعر الفرزدق فترة من الزمن يستجلى روائعه ويحلل فنه ويدرس خصائصه المعنوية ،فأخرج لنا هذه الدراسة بعد أن رأى أن الفرزدق رأس الشعراء الاسلاميين وأغزرهم شعرا لم يحظ بنصيبه الذى يستحقه من الدراسات الناقدة (١). فجاءت هذه الدراسة شاملة ضافية فى كثير من الجوانب ،وليته أتبعها دراسة وتحقيق ديوانه كما فعل الدكتور " نعمان طه " فى دراسته عن جرير صنو الفرزدق والأخطل ،كما أنه لم يعقد موازنة مستقلة بين الشعراء الثلاثة مع أن الأمر يقتضى هذا وان كان فى أثناء حديثه عن النقائض وخصائصها الفنية قد تعرض لجرير كثيرا ووازن بين بعض الصور عنده وعند الفرزدق ،الا أن هذا لا يفى بالغرض

---

(١) انظر هذه الدراسة : ٦.

المطلوب لأن النقائض في مجملها هجاء وفخر بين الفرزدق وجرير فخرج الأخطل من هذه الموازنة ،وأيا كان الأمر فان هذه الدراسة تعد أشمل ماكتب عن هذا الشاعر كما قلنا ،وهي شمعة تضيء الطريق لدراسة الفرزدق الذى لم يأخذ نصيبه في دراسات المحدثين وتحقيقاتهم للتراث العربي وهذا قصور يؤاخذ عليه المثقفون والمهتمون بدراسة تراثنا العربي في العصر الحديث .

ولم يكن الدكتور" الفحام" وحده هو الذى درس الفرزدق ففي سلسلة نوابغ الفكر العربي أصدر الدكتور" ممدوح حقي" دراسة موجزة عن الفرزدق (١) بدأها بالحديث عن الحركات السياسية وتعدد الأحزاب في العراق والشام في عصره ،ثم تناول بالحديث الموجز الشاعر من حيث اسمه ولقبه وكنيته ونسبه وطفولته وشبابه وزوجاته وأولاده وشيخوخته وقد تكلم عنه كشخصية سياسية وكشاعر فتحدث عن الهجاء والمدح والفخر والغزل والرثاء والوصف في شعره ولكنه كان موجزا في كل حديثه فجاءت هذه الدراسة مخلة بكثير من الجوانب الهامة لشخصية الفرزدق وقد أشار الى تأثره وتأثيره ومآخذ العلماء عليه ،كما أردف دراسته باختيار بعض المنتخبات من آثاره الشعرية وأثبت أنه انفرد بالفخر والاقذاع دون صاحبيه ،ولكن هذه الدراسة ينقصها الكثير مما لم يهتم به هذا الدارس كالموازنة بين الشعراء الثلاثة والخصائص الفنية وبعض الظواهر الأخرى في أسلوبه كالتقديم والتأخير والغرابة

---

(١) تقع هذه الدراسة الموجزة في (٩٥) صفحة من مطبوعات دار المعارف بمصر .

والتعقيد ومن هنا كان قصور هذه الدراسة الموجزة .

هذه فى الواقع أهم الدراسات التى تناولت الفرزدق فى العصر الحديث بالاضافة الى ماكتب عنه فى كتب تاريخ الأدب الحديثة وغيرها من الكتب هنا وهناك وبعض المقالات التى نشرت فى بعض المجلات.(١)

ومهما يكن من أمر فسيظل العمل ناقصا مالم يحقق ديوانه الكبير الذى تفتقر اليه المكتبة الأدبية والتراث العربى الأصيل.

أما جرير فقد نال عناية فائقة من الدارسين المحدثين فقد قامت حوله دراسات متعددة كان من أهمها وأشملها دراسة الدكتور " نعمان طه " فى كتابه " " جرير حياته وشعره " (٢)

وتعد هذه الدراسة أوفى الدراسات الحديثة عن " جرير " تناول فيها المؤلف البيئة الجغرافية التى عاش فيها الشاعر كما

---

(١) انظر ثبتا باهم ماكتب عن الفرزدق فى الدراسة التى قام بها الدكتور شاكر الفحام : ٥١٩ ، وأشير هنا الى أن الدكتور " مصطفى عبد الواحد " قد قام بدراسة وافية لأثر الاسلام فى شعر الفرزدق وصدرت هذه الدراسة سنة (١٤٠٢هـ) فى طبعتها الأولى بدار الاصلاح فى الدمام .

(٢) تقع هذه الدراسة فى (٤٠٠) صفحة من منشورات دار المعارف المصرية سنة (١٩٦٨م) .

تحدث عن البيئة السياسية والاجتماعية والنقدية فى العصر الأموى ليخلص من هذا كله الى الحديث عن بيئة الشاعر الخاصة حيث تكلم عن " تميم " فى الجاهلية من حيث تاريخها ونسبها وقبائلها وحروبها وعلاقاتها بالقبائل الأخرى كما تحدث عنها فى الاسلام وبعد ذلك تحدث عن أسرة الشاعر وأجداده ،وأولاده ،وأحفاده ،ومتى بدأ يقول شعرا ،والتحامه مع الشعراء ثم حياته الاجتماعية الخاصة والعامة واتصاله بالولاة والخلفاء وتطوافه بالبلدان وموقفه من العصبيات القبلية وأخلاقه وصفاته وملكته النقدية ثم أردف دراسته ببعض مآخذ النقاد عليه وتكلم عن المهاجاة بينه وبين صاحبيه وغيرهما من الشعراء الذين كانوا ينهشونه ،ثم تحدث عنه بين صاحبيه الأخطل والفرزدق فأورد آراء القدماء ثم ناقشها وبخاصة مايتعلق بجرير وأما الأخطل والفرزدق فقد رأى هذا الدارس أن يرجىء حكمه عليهما لأنه كما يقول : (لا يمكن أن أبدى الرأى فى الفرزدق والأخطل لأنى لم أدرسهما الدراسة التفصيلية ولم أحى مع شعرهما وأخبارهما حياة نفسية أستطيع بها فى النهاية الحكم عليهما)(١) .

ومن هنا ومما أوحت الينا به عبارة الدكتور نعمان جاءت دراستنا لهؤلاء الثلاثة ـ والا فان دراسة الدكتور " نعمان طه "وافية شاملة ـ علنا نكمل مابقى من خلال موازنتنا بين الشعراء الثلاثة فى الفصل الثالث من هذا الباب ـ باذن الله ـ .

ولقد تحدث هذا الدارس عن جرير شاعرا فتكلم عن أغراض

---

(١) جرير حياته وشعره د . نعمان طه : ٢٠٩ .

شعره مبتدئا بالمديح ففصل القول فيه وبين ميزاته وخصائصه الفنية كما تكلم عن الغزل ، والنسيب ، والهجاء ، ونقائضه مع الفرزدق والأخطل ، ثم تناول الفخر وبين ميزة هذا الغرض عند جرير وأنه لم يقصد اليه قصدا ، وانما دفعه الى ذلك مارآه من فخر الفرزدق فأراد أن يصطنع له فخرا يطامن به من فخر الفرزدق القوى ، وأشار الى الطبيعة فى شعر جرير فذكر وصفه للصحراء التى قطعها أثناء رحلاته ، كما وصف الابل والحصان وغير ذلك من مظاهر الطبيعة الصامتة والمتحركة ، وذكر العتاب والرثاء عند جرير فتحدث عن ذلك مبينا الجانب الحزين فى نفس هذا الشاعر فقد كان جرير رقيق القلب ومثل لهذا من شعره ، كما ذيل هذه الدراسة الوافية بتلخيص ضاف للسمات الفنية فى شعر جرير تناول فيها صور هذا الشاعر الفنية من خلال أغراضه وصياغته لهذا الفن الشعرى وأسلوبه وبين أن جريرا لم يعتمد فى ذلك على جلجلة الألفاظ وقوتها أو المبالغات الخيالية وعرض لموسيقاه الشعرية ، فذكر تجاوب موسيقى اللفظة الواحدة مع موسيقى الألفاظ مجتمعة ، وقد راعى جرير الجرس الموسيقى الذى يعبر عن روح المعنى ، وهكذا تناول كل السمات الفنية التى تلوح للدارس فى شعر جرير فبسط الحديث عنها ووضح مواطن الجمال الفنى والضعف فى نتاج هذا الشاعر ولم يترك شيئا يستحق البحث ويتعلق بجرير الا وفاه حقه فى هذه الدراسة وقد زاد عمله اتقانا أنه أردف بعد ذلك بتحقيق ديوان جرير فى جزئين بلغ حجمهما (١٢٦٦) صفحة[1] وقد سهل بذلك على

---

(١) طبع الديوان المحقق بمصر دار المعارف سنة ١٩٧١م .

الدارسين لشعر جرير حيث استقصى كل نتاجه بالدراسة والبحث والتحقيق .

وان كانت قد قامت دراسات أخرى حول هذا الشاعر الا أنها ليست من العمق والاستقصاء الذى يكمن فى كتاب الدكتور " نعمان طه " .

ولعل من هذه الدراسات الحديثة أيضا ماقام به الأستاذ محمد ابراهيم جمعة فى دراسته الموجزة عن جرير ضمن سلسلة نوابغ الفكر العربى (٢) .

كما قام الدكتور محمد عبد العزيز الكفراوى بدراسة أخرى - بعنوان جرير ونقائضه مع شعراء عصره (٢) تحدث فيها عن بعض المظاهر السايسية والقيم الفنية لشعر جرير وخصوماته مع الشعراء وستبقى هذه الدراسات دون دراسة الدكتور نعمان طه من حيث الشمول والاستقصاء لجوانب شخصية جرير الفنية .

هذه فى الواقع أهم الدراسات التى تناولت الشعراء الثلاثة والتى خصصها دارسوها لتناول الشعراء كل على حده حسب مارأينا هنا والحقيقة أننا لا ندعى الكمال فليست كل ماقيل عن هذا المثلث ولكنها قد تكون أهم ماقيل ، ومهما يكن فميدان البحث

---

(١) تقع هذه الدراسة الموجزة فى (١٣٠) صفحة من الحجم الصغير وقد طبعت بدار المعارف المصرية سنة ١٩٨٠م .

(٢) طبعت هذه الدراسة الموجزة بالقاهرة دار نهضة مصر للطبع والنشر وتقع فى (١٣٨) صفحة من الحجم الصغير ولم أقف على تاريخ نشرها .

والدراسة لهؤلاء الشعراء الفحول لايزال واسعا نأمل أن تتلوهـــا دراسات أخرى تكشف عن المزيد من الأسرار الجماليـة لنتاجهم والقيمة الفنية فيـه للموازنة بينهم موازنة استقرائية شاملة ،فبضدها تعــرف الأشياء كما يقولون ،ولابد أن يوضع الشعراء الثلاثة فى لوحة واحدة وهذا ما سأحاول أن أفعله فى الفصل التالى - باذن اللـــه - للموازنة النقدية بينهم .

****

الفصل الثالث

موازنة بين الشعراء الثلاثة
في ضوء النقد الحديث

" " الفصل الثالث " "

÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷

* * موازنة بين الشعراء الثلاثة في ** * ضوء النقد الحديث *

أجمع نقاد الشعر على أن لواءه في العصر الأموي عقد للشعراء الثلاثة جرير والفرزدق والأخطل ،ولكنهم اختلفوا في السابق منهم(١)

ولقد تحامى كثير من الأدباء وأهل البصر بالشعر عن تقديم أحدهم على صاحبيه كما رأينا من قبل . ولعل الخصومة التي نشبت بينهم كانت من أقوى الأسباب الرئيسية التي أدت الى ظهور آراء متعددة حولهم لم تجمع على أيهم أفضل فقد وضعهم ابن سلام رأس طبقات الاسلاميين وبين اختلاف الناس فيهم(٢) ، واذا كان النقد القديم الذي دار حول هؤلاء الشعراء لامحا موجزا يعمد الى الجزئيات البسيطة فيحكم من خلالها مركزا على نقاط معينة أثارت الناقد استحسانا أو قبحا فان هذه النقاط لاترقى الى مستوى النقد الواعي الذي يعمد الى الموازنات الدقيقة بعد الاستقراء التام ،ومن هنا فان النقد الحديث لم يعد ينظر الى الشاعر نظرة جزئية من خلال البيت أو البيتين أو حتى القصيدة الواحدة فيحكم من

---

(١) انظر المنهل العذب في الأدب العربي وتاريخه . أحمد محمد الامام : ٩٨ (شركة المدينة للطباعة والنشر بجدة) .

(٢) انظر طبقات فحول الشعراء : ١/٢٩٩ .

خلالها ، ولم تعد مسألة الموازنة بين الشعراء فى النقد الحديث تركز على أيهم أفضل بقدر ماهى محاولة جادة لتحسس مواطن الجمال الفنى والاجادة عند الشاعر(١) . اذ أن لكل منهجه وتجاربه فى الحياة . وقدراته الذاتية فى مجال الابداع . وقبل أن أدخل فى الموازنة التفصيلية بين الشعراء الثلاثة لابد من معرفة موقف كل منهم من أحداث عصره التى كان لها الأثر الكبير فى تواؤم الشعراء مع المجتمع بحسب ماتفرضه عليهم ظروفهم الاجتماعية والاتجاهات السياسية فى عصرهم . فالأخطل شاعر البلاط الأموى منذ اللحظة الأولى ، قربه الأمويون فأشاد بهم وتغنى بمآثرهم ورمى غيرهم بأشد الهجاء حتى أنصار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يسلموا من اقذاعه ليرضى بذلك يزيد . فلا غرابة أن يأتى شعره منسجما مع هذا التقريب وماتمليه عليه الحياة السياسية .

وأما الفرزدق فكان شامخ النفس متعال بنسبه يربأ بذاته أن يرتمى فى أحضان الخلفاء والأمراء والولاة لأنه سليل مجد تليد وربيب أسرة عريقة حظها من الشرف فى القمة فاستمد من واقعه مفاخر جمة تطاول فيها على الخليفة معاوية وبعض الولاة (٢) .

وجرير من تميم زبيرية الهوى وهو يحطب فى حبال قيس أخلص فى مدائحه للحجاج فجاءت رائعة فاقت مامدح به الخلفاء

---

(١) انظر مقدمة فى النقد الأدبى د . محمد حسن عبد الله : ٣٦ - (دار البحوث الكويت) .

(٢) ديوان الفرزدق : ١/ ٥٢ - ٥٣ ، ٣٩٣ .

وتغنى كثيرا بمآثر قيس وبخاصة عندما يناقض الأخطل . ومع هذا فقد طرق الجميع فى النهاية أبواب الخلفاء ومدحوهم ،وكان هذا نتيجة لابد منها بعد أن استقرت الأمور لبنى أمية وانتهت عواصف الفتن التى اشتعلت نارها حينذاك .

هذه فى الواقع صورة مبسطة لاتجاه كل منهم وتكيفه مع الوضع السياسى السائد فى المجتمع الذى عاش فيه شعراؤنا الثلاثة . وفى هذه الموازنة سنحاول جهدنا بيان موقف هؤلاء الشعراء فى مديحهم لبنى أمية ومن عاش فى عصرهم من الفضلاء والسادات من حيث تتبعهم للقيم النبيلة والمثل الحية للانسانية ،وهل عبروا عن هذه المثل تعبيرا صادقا وميزوا شخصيات ممدوحيهم بسماتهم التى كانوا بها عظماء؟ ومدى توخيهم فى فخرهم للمعانى السامية أم أنهم ركزوا على النعرات القبلية ففاخروا بها واصطنعوا لأنفسهم سجايا لم تكن لهم ولم يتصفوا بها من قريب أوبعيد ،وسنحاول تناول الأغراض الأخرى علنا نكون منصفين أو قريبين من الانصاف فى هذه الموازنة وان كان البحث مقصورا على المديح والفخر الا أن أمانة الحكم تقتضى منا أن ننظر الى الشعر كله من غير تفريق ولو بصورة موجزة بالنسبة للأغراض الأخرى غير المديح والفخر ،ولأن المنهج الذى اختططه فى هذه الرسالة يفضى بى الى هذا ،وسأبدأ فى هذه الموازنة بمنهج القصيدة عند كل منهم .

. . . .

عندما نستعرض قصائد الأخطل نجده يبدأ مقدماته[1] ـــ بالحديث عن الديار العافية والرسوم الدائرة ،وصرم الحبيب له الا أنه كثيرا مايذكر السرى ومافيه من العنت والمشقة ،ويذكر راحلته ويصفها مصورا هزالها ،وتصبب عرقها من طول الرحلة ،ثم يستغرق كثيرا من مطلعه في وصف الخمر والتغنى بها والتلذذ بمفاتنها وكأنها معشوقته الوحيدة وهذا مالم يفعله جرير أو الفرزدق ،وقد يربط الأخطل بين أثر الخمر وبين حاله النفسي تقليدا لغيره من شعراء الجاهلية ،وفى بعض الأحيان نجده يهجم على معناه هجوما دون مقدمة لذلك كما حدث فى بعض نقائضه مع جرير[2] وان كان هذا قليلا بخلاف جرير الذى يغلب على نقائضه الابتداء بالنسيب على عادة الشعراء الجاهليين والاسلاميين ،ولقد كانت مقدمات الأخطل واضحة لا غموض فيها ولا التواء ،وأما الفرزدق فلم يلتزم الاستهلال بالغزل فكثيرا ماهجم على معناه هجوما ،وان قدم لقصيدته أحيانا فانما يمر به متعجلا وكأنه يحس شيئا من جسو يباعد بينه وبين هذا الفن فلا يطرقه الا لماما[3] ولهذا كان فى غزله متكلفا فاتر

---

(١) ان أول مايلاحظه الناقد على القصيدة فى شكلها الخارجى هو المطلع فقد عنى نقاد العرب بمطلع القصيدة عناية فائقة وطالبوا أن يكون بينا واضحا لا غموض فيه ولا التواء سهل المأخذ لاتعقيد فيه ولا صعوبة فى فهم معناه / انظر أسس النقد الأدبى عند العرب ـ د . أحمد أحمد بدوى : ٢٩٧ .

(٢) انظر نقائض جرير والأخطل : دراسة الدكتور عبد السلام المحتسب : ٤٩٢ - ٤٩٤ .

(٣) انظر الفرزدق ـ د . شاكر الفحام : ٣١٥ .

الاحساس(١) لأن شخصيته من الشخصيات التى لا تلين للمرأة وحسبنا فى هذا الصدد قوله (٢) :

وأهون مفقود اذا الموت نالــه　　على المرء من أصحابه من تقنعــا

ويكشف عن طبيعته قول المتنبى أيضا (٣) :

تذلل لــها واخضع على القرب والنوى　　فما عاشق من لا يذل ويخضع

ولكن الفرزدق لم يتذلل ولم يخضع لما يشعر به من العظمة والشرف وربما لأن جريرا قد سلب منه ومن الأخطل كل عاطفة رقيقة ولم يترك لهما مجالا فى هذه الناحية لأنها الوحيدة التى بقيت لجرير كى يجيد فيها بعد ماذهب الفرزدق بالفخار والأخطل بالمديح والهجاء على رأى بعض النقاد القدامى(٤) .

وأما جرير فنجده فى عامة قصائده يبدأ بالنسيب الذى تغلب عليه الرقة والعذوبة والعفة فكثيرا ماتغزل باحدى زوجاته ، وكان من هذه الناحية مع عفته محافظا على نسق القصيدة الجاهلى .

ويدور مطلع جرير فى أغلب حالاته حول ذكر صاحبته وحواره معها وابداء رأيه فيها وذكر الوصال والفراق والوشاة والأعـــداء

---

(١) انظر الوقوف على الأطلال د . مصطفى عبد الواحد : ٨٤ (مطبوعات نادى مكة الثقافى) .

(٢) ديوان الفرزدق : ١ / ٤٢٢ .

(٣) ديوان المتنبى بشرح البرقوقى : ١ / ٤١٢ .

(٤) الشعر والشعراء : ١ / ٤٦٧ .

ووصف المطايا وتحية المنازل وهكذا . ثم يخلص الى الغرض الذى يريد أن ينبنى عليه القصيدة سواء أكان مدحا أم هجاء أو غير ذلك من أغراض الشعر .

ويلاحظ على جرير فى مقدماته أنه لا يمعن كثيرا فى وصف الرحلة وطولها ولكنه يركز على النسيب الجميل وهذا ماميز أسلوبه الفنى وطبعه بطابع الحلاوة والعذوبة والوضوح وعدم الغموض .

هذا مايتعلق بالمقدمات عند الشعراء الثلاثة ...

أما مايتعلق بتخلصات الشعراء من هذه المقدمات الى الغرض فقد أحسنوا فيها وقد أشار بعض النقاد المحدثين الى حسن تخلصات الفرزدق (١) وان كان صاحباه لا يقلان عنه حسنا .

أما الغرض ذاته فما من شك فى أن الأخطل فى مدائحه لبنى أمية يعد أكثر تنقيحا وتهذيبا فى عرف النقاد القدامى ،فلم يكن يرضى بالمدحة التى تكون وليدة الوقت القصير بل لابد من أن يجود وينقح ولو أخذ منه هذا مدة أطول . ومن هنا كان ممن يطلق عليهم " أصحاب الحوليات " اذ أنه ينظم القصيدة فى تسعين بيتا ثم يختار منها ثلاثين بيتا فيطيرها (٢) . وقد يبدو فى مدائحه لبنى أمية مهتما بالنواحى السياسية أكثر من مدائحه فى غيرهم وبالأخص عندما يمدح بنى مروان نظرا لأن شخصية عبد الملك ومن

---

(١) انظر أسس النقد الأدبى عند العرب د . أحمد أحمد بدوى : ٣٠٩ .

(٢) انظر الأغانى : ٨/٢٨٤ .

جاء بعده من الخلفاء قد فرضت على الأخطل أن يتأنى فى اختيار معاني وصور مدحه لهم ويدقق فيها ،فعبد الملك بن مروان غير يزيد بن معاوية ،والوليد أشد من أبيه فى تعامله مع النصارى وهكذا ولذلك جاءت مدائحه فى بنى مروان تتسم بطابع السياسة اذ رسم لهم صورا قوية عرض فيها لمعانى البطولة ليؤكد أنه لازال مواليا لهم وأنه شاعرهم الأول . بخلاف مدائحه ليزيد بن معاوية الذى لم يدخل الى روعه مدخل البطل الفاتح وانما الشاب النزق الذى يتلذذ ويلهو . ونتيجة لتروى الأخطل فى قصائده نجده يرتب عناصرا لمدحة وفق مايريد فينتقل بين أجزائها بروية وتمهل .

ولعل أول مايصادف القارىء لمديحه عنايته الفائقة بشخصية الممدوح وتتعاظم هذه العناية عندما يكون خليفة (١) أو من أبناء البيت الأموى . اذ يتناول هذه الشخصية بكل مقوماتها السياسية والاجتماعية وماتتصف به من سجايا نبيلة وخلال حميدة . ويفرد للجانب البطولى جزءا كبيرا فى المدحة فيشيد بدور الممدوح فى المعارك وانتصاره فيها مصورا بلاءه وشدة بطشه بالأعداء . وبالمقابل يذكر حلم الممدوح وكرمه وأياديه البيضاء واصلاحاته الداخلية التى تخدم المجتمع .

---

(١) انظر على سبيل المثال مدائحه فى عبد الملك بن مروان ويزيد ابن معاوية / شعر الأخطل : ١/ ٣٩، ٩٣، ١٦١، ١٧٩، ١٩٢، ٢٩٢، ٢٠٣، ٢٠٣/ ٤١٠، ٤٣٣ . وستجد فرقا فى تعاظم الشخصيتين عند الشاعر . والنواحى التى اعتنى فيها بشخصية كل منهم فى المدحة الواحدة .

واذا كان الممدوح فرعا من دوحة عظيمة وجدنا الأخطل يشيد بمآثر قومه وكرمهم وشجاعتهم وفى نشوة الابداع وغمرة المدحة لا يتناسى نفسه وأطماعه فيفتخر تارة ويذكر مآثر تغلب أخرى ويندد بأعدائه وأعداء قبيلته ، وقد ظهرت هذه الناحية فى مدائحه ليزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان وأخيه بشر لما يشعر به من الحظوة والتمكن عندهم ، بينما خفت هذه الناحية أثناء مديحه للوليد وأخيه سليمان وغيرهم . ومن هنا جاءت مدائحه لبني أمية أكثر جودة وأقوى معانى وأطول نفسا ، فاذا مدح غيرهم من شخصيات وفضلاء عصره كان غرضه محدود المعانى قليل العناصر يتركز فى المديح الخالص وبعض الصفات الشخصية كالكرم والشجاعة وعراقة المنبت لا يتعدى الممدوح وقبيلته وينأى به عن النواحى السياسية واذا أخذنا مثلا مدائحه فى جرير بن عبد الله البجلى ، أو سماك بن مخرمة الأسدى أو غيرهما نجدها أقصر نفسا من مدائحه فى عبد الملك بن مروان والوليد ويزيد وبشر وغيرهم من بنى أمية حيث جاءت صوره متقاربة متتابعة وخفت منها الصور الدينية التى لا تظهر الا فى مديحه للخلفاء والأمراء من بنى أمية .

ان الأخطل يتكلف فى شعره عناء شديدا ويجهد نفسه فى انتقاء ألفاظه ورسم صوره وبخاصة عندما يمدح الخلفاء (١) . فلقد

---

(١) ومن هنا كان مقلا فى المديح مع أنه لازم بنى أمية وقتا من الزمن ووصل حباله بحبالهم وقتا طويلا ولكن مدائحه فيهم كانت أقل نسبة من مدائح جرير والفرزدق .
انظر الجداول الملحقة بهذا البحث من ١-٧ للمقارنة .

دامت صلته بعبد الملك خمسة عشر عاما ولم يمتدحه الا بثلاث قصائد حفظها لنا ديوانه الموجود بين أيدينا . ونتيجة لهذا التكلف وهذا التنقيح والتهذيب جاءت مدائحه قليلة اذا ماقيست بمدائح الفرزدق وجرير فلم يكن الأخطل من الشعراء المطبوعين الذين ينظمون أشعارهم عفو الخاطر(١) وانما كان يتعب نفسه ويجهدها طلبا للاتقان والجودة . وكانت البيئة التى عاش فيها فى ظل الأمويين تفرض عليه هذا لأنه يخاطب بهذه المدائح خلفاء وأمراء فيهم الشاعر والناقد والمتذوق للشعر ومن هنا كان حتما على الأخطل هذا التنقيح والتجويد فى فنه فقد انطلق من منطلقات فنية معينة تفرض عليه الاحتفال بشعره والتروى فى اختيار ألفاظه ،فيزيد بن معاوية شاعر مبدع قيل فيه وفى امرئ القيس لقد بدئ الشعر بملك وختم بملك (٢) .

وكان أبوه من قبله يقول : " اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر آدابكم فان فيه مآثر أسلافكم (٣)" . وقال : " يجب على الرجل تأديب ولده والشعر أعلى مراتب الأدب(٤)" .

وعبد الملك بن مروان كان أديبا يجمع بين الرواية والنقد حتى قال فيه الشعبى : " ما جالست أحدا الا وجدت لى الفضل عليه

---

(١) انظر الأخطل شاعر بنى أمية د . سيد غازى : ٢٣٣ .
(٢) انظرالفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية لابن الطقطقى : ١١٣
(٣) الكامل للمبرد : ١٢٣٢/٣ .
(٤) العمدة لابن رشيق : ٢٩/١ .

الا عبد الملك بن مروان فانني ما ذاكرته حديثا الا زادني فيه ولا شعرا الا زادني فيه "(١) .

وكان مجلس بشر بن مروان حلقة أدبية ويحب الايقاع بين الشعراء (٢) .

وكان الوليد بن عبد الملك وأخوه هشام يرويان الأشعار ويفاضلان بين الشعراء .

ولقد قدر للأخطل أن يبدأ صلته ويعقد أسبابه بهؤلاء القوم بادئ ذي بدء فكان لزاما عليه أن يجود فنه ويحفل بشعره لأن من يخاطبهم ليسوا من عامة الناس ولكنهم من علية القوم أدبا وجلالا فكان أن انتهج مدرسة أصحاب الحوليات في الشعر وكان من عبيده .

ومن هنا كان اعجاب الرواة بشعره لأنه امتداد للشعراء الجاهليين في التهذيب والتجويد ، وقويت ملكة الخيال عنده فبرع في التصوير الذي غدا الطابع العام لشعره وليس معنى هذا أن كل مدائح الأخطل ذات صور قوية ولكننا نجد صوره تجود كثيرا وتقصر في بعض الأحيان قليلا ، وانما جاء هذا القصور بعد أن شعر الأخطل بضعف مكانته عند الوليد فاستعاض عن الصور بالمبالغات والقسم في أغلب مدائحه للوليد مما يدل على ضعف نفسه (٣) . وكان هذا

---

(١) البداية والنهاية : ٩/ ٦٣ .
(٢) انظر طبقات فحول الشعراء : ١/ ٤٧٤ .
(٣) انظر شعر الأخطل : ١/ ٢٢٢ ، ٢٤٤ ، ٢٧٠ .

نتيجة طبيعية بعد أن فقد مكانته فجاء متوسلا متشفعا طالبا لقومه السلام ورفع الضرائب .

وخلاصة القول :

أن مدائح الأخطل في ظل بني أمية وبخاصة عبد الملك بن مروان ، وأخيه بشر ومن قبله يزيد بن معاوية وأخيه وابنه وبعض القادة والولاة في عصرهم تمثل أروع ماتفتحت به قريحة الأخطل الشعرية في هذا الغرض من حيث طول النفس وتماسك البناء وقوة التصوير وفخامة المعنى . وكان هذا الاتقان في مدائحه تلك نتيجة لعدة عوامل من أهمها حرصه الشديد على كسب ودهم وهم سادة المجتمع ومعرفتهم بالشعر ونقده فلا يغفرون له أى سقطات أو زلل ثم عطاؤهم الوفير الذى يناله الشعراء بغير حساب ، وبعد هذا كله وقوفه أن الأخطل نصراني في وسط مسلم لا يرضى ولاة الأمر فيه أن تخدش عظمة الاسلام ، ومن هنا تمهل هذا الشاعر في القصيد وأجاد وعاد ونقح حتى غدا هذا سمة بارزة فيه ، ومن ثم كان سر اعجاب العلماء بشعره .

أما غرض الفخر عند الأخطل فاننا نجد معانيه صورة لمعاني القدماء ، فالشجاعة والكرم وقتل الملوك والأبطال ليست معاني جديدة ابتكرها الأخطل وافتخر بها ، وانما هي معان مطروقة في الشعر الجاهلي جاء بها هذا الشاعر وجعلها منطلقا له في فخره وبخاصة عندما يناقض خصمه جريرا .

ولقد حال الاسلام دون الكثير من المعاني التي كانت تدور

فى رأسه ويود أن يفتخر بها ولذلك وجدناه يركز على الافتخار برجال قومه كعمرو بن كلثوم ، والسفاح التغلبى ، والهذيل بن هبيرة ويردد دائما انتصارات قومه فى الجاهلية والاسلام ويفتخر بذلك وبخاصة ماكان بينهم وبين قيس عيلان من أيام وحروب ولايذكر عظماء قومه الا فى فخره على جرير .

ولو قدر للأخطل وقبيلته الدخول فى الاسلام لأبدع فخرا عظيما ، فلقد نجده يسامى أحيانا الفرزدق فى فخره القبلى لأنه يعتمد على مجد مؤثل لتغلب(١) قديم ولكن هذا المجد ينحسر فى الاسلام لأن موضوع الفخر الحقيقى ما تلاءم وطبيعة الدين الاسلامى الذى يسود المجتمع والذى يسعى الخلفاء جاهدين لاعلائه ، ولذا جاء فخره من هذه الناحية خافت الصوت تغلب عليه الشكوى من القيسية والتضرع الى الخلفاء ومنهم عبد الملك والوليد أن ينصروا قومه الذين يوالون الخلافة ضد هؤلاء الذين يتربصون بها للقضاء عليها . ولم يعد فخره فى معرض مديحه لعبد الملك وابنه الوليد كما كان فى عهد معاوية ويزيد بن معاوية اذ أن نغمة الفخر فى معرض مديحه أخذت تخف وتتلاشى حتى اختفت ولم يبق له الا أن

---

(١) تغلب قبيلة عظيمة لها أيامها فى الجاهلية وقد نبغ منها فرسان وشعراء ، ومن هنا فاخر الأخطل كثيرا بها وردد أسماء فرسانها مفاخرا جريرا .

يذكرهم بموقف قومه معهم ليعيد فى أذهانهم مايجب أن يحظى به الشاعر وقبيلته . وكأنه يمتن عليهم ماعمله معهم .

بنى أمية قد ناضلت دونكم   أبناء قوم هموا آووا وهم نصروا (١)

ومن هنا خلا فخره بمآثر قومه النصارى فى الوسط الاسلامى من الصور النافذة التى تبلغ الذروة فى العرض والتصوير وكثر عنده السرد الذى وان كان فى الفخر مقبولا الا أنه قد يكون فى غيره ضئيل المكانة الأدبية ،واذا قدر له أن يفتخر فى رحاب الخلفاء فليس له أن يرفع صوته فوق أصواتهم ويتعالى بانتمائه القبلى فى رحابهم اذ سرعان مايصطدم بعقيدته النصرانية التى تكبله وتكبل معه قومه وقد رأينا هذا عندما قال الأخطل لجرير فى مجلس عبد الملك : " أنا الذى منعت نومك وتهضمت قومك " . فرد عليه جرير قائلا :" أما منعك نومى فلو نمت عنك لكان خيرا لك ،وأما تهضمك قومى فكيف تهضم وأنت ممن ضربت عليهم الذلة وباءوا بغضب من الله وأدوا الجزية عن يد وهم صاغرون ،وكيف تتهضم لا أم لك قوما فيهم النبوة والخلافة وأنت لهم عبد مأمور محكوم عليه لا حاكم "(٢) .

فأنى للأخطل أن يفتخر بعد هذا؟ لم يبق له الا الضيافة التغلبية والأمجاد السالفة والخيل النجيبة التى كانت عنوان شجاعتهم أما المثل العليا التى أضفاها الاسلام على الناس فليس للأخطل

---

(١) شعر الأخطل : ١ / ٢٠٢ .

(٢) الأغانى : ٨ / ٦٢،٦٣ .

ولا لقومه رصيد منها . وليست له مزايا ذاتية يفتخر بها فجاء فخره الشخصي قليلا جدا اذا ماقيس بفخره بقومه وكانت معاني فخره الشخصي باهتة ليس فيها مايثير الوجدان ويستفز الشعور فهو من علياء تغلب كريم مضياف حامي الذمار يدافع عن قبيلته ويرفع من شأنها وهي معان يستطيع كل شاعر أن يقولها ويصطنعها لنفسه ،وقد تحاشى كما رأينا الفخر بديانته فلم يذكرها الا في بيت أو بيتين اثنين فقط [1] . ولذلك كان فخره القبلي أقوى من فخره النفسي لأنه ركز فيه على الانتصارات الحربية والضيافة التغلبية ،والأمجاد السالفة لقبيلته ونتيجة لتمجيده للقوه والفخر بها كثيرا فقد تضاءلت قيمة هذا الفخر الفنية وأصبحت النعرة الجاهلية من أهم ميزاته وأصبح همه في فخره أن يقول أن تغلب تحتل مساحات شاسعة من الأرض حموها ومنعوها ،وأن الأعداء عجزوا عن منازعة التغلبيين وأن خيلهم نجيبة مترسة في القتال . وهكذا تتوالى معان ليست من ابتكار الأخطل وحده وليست تغلب القبيلة الوحيدة التي تتصف بهذه الصفات دون سواها .

ان الأخطل كان يشعر في فخره بضآلة نفسه وبكبت مشاعره اذا ما أراد أن يطلق لها العنان فيصطدم بشخصيات الخلفاء التي تحد من انفعاله وترده الى حجمه الحقيقي فلا غرابة في الا يكون من فضل في فخره الا قوة الصياغة دون الفكرة الجديدة أو الذاتية المبتكرة .

---

(١) شعر الأخطل : ٢/٧٤٤-٧٤٥ .

وأمـــا من حيث الرثاء والهجاء والغزل فان ماعاناه الأخطل في بداية حياته من كبت واضطهاد من قبل زوجة أبيه التي كانـــت تضطهده وتهينه وتكلفه رعي الغنم وتفضل عليه أولادها كل هـــذا بالاضافة الى جفاء طبعه ونزوعه الى المراجعة في النظم قد أثـــرت هذه العوامل في نفسيته فتأخر في الغزل والرثاء . حتى أننا لـم نجـد له في الرثاء في حياته الطويلة الحافلة غير أربعة أبيـــات رثى بها يزيد (١) . وكأنه لم يهتز لموت أحد من ولده وأسرتـــه وأصدقائه كما هزه موت يزيد فجادت قريحته بأربعة أبيات .

وأمـــا غزله فليس فيه الا موسيقية اللفظ أما دقـــة الشعور وقوة الاحساس فلا نجدها عند الأخطل . ومن هنا خـــلا غزله من رقـــة الاحساس وحلاوة المعنى . وفي الهجاء نجـــده يعتني بالألفاظ ويدقق في اختيار عباراته دون أن يندفع اندفاع جرير ولذا رأيناه يتأنى في عرض صوره فجاء لفظه في الهجاء جزلا رصينا ومعناه بارعا طريفا ،ولم يكن في هجائه يميل الى السخرية والنكتـــه كما عند جرير فقد كان الأخطل يصنع الهجاء كالغزل والرثاء . (٢)

وأما الفرزدق فقد يستحوذ الغرض عنده على معظم القصيـــدة وبذلك أصبح طول النفس عنده في معظم قصائده ميزة له يتميز بهـــا في أغلب شعره ،ونستخلص من هذا النفس الطويل قدرة الشاعـــر

---

(١) شعر الأخطل : ٢/ ٥٣٣ .

(٢) انظر الأخطل شاعر بني أمية د. سيد غازي : ٢٣٦ - ٢٣٧ .

الفنية واستطراده في المعنى وتمكنه من اللغة التي تمده بسبب غزير من الألفاظ والمعاني والصور الفنية ولا يستغرب هذا على الفرزدق فان كثرة الألفاظ التي تعيها ذاكرته المميزة عن ذاكرتي جرير والأخطل دفعت به الى الابداع والخوض في اعماق اللغة ولهذا قالوا : " لولا شعر الفرزدق لضاع ثلث اللغة " (١) .

وعلاوة على هذا التمكن والاقتدار من ناحية اللغة فان هذا الشاعر كان ينطلق في مديحه وفخره بنفس حرة لا تعرف التوسل والاستجداء على الأقل في بداية حياته وشبابه ،وهذا الانطلاق يتمثل في شعره عندما يقوله وهو واثق من نفسه ،ولذلك نجده يقول القصيدة في الغرض الذي يريد ،ولا ينهي قصيدته حتى يستوفي غرضه ولو تطلب منه ذلك جهدا ،فمثلا قصيدته " الرائية " في مدح سليمان ابن عبد الملك والتي مطلعها (٢) :

طرقت نوار دون مطرقها جذب البرى لنواحل صعر

بلغت تسعة وتسعين بيتا متماسكة البناء محكمة المعاني تكتظ بالصور الفنية التي لم نجد لها مثيلا عند الأخطل أو جرير من حيث عمق الفكرة وبلاغة التشبيهات ،واستقصاء المعاني وعمقها حتى أن المتأمل فيها يقف طويلا أمام أبياتها لكي يفهم مايقصده الشاعر من وراء عباراته في هذه المدحة ،وليس هذا الوقوف نتيجة لاغراب الشاعر

---

(١) انظر الأغاني : ٢١/ ٣٩٥ .

(٢) ديوان الفرزدق : ١/ ٢٦١- ٢٦٨ .

أو تعقيد معناه ، وانما لقوة معانيه وكثرة ألفاظه وعمق أفكاره .
ونجد له قصائد أخرى تربو أبيات القصيدة الواحدة على السبعين بيتا وقد تتجاوز المائة (١) .

ولقد جاء شعر الفرزدق صورة صادقة لشخصيته فكان ممثلا لهذه الشخصية المتمردة أصدق تمثيل ، وانعكست طباعه الخشنة العنيفة على نتاجه . فظهرت سمة البداوة واضحة في ألفاظه وعباراته ، وقد استمد الكثير من تشبيهاته من البيئة البدوية التي عاش فيها فظهرت في قصائده ملامح كثيرة لهذه الطبيعة الصلدة وتردد على لسانه الكثير من الأسماء الموجودة في حياة البدو: كالحبل والدلو ، والمطايا ، وغير ذلك .

وكثر في شعره التقديم والتأخير الذي لم يدفع اليه ضحالة فكر أو ضعف شاعرية وانما تزاحم معان وامتلاء نفسه بالفكرة . فالفرزدق من الشعراء الذين يكدون ذهنهم في القصيدة ، ويتعبون في التنقيح والتهذيب ومن هنا كان شعره رائجا في بيئة اللغويين والنحاة فكان من هذه الناحية أشعر خاصة وجرير أشعر عامة (٢) .

---

(١) انظر بعض هذه القصائد مثلا في ديوانه : ١/ ٩٩، ٢٦١، ٣٦٢، ٣٧٦، . ٢/ ٢٣، ١٥٥، ١٦١، ١٦٩، ٣٠٧ . وهي مزيج بين المديح والفخر والهجاء وهناك قصائد أخرى عديدة في الديوان لا تقل القصيدة الواحدة عن خمسين بيتا .
(٢) انظر الأغاني : ٢١ / ٣٩٤ .

والفرزدق في مدائحه للخلفاء وبالأخص عبد الملك بن مروان ، وسليمان ، والوليد لم يكن ليطلب شيئا لنفسه بل كان يصور لهؤلاء الخلفاء مجتمعه وما يحيط به من ظلم الولاة أو الجباة ، ويصل الى أسماع الممدوحين وكأنه شاعر معارضة يحق له أن يبدى عيوب وظلم الولاة ويبسط هذه العيوب أمام الخليفة . وهي صور لم نجدها في مدائح الأخطل وجرير ونجده يطيل في مدائحه اطالة مفرطة فيرسم للممدوح أبعادا جديدة لما في نفسه من تطلعات ومايريده لمجتمعه من خير على يد هذا الخليفة .

وقد تجلت عظمة الفرزدق وظهرت شخصيته القوية في أثناء مدائحه لعبد الملك وابنيه الوليد وسليمان . ولم يتخلص الفرزدق من عقدة السياسة فانساق وراء تيارها ولم يرتم في أحضان الأمويين في بداية الأمر وانما كان ضالعا في هواه مع بني هاشم ، ولكنه عاد بعد أن استقر الأمر لبني أمية يزجيهم مديحه ويشيد بهم وهو الذي افتخر من قبل على معاوية ومدح بعض بني هاشم فهو يبدو متأرجح المواقف فلا مديحه يدل على حبه الدائم ولا هجاؤه يدل على بغضه الدائم فقد هجا هشام بن عبد الملك ومدحه ، وهجا الحجاج معرضا به عند سليمان بعد موته وكان قد مدحه في حياته ومدح ابن هبيرة مرة وهجاه أخرى (١) .

ولقد جادت صور الفرزدق كثيرا في مديحه لسليمان بن عبد

---

(١) انظر الأغاني : ٢١ / ٣١٣ .

الملك تلك المدائح التى كان منبعها عاطفة متأججة نحو الممدوح . وأن المتتبع لمدائح الفرزدق جميعها تتراءى له تلك الكثرة الكاثرة من الممدوحين خلفاء وأمراء وولاة وقادة وفضلاء وقبائل مما يدل على علو مكانة الشاعر وسعة معرفته بالناس على مختلف مستوياتهم ولن تتأتى هذه المعرفة الا لمن كانت له علاقة حسنة بجميع الناس وكان مقصودا لعلو كعبه ورفعة شأنه .

وخلاصة القول :

أن الفرزدق فى مديحه يتأنى فى عرض صوره وألفاظه كما يتأنى فى تناول غرضه ويحتفل به فيجود صوره وينتقى ألفاظه ونجده يمزج فى كل مدحه بين الدين والسياسة ويتخذ من البيئة البدوية مادة يستقى منها صوره وتشبيهاته . ولذلك جاءت ألفاظه منتقاة مختارة وتعبيراته ضخمة القسمات فظهرت عنده الصور الفنية واضحة وكثرت فى شعره حتى أصبحت كثرة الصور الفنية ميزة لمدائحه ، ولقد جاءت عنده ملامح للتعقيد والغموض ولكنها كانت قليلة اذا ماقيست بشعره كله الذى لا يدانيه نتاج شاعر معاصر له أو لاحق فيما نرى . ثم أن هذه الملامح لم تكن فى شعر الفرزدق الذى قاله فى شبابه ونضجه ، وانما جاءت نتيجة لكبر سنه وضعف قواه وفراغ يده من المال بعد أن تغيرت حاله وتقدمت به السن فرأيناه يطلب ويستجدى من هشام ويزيد حينما اتصل بهما بعد عمر طويل حافل بالقوة الجسمية والعقلية والفنية فلا يستغرب اذا أن تظهر فى شعره ملامح التعقيد الغموض نتيجة لما حصل فيه من كثرة التقديم والتأخير . ونتيجة

لازدحام المعانى التى لم تعد تعيها ذاكرته .

أمـــا الفخر عنده فقد ملك عليه نفسه وظهر فنه الأول الذى بز فيه أقرانه [1] ،لأنه ينطلق فيه من واقع عظيم يعضده ماللشاعــــر وقومه من أمجاد فقد انطلق فى فخره من عاطفة صادقة وخيال متوثب فان افتخر بتميم فهى من أعظم القبائل شأنا فى الجاهلية والاســلام وان قصر فخره على مجاشع ودارم فقد حلوا من تميم ذؤابتها واقتعدوا سنام مجدها ،وان افتخر بمضر كلها فمنها الرسول والخلفاء . وان قصر فخره على نفسه فهو ابن حمال الديات صاحب المعاقرة المشهورة مع " سحيم بن وثيل الرياحى " ،وان كان فخره بجده فهو محيـــى الموءودات فى الجاهلية ،وأخواله من بنى ضبة ورث منهم كريم الخلال وعظيم السجايا ومنها شاعريته [2] .

ومن هذا المنطلق العظيم كان الفرزدق كالأتى [3] فى مفاخـره ففاق غيره من الشعراء وعــد فارس حلبة الفخر . وليس معنى هــذا أن أغراضه الأخرى كانت قاصرة ولكن الفخر استحوذ على جانب كبيـر من أشعاره فعرف به من خلاله تغليبا له على غيره من الأغراض . والا فان مدائحه تعد نموذجا رائعا فى فن المديح وقد نجد لــه أثناء مدائحه للخلفاء وغيرهم بعض الجوانب من الفخر فمثلا فى مديحه

---

(١) وقد فضله عبد الملك بن مروان على غيره من الشعراء فى هذا الغرض انظر الأغانى : ٢١ / ٣٢٧ .

(٢) انظر الشعر والشعراء : ١ / ٤٧٨ .

(٣) الأتى : أى السيل .

لعمر بن عبد العزيز لايدخل الى غرضه الا بعد أن يروض نفسه بشيء من الفخر كقوله فى قصيدته التى يمتدح بها عمر بن عبد العزيز والتى مطلعها (١) :

لاسماء اذأهلى لأهلك جيرة   واذ كل موعود له أنت آمله

يقول مفتخرا فى معرض هذا المديح :

ومجد أذود الناس أن يلحقوابه   وما أحد أو يبلغ الشمس نائله

ويقول فى معرض مديحه لعبد الرحمن ابن أم الحكم والى الكوفة سنة ٥٨ هـ :

وماساقها من حاجة اجحفت بها   اليك ولا من قلة فى مجاشع

وبهذا نجد الفرزدق فى فخره المتناثر فى مدائحه وأهاجيه وقصائده التى يبدعها فى هذا الغرض يشيد بنفسه وبقومه ويحلق بهذا فى عوالم رحبة ،ولقد نجد له نهجا فريدا فى الفخر بكرم قومه اذ يأتى بتصوير رائع عندما صور عجوزا فقيرة قد تعلق بها أولادها من شدة المسغبة تسأل عن بنى دارم بعد أن حل الجدب بالأرض وخلت أيدى الناس من الأموال فتجد عندهم بغيتها وينتقل من هذه الصورة الى الحديث عن كرم قومه وشجاعتهم وسيادتهم مباشرة بعد أن يمهد بعرض صورة فنية تشد الانتباه وتستهوى القارئ ،ومثل هذه المظاهر والصور كثير فى فخر الفرزدق حيث

---

(١) ديوان الفرزدق : ٢/٨٠ - ٨١ .

تترى صوره المعبرة واحدة بعد الأخرى وبهذا يدل على مافى نفسه من معان سامية وهى معان تنبض بها عاطفة الشاعر المتدفقة .

وخلاصة القول :

أن الفرزدق قد تغنى فى قصائد الفخر بما فى نفسه من مشاعر الزهو والعظمة حيث ظل وفيا لفنه طوال حياته لا يمل ولا يسأم وبذلك كان الفخر فن الفرزدق الأول ومن الطبيعى بعد هذا أن يقصر غزله ورثاءه عن هذا الغرض ،فاذا تغزل لم يسرف فى الوصف ولم يطل وانما يظهر فى القصيدة جفاء الشاعر وغلظة حسه ممتزجا ذلك بزهوه بنفسه وتعاليه ومهما يكن فقد قصر عن جرير فى هذين الغرضين حتى أن النائحات ندبن النوار زوجه عندما توفيت بشعر جرير اذ لم يجدن فى شعر الفرزدق مايتناسب وحجم الموقف لأن عنجهيته قد نحت به منحى القوة الذاتية والمعنوية والشعرية أيضا وطبعت نفسه بطابع البداوة والجلافة ،بخلاف جرير صاحب العاطفة الرقيقة والاحساس المرهف السريع التأثر .

ولم يستطع الفرزدق أن يتخلص من نبرة الفخر حتى فى رثائه لأبيه غالب عندما داهمته المنية وقد رأى فيه جماع مكارم الأخلاق ومن هنا جاء ليرثيه فافتخر بأنه سيرثه فى محامده وأخلاقه :

ورثت أبى أخلاقه عاجل القرى   وضرب المتالى كومها وشبوبها

ومهما يكن من أمر الفرزدق فى تأثره بفقد الأحبة سواء من أسرته الدنيا أو من قبيلته فقد وجدناه متخلفا فى هذا الفن ربما

لأن قوة شخصيته وعدم تأثره بالأحداث قد حدت من سرعة انفعالـه لما يفقد من الأهل والولد وقد وجه همه وعنايته صوب المجد والعلا واكتساب الشرف أنى كان فلا تهزه أحداث الدنيا ولا تأخذ منـه وبالتالى جاء رثاؤه بين بين .

نخلص من هذا العرض الموجز لشخصية الفرزدق الفنية من خلال أغراضه التى عرضنا لها الى صاحبه وصنوه جرير الذى وقف فـى وجه الفرزدق ينقض قصائده الواحدة تلو الأخرى كما فعل مع الأخطل ومن كان ينهشه من شعراء عصره .

فأمـا جرير فيختلف عن الفرزدق والأخطل فى معدن الشعر فهو من الشعراء المطبوعين الذين ينظمون أشعارهم عفو الخاطـر ولا يضيع وقته وجهده فى التنقيح والتهذيب كما يفعل الأخطـل والفرزدق وانما يترك نفسه لرياح الطبع تدفعه الى حيث تشاء ولا يهمه أن يطيل المدحة بقدر مايهمه أن ينجزها فى وقت قصير ،ومن هنـا اتسمت مدائحه بالقصر[1] فقد أكمل مدحته فى عبد الملك (بطون راح ...) فى ثلاثة أيام بينما مكث الأخطل فى رائيته " خف القطيـن " سنة فلم يبلغ ما أراد . ولقد أجاد فى مدائحه للولاة فصورهم أبرع تصوير واعتنى بهم وبخاصة الحجاج الذى نال غرر مدائح جريـر حتى أن عبد الملك رفض أن يستمع لمديحه وقال له : أنشدنا فـى الحجاج انما أنت للحجاج[2] .

---

(١) وقد ورد عنه قوله : يابنى اذا مدحتم فلا تطيلوا الممادحة فانه ينسى أولها ولا يحفظ آخرها . وهذا المنهج يحظى باهتمام النقاد لما فيه من مراعاة مقتضى الحال . انظر العمدة : ١٢٨/٢ . (٢) انظر الأغانى : ٦٧/٨ .

ومن هنا جاءت مدائحه للولاة نابعة من عاطفة صادقة فيها جودة ودقة تصوير وعمق فى المعانى وتفاوتت مدائحه فى بنى أمية فجاء بعضها لامعا فيه جودة وعذوبة وتصوير فنى وبعضها قل حظه من سمات الابداع وملامح الجودة ،ولم يعتن جرير بتصوير ممدوحيه من الخلفاء بخلاف الحجاج وغيره من الولاة الذين صورهم تصويرا رائعا (١) نعدمه فى مدائحه للخلفاء والأمراء من بنى أمية وقد اهتم بتصوير الممدوح وقوة بأسه ثم ذكر أعماله العظيمة التى يستحق بها المدح والثناء .

وأما فخره فقد اصطنعه اصطناعا حيث طامن به من فخر خصمه الفرزدق ولم يتورع أن يفتخر على الأخطل بالاسلام وأن قومه يملكون المشاعر كلها بخلاف قوم الأخطل الذين قل نصيبهم من هذا الارث ونتيجة لضياع المعانى من جرير فى فخره أمام الفرزدق والأخطل أخذ يسمو الى الانتساب الى تميم كلها بل ومضر والخلافة ولم يتردد فى أن ينسب نفسه الى الخليفة عندما افتخر على الأخطل قائلا (٢) :

هذا ابن عمى فى دمشق خليفة   لوشئت ساقكم الى قطينا

وقد تحاشى أن يفتخر بآبائه وأجداده نظرا لوضاعتهم وقلة مجدهم فاصطنع لنفسه مجالا برز فيه وهو المجال الذاتى حيث جعل

---

(١) ومن هؤلاء الولاة خالد بن عبد الله القسرى ،وهلال بن أموز المازنى وغيرهما . انظر جرير حياته وشعره د . نعمان طه : ٢٢٦-٢٢٨ .

(٢) انظر ديوان جرير : ١/ ٣٨٨ .

من شاعريته منطلقا لهذا الفخر وهذا التطاول . ومن هنا استطاع أن يقف أمام خصميه ويستند على هذا الفخر فى نقائضه معهما . على أن الغرض الذى ميز الشاعر عن غيره هو الرثاء والنسيب اللذان حلقا بالشاعر فى عوالم رحبة لم يلحقه غيره فيهما ،فنفسه شفافة وطباعه سهلة يتأثر بأبسط الأشياء فينوح ويبكى ،وقد امتزجت هذه العاطفة بدين وتعفف فجاء شعره فى الرثاء والنسيب مميزا من هذه الناحية . وأما الهجاء فقد كان فارس حلبته انتصر على ثمانين شاعرا أو مايزيد وصمد له الفرزدق ولكنه لم يتغلب عليه . وتوفى الأخطل قبل أن يشتفى منه ولكنه كان ندا عنيدا له .

هذه فى الواقع صورة مبسطة للأغراض الشعرية عند كل منهم لنخلص منها الى مقابلة نهائية بين الشعراء على ضوء مارأيناه هنا علها تتضح السمات الفنية لكل منهم وهذا حسبنا فى هذا البحث.

فأما من حيث معدن الشعر والطبع فيتشابه الأخطل والفرزدق بينما يختلف عنهما جرير فالأخطل حولى يتكلف عناء ومشقة فى النظم ،والفرزدق صلد جافى المعانى كأنه يقد من صخر ،وجرير سهل المأتى ينساق وطبعه السمح المتدفق وكأنه يغرف من بحر. والأخطل والفرزدق عاطفتهما قوية لا تتأثر ولا تهزهما الأحداث كثيرا . وأما جرير فهو رقيق العاطفة قوى الشعور وهو سريع التأثر

يتمتع باحساس مرهف وتظهر عليه صفات الأبوة والزوجية وتحكم علاقاته بالناس روابط انسانية تحترم الناس وتقدر الأحياء . ولقد انعكست هذه السمات على شعره فسرى بين العامة والخاصة سريان الماء في النبات وانطبع شعر الأخطل والفرزدق بطابع الخشونة والقوة فراج عند الخاصة (١)

وأما الصور الفنية فلقد جادت عند الأخطل والفرزدق في المديح والفخر وقصر فيهما جرير ولكنه فاقهما في الرثاء والنسيب والهجاء (٢) ، ولقد خدمت السياسة الأخطل ففضلوه على خصمه جرير وصديقه الفرزدق ،وعد شاعر المديح في العصر الأموى ولكن هذا الحكم ينقصه الكثير من الأدلة والبراهين .

فمثلا رائيته (٣) التى مدح فيها عبد الملك بن مروان والتي تعد قمة المدائح عنده نجد للفرزدق رائة (٤) في سليمان بن عبد الملك تفوقها في التصوير الفنى وقوة المعانى وبراعة الاستهلال

---

(١) ولهذا قالوا جريرا أشعر عامة والفرزدق أشعر خاصة .
انظر الأغانى : ٢١ / ٣٩٤ .

(٢) تقدم فى النسيب والرثاء لأنه يمتلك عاطفة رقيقة ومشاعر فياضة يلفها الحزن تارة وتسبح بها تباريح الهوى ولواعج الشوق أخرى . وأما فى الهجاء فقد بزهما بتصويره الساخر اللاذع الذى يسرى من خلاله شعره بين الناس فيرونه على اختلاف طبقاتهم .

(٣) وهى قصيدته المشهورة (خف القطين) : ١ / ١٩٢ .

(٤) وهى قصيدته القوية (طرقت نوار ...) : ١ / ٢٦١ .

وطول النفس ومن هنا لم يعد الأخطل شاعر المدح وحده في العصر الأموي لأن للفرزدق مدائح تفوق مدائح الأخطل في أكثر من عنصر فني ولكن لم يقدر له أن تخدمه السياسة كما قدر للأخطل . أما جرير فما من شك في أن حائيته (بطون راح) [1] من غرر المدائح في بني أمية لكنها دون رائيتي الأخطل والفرزدق جزالة وان كان في مدائحه للولاة لايقل شأنا عنهما بل ربما فاقهما في بعض أبيات مدائحه للحجاج بن يوسف . ولقد استمد الشعراء الثلاثة صورهم من البيئة البدوية التي يعيشون فيها ،ونجد عند الأخطل والفرزدق صورا متشابهة من حيث التركيب والاستطراد وعناصر التشبيه وما الى ذلك بينما نجد جريرا قديرا في تصوير نفسه وتشبيهه بالطائر الذي فقد ريشه ،وقد ركز على هذه الناحية مما يدل على ضعف نفسه وتهافته طلبا للرفد والعطاء . بخلاف الفرزدق الذي جنح كثيرا عن الاستجداء ،وأما الأخطل فقد كان شاعر بلاط يأتيه رزقه دونما الحاف وبخاصة في عهد عبد الملك ومن قبله .

ولا ينازع منازع في تفوق الفرزدق في الفخر لأنه مؤمن بما يقول ولأنه يصدر في فخره عن حقائق ثابتة ولو قدر للأخطل أن يخرج مافي قلبه قبل أن يموت لأفصح عن أشياء كثيرة كان يريد الافتخار بها ولكن ديانته كانت سياجا يمنعه من ذلك ،وأما جرير فقد اصطنع فخره اصطناعا ولم يصدق الا في فخره بشاعريته .

---

(١) ديوان جرير : ١/ ٨٧ .

فقد بز الشعراء وأوقعهم جميعا باستثناء خصميه الأخطل والفرزدق وذلك بسخريته المريرة التي تميز بها دونهما . ولقد تأثر الجميع بالدين الاسلامي ،فالأخطل مع أنه نصراني الا أن ملامح الاسلام تبدو واضحة عندما يمتدح الخلفاء ،وأما الفرزدق فقد تسربت الى شعره عناصر اسلامية كثيرة سواء في المعاني والأفكار أو في الآلفاظ والأساليب أو في الصور الفنية والخيال وهي عناصر كانت تعمل على التقريب بينه وبين طبيعة العصر الذي يعيش فيه وتباعد نسبيا بينه وبين مزاجه الجاهلي الموروث ،وأما جرير فلا شك أنه كان دينا عفيفا كما أشار الى ذلك بعض النقاد القدامى (١) وقد أثبت البحث هذا الجانب بما لازيادة فيه هنا .

وأما في الأساليب والموسيقى فالأخطل قد اتخذ نهجا من الفن والبيان عرفا في الشعر الجاهلي وبخاصة عند عبيد الشعر وأصحاب الحوليات ،ومن هنا ظهر واضحا تأثره بالجاهليين في أساليبهم وبيانهم وقد استمد من البيئة البدوية بصحرائها وجبالها وأوديتها ومافيها من بهائم وسباع وطيور عناصر أسلوبه واصطنع فيه الحركة وحاكى في صوره كثيرا من صور الجاهليين ،ومن هنا أطلق عليه حوليا لأنه نهج مدرسة النابغة والأعشى وزهير وغيرهم من أصحاب الحوليات (٢) . ولقد جاءت موسيقاه في بعض الأحيان صاخبة لاتخرج

---

(١) انظر الأغاني : ٨/٥ .

(٢) انظر الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري للدكتور علي البطل : ٢٠٤ (دار الأندلس - بيروت) .

من دائرة الرتابة ،ولذلك لم يجد شعره من السيرورة ماوجده شعر جرير ،ولقد أثرت عبوديته الشعرية فى موسيقاه فجف من شعره بعض ماء الطلاوة وبهاء الرونق ،وان كنا لا نعمم هذا الحكم على شعره كله فان له قصائد ومقاطع تثير العاطفة بموسيقاها العذبة كما رأينا من قبل . وأما أسلوب الفرزدق فانه يعتبر صورة حية لشخصيته ولقد تميز بميزات كثيرة منها كثرة التقديم والتأخير ،ووجود التعقيد اللفظى والمعنوى والغموض أحيانا الا أن هذه المآخذ لا تسم أسلوب الشاعر كله ولا يمكن تعميمها على شعره الذى يدل على موهبة عظيمة واحساس مبدع وقدرة على انتقاء اللفظ المصور ،ولقد جاء أسلوب هذا الشاعر صورة لأساليب الفصحاء من شعراء الجاهلية فى فصاحته وجزالته وغرابة ألفاظه فى بعض الأحيان وسعة مفرداته ولا ننكر أن هذا الأسلوب كان فى بعض الأحيان كذلك معقدا ملتويا يصور أغوار تلك النفس الجامحة المتباهية المتطلعة الى مجدها السالف الذى تغنى به كثيرا . وتعد موسيقى الفرزدق جزءا من مكونات اللغة الشعرية عنده ،وقد تميزت بحدتها وصخبها نظرا لصلابة ألفاظه واغراقها أحيانا فى البداوة الا أنها جاءت تتلاءم وطبيعة ألفاظه وعمق معانيه .

وأما الرقة والسهولة والعذوبة فهذا ما امتاز به أسلوب جرير الذى استهوى الناس عامة فى عصره فتغنوا بأشعاره وسهل عليهم حفظها ،وقد استخدم ألوانا كثيرة من الكيفيات البلاغية فى أشعاره وجاء بها فى أبسط صورها وأرقها فجاءت سهلة كسهولة شعره ونفسه وأما موسيقاه فقد تجلت فى شعره كله وعدوه من الشعراء

المطبوعين الذين تميز شعرهم بموسيقية الألفاظ المتجاوبة بعضها مع بعض ولقد يحس القارىء موسيقى جرير وهى ترن فى أذنيه بجرسها الأخاذ ومقاطعها المتميزة لكنها قد تصل أحيانا الى حد التهافت الذى لا تحسد عليه ،والتى تصل بالشعر أحيانا الى درجة بعيدة عن معانى القوة وكأ نه شعر قيل بلسان أنثى (١) .

ولكن السمة الغالبة لموسيقاه الجمال والتأثير فى النفوس . بقيت نقطة لابد من الاشارة اليها وهى أن الشعراء الثلاثة كانوا جميعا مولعين بالنظم على الطويل والكامل والوافر والبسيط .

وبعد هذا العرض لأهم الملامح الفنية عند الشعراء الثلاثة فى هذه الموازنة يتبقى الاجابة عن السؤال الحائر المحير من أشعر الثلاثة ؟ ومن هنا نقول أن النقاد القدامى لم يجمعوا على أحدهم ،كما أن دراسات المحدثين لا تفضل واحدا على صاحبية وعلى الرغم من أن موضوع هذه الرسالة لايحتمل الاجابة على هذا السؤال لأن عنوان رسالتى لم يترك لنا المجال لدراسة الشعراءالثلاثة وأغراضهم كلها بل كانت هذه الدراسة مقصورة على غرضين هما المديح والفخر مما حرم الشاعر جرير من دراسة أغراض عرف تفوقه فيها على خصميه وهى الرثاء والغزل والهجاء ،وكذلك فأغلب الظن أننا لسنا فى معرض المفاضلة بين الشعراء الثلاثة لأن النقد الحديث يرى أن لكل انسان ذوقه الخاص ،وأن وجهات النظر قد

---

(١) انظر جرير حياته وشعره د . نعمان طه : ٣٨١ .

تتفاوت من شخص لآخر حول الموضوع الواحد لأن الناقد الأدبي قد يكون وقع النص على نفسه من زاوية مغايرة لما يقصده المبدع فتأخذ القضية بعدا آخر تتعدد فيه الآراء وتكثر المناقشات ،وليست القضايا الأدبية نصوصا شرعية لا يجوز تفسيرها بغير ماتحتمله من معان تتفق مع الحكم حسب المنطق والمعلوم ،وانما هي اجتهادات وأذواق بشرية تشكل في النهاية تراثنا الأدبي والنقدي على السواء .

ولعل خير ما أختم به هذه الموازنة ماقاله بعض النقاد القدامى في معرض موازنته بين جرير والفرزدق : (أما من كان يميل الى جزالة الشعر وفخامته وشدة أسره فيقدم الفرزدق ،وأما من كان يميل الى أشعار المطبوعين والى الكلام السمح السهل الغزل فيقدم جريرا) (١) .

وخير لنا أن نضيف هنا :

أن من كان يميل الى التهذيب والتنقيح والتأني - صنيع أصحاب الحوليات - فانه يقدم الأخطل .

****

---

(١) الأغاني : ٢١/ ٣٩٣ - ٣٩٤ .

الخاتمة والنتائج

* * خاتمة البحث ونتائجه * *

بعد الانتهاء من هذا البحث بتوفيق الله وعونه ،وبعد دراسة شاملة لغرضى المديح والفخر عند الشعراء الثلاثة ..

بان لى أن هذا السراب الخادع الذى مازال بعض الباحثين يجرون وراءه وهو الزعم بضعف أثر الاسلام فى شعراء العصر الأموى وغلبة الجاهلية عليهم لايعتمد على شيء من الحقيقة والدقة والفهم السليم لمقومات الشعر العربى فى العصر الأموى . فقد ظهر لى من الدراسة المستفيضة لبعض الباحثين المحدثين والتى أدليت بدلوى فيها .. خطأ هذا الزعم وبطلانه وافكه . فقد كانت المعركة بين المبالغين فى جاهلية العصر الأموى واسلامه معركة ينقصها الاستقراء التام للتثبت من صحة هذه القضية التى انتهيت فيها الى أن الشعراء الثلاثة قد أخذوا بحظ وافر من التأثر بالاسلام من ناحية أغلب الأفكار والمعانى ،وبحظ وافر كذلك من الصياغة التقليدية الجاهلية التى يسرى فيها نفحة طيبة من تيار قرآنى رائع تتهادى سماتها فى أغلب أشعارهم .

كما بان لى أن عاطفة الأخطل نحو بنى أمية لم تكن صادقة فقد تملقهم كثيرا خوفا وطمعا ،وان وردت نفحات قليلة من تأثير الاسلام فى شعره فانها غطاء لكسب ود الخلفاء ،وليس صدورا عن عقيدة صادقة ،ومن هنا لم تكن اشادته بانتصار خلفاء بنى أمية على الروم نابعة من قلب مفعم بحبه للاسلام والمسلمين وانما كان سببه تلك البغضاء التى كانت بين نصارى العرب والروم فى الجاهلية .

وقد ظهر لى أن احدى سمات الفرزدق الأسلوبية وهى ظاهرة التقديم والتأخير انما هى احدى خلجاته النفسية فى طور من أطوار حياته وأعنى به الطور الذى أودى فيه شبابه وقارعه المشيب فقد كان فيه ملحفا فى السؤال مكثرا من المبالغات ومن تلك الظاهرة المشار اليها آنفـــا .

ولقد تبينت أن الصور الفنيـة الرائعة عند الفرزدق أقوى وأظهر منها عند صاحبيه وكذلك كان أطول نفسا فى مدائحه وأكثر منهمـــا عدد قصائد وعلو كعب فيه مما يزيل المقولة المشهورة بأن الأخطـــل أعلى هؤلاء الشعراء الثلاثة كعبا فى هذا الغرض ،ولقد دار فخـــر الأخطل بتغلب فى الجاهلية والاسلام ،وخاصة ماكان بينها وبيـــن قيس من أيام ومناصرتها للخلافة فجاء فخرا سياسيا . وأما فخـــر الفرزدق فقد دار حول أصله ومحتده وطيب منبته ،وقد أحس جرير ضعفه فى هذه الناحية فاستبدله فخرا بشعره وهو مما لم يطرقـــه الفرزدق أو الأخطـــل ومن هنا كان فخر الفرزدق عصبيا . أمـــا جرير فكان فخره شخصيا بفنه ولكنه التقى مع الفرزدق فى الفخـــر بتميم التى ينحدران منها الا أن فخـــر الفرزدق كان مدويا بينمـا كان فخر جرير محاطا بهالة من الاستكانة والضعف النفسى .

وأما من ناحية العبارة فيلتقى الأخطل والفرزدق فى الجزالـــة وبهذا علا فخر الفرزدق الذى برز فيه على صاحبيه وكذلك مديـــح الأخطل الذى جاء فى تعدد معانيه تاليا لمديح الفرزدق الـــذى تكلم بلســان المجتمع فرفع صيحة الشكوى الى الخلفاء والأمراء مما يرفـع من قيمة الفرزدق وشعره الاجتماعى الذى يكاد يظهر لأول مرة فـــى

الشعر العربى بينما لم يطرق هذا الباب الأخطل الا بما يمت بصلة الى قبيلته فحسب . وبهذا جاء - على استحياء - تاليا للفرزدق فى هذه الناحية ، ونرى أن تفضيل الأخطل فى المديح كان تفضيلا سياسيا من جهة ، وبتأثير بعض الرواة الذين استهواهم شعره من جهة أخرى كحماد الراوية . ولم يكن يستحق التفضيل فى المديح على جرير أو الفرزدق ، وقد اتخذ جرير من دين الأخطل مغمزا وبهذا استطاع أن يدحره فى الهجاء والسخرية اللاذعة دون الفخر ، ولم يجرؤ على ذلك الأخطل اذ ألجمه الاسلام دون ذلك . وفيما يتعلق بتصوير الشعراء الثلاثة للفتوحات الاسلامية التى تمت فى عصرهم على أيدى الخلفاء من بنى أمية فلم يوفقوا فى الاشادة بهذه الناحية اذ لم نجد أحدا منهم يطرق هذا الباب فلم يمتدح الوليد مثلا بفتحه للأندلس ، هذا الحدث العظيم فى تاريخ الأمة الاسلامية الذى مر دون أن يكون له نصيب من عطاء الشعراء الثلاثة الفنى . ولعل الخصومة التى نشبت بينهم متجلية فى النقائض ، ولكون كل منهم يحطب فى حبل قبيلته كالأخطل ، أو ينشغل بطموحه الشخصى كالفرزدق ، أو يتقوقع فى باديته كجرير ، كل ذلك كان سببا فى بعدهم عن الاهتمام بقضايا الأمة الاسلامية وفتوحها وكان الأولى أن يشيدوا بهذه الفتوح ويصوروا عظمة ممدوحيهم من هذه الناحية بدلا من الانشغال بالهجاء الذى ملأوا به الساحة الأدبية أو المدح التقليدى الجاهلى الصور - فى أغلبه ، وقد وجدنا شعراء العصر العباسى فيما بعد يعظمون من فتوح الخلفاء ، والانتصار على الروم كأبى تمام الذى أشاد

بفتح عموريـــة أو المتنبى الذى عظـــم من حروب سيف الدولـــــة ولعل هذه الأحداث لاترقى فى خطرها الى فتح الأندلس.

وآخر دعوانا أن الحمـد للـــه رب العالميـــن .. وصلــــى الله على سيدنا محمد وآله وصحبـــــه وسلم ...

****
****
*****
***
*

جداول

إحصائية عن المديح

"" جدول رقم (١) يبين عدد الأشخاص الذين مدحهم الأخطل ""

وعدد القصائد والمقطوعات التي قال فيهم

م	اسم الممدوح	عدد القصائد والمقطوعات: القصائد	عدد القصائد والمقطوعات: المقطوعات	مكان هذه القصائد والمقطوعات في ديوان شعر الأخطل	عدد أبيات الجميع	عدد أبيات المدح في الجميع	احصاء
١	يزيد بن معاوية بن أبي سفيان	٤	٢	١/٩٣، ١٦١، ٢٩٢، ٣٠٢ - ٢/٥٣٣، ٥٩٢	١٨٢	٣٦	بلغ مجموع
٢	عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان	٢	-	٢/٤٣٣، ٤١٠	٩٩	٤٦	أبيات القصائد
٣	خالد بن يزيد بن معاوية	١	-	١/٦٤	٢٤	١١	والمقطوعات
٤	عبد الملك بن مروان	٣	-	١/٣٩، ١٧٩، ١٩٢	٢٠٥	٧٠	المسجلة هنا
٥	بشر بن مروان بن الحكم	٥	-	١/٨٤، ٢١٢، ٣٣٨، ٢٥٦، ٣٧١	١٦٧	٦٨	١٣١١
٦	الوليد بن عبد الملك بن مروان	٤	١	١/٢٦، ٢٢٩، ٢٦٧، ٢٨٤ - ٢/ ٦٢٩	١٦٧	٨٧	بيتا من الشعر
٧	سلم بن زياد بن أبيه	١	-	٢/٦٠٢	٤١	٦	وبلغت أبيات
٨	عباد بن زياد بن أبيه	١	-	١/٢٦٠	٢٦	١٣	المديح فيها
٩	الحجاج بن يوسف الثقفي	١	-	١/٤٠٣	٢٦	١٠	٤٥٤ بيتا
١٠	عمر وأبي بكر أبناء عبد العزيز بن مروان	-	١	٢/٥٠٧	٠٨	٠٥	كما بلغت
١١	عكرمة الفياض	٢	-	١/١٣٦ - ٢/٤٤٩	٩٤	٢٩	القصائد
١٢	خالد بن أسيد	٢	١	٢/٥٦٩ - ٢/٤٩١، ٥٦٩	٨٧	١٥	٣٢ قصيدة
١٣	عبد الله بن سعيد بن العاص	١	-	١/٣٢٥	٣٧	٠٧	والمقطوعات
١٤	العباس بن عبد الله بن العباس	١	-	١/٨٨	١٦	٠٦	٩ مقطوعات
١٥	جرير بن عبد الله البجلي	١	-	٢/٧٢٧	١٣	١١	
١٦	زفر بن الحارث	-	١	١/٢٣٧	٠٧	٠٧	
١٧	سماك بن مخرمة	١	-	٢/٦٧٣	١١	٠٥	
١٨	مصقلة بن هبيرة الشيباني	١	-	١/١٤٨	٥٤	١٣	
١٩	طريف وربيع أبناء عبد الله بن أبي الحصين	-	١	٢/٥٣٠	٠٣	٠٣	
٢٠	سويد بن منجوف وبكر بن وائل	-	١	٢/٥٧٥	٠٢	٠٢	
٢١	همام بن مطرف التغلبي	١	-	٢/٦١٢	٤٠	٢٢	
٢٢	في بني عوف بن زيد مناة بن تميم	-	١	٢/٧٤٧	٠٢	٠٢	

"" جدول رقم (٢) يبين مطالع قصائد الأخطل في مدوحيه ومقطوعاته ""

م			مكانها في الديوان
	(١) في مدح يزيد بن معاوية بن أبي سفيان		
١-	ألاَ يَا اسْلَمَا عَلَى التَّقَادُمِ والبِلَى	بِدُ ومَقِ خَبْتٍ أيُّهَا الطَّلَلاَنِ	٢٩٢/١
٢-	تَغَيَّرَ الرَّسْمُ مِنْ سَلمَى بِأحْفَارِ	وَأقْفَرَتْ مِنْ سُلَيْمَى دِمْنَةُ الدَّارِ	١٦١/١
٣-	صَحَا القَلْبُ إلاَّ مِنْ ظَعَائِنَ فَاتَنِي	بِهِنَّ أميرٌ مُسْتَبِدٌّ فَأصْعَدَا	٣٠٢/
٤-	بَانَتْ سُعَادُ فَفِى العَيْنَيْنِ تَسْهِيدُ	واسْتَحْقَبَتْ لُبَّهُ فَالقَلْبُ مَعْمُودُ	٩٣/١
	(٢) في عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان		
١-	صَدَعَ الخَلِيطُ فَشَاقَنِى أجْوَارِى	وَنأوكَ بَعْدَ تَقَارُبٍ وَمَزَارِ	٤١٠/٢
٢-	حَلَّتْ صُبَيرةٌ أمواهَ العِدَادِ وَقَدْ	كانتْ تَحُلُّ وَأدْنَى دَارِهَا ثَكَدُ	٤٣٣/٢
	(٣) في مدح خالد بن يزيد بن معاوية		
١-	رَأيْتُ قُرَيْشًا حِينَ مَيَّزَ بَيْنَهَا	تَبَاحُثُ أضْغَانٍ وَطَعْنُ أُمُورِ	٦٤/١
	(٤) في مدح عبد الملك بن مروان		
١-	ألاَ يَا اسْلَمِى يَاهِنْدُ هِنْدَ بَنِي بَدْرِ	وَإنْ كَانَ حَيَّانَا عِدًى آخِرَ الدَّهْرِ	١٧٩/١
٢-	خَفَّ القَطِينُ فَرَاحُوا مِنْكَ أوْ بَكَرُوا	وَأزْعَجَتْهُمْ نَوًى فِي صَرْفِهَا غِيَرُ	١٩٢/١
٣-	لَعَمْرِى لَقَدْ أسْرَيْتُ لاَلَيْلَ عَاجِزٍ	بِسَاهِمَةِ العَيْنَيْنِ طَاوِيَةِ القُرْبِ	٠٣٩/١
	(٥) في مدح بشر بن مروان		
١-	أقْفَرَتِ البُلْخُ مِنْ عَيْلاَنَ فَالرُّحَبِ	فَالمُحْلَبِيَّاتُ فَالخَابُورُ فَالشُّعَبِ	٨٤/١
٢-	قَدْ كَشَفَ الحِلْمُ عَنِّى الجَهْلَ فَانْقَشَعَتْ	عَنِّى الصَّبَابَةُ لاَ نِكْسٌ وَلاَ وَرَعُ	٣٥٦/١
٣-	عَفَا مِنْ آلِ فَاطِمَةَ الدَّخُولُ	فَحَزَّانُ الصَّرِيمَةِ فَالهُجُولُ	٣٧١/١
٤-	صَحَا القلب عن أرْوَى وَأقْصَرَ بَاطِلُهْ	وَعَادَ لَهُ مِنْ حُبِّ أرْوَى أخَابِلُهْ	٣٣٨/١
٥-	عَفَا الجَوُّ مِنْ سَلْمَى فَبَادَتْ رُسُومُهَا	فَذَاتُ الصَّفَا صَحْرَاؤُهَا فَقَصِيمُهَا	٣١٣/١
	(٦) في مدح الوليد بن عبد الملك بن مروان		
١-	حَيِّ المَنَازِلَ بين السَّفْحِ وَالرُّحَبِ	لَمْ يَبْقَ غيرُ وُشُومِ النَّارِ وَالحَطَبِ	٢٣٩/١
٢-	عَفَا وَاسِطٌ من أهْلِهِ فَمَذَانِبُهْ	فَرَوْضُ القَطَا صَحْرَاؤُهُ فَنَصَائِبُهْ	٢٨٤/١
٣-	وَحَاجِلَةِ العُيونِ طَوَى قُوَاهَا	شِهَابُ الصَّيْفِ وَالسَّفَرُ الشَّدِيدُ	٦٢٩/٢
٤-	عَفَا مِمَّن عَهِدتَ بِهِ حَفِيرُ	فَأجْبَالُ السَّيَالَى فَالعَوِيرُ	٢٦٧/١
٥-	أتُنْكِرُ الدَّارَ أمْ عرفانَ مَنْزِلَةٍ	لَمْ يَبْقَ غيرُ مُنَاخِ القِدْرِ وَالحُمَمِ	٢٢١/١

تابع للجدول رقـــم (٢)

	(٧ - ٨) في مدح سلم بن زياد بن أبيه وعباد بن زياد بن أبيـــه		
١-	يَامَيَّ هَلاَّ يُجَازَى بَعضُ وُدِّكُـــمُ	أَمْ لاَ يُفَادَى أَسِيرٌ عِنْدَكُمْ غَلِـــقُ	٦٠٢/٢
٢-	خَلِيلَيَّ قُوما لِلرَّحِيلِ فَإِنَّـــنِي	وَجَدْتُ بَنِي الصَّمْعَاءِ غَيْرَ قَرِيــبِ	٢٦٠/١
	(٩) فـــي مـــدح الحجـــاج بـــن يوســـف الثقفـــي		
١-	صَرَمَتْ حِبالَكَ زَيْنَبٌ وَقَـــذُورُ	وَحِبَالُهُنَّ إِذَا عُقِـــدْنَ غُـــرُورُ	٤٠٣/٢
	(١٠) في مدح عمر وأبي بكـر أبناء عبد العزيز بن مـــروان		
١-	إِنِّي أَبِيتُ وَهَمُّ المَرْءِ يَعْمِـــدُهُ	مِنْ أَوَّلِ اللَّيلِ حَتَّى يبرح السَّفَـــرُ	٥٠٧/٢
	(١١) في مدح عكـــرمـــة الفيـــــاض		
١-	أَلاَ يَا اسْلَمِي يَا أُمَّ بِشْرٍ عَلَى الهَجْرِ	وَعَنْ عَهْدِكِ المَاضِي لَهُ قِدَمُ الدَّهْرِ	٤٤٩/٢
٢-	لِمَنِ الدِّيَارُ بِحَائِـــلٍ فَوُعَـــالِ	دَرَسَتْ وَغَيَّرَهَا سِنُونَ خَـــوَالِ	١٣٦/١
	(١٢) فـــي مـــدح خالـــد بـــن أسيـــد		
١-	لَمْ يَبْقَ مِمَّنْ يَتَّقِي اللَّهَ خَالِيـــاً	وَيُطْعِمُ إِلاَّ خَالِدُ بْنُ أَسِيـــدِ	٥٦٩/٢
٢-	عَفَا وَاسِطٌ مِنْ آلِ رَضْوَى فَنَبْتَـــلُ	فَمُجْتَمَعُ الحُرَّيْنِ فَالصَّبْرُ أَجْمَـــلُ	١٤/١
٣-	أَلاَ حَيِّيَا دَارًا لِأُمِّ هِشَـــامِ	وَكَيْفَ تُنَادَى دِمْنَةٌ بِسَـــلاَمِ	٤٩١/٢
	(١٣) في مـــدح عبـــد اللـــه بـــن سعيـــد بن العـــاص		
١-	أَلَمْ تَعْرِفْ فَتَسْأَلَ آلَ لَهْـــوٍ	وَأَرْوَى وَالمُدَوَّلَةَ وَالرَّبَـــابَـــا	٣٢٥/١
	(١٤) في مـدح العباس بن عبد اللـــه بـــن العـــاص		
١-	بَانَ الشَّبَـــابُ وَرُبَّمَـــا عَلَّلْتُـــهُ	بِالغَانِيَاتِ وَبِالشَّرَابِ الأَصْهَـــبِ	٨٨/١
	(١٥) في مـــدح جريـــر بـــن عبد اللـــه البجلـــي		
١-	حَلَّتْ سُلَيْمَى بِذِي غَسَـانٍ وَشَطَّ بِهَا	غَرْبُ النَّوَى وَتَرَى فِي خُلْقِهَـــا أَوَدَا	٧٢٧/٢
	(١٦) في مدح زفـــر بـــن الحـــارث		
١-	إِنِّي أَظُنُّ نِزَارًا سَوفَ يَجْمَعُهَـــا	بَعْدَ التفرق حَرْبٌ شَبَّهَـــا زُفَـــرُ	٢٣٧/١

"" تابع للجدول رقــم (٢) .... ""

	(١٧) فــي مــدح سمــاك بــن مخــرمــة .	
١-	نِعْمَ المُجِيرُ سِماكٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ ... بِالمَرْجِ إذْ قَتَلَتْ جِيرَانَهَا مُضَرُ	٦٧٣/٢
	(١٨) فــي مــدح بــن هبــيرة الشيبــانــي	
١-	هَلْ تَعْرِفُ اليَوْمَ مِنْ مَاوِيَّةَ الطَّلَلَا ... تَحَمَّلَتْ إِنْسُهُ عنه وَمَا احْتَمَلَا	١٤٨/١
	(١٩) يمدح ابني عبد الله بن أبي الحصين وهما طريــف وربيــع	
١-	ولَمْ تَظْلِمَا أَنْ تكفيا الحَيَّ ضَيْفَهُمْ ... وَأَنْ تَسْقِيَا سُقْيَا السَّرَاةِ الأَكَارِمِ	٥٣٠/٢
	(٢٠) يمــدح سويــد بن منجــوف وبكــر بن وائــل	
١-	أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ بِلَادٌ تَنَكَّرَتْ ... سُوَيْدُ بنُ مَنْجُوفٍ وَبَكْرُ بنُ وَائِلِ	٥٧٥/٢
	(٢١) يمــدح همــام بــن مطــرف التغلبــي	
١-	أَلَا طَرَقَتْ أَرْوَى الرِّحَالَ وَصُحْبَتِي ... بِأَرْضٍ تَنَاصِي الحَزْنَ مِنْهَا سُهُولُهَا	٦١٢/٢
	(٢٢) يمــدح بــني عــوف بــن زيــد منــاة بــن تــميم	
١-	أَبْلِغْ بَنِي عَوْفٍ بِأَنَّ جَنَابَهُمْ ... عَلَى كُلِّ آلاءِ الزَّمَانِ مَرِيعُ	٧٤٧/٢

****

"" جدول رقم (٣) يبين عدد الأشخاص من بني أمية الذين ""
"" مدحهم الفرزدق وعدد القصائد والمقطوعات ""
التي قال فيهم

م	اسم الممدوح	عدد القصائد والمقطوعات: القصائد	عدد القصائد والمقطوعات: المقطوعات	مكان هذه القصائد والمقطوعات في ديوان الفرزدق	عدد أبيات الجميع	عدد أبيات المدح في الجميع	احصاء
١ -	عبد الملك بن مروان بن الحكم	١	١	٣٣/١ ، ٣٢٢.	٤٩	٣٦	بلغت قصائد المدح هنا ٤١ قصيدة والمقطوعات ٧ مقطوعات بلغت أبيات الجميع ١٥٥٨ منها ٩١٨ في المديح يضاف لها ٧ سبعة أبيات يصبح مجموع أبيات المديح ٩٢٥ بيتا
٢ -	الوليد بن عبد الملك بن مروان	٦	١	٧٩/١، ٢٨٣، ٢٤٨، ٢/ ١٤٣، ١٤٩، ٢٠٩، ١٢٦،	١٥٦	١٣٠	
٣ -	سليمان بن عبد الملك بن مروان	٧	٣	١٩/١، ١٩٦، ٢٦١، ٢٩١، ٣٣٣ – ٧١/٢، ٨٧، ٩٩، ٣٠٧، ٢٧٣.	٤٤٧	٢١١	
٤ -	عمر بن عبد العزيز	٣	–	١٨٢/١ – ٨٠/٢	٧٦	٤٠	
٥ -	يزيد بن عبد الملك	٧	–	١٤٣/١، ٢١٣، ٣٤٤ – ١٦/٢، ١٢٤، ٢٨١، ٣٥١	٢١٢	١٢٦	
٦ -	هشام بن عبد الملك	٨	–	٥٩/١، ٨٧، ١٤٠ – ٢ / ١٨٨، ٢٢٨، ٢٩٠، ٣٠١	٢٩٦	١٥٨	
٧ -	الوليد بن يزيد بن عبد الملك	٤	١	١٢/١، ٧٧، ٣٣٥، ٤١١ – ٩٢/٢	٩٣	٦٥	
٨ -	بشر بن مروان	١	١	٣٣١/١، ١٧٩	٤٧	٣٩	
٩ -	أيوب بن سليمان بن عبد الملك	١	–	٢٤٤/١	٤١	١٦	
١٠ -	العباس بن الوليد بن عبد الملك	٢	–	٣٤١/١ – ١٢/٢	٩٧	٥٨	
١١ -	عمر بن الوليد بن عبد الملك	١	–	٤٨/١	٢٤	٣٤	
١٢ -	معاوية بن هشام بن عبد الملك	١	–	٢٨٣/٢	٣٠	١٥	
	هناك أبيات متفرقات في ديوانه مدح بها بني مروان وعددها سبعة أبيات.			١٣٥/١ ، ٢٧٧ ٢٦/٢، ٢٥٥			

لم أذكر الأشخاص الذين امتدحهم الفرزدق من غير بني أمية نتيجة لكثرتهم وهذه الحقيقة تؤكد غزارة شعر هذا الشاعر الكبير .

جدول رقم (٤) يبين مطالع قصائد ومقطوعات الفرزدق

في ممدوحيه من بني أمية

م	اسم الممدوح ومطلع القصيدة أو المقطوعة		مكانها في ديوان الفرزدق
	(١) يمتدح عبد الملك بن مروان بن الحكم		
١-	تضاحكت أن رأت شيبا تفرعني	كأنها أبصرت بعض الأعاجيب	٢٣/١
٢-	إذا لاقى بنو مروان سلوا	لدين الله أسيافا غضابا	٢٢/١
	(٢) يمدح الوليد بن عبد الملك بن مروان		
١-	ألم يك جهلا بعد ستين حجة	تذكر أم الفضل والرأس أشيب	٧٩/١
٢-	إذا عرض المنام لنا بسلمى	فقل في ليل طارقة قصير	٢٨٣/١
٣-	كم من مناد والشريفان دونه	إلى الله تشكى والوليد مفاقره	٢٤٨/١
٤-	دعي العطف والشكوى إلي فإنها	جموع من الحاجات يرجى نوالها	١٤٩/٢
٥-	سلوت عن الدهر الذي كان معجبا	ومثل الذي قد كان من دهرنا يسلي	١٤٣/٢
٦-	إني لينفعني يأسي فيصرفني	إذا أتى دون شيء مرة الوذم	٢٠٩/٢
٧-	شكونا إليك الجهد في السنة التي	أقامت على أموالنا آفة المحل	١٢٦/٢
	(٣) يمدح سليمان بن عبد الملك بن مروان		
١-	لعمري لقد أوفى وزاد وفاؤه	على كل جار جار آل المهلب	١٩/١
٢-	لوى ابن أبي الرقراق عينيه بعد ما	دنا من أعالي إيلياء وغورا	١٩٦/١
٣-	طرقت نوار ودون مطرقها	جذب البرى لنواحل صعر	٢٦١/١
٤-	وكيف بنفس كلما قلت أشرفت	على البرء من حوصاء هيض اندمالها	٧١/٢
٥-	ترى كل منشق القميص كأنما	عليه به سلخ تطير رعابله	٨٧/٢
٦-	أحب من النساء وهن شتى	حديث النزر والحدق الكلالا	٩٩/٢
٧-	تحن بزوراء المدينة ناقتي	حنين عجول يبتغي البو رائم	٣٠٧/٢
٨-	إن أمامي خير من وطئ الحصى	لذي همة يرجو الغنى أو لغارم	٢٧٣/٢
٩-	أيعجب الناس أن أضحكت خيرهم	خليفة الله يستسقى به المطر	٢٩١/١
١٠-	لقد أمنت وحش البلاد بجامع	عصا الدين حتى ما تخاف نوارها	٣٣٣/١
	(٤) يمدح عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ		
١-	زارت سكينة أطلاحا أناخ بهم	شفاعة النوم للعينين والسهر	١٨٢/١
٢-	لأسماء إذ أهلي لأهلك جيرة	وإذ كل موعود لها أنت آمله	٨٠/٢

(٥) يمـــدح يزيـــد بن عـــبد الملـــــك

١-	تَزَوَّدَ مِنْهَا نَظْرَةً لَمْ تَدَعْ لَهُ	فُؤَادًا وَلَمْ تَشْعُرْ بِمَا قَدْ تَزَوَّدَا	١٤٣/١
٢-	كَيْفَ بِبَيْتٍ قَرِيبٍ مِنْكَ مَطْلَبُهُ	فِي ذَاكَ مِنْكَ كَنَائِي الدَّارِ مَهْجُورِ	٢١٣/١
٣-	وَآلِفَةٍ بَرْدَ الحِجَالِ احْتَوَيْتَهَا	وَقَدْ نَامَ مَنْ يَخْشَى عَلَيْهَا وَأَسْحَرَا	٢٤٤/١
٤-	وَحَرْفٍ كَجَفْنِ السَّيْفِ أَدْرَكَ نِقْيَهَا	وَرَاءَ الَّذِي يُخْشَى وَجِيفُ التَّنَائِفِ	١٦/٢
٥-	مَا إِنْ أَبُو بِشْرٍ وَلَا أَبَوَاهُمَا	مِثْلَ الَّذِينَ إِلَى البِنَاءِ الأَطْوَلِ	١٢٤/٢
٦-	إِلَيْكَ سَبَقْتُ ابْنَيْ فَزَارَةَ بَعْدَ مَا	أَرَادَ ثَوَايَ فِي حِلَاقِ الأَدَاهِمِ	٢٨١/٢
٧-	لَعَمْرِي لَقَدْ نَبَّهْتَ يَاهِنْدُ مَيِّتًا	قَتِيلَ كَرًى مِنْ حَيْثُ أَصْبَحْتُ نَائِمًا	٣٥١/٢

(٦) فى مـــدح هشـــام بـــن عبد الملـــــك

١-	رَأَيْتُ بَنِي مَرْوَانَ يَرْفَعُ مُلْكَهُمْ	مُلُوكٌ شَبَابٌ كَالأُسُودِ وَشِيبُهَا	٥٩/١
٢-	إِلَيْكَ مِنَ الصَّمَّانِ وَالرَّمْلِ أَقْبَلَتْ	تَخُبُّ وَتَخْدِي مِنْ بَعِيدٍ سَبَاسِبُهْ	٨٧/١
٣-	إِنْ أَسْتَطِعْ مِنْكَ الدُّنُوَّ فَإِنَّنِي	سَأَدْنُو بِأَشْلَاءِ الأَسِيرِ المُقَيَّدِ	١٤٠/١
٤-	أَلَمْ تَذْكُرُوا يَا آلَ مَرْوَانَ نِعْمَةً	لِمَرْوَانَ عِنْدِي مِثْلُهَا يَحْقُنُ الدِّمَا	١٨٨/٢
٥-	أَفَاطِمَ مَا أَنْسَى نُعَاسًا وَلَا سُرًى	عَقَابِيلَ يَلْقَانَا مِرَارًا غَرَامُهَا	٢٢٨/٢
٦-	أَلَسْتُمْ عَائِجِينَ بِنَا لَعَنَّا	نَرَى العَرَصَاتِ أَوْ أَثَرَ الخِيَامِ	٢٩٠/٢
٧-	رَأَيْتُ سَمَاءَ اللهِ وَالأَرْضَ الَّتِي	بِأَيْدِيهِمَا لابْنِ المُلُوكِ القَمَاقِمِ	٣٠١/٢

(٧) يمـــدح الوليـــد بـــن يزيـــد بن عبد الملك

١-	أَبِيتُ أُمَنِّي النَّفْسَ أَنْ سَوْفَ نَلْتَقِي	وَهَلْ هُوَ مَقْدُورٌ لِنَفْسٍ لِقَاؤُهَا	١٢/١
٢-	إِلَيْكَ بِنَفْسِي حِينَ بَعْدَ حُشَاشَةٍ	رِكَابَ طَرِيدٍ لَا يَزَالُ عَلَى نَحْبِ	٧٧/١
٣-	إِنَّ الَّتِي نَظَرَتْ إِلَيْكَ بِغَادِرٍ	نَظَرَتْ إِلَيْكَ بِمِثْلِ عَيْنَيْ جُؤْذَرِ	٣٣٥/١
٤-	إِنِّي إِلَى خَيْرِ البَرِيَّةِ كُلِّهَا	رَحَلْتُ وَمَا ضَاقَتْ عَلَيَّ المَطَامِعُ	٤١١/١
٥-	وَرِثْتَ أَبَا سُفْيَانَ وَابْنَيْهِ وَالَّذِي	بِهِ الحَرْبُ شَالَتْ عَنْ لِقَاحٍ حِيَالُهَا	٩٢/٢

(٨) يمـــدح بشـــر بـــن مـــروان بن الحكـــم

١-	لِبِشْرِ بْنِ مَرْوَانٍ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ	مِنَ الدَّهْرِ فَضْلٌ فِي الرَّخَاءِ وَفِي الجَهْدِ	١٧٩/١
٢-	يَاعَجَبًا لِلعَذَارَى يَوْمَ مَعْقُلَةٍ	عَيَّرْنَنِي تَحْتَ ظِلِّ السِّدْرَةِ الكِبَرَا	٢٣١/١

(٩) يمـــدح أيـــوب بن سليمـــان بن عبد الملـــــك

١-	أَتَصْرِفُ عَنْ لَيْلَى بِنَا أَمْ تَزُورُهَا	وَمَا صَرْمُ لَيْلَى بَعْدَ مَا مَاتَ زِيرُهَا	٢٤٤/١

"" "" تابـــع للجـد ول رقـم (٤) .... "" ""

	(١٠) يمـدح العباس بـن الوليـد بن عبد الملـك	
١-	إِنْ تُذْعَرِ الْوَحْشُ مِنْ رَأْسِي وَلِمَّتِهِ ... فَقَدْ أَصِيدُ بِهَا الغُزْلاَنَ وَالْبَقَرَا	٣٤١/١
٢-	لَقَدْ كُنْتُ أَحْيَانًا صَبُورًا فَهَاجَنِي ... مَشَاعِفُ بِالدَّيْرَيْنِ رُجْحُ الرَّوَادِفِ	١٢/٢
	(١١) يمـدح عمـر بن الوليـد بن عبد الملـك	
١-	إِلَيْكَ سَمَتْ يَا ابْنَ الوَلِيدِ رِكَابُنَا ... وَرُكْبَانُهَا أَسْمَى إِلَيْكَ وَأَعْمَدُ	١٤٨/١
	(١٢) يمـدح معاويـة بـن هشـام بن عبد الملـك	
١-	أَبْلِغْ مُعَاوِيَةَ الَّذِي بِيَمِينِهِ ... أَمْرُ العِرَاقِ وَأَمْرُ كُلِّ شَآمِ	٢٨٣/٢

****

"" جدول رقم (٥) يبين عدد الأشخاص من بنى أمية الذين مدحهم جرير وعدد القصائد "" ""
والمقطوعات التى قالها فيهم وأبياتها وأبيات المديح فيها

م	اسم الممدوح	عدد القصائد والمقطوعات: القصائد	المقطوعات	مكان هذه القصائد والمقطوعات فى ديوان جرير	عدد أبيات الجميع	عدد أبيات المدح فى الجميع	احصاء
١-	عبد الملك بن مروان	٤	-	١/٨٧، ٢٩٣، ٩١ - ٢/ ٦٦٠	١٥١	٤٣	بلغ عدد قصائد جرير التى مدح
٢-	الوليد بن عبد الملك	٢	-	١/٦٧ - ٢/٦٨٤	٧١	٢٣	بها بنى أمية
٣-	سليمان بن عبد الملك	١	-	٢/٧١٦	٣٠	١٨	٣١ قصيدة
٤-	عمر بن عبد العزيز	٢	-	١/٤١٢، ٢٧٤، ١١٧ — ٢/٧٣٧	٩٠	٥٨	كما بلغ عدد المقطوعات
٥-	يزيد بن عبد الملك	٣	-	١/١٤٤، ١٦٨ - ٢/٦٤٠	١٤٤	٤٧	مقطوعة واحدة
٦-	هشام بن عبد الملك	٤	-	١/٣٤٣، ٢٨٧، ٢٢١، ٢١٧	١٦١	١٠٠	أبياتها ٥
٧-	عبد العزيز بن مروان	٢	-	١/٢٦٥ - ٢/٦٧	٦١	٢٣	أبيات وبلغ
٨-	عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك	٦	-	١/٥٠٧ - ٢/٦٦٧، ٦٨٨، ٦٦٩، ٧٠٢	١٢١	٣٧	أبيات الجميع ١٠٤٥ بيتا
٩-	العباس بن الوليد بن عبد الملك	٢	-	١/٣٩٢ - ٢/٦٢٢	٤٥	١٧	كما بلغت
١٠-	أيوب بن سليمان بن عبد الملك	١	-	١/٣٤٧	٤٢	١٥	أبيات المدح
١١-	معاوية بن هشام بن عبد الملك	٢	-	١/٣٧٥ - ٢/٧٤٢	٨٨	٤١	فى الجميع
١٢-	مسلمة بن هشام بن عبد الملك	١	-	٢/٦٥٣	٤١	١٥	٤٣٧.

** جدول رقم (٦) يبين مطالع القصائد والمقطوعات فى مدح جرير ** ومكانها فى الديوان وأسماء الأشخاص الممدوحين من بنى أمية وغيرهم

م	اسم الممدوح ومطلع كل قصيدة أو مقطوعة	مكانها في الديوان
	(١) فى مدح عبد الملك بن مروان	
١-	أَتَصْحُو بَلْ فُؤادكَ غير صَاحِ … عَشِيَّةَ هَمَّ صَحْبُكَ بِالرَّوَاحِ	٨٧ / ١
٢-	أَوَاصِلُ أَنْتَ أُمَّ العَمْرِ أَمْ تَدَعُ … أَمْ تَقْطَعُ الحَبْلَ مِنْهم مثْلَ مَا قَطَعوا	٢٩٣ / ١
٣-	وَدِّعْ أُمَامَةَ حَانَ مِنْكَ رَحِيلُ … إِنَّ الوَدَاعَ إِلَى الحَبِيبِ قَلِيلُ	٩١ / ١
٤-	أَكَلَّفْتَ تَصْعِيدَ الحُدوجِ الروافع … كَأَنَّ خَبَالِى بَعْدَ بُرْءٍ مُرَاجِعى	٦٦٠ / ٢
	(٢) فى مدح الوليد بن عبد الملك	
١-	طَرِبْتَ وَمَا هَذَا الصِّبَا والتكَالُفُ … وَهَل للهَوَى إِذْ رَاعه البَيْنُ صَارِفُ	٦٨٤ / ٢
٢-	حَيِّ الدِّيَارَ بِعَاقِلٍ فَالأَنْعَمِ … كَالوَحْيِ فِى رَقِّ الزَّبُورِ المُعْجَمِ	٦٧ / ١
	(٣) فى مدح سليمان بن عبد الملك	
١-	عَلَامَ تلومُ عَاذِلَةٌ جَهُولُ … وَقَدْ بَلِىَ رَوَاحِلَنَا الرَّحِيلُ	٧١٦ / ٢
	(٤) يمدح عمر بن عبد العزيز	
١-	أَبَتْ عَيْنَاكَ بالحسن الرُّقَادَا … وَأَنْكَرْتَ الأَصَادِقَ وَالبِلَادَا	١١٧ / ١
٢-	هَلْ رَامَ أَمْ لَمْ يَرِمْ ذُو السِّدْرِ فَالثَّلَمُ … ذَاكَ الهَوَى مِنْكَ لَا دَانٍ وَلَا أَمَمُ	٢٧٤ / ١
٣-	لَجَّتْ أُمَامَةُ فِى لَوْمِى وَمَا عَلِمَتْ … عُرْضَ السَّمَاوَةِ رَوْحَاتِى وَلَا بُكَرِى	٤١٢ / ١
٤-	إِنَّ الذِى بَعَثَ النَّبِىَّ مُحَمَّدًا … جَعَلَ الخِلَافَةَ فِى الإِمَامِ العَادِلِ	٧٣٧ / ٢
	(٥) يمدح يزيد بن عبد الملك	
١-	أَرِقَ العُيونُ فَنَومهنَّ غِرَارُ … إِذْ لَا يَساعف مِنْ هَوَاكِ مَزَارُ	٦٤٠ / ٢
٢-	حَيِّ الدِّيَارَ عَلَى سَفْحِى الأَعَاصِيرِ … أَسْتَنْكَرْتَنِى أَمْ ضَنَّتْ بِتَخْبِيرى	١٤٤ / ١
٣-	انْظُرْ خَلِيلِى بِأَعْلَى ثَرْمَدَاءَ ضُحَى … وَالعِيسُ جَائِلَةٌ أَغْرَاضُهَا خُنُفُ	١٦٨ / ١
	(٦) يمدح هشام بن عبد الملك	
١-	حَيُّوا أُمَامَةَ وَاذْكُرُوا عَهْدًا مَضَى … قَبْلَ التَّصَدُّعِ مِنْ شَمَالِيلِ النَّوَى	٣٤٣ / ١
٢-	عَفَا النَّسْرَانِ بَعْدَكَ وَالوَحِيدُ … وَلَا يَبْقَى لِجِدَّتِهِ جَدِيدُ	٢٨٧ / ١
٣-	أَأَصْبَحَ وَصْلُ حَبْلِكُمُ رِمَامَا … وَمَا عَهْدٌ كَعَهْدِكِ يَا أُمَامَا	٢٢١ / ١

"" "" تابع للجدول رقم (٦) .... "" ""

٤-	ألمت وَمَا رَفقْتِ بِأَنْ تَلُومِي	وَقُلْتِ مَقَالَةَ الخَطِلِ الظَّلُومِ	٢١٧/١
	(٧) يمدح عبد العزيز بن مروان		
١-	أَرَبَّتْ بِعَيْنَيكَ الدُّمُوعُ السَّوَافِحُ	فَلَا العَهْدُ مَنْسِيٌّ وَلَا الرَّبْعُ بَارِحُ	٢٦٥/١
٢-	أَلَمَّ خَيَالٌ هَاجَ مِن حَاجَةٍ وَقْتَرَا	عَلَيكَ السَّلَامُ مَا زِيَارَتُكَ السَّتْرَا	٧٠٧/٢
	(٨) يمدح عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك		
١-	عَفَا نِهْيًا حَمَامَةَ فَالجِوَاءُ	لِطُولِ تَبَايُنٍ جَرَتِ الظِّبَاءُ	٦٦٧/٢
٢-	بَكَرَ الأَمِيرُ لِغُرْبَةٍ وَتَنَائِي	فَلَقَدْ نَسِيتُ بِرًا مَتِينَ عَزَائِي	٧٣٩/٢
٣-	أَرَاحَ الحَيُّ مِنْ إِرَمِ الطِّرَادِ	كَمَا أَبْقَوا لِعَيْنِكَ مِنْ سَوَادِ	٦٨٨/٢
٤-	بَانَ الخَلِيطُ فَوَدَّعُوا بِسَوَادِ	وَغَدَا الخَلِيطُ رَوَافِعَ الأَعْضَادِ	٥٠٧/١
٥-	إِلَيْكَ كَلِفْنَا كُلَّ يَومٍ هَجِيرَةٍ	صَدٍ مَعْمَعَانِى تَلَظَّى أَعَابِلُهُ	٧٠٢/٢
٦-	أَوَاصِلٌ أَنْتَ سَلْمَى بَعْدَ مَعْتَبَةٍ	أَمْ صَارِمُ الحَبْلِ مِنْ سَلْمَى فَمَصْرُومُ	٦٦٩/٢
	(٩) يمدح العباس بن الوليد بن عبد الملك		
١-	حَيِّ الهِدَمْلَةَ وَالأَنْقَاءَ وَالجَرَدَا	وَالْمَنْزِلَ القَفْرَ مَا تَلْقَى بِهِ أَحَدَا	٣٩٢/١
٢-	أَهَاجَ الشَّوقَ مَعْرِفَةُ الدِّيَارِ	بِرَهْبَى الصُّلْبِ أَوْ بِلِوَى مَطَارِ	٦٢٢/٢
	(١٠) يمتدح أيوب بن سليمان بن عبد الملك		
١-	هَلْ يَنْفَعَنَّكَ إِنْ جَرَّبْتَ تَجْرِيبُ	أَمْ هَلْ شَبَابُكَ بَعْدَ الشَّيبِ مَطْلُوبُ	٣٤٧/١
	(١١) فى معاوية بن هشام بن عبد الملك		
١-	قَدْ قَرَّبَ الحَيُّ إِذْ هَاجُوا لِإِصْعَادِ	بُزْلًا مُخَيَّسَةً أَرْمَامَ أَقْيَادِ	٧٤٢/٢
٢-	أَمْسَى فُؤَادُكَ ذَا شُجُونٍ مُقْصَدَا	لَوْ أَنَّ قَلْبَكَ يَسْتَطِيعُ تَجَلُّدَا	٣٧٥/١
	(١٢) يمتدح مسلمة بن هشام بن عبد الملك		
١-	مَاهَاجَ شَوْقَكَ مِنْ عُهُودِ رُسُومِ	بَادَتْ مَعَارِفُهَا بِذِى القَيْصُومِ	٦٥٣/٢

****

" " جـدول رقم (٧) يبين عدد القصائد والمقطوعات التي قالها " "

جـريـر في غير بني أمية وأسماء الممدوحين

م	اسـم الممـدوح ومطالـع القصائـد والمقطوعـات	مكانها في الديوان
	(١) يمدح الحجاج بن يوسف الثقفي	
١-	بَانَ الخَلِيطُ فَمَالَهُ مِنْ مَطْلَبِ ... وَحَذَرْتَ ذَلِكَ مِنْ أَمِيرٍ مُشْغِبِ	١/٢٤٦
٢-	هَاجَ الهَوَى لِفُؤادِكَ المُهْتَاجِ ... فَانْظُرْ بِتُوضِحَ بَاكِرَ الأَحْدَاجِ	١/١٣٦
٣-	سُقِيَتْ بِعَهْدٍ ذَكَّرَتْهُ المَنَازِلُ ... وَكِدْتَ تَنَاسَى الحِلْمَ وَالشَّيْبُ شَامِلُ	١/٣٩٩
٤-	غَدًا بِاجْتِمَاعِ الحَيِّ نَقْضِي لُبَانَةً ... وَأُقْسِمُ لَاتُقْضَى لُبَانَتُنَا غَدَا	٢/٨٤٨
٥-	مَتَى كَانَ المَنَازِلُ بِالوَحِيدِ ... طُلُولٌ مِثْلُ حَاشِيَةِ البُرُودِ	٢/٧٢٧
	(٢) في مدح المهاجر بن عبد الله الكلابي	
١-	أَقَادَكَ بِالمَقَادِ هَوًى عَجِيبُ ... وَلَجَّتْ فِي مُبَاعَدَةٍ غَضُوبُ	١/٤١٠
٢-	إِنَّ المُهَاجِرَ حِينَ يَبْسُطُ كَفَّهُ ... سَبْطُ المَنَانِ طَوِيلُ عَظْمِ السَّاعِدِ	٢/٦٣٧
	(٣) في مدح هلال بن أحوز المازني وهريم بن طحمة المجاشعي	
١-	لِمَنْ رَسْمُ دَارٍ كَادَ أَنْ يَتَغَيَّرَا ... تُرَاوِحُهُ الأَرْوَاحُ وَالقَطْرُ أَعْصُرَا	١/٤٦٨
٢-	أَلَا حَيِّ المَنَازِلَ وَالخِيَامَا ... وَسَكْنًا طَالَ فِيهَا مَا أَقَامَا	٢/٧٧١
	(٤) في مدح خالد بن عبد الله القسري	
١-	لَعَلَّ فِرَاقَ الحَيِّ لِلبَيْنِ عَامِدِي ... عَشِيَّةَ قَارَاتِ الرُّحَيْلِ الفَوَارِدِ	٢/٦٠٢
	(٥) محمد بن هبيرة الفزاري	
١-	إِذَا أُولَى النُّجُومِ بَدَتْ فَغَارَتْ ... وَقُلْتُ أَتَى مِنَ اللَّيْلِ انْتِصَافُ	٢/٧٩٩
	(٦) سوادة بن كلاب	
١-	مَنْ ذَا نُحَمِّلُ حَاجَةً نَزَلَتْ بِنَا ... بَعْدَ الأَغَرِّ سَوَادَةَ بْنِ كِلَابِ	١/٤٥٢
	(٧) في مدح يحيى بن أبي حفصة جد مروان	
١-	أَزَادًا سِوَى يَحْيَ تُرِيدُ وَصَاحِبًا ... أَلَا إِنَّ يَحْيَى نِعْمَ زَادُ المُسَافِرِ	١/٤٥١
	(٨) في مدح عباد بن عباد	
١-	عَيَّتْ تَمِيمُ بِأَمْرٍ كَانَ أَفْظَعَهَا ... فَفَرَّجَ الكَرْبَ عَبَّادُ بْنُ عَبَّادِ	١/٤٨٩

"" "" تابـــع للجــــدول رقـــم (٧) ...... "" ""

	(٩) يمــدح رجلا من بني عدى بن عبد مناة بن أد		
١-	لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ الكتيبـــة كَبْشُهَـــــا	بِجَحْشٍ إذا لاقى الكَمِـيُّ ابْـنَ مَالِكِ	٤٥٤/١
	(١٠) يمدح مخزق السدوسي وشيبان السحيمي		
١-	أَقُولُ لِأَصْحَابِي ارْفَعُوا مِنْ مَطِيِّكُـمْ	فَيَوم لَنَا بِالقَرْيَتَـين طَلِيـــلُ	٧٥٢/٢
	(١١) يمدح بعض وجوه قيس وطيء وبني سعد بن ضبة وبني رفاعة		
١-	نَفْسِي الفِدَاءُ لِقَومٍ زَيَّنُوا حَسَبِـي	وَإِنْ مَرِضْتُ فَهُمْ أَهْلِي وَعُـــوَّادِي	٨٠٦/١
٢-	جديلة والغوث الذيـن تعيبهـــم	كرام وما من عابهـــم بكريــــم	٤٦٥/١
٣-	فِدًى لِبَنِي سَعْدِ بْنِ ضَبَّةَ خَالَـتِي	إِذَا أَفْزَعَ الرَّوْعُ السَّنَامَ المُنَفَّــرَا	٤٦٧/١
٤-	كَأَنِّي بِالمُدَيْـبِرِ بَيْنَ زَكَّــــا	وَبَيْنَ قُـرَى أَبِي صُفْـرَى أَسِـيرُ	٤٦٢/١
	(١٢) يمدح بني مازن وآل منظـــور وبني نمر وبني الأزد		
١-	حَيِّ المَنَازِلَ بِالأَجْزَاعِ غَيَّرَهَـــا	مَرُّ السِّنِينَ وَأَبَادَ وَآبَـــادُ	٧٢٥/٢
٢-	فَلَا خَوفٌ عَلَيكَ وَلَـــنْ تُـرَاعِـــي	بِعقوة مَـازِنٍ وَبَنِي هِـــلَالِ	١٠٣٦/٢
٣-	أَرْسَمُ الحَيِّ إِذْ نَزَلُوا الأَيَـــادَا	تَجُرُّ الرَّامِسَـاتُ بِـهِ فَبَــادَا	٢٥٦/١
٤-	إِنَّ النَّدَى مِنْ بَنِي ذُبْيَانَ قَدْ عَلِمُوا	وَالمَجْدَ فِي آلِ مَنْظُورِ بنِ سَيَّـارِ	٧١٥/٢
٥-	جَاءَتْ بَنُو نَمِـرٍ كَـأَنَّ عُيونَهُــمْ	جَمْرُ الغَضَـا بِتَذَرِّي وَظَـــلَامِ	٤٩٠/١
	(١٣) يمدح بني نهشـــل وبني رفاعة بن زيد بن كليب		
١-	لَقَدْ سَرَّنِي أَنْ لَا تَعُدَّ مُجَاشِـــعُ	مِنَ الفَخْرِ إِلَّا عَقْرَ نَـابٍ بِصَــوْأَرِ	٨٨٤/٢
٢-	سَقَى الأَجْزَاعَ فَـوقَ بَنِي شُبَيْــلٍ	سَاجِجُ كُـلِّ مُرْتَجِـزٍ هَـزِيـــمِ	٤٥٢/١
	(١٤) بعض قصائد هجاء فيها مدح للقيسيين ويظهر الفخر فيها أكثر		
١-	أَتَذْكُرُ هُمْ وَحَاجَتُـكَ ادِّكَــــارُ	وَقَلْبُكَ فِي الظَّعَائِـنِ مُسْتَعَــارُ	١٣٤/١
٢-	قُلْ لِلدِّيَارِ سَقَى أَطْلَالَكِ المطــــر	قَدْ هِجْتِ شَوْقًا فماذا ترجع الذِّكَــرُ	١٥٠/١
٣-	أزرت ديـار الحي أم لا تزورهـــا	وأنى من الحي الجمـاد ودورهـــا	١٧٩/٢

****

الفهارس

"" "" فهرس المصادر والمراجع"" ""

(١) القـــرآن الكريـــــم .

(أ)

١- أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ / للدكتور ابراهيم شعوط - دار الشروق الطبعة السادسة ، ١٤٠٣هـ .

٢- أثر الاسلام في شعر الفرزدق / للدكتور مصطفى عبد الواحد - دار الاصلاح الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ .

٣- أخبار أبى تمام / للصولي / تحقيق خليل عساكر وغيره - المكتب التجـارى للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - بدون تاريخ .

٤ - الأخطل شاعر بني أمية / للدكتور سيد غازى - دار المعارف ، الطبعة الثانية .

٥- الأخطل في سيرته ونفسيته وشعره / لايليا الحاوى - دار الثقافة ، بـــيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١م .

٦- الأخطل الكبير - حياته وشخصيته وقيمته الفنية / للدكتور فخر الدين قبـاوة دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ .

٧- أدب السياسة في العصر الأموى / للدكتور أحمد الحوفي - دار نهضة مصـر للطبع والنشر ، الطبعة الخامسة .

٨- أدب العرب / مارون عبود - دار الثقافة - بيروت - ١٩٦٠م .

٩- الأدب العربى في الجاهلية والاسلام / عمر رضا كحالة - المطبعة التعاونيـــة دمشق ، ١٣٩٢هـ .

١٠- أدب ماقبل الاسلام دراسة وصفية تحليلية / محمد عثمان علي ، المؤسسة العالمية للدراسات والنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

١١- أساس البلاغة / للزمخشري - دار صادر بيروت ١٣٨٥هـ .

١٢- أسس النقد الأدبي عند العرب / للدكتور أحمد أحمد بدوي - دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٩م .

١٣- الاسلام والجاهلية في شعر بني أمية / للدكتور شوقي عبد الحليم حمادة مطبعة السعادة ١٤٠٢ هـ .

١٤- الاشتقاق / لابن دريد / تحقيق عبد السلام هارون مطبعة عيسى الحلبي ، ١٣٧٩هـ .

١٥- الاصابة في تمييز الصحابة / لابن حجر العسقلاني / تحقيق علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٠م .

١٦- أصول النقد الأدبي / أحمد الشايب - مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثامنة ، ١٩٧٣م .

١٧- الأعلام / لخير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الخامسة - ١٩٨٠م .

١٨- الأغاني / لأبي الفرج الأصفهاني - موسسة جمال للطباعة والنشر - بيروت - مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية .

١٩- الافصاح في فقه اللغة / تأليف حسين يوسف وعبد الفتاح الصعيدي - دار الفكر العربي - الطبعة الثانية .

٢٠- الأمالي / لأبي علي القالي - دار الكتاب العربي - بيروت - بدون تاريخ .

٢١- أمالي المرتضى / تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ مطبعة عيسى الحلبي ، الطبعة الأولى ، ١٣٣٣ هـ .

٢٢- أمالي اليزيدي / لأبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، مصورة عن طبعة حيدر أباد (الهند) ، عام ١٣٦٩ هـ .

٢٣- إنباه الرواه على أنباه النحاه / لجمال الدين القفطي / تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الكتب المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٩ هـ .

٢٤- أيام العرب في الجاهـ / تأليف محمد أبو الفضل ابراهيم وغيره ، مطبعة عيسى الحلبي ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٢م .

(ب)

٢٥- البخلاء / لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ / تحقيق د . طه الحاجري ، دار المعارف ، الطبعة السادسة .

٢٦- البداية والنهاية / للحافظ بن كثير ، طبعة دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ .

٢٧- البستان (معجم لغوي) / تأليف عبد الله البستاني ، المطبعة الأمريكانية ، بيروت ، ١٩٢٧م .

٢٨- بناء القصيدة العربية / للدكتور يوسف حسين بكار ، دار الاصلاح ، المملكة العربية السعودية ، الدمام ، بدون تاريخ .

٢٩- البيان والتبيين / للجاحظ / تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الرابعة ،

(ت)

٣٠- تاج العروس / للزبيدي ، المطبعة الخيرية بمصر الطبعة الأولى ، ١٣٠٦هـ .

٣١- تاريخ آداب اللغة العربية / جرجي زيدان . مكتبة الحياة، ١٩٨٣م.

٣٢- تاريخ الأدب العربي / لأحمد حسن الزيات، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الطبعة الخامسة والعشرون.

٣٣- تاريخ الأدب العربي / لحنا الفا خوري، المطبعة البوليسية، بيروت، الطبعة السادسة.

٣٤- تاريخ الأدب العربي : ١- العصر الجاهلي / للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثالثة.
٢- العصر الاسلامي / للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة السابعة.

٣٥- تاريخ الأدب العربي / للدكتور عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨١م.

٣٦- تاريخ الأدب العربي / كارل بروكلمان / ترجمة / ترجمة الدكتور/ عبد الحليم النجار، دار المعارف، الطبعة الرابعة.

٣٧- تاريخ التراث الاسلامي / لفؤاد سزكين / ترجمة د. محمد فهمي، طبعة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، ١٤٠٣هـ.

٣٨- تاريخ الخلفاء / للسيوطي، دار الفكر، ١٣٩٤هـ.

٣٩- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي / للدكتور حسن ابراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السابعة، ١٩٦٤م.

٤٠- تاريخ الاسلام / للذهبي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٦٨هـ.

٤١- تاريخ دمشق / لابن عساكر، تهذيب عبد القادر بدران، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

٤٢- تاريخ الطبرى / لابن جرير الطبرى / تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف ،الطبعة الثالثة .

٤٣- تاريخ نشأة علوم البلاغة وأطوارها / للدكتور عبد العزيز عرفة ،دار الطباعة المحمدية ،الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ .

٤٤- تاريخ النقائض في الشعر العربى / لأحمد الشايب ،مكتبة النهضة المصرية ،الطبعة الثانية ، ١٩٦٦م .

٤٥- التصوير البيانى دراسة تحليلية لمسائل البيان / للدكتور محمد أبوموسى ، مكتبة وهبه ،الطبعة الثانية ، ١٤٠٠هـ .

٤٦- التطور والتجديد فى الشعر الأموى / للدكتور شوقى ضيف ،دار المعارف، الطبعة السادسة .

٤٧- التعريفات / لمحمد بن على الجرجانى ،دار الكتب العلمية الطبعة الاولى ، ١٤٠٣هـ .

٤٨- التفسير النفسى للأدب / للدكتور عز الدين اسماعيل ،دار العودة، بيروت (دون تاريخ) .

(ج)

٤٩- جرير .. حياته وشعره / للدكتور نعمان محمد أمين طه ،دار المعارف

٥٠- جرير ونقائضه مع شعراء عصره / للدكتور محمد عبد العزيز الكفراوى ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ،الطبعة الأولى .

٥١- جرير (من نوابع الفكر العربى) لمحمد ابراهيم جمعة ،دار المعارف، الطبعة الخامسة .

٥٢- جمهرة أشعار العرب / لأبى زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى / تحقيق على محمد البجاوى ، دار نهضة مصر ، الطبعة الثانية .

٥٣- جمهرة أنساب العرب / لابن حزم الأندلسى / تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة .

(ح)

٥٤- الحماسة / لأبى تمام / تحقيق الدكتورعبد اللهالعسيلان ،طبعة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ١٤٠١هـ .

٥٥- الحماسة البصرية / لأبى الفرج بن الحسن البصرى / تحقيق الدكتور عادل جمال سليمان ، لجنة احياء التراث الاسلامى ، القاهرة .

٥٦- الحور العين / لنشوان الحميرى / تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٧هـ .

(خ)

٥٧- خزانة الأدب / للبغدادى ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩م .

٥٨- الخلاصة الوافية فى علمي العروض والقافية / تأليف حامد سليمان عباس ، مطبوعات الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية ، الرياض ، ١٣٩٠هـ .

(د)

٥٩- دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة العربية) .

٦٠- دائرة معارف القرن العشرين (لفريد وجدى) .

٦١- دراسات فى أدب الدعوة الاسلامية / للدكتور محمود زينى ، نادى مكة الثقافى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ .

٦٢- دراسات فى أدب ونصوص العصر الأموى / للدكتور محمد عبد القادر أحمد مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ.

٦٣- دراسات فى حضارة الاسلام / تأليف " هاملتون جب " ترجمة الدكتور احسان عباس وغيره ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٤م.

٦٤- دراسات فى نقد الأدب العربى / للدكتور بدوى طبانه ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ.

٦٥- ديوان الأدب / للفارابي - الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية ، تحقيق أحمد مختار عمر ١٣٩٤هـ.

٦٦- دفاع عن البلاغة العربية / محمد حسن الزيات ، عالم الكتب ، الطبعة الثانية .

٦٧- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس / تحقيق الدكتور محمد محمد حسين مؤسسة الرسالة ، الطبعة السابعة ، ١٤٠٣هـ.

٦٨- ديوان ابن قيس الرقيات/ تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، دار بيروت ، للطباعة والنشر ، ١٣٧٨هـ.

٦٩- ديوان جرير / تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه ، دار المعارف الطبعة الأولى .

٧٠- ديوان جرير / شرح ايليا الحاوى ، دار الكتاب اللبنانى ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢م.

٧١- ديوان جميل بثينه/ تقديم بطرس البستانى ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٠هـ

٧٢- ديوان الحطيئة / تحقيق الدكتور نعمان طه ، طبعة الحلبي ، ١٩٥٨م .

٧٣- ديوان عمر بن أبي ربيعة / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني ، الطبعة الثالثة ١٣٨٤هـ .

٧٤- ديوان الفرزدق / دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٤٠٠هـ .

٧٥- ديوان كثير عزة / شرح الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٣٩١ هـ .

٧٦- ديوان المتنبي / بشرح البرقوقي المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٣٤٨هـ .

٧٧- ديوان المعاني / لأبي هلال العسكري ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، طبعة سنة ١٣٥٢هـ .

٧٨- ديوان النابغة الذبياني / المكتبة الثقافية ، بيروت . بدون تاريخ .

(ر)

٧٩- الراعي النميري عصره حياته ، شعره / للدكتور محمد نبيه حجاب ، مكتبة نهضة مصر - الطبعة الأولى ، ١٣٨٢ هـ .

٨٠- رحلة الشعر / للدكتور مصطفى الشكعه - عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٩هـ .

٨١- رحلة مع النقد الأدبي / فخري الخضراوي ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٧م .

٨٢- رسائل الجاحظ / تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، ١٣٨٤هـ .

٨٣- الروائع (عن جرير والأخطل) / بقلم فؤاد أفرام البستاني ، دار المشرق ، بيروت الطبعة الخامسة .

(ز)

٨٤- زهر الآداب / لأبى اسحاق ابراهيم بن على الحصرى القيروانى / تحقيق على محمد البجاوى ، مطبعة عيسى البابى الحلبى ، الطبعة الثانيـــــة

(س)

٨٥- سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون / تحقيق محمد أبو الفضـــــل ابراهيم ، مطبعة المدني ، ١٣٨٣هـ .

٨٦- سمط اللآلى فى شرح أمالى القالى / للبكرى / تحقيق عـبد العزيـــز الميمنى ، دار الحديث للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ .

٨٧- سير أعلام النبلاء / للذهبى / تحقيق شعيب الأرنؤوط وغيره ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ .

٨٨- السيرة النبوية / لابن هشام / تحقيق مصطفى السقا وغيره ، طبعـــــة مصطفى الحلبى ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٥هـ .

(ش)

٨٩- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب / لابن العماد الحنبلى ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، دون تاريخ .

٩٠- شرح شواهد الكافية / للامام محمود العينى ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولـــى .

٩١- شرح شواهد المغنى / للسيوطى ، دار مكتبة الحياة ، بيروت . دون تاريخ .

٩٢- شرح قصيدة كعب بن زهير / لابن هشام الأنصارى / تحقيق الدكتـــــور محمود أبو ناجى ، طبع الوكالة العامة للتوزيع ، دمشق (بدون تاريخ) .

٩٣- شرح مقامات الحريري / تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ.

٩٤- شرح نهج البلاغة / مطبعة مصطفى الحلبي بمصر ، الطبعة الأولى .

٩٥- شعر الأخطل / بتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، منشروات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

٩٦- الشعر الاسلامي في صدر الاسلام / للدكتور عبد الله الحامد مطابع الاشعاع التجارية / الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ.

٩٧- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه / للدكتور يحيى الجبوري ، مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣هـ.

٩٨- شعر زهير بن أبي سلمى / بتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٠م.

٩٩- الشعر العربي بين الجمود والتطور / للدكتور محمد عبد العزيز الكفراوي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الطبعة الثانية .

١٠٠- الشعر في الأدب العربي على ضوء التصور الاسلامي / للدكتور شوقي عبد الحليم حمادة ، مطبعة السعادة ، ١٤٠٢هـ.

١٠١- شعراء النصرانية / الأب لويس شيخو ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز طبعة جديدة ١٩٢٦م.

١٠٢- الشعر والشعراء / لابن قتيبة / تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٧هـ.

(ص)

١٠٣ - الصحاح / للجوهري / بتحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ

١٠٤- الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث / للدكتور محمد الكتاني ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ .

١٠٥- صفة جزيرة العرب / للهمداني ، منشورات ، دار اليمامة ، بالرياض بدون تاريخ .

١٠٦- (كتاب) الصناعتين لأبي هلال العسكري / تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة عيسى الحلبي ، الطبعة الثانية .

١٠٧- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث / للدكتور نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى ، عمان الأردن ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢م .

١٠٨- الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري / للدكتور علي البطل ، دار الأندلس ، بيروت (دون تاريخ) .

(ط)

١٠٩- طبقات فحول الشعراء / لابن سلام / تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المدني ، ١٣٩٤هـ .

١١٠- الطرائف الأدبية / تصحيح عبد العزيز الميمني ، دار الكتب العلمية بيروت ، دون تاريخ .

١١١- الطراز الموشى في صناعة الانشاء / تأليف محمد النجار ، المطبعة العمومية بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٨٦٩م .

(ظ)

١١٢- ظاهرة التكسب وأثرها في الشعر العربي ونقده / للدكتور درويش الجندي دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ١٩٧٠ .

(ع)

١١٣- العروض تهذيبه واعادة تدوينة/ صنعة الشيخ جلال الحنفى ، مطبعة العانى ، بغداد ، ١٩٧٨م.

١١٤- العصبية القبلية وأثرها فى الشعر الأموى / للدكتور احسان النص ، دار الفكر الطبعة الثانية ، ١٩٧٣م.

١١٥- العقد الفريد / لابن عبد ربه / تحقيق محمد سعيد العريان ، دار الفكر الطبعة الثانية .

١١٦- علم النفس أصوله وتطبيقاته التربوية / للدكتور مصطفى فهمى ، مكتبة الخانجى ، ١٣٩٥هـ.

١١٧- العمدة / لابن رشيق القيروانى / تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠١هـ.

١١٨- عيون الأخبار / لابن قتيبة ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية لسنة ١٣٤٣هـ.

(ف)

١١٩- الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية / لمحمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٦هـ.

١٢٠- الفرزدق / للدكتور شاكر الفحام ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ.

١٢١- الفرزدق / للدكتور ممدوح حقى ، دار المعارف ، الطبعة الخامسة .

١٢٢- الفرق الاسلامية فى الشعر الأموى / للدكتور نعمان القاضى ، دار المعارف ١٩٧٠م.

١٢٣- الفصول والغايات / لأبي العلاء المعري / تحقيق محمود حسن زناتي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

١٢٤- في الشعر / لأرسطو/ ترجمة الدكتور شكري محمد عياد ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ١٣٨٦هـ.

١٢٥- في قضايا الأدب واللغة / للدكتور عبده بدوي ، مؤسسة الصباح ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ.

(ق)

١٢٦- القاموس المحيط / للفيروز ابادي ، مطبعة الحلبي ، الطبعة الثانية ، ١٣٧١هـ.

(ك)

١٢٧- الكامل في التاريخ / لابن الأثير ، طبعة القاهرة.

١٢٨- الكامل في اللغة والأدب / للامام أبي العباس المبرد / تحقيق أحمد محمد شاكر ، مطبعة مصطفى الحلبي ، الطبعة الألى : ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧م.

١٢٩- الكتاب / لسيبويه - طبعة (بولاق) القاهرة ، ١٣١٦هـ.

(ل)

١٣٠- لسان العرب / لابن منظور ، طبعة دار المعارف (طبعة جديدة محققة) .

(م)

١٣١- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر / لضياء الدين ابن الأثير ، تحقيق الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ.

١٣٢- مجاني الأدب / لويس شيخو ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بـــيروت، ١٩٣٦م٠

١٣٣- مجلة كلية الآداب / جامعة بغداد العدد الخامس لسنة١٩٦٢م٠

١٣٤- مجلة المشرق / الأعداد (٦، ٧، ٨، ٢٤، ٣١، ٣٥)٠

١٣٥- المحبر / لابن حبيب ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت (دون تاريخ)٠

١٣٦- المخصص / لابن سيده ، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيـــع بيروت ٠

١٣٧- المدخل الى علم النفس / للأستاذ عبد الله عبد الحى موسى ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩م ٠

١٣٨- مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة مايعتبر من حوادث الزمــــان / لليافعى أبو محمد عبد الله بن سعد ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعـات بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ٠

١٣٩- المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها / عبدالله الطيب ، الـــدار السودانية بالطبعة الثانية ، ١٩٧٠م٠

١٤٠- مروج الذهب / للمسعودى / تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميـد / دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ٠

١٤١- المصباح المنير / تحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوى ، دار المعارف، ١٣٩٧هـ٠

١٤٢- المعارف / لابن قتيبه / تحقيق الدكتور ثروت عكاشة ، دار المعارف، الطبعة الرابعة.

١٤٣- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص / للعباسي / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب ، بيروت ١٣٦٧هـ.

١٤٤- معجم الأدباء / لياقوت ، طبعة الرفاعي ، بالقاهرة.

١٤٥- معجم الشعراء / للمرزباني / تحقيق عبد الستار فراج ، مطبعة عيسى الحلبي ، ١٣٧٩هـ.

١٤٦- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع / للبكري / تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٤هـ.

١٤٧- معجم مصطلحات العربية في اللغة والأدب / مجدي وهبه ، وكامل المهندس، مكتبة لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤م.

٨ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة الاسلامية باستانبول، ١٩٨٤م.

١٤٩- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف / د. أ. ى. ونسك ، مكتبة برلين ، ليدن ، ١٩٣٦م.

١٥٠- المعجم الوسيط ، دار المعارف ، الطبعة الثانية.

١٥١- مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي / للدكتور جابر أحمد عصفور دار الاصلاح للطباعة والنشر ، المملكة العربية السعودية ، الدمام ١٩٧٧م.

١٥٢- مقدمة في النقد الأدبي / محمد حسن عبد الله ، دار البحوث الاسلامية ، الكويت الطبعة الأولى ، ١٣٩٥هـ.

١٥٣- مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموى ، للدكتور حسين عطوان ، دار المعارف ، ١٩٧٤م.

١٥٤- مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي / للدكتور شكرى فيصل . دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٨م.

١٥٥- من تاريخ الأدب العربي / للدكتور طه حسين ، دار العلم للملايين الطبعة الرابعة .

١٥٦- المنجد في اللغة والأعلام / دار الشرق ، بيروت ، الطبعة السادسة ، والعشرون .

١٥٧- المنهل العذب في الأدب العربي وتاريخه / أحمد محمد الامام ومحمد الجنيدى جمعة ، شركة المدينة للطباعة والنشر ، جدة ، ١٣٩٠هـ.

١٥٨- المؤتلف والمختلف / للآمدى / تحقيق عبد الستار فراج - عيسى الحلبي ١٣٨٠هـ.

١٥٩- الموازنة بين الشعراء / زكي مبارك ، مطبعة مصطفى الحلبي ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣هـ.

١٦٠- مواسم الأدب وآثار العجم والعرب / للعلوى ، مطبعة السعادة بمصر الطبعة الأولى ، ١٣٢٦هـ.

١٦١- موسيقى الشعر / للدكتور ابراهيم أنيس - مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الخامسة ، ١٩٨١م.

١٦٢- الموشح / للمرزباني / تحقيق على محمد البجاوى / دار النهضة المصرية للطبع والنشر ، ١٩٦٥م.

١٦٣- ميزان الاعتدال / للذهبي / تحقيق علي محمد البجاوي ، القسم الثاني ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٢هـ .

(ن)

١٦٤- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة / محمد الطنطاوي ، مطبعة السعادة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩هـ .

١٦٥- نظرات في الشعر الاسلامي والأموي / لظافر القاسمي / ، دار النفائس بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨هـ .

١٦٦- نظرية اللغة في النقد العربي / للدكتور عبد الحكيم راضي ، مكتبة الخانجي ، (دون طبعة وتاريخ) .

١٦٧- النظرية النقدية عند العرب / للدكتورة هند حسين طه ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، الجمهورية العراقية ، (١٩٨١م .

١٦٨- نقائض جرير والأخطل / لأبي تمام / تعليق انطون صالحاني اليسوعي دار المشرق ، بيروت ، ١٩٢٢م .

١٦٩- نقائض جرير والأخطل / للدكتور عبد المجيد المحتسب ، مكتبة المحتسب ، طبعة دار الفكر ، ١٩٧٢م .

١٧٠- نقائض جرير والفرزدق . (طبعة الصاوي)
نقائض جرير والفرزدق - طبعة مكتبة المتنبي بغداد .

١٧١- النقد الأدبي الحديث / محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الطبعة الثانية

١٧٢- نقد الشعر / لقدامة بن جعفر / تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي مكتبة الكليات الأزهرية ، الطبعة الأولى ١٣٩٩م هـ .

١٧٣- نهاية الأرب في فنون الأدب / للنويرى - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة-(مصور عن طبعة دار الكتب المصرية) ، دون تاريخ .

١٧٤- نوادر المخطوطات/ تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى الحلبى ، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.

(هـ)

١٧٥- الهجاء والهجاءون في عصر صدر الاسلام / للدكتور محمد محمد حسين ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩١هـ.

(و)

١٧٦- وفيات الأعيان / لابن خلكان / تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ.

١٧٧- الوقوف على الأطلال بين شعراء الجاهلية والاسلام حتى الخامس الهجرى / للدكتور مصطفى عبد الواحد - مطبوعات نادى مكة الثقافى - الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ.

فهرس الموضوعات

"" "" فهرس الموضوعات "" ""